جامعة الحسن الثاني المحمدية – الدار البيضاء
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – المحمدية



مركز دراسات الدكتوراه: المجال والمجتمع والثقافة
وحدة التراث الطبيعي والثقافي
مختبر الأركيولوجيا والتراث الثقافي الساحلي

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب

تخصص: الآثار الإسلامية

بعنوان:

القلاع في تهامة اليمن

خلال الفترة (945 - 1336هـ / 1538 -1918م)

دراسة أثرية معمارية وتوثيقية

إعداد :

مبروك محمد يحيى الذماري

تحت إشراف :

د. حســــن أميلـــي

السنة الجامعية: 2014 / 2013

2014/2013

القلاع في تهامة اليمن
خلال الفترة (945 - 1336هـ / 1538 -1918م)
مبروك محمد الذماري

الرقم الترتيبي.......

ملخص الأطروحة:

تناولت هذه الأطروحة دراسة أثرية معمارية (وصفية وتحليلية) للقلاع التراثية في سهل تهامة اليمن خلال الفترة التاريخية (945 - 1336هـ/ 1538 - 1918م). وتبرز أهميتها من كونها تقوم بتوثيق أحد أنواع التراث المادي الثابت، وتسهم في تتبع تاريخ هذه القلاع والكشف عن وظائفها، فضلاً عن محاولة معرفة خصائص وتطور فنون العمارة الدفاعية في منطقة تهامة اليمن. وتوفر هذه الدراسة معلومات تفصيلية ونتائج علمية هامة تساعد على إعادة ترميم وتأهيل تلك القلاع، التي يمكن توظيفها في الجانب التنموي السياحي والثقافي.

كلمات مفتاح: التراث المعماري – القلاع – تهامة اليمن – العناصر الدفاعية.

Cette thèse a remis étude archéologique architectural (descriptive et analytique) pour les châteaux du patrimoine au Tihama au Yémen au cours de la période historique (de 945 - 1336 AH/ 1538 -1918 AD). Et souligne l'importance d'être une dure documenter les types de patrimoine matériel et contribuer à retracer l'histoire de ces châteaux et de la détection de ses fonctions, ainsi que d'essayer de comprendre les caractéristiques et l'évolution de l'architecture défensive dans la région de Tihama du Yémen. Cette étude fournit des informations détaillées et des résultats scientifiques importants aidé à restaurer et à réhabiliter les châteaux, qui peuvent être utilisés dans le plan du développement du tourisme et du patrimoine culturel.

Mots clés: patrimoine architectural - châteaux - Tehama Yémen - éléments défensifs.

This thesis is based on an archaeological-architectural study (descriptive and analytical) concerned with heritage castles in the plain of Tehama in Yemen during the historical period (945-1336 AH/ 1538 - 1918 AD). Its importance resides in the fact that it documents the kinds of tangible heritage, also, it helps to trace the history of these castles, and allows the exploration of its functions. Equally, it is trying to understand the characteristics and evolution of defensive architecture in the region of Tehama-Yemen. Besides, this study provides detailed pieces of information and important scientific results helping to restore and rehabilitate these castles, which can be exploited in terms of development, tourism and culture.

Key words: architectural heritage - castles - Tehama Yemen - defensive elements.



www.univh2m.ac.ma
شارع الحسن الثاني، ص. ب. 150، المحمدية، المغرب
الهاتف: 35/36 46 31 23 5 212+ الفاكس: 34 46 31 5 212+
البريد الإلكتروني: presidence@univh2m.ac.ma

جامعة الحسن الثاني المحمدية – الدار البيضاء
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – المحمدية

مركز الدكتوراه: المجال والمجتمع والثقافة
وحدة التراث الطبيعي والثقافي
مختبر الأركيولوجيا والتراث الثقافي الساحلي

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب

تخصص: الآثار الإسلامية

بعنوان:

القلاع في تهامة اليمن

خلال الفترة (945 - 1336هـ / 1538- 1918م)
دراسة أثرية معمارية وتوثيقية

إعداد:

مبروك محمد يحيى الذماري

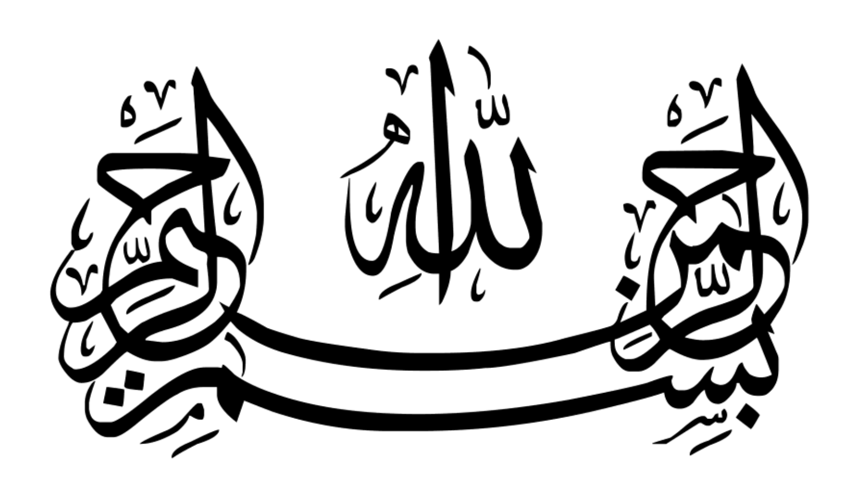
تحت إشراف:

د. حسن أميلي

أعضاء لجنة المناقشة:

د. أحمد سراج (ذ.ت.ع) رئيسا ومقررا
د. حسن أميلي (ذ.ت.ع) مشرفا
دة. مينة المغاري (ذة.ت.ع) مقررة
د. أحمد الطاهري (ذ.ت.ع) مقرر

السنة الجامعية: 2013 / 2014


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح والديَّ تغمدهما الله بواسع الرحمة

إلى زوجتي سبأ، وقرة عيناي ريهام ورامي

إلى جميع إخوتي وأخواتي

أهدي هذا العمل المتواضع،،،

شكر وتقدير

تعجز اللسان عن التعبير لما أكنه من مشاعر تقدير وشكر واحترام لمن كان لهم الأثر في المساعدة على إنجاز هذه الدراسة، ويأتي في مقدمتهم أستاذي المشرف، الدكتور حسن أميلي، الذي تشرَّفت بالتتلمذ على يديه، وتتبع هذا العمل منذ بدايته حتى استوى على عوده، ولم يبخل عليَّ بعلمه ووقته وتوجيهاته السديدة وتصويباته القيمة. وأعبر عن شكري لكلية الآداب بالمحمدية – جامعة الحسن الثاني، ممثلة بالعمادة وأساتذتي أعضاء مختبر الأركيولوجيا والتراث الثقافي الساحلي.

شكري الجزيل للأخوة الزملاء في قسم الآثار – جامعة ذمار باليمن، وأخص بالذكر الدكتورة مديحة رشاد رئيسة القسم، والدكتور فؤاد الشميري، والأستاذ صلاح الكوماني، والأستاذ زياد غانم. كما أسجل شكري وعظيم امتناني للأستاذ صالح الفقيه، الذي كان معيناً وسنداً لي في جميع مراحل إعداد هذه الدراسة، ابتداءً من عملية المسح الميداني لمواقع القلاع وانتهاءً بعملية المراجعة والتصويب.

وأود أن أسجل امتناني وتقديري البالغ لزوجتي، التي صبرت وتحملت معي همَّ هذه الدراسة وعناء الغربة. ولن أغفل بالشكر لمن كان لهم الفضل الأكبر في مؤازرتي طوال فترة دراستي إخوتي، عبد الله، وضيف الله، وحسين، وكذلك علي الذي عمل بهمة عالية على تذليل جميع الصعاب والعقبات التي واجهتني.

ويطيب لي أن أسجل تقديري وشكري لصديقي وزميلي الدكتور فضل العميسي، على جميع ما بذله معي أثناء تواجدي في المملكة المغربية أو خارجها، وكان لي نعم الأخ الذي لم تلده أمي، ولا يفوتني أن أشكر أصدقائي رفقاء الغربة الدكتور عبد الجبار التام، والدكتور صادق السلمي، والأستاذ بشير زندال. وأود أن أشكر وأثمن الدور البارز لصديقي ورفيقي الدكتور محمد الكميم، الذي أفدت منه كثيراً في الجانب العلمي، فضلاً عن مراجعة وتصويب هذا العمل من الناحية اللغوية، وأخص بالشكر أيضا للأستاذة نور طارق حسن، من جمهورية مصر، على جهودها المخلصة في توفير عدداً من المراجع المتخصصة.

وأتقدم بالشكر لرفقاء الدراسة زملائي بمختبر الأركيولوجيا، ومنهم صلاح الحسيني، وفيصل البارد، ويحيى العبالي، والشكر والإمتنان لجميع من قدم لي يد العون من أبناء منطقة تهامة، وأخص منهم الأساتذة: عبد الله العُمري، وأحمد ونس، ويعقوب دوبلة، ومحمد عبدُه كيَّال، والدكتور عبد الودود مقشر، ولا أنسى جميع أصدقائي في مدينتي (ذمار) وفي مقدمتهم المهندس أحمد ربيع، والأستاذ رزق الحنضي. ولا يفوتني أيضا أن أشكر المركز الوطني اليمني للوثائق، والمركز العسكري اليمني للوثائق على تعاونهم خلال مرحلة جمع المادة العلمية.

وفي الأخير أرجو من الله القدير أن يجزي خير الجزاء جميع من ذكرتهم ومن لم يتسع المجال لذكرهم، وهم كثر.

والله ولي التوفيق،،،

قائمة الرموز والاختصارات

الرمز أو الحرف	المعنـــــــــى
ب. ت. ط	بدون تاريخ الطباعة
ب. ت	بدون تاريخ
ب. ر	بدون رقم الطبعة
ب. د	بدون دار نشر
ت:	توفي
ج	إذا وردت في المتن فمعناها جدول، أما في الهامش فمعناها رقم الجـــزء
ح	حاشية
خ	خريطة
ش	شكـل
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
ل	لوحـة = صورة فوتوغرافية ولوحة مرسومة
م	إذا وردت عقب التاريخ فمعناها ميلادية، وإذا وردت بين قوسين فمعناها مخطط
مج	مجلد
هـ	هجريـة
[...]	النقاط ما بين المعقوفتين تشير إلى وجود كلمات مطموسة
[ ] – ( )	الكلمات الموجودة بين المعقوفتين أو القوسين توضيح من الباحث
﴿ ﴾	ما بين القوسين آية قرآنية
...	تدل على عدم الحاجة لذكر كلمات بداخل الجملة أو الفقرة المقتبسة.
" "	تدل على الاقتباس
*	دلالة على وجود إحالة في الهامش
E	East = شـــرق
N	North = شمـال
P	Page = الصفحة
vol	Volume = المجلد

اختصارات المسافات

الاختصار	المعنـــــــى
كم	كيلو متر
$كم^2$	كيلو متر مربع
م	متر
سم	سنتيمتر
ملم	مليمتر

- **ملاحظة**

جميع الخرائط والمخططات واللوحات (الصور) والأشكال الواردة في متن هذه الدراسة من عملنا، والمأخوذة من مراجع تمت الإشارة إليها.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر	ب - ج
قائمة الرموز والاختصارات	د - هـ
فهرس المحتويات	1 – 2
المقدمـــة	3 – 10
القسم الأول: الإطار الجغرافي و التاريخي	11- 99
الفصل الأول: المجال الطبيعي والبشري لسهل تهامة اليمن	12 - 33
الفصل الثاني: التاريخ السياسي والعسكري لمنطقة تهامة اليمن منذ دخول العثمانيين إليها وحتى خروجهم منها (945 - 1336هـ / 1538 – 1918م)	34 – 71
الفصل الثالث: مدخل إلى الاستحكامات الحربية اليمنية في العصر الإسلامي	72- 88
الفصل الرابع: القلاع المندرسة في سهل تهامة خلال الفترة (945 - 1336هـ/ 1538 – 1918م)	89- 99
القسم الثاني: دراسة آثارية (وصفية تحليلية)	100–458
الباب الأول: القلاع الباقيـــة	101- 340
الفصـــــل الأول: قلعة بيت الفقيه	101–161
الفصل الثانـــي: قلعة الضِحـــي	162–186
الفصل الثالـــث: قلعة الزَيديـــة	187–243
الفصل الرابـــع: قلعة الزَيلعـــي	244–296
الفصل الخامـس: قلعتا جبل الملح	297–340
الباب الثاني: القلاع المتهدمة	341–458
الفصـــــل الأول: قلعة حَـــيس	342–359
الفصل الثانـــي: قلعة الزُهـــرة	360–379
الفصل الثالـث: قلعة المعتـرض	380–405
الفصل الرابـــع: قلعتا باجـــل	406–427
الفصل الخامس: قلاع مدينة ميدي	428–458
الخاتمـــة	459–466
قائمة المصادر والمراجع	467–487
الملحـق	488–520
أولاً: (أ) خريطة عامة لمواقع القلاع الباقية والمتهدمة	489

(ب) نموذج الاستمارة الميدانية المستخدمة في توثيق قلاع تهامة اليمن	490
ثانيـاً: جدول كرنولوجي لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة تهامة اليمن خلال الفترة التاريخية (945- 1336هـ / 1538- 1918م)	491- 493
ثالثـاً: المصطلحات والألقاب العثمانية	494- 498
رابعـاً: الألفاظ والمصطلحات المحلية	499- 503
خامساً: فهارس الوثائق والجداول والخرائط والمخططات الهندسية والأشكال التوضيحية واللوحات	504- 520

المقدمــــة

شهدت اليمن خلال فترات تاريخها الإسلامي الكثير من الصراعات السياسية، التي نتجت عنها الحروب المتكررة من أجل الوصول إلى الحكم والسيطرة على الأرض والمال، وبسبب هذه الأوضاع غير المستقرة اهتمت الدويلات اليمنية المتعاقبة بعمليات تشييد الاستحكامات الحربية كظاهرة دفاعية لا يمكن الاستغناء عنها. ومجال تهامة الواسع الذي يطل على ساحل البحر الأحمر لم يكن بمعزل عن اهتمام تلك الدويلات، لكنه بدا أكثر وضوحا عندما بدأت الحملات العسكرية العثمانية على السواحل اليمنية عام (1538م)، واستمر ذلك الأمر حتى بعد خروجهم الثاني من اليمن عام (1918م). وقد مثل إنشاء القلاع في تهامة الحلقة الأبرز التي ساعدت القوى السياسية الحاكمة خلال الفترة التاريخية (945 - 1336هـ/ 1538-1918م)، على صد أغلب الهجمات الحربية الأجنبية التي تعرض لها المجال الساحلي، وغارات القبائل المتكررة على المناطق الداخلية.

ومما لا شك فيه أن هذه القلاع تمثل إنتاجاً معمارياً وفنياً صادقاً، يُعبر عن المراحل الحضارية التي مرت بها منطقة تهامة؛ وتظهر أهميتها في كونها تكشف لنا جوانب مهمة من الأوضاع السياسية التي سادت في ذلك الوقت، وهي بحق تبرز بعض نُظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وارتبطت الأشكال البنائية للوحدات الدفاعية في القلاع بشكل وثيق بتطور الوسائل والأسلحة المستخدمة في الحروب، كما تعكس مستوى الإبداع الذي وصلت إليه فنون العمارة المحلية من خلال الأساليب المستخدمة في البناء وطرق تنفيذ عناصرها المعمارية والدفاعية.

وبالرغم من الأهمية التاريخية لهذه المآثر إلا أنَّها لم تجد الاهتمام اللازم حيث صارت تتعرض في كل لحظة للتهدم والتخريب، وأضحت في أشد الحاجة إلى تناولها بالدراسة المتعمقة، ليس فقط من أجل الكشف عن دورها التاريخي والاستراتيجية الدفاعية التي أُتُّبعت في بنائها، بل لبيان أهميتها مستقبلاً وكيفية

الاستفادة منها في العديد من الجوانب، لاسيما الجانب التنموي. وقد شكلتِ الزيارات الميدانية الأولية التي قمتُ بها في أغلب مدن تهامة دوراً مهماً في التَّعَرُف على العديد من هذه القلاع، فكان ذلك – إلى جانب ما ذكر سابقاً – دافعاً رئيسياً في اختياري هذه المنشآت موضوعاً للدراسة، يحمل عنوان "القلاع في سهل تهامة اليمن خلال الفترة (945 - 1336هـ/ 1538- 1918م) - دراسة أثرية معمارية وتوثيقية".

إنَّ المفهوم السائد لدى ساكنة سهلِ تهامة – في الوقت الراهن – هو عودة جميع القلاع التراثية إلى مرحلة الوجود العثماني في اليمن، وساعد على تعميق هذا المفهوم عدم إنجاز دراسات علمية دقيقة وحفريات أو أسبار أثرية في هذه المواقع، باستثناء قلعة زبيد. نعتقد أن هذا الأمر أحد الأسباب الرئيسية التي أدَّتْ إلى عزوف الباحثين عن تناول موضوعات تتعلق بالعمارة الدفاعية، ليس في هذه المنطقة وحسب، بل في أغلب مناطق اليمن، التي شهدت قلاعها أطواراً حضاريةً متعاقبة، ولذا من الصعوبة بمكان تحديد المراحل المعمارية التي مرت بها. وبالرغم من ذلك، فقد ظهرت في السنوات القليلة الماضية العديد من الدراسات الآثارية الأكاديمية المتخصصة في مجال الآثار الإسلامية في اليمن، كانت أغلبها تتناول جوانب متعلقة بالعمارة الدينية، أما بالنسبة للاستحكامات الحربية (الدفاعية)، فقد اقتصرت الدراسات السابقة في هذا الموضوع – حسب علمنا حتى إنجاز دراستنا هذه – على اثنتين فقط، الأولى: رسالة دكتوراه للباحث عبد الله الحداد، تناول فيها المنشآت العسكرية بمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية (204 - 923هـ/ 819 - 1517م) دراسة أثرية معمارية، وفيها تناول الباحث المذكور قلعة مدينة زبيد التهامية التي تقع ضمن المجال الجغرافي لدراستنا هذه، وقد استبعدناها كونها خارج نطاق الفترة التاريخية التي يتم العمل البحثي فيها. أما الدراسة الثانية فهي رسالة ماجستير للباحثة هيفاء مكاوي، تناولت فيها التحصيناتِ العسكريةَ لمدينة عدن في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية – أثرية – معمارية). هاتان الدراستان برغم عدم ذكرهما للقلاع موضوع

البحث، إلا أنَّه تمَّت الاستفادة منهما لا سيما في الجانب التحليلي، وخاصة دراسة الحداد كونها أوَّل عمل أثري أكاديمي يتناول الاستحكامات الحربية في إحدى مدن سهل تهامة اليمن.

وهنا لا ندَّعي أن مواقع القلاع موضوع الدراسة لم يصل إليها أحد من الباحثين؛ إذ يجب الإشارة إلى أن البعض منها كانت من ضمن المواقع التي تمت زيارتها أثناء أعمال المسح التي قام بها الباحث الأمريكي فرح قيصر والفريق المرافق له عام (1987م) وعام (2000م)؛ وبرغم أهمية هذا المسح، إلا أننا لم نستطع الحصول على تقرير علمي عنه في هيئة الآثار اليمنية حتى يمكن الاستفادة منه. ويبدو أن المادة العلمية التي تمخَّضَتْ عن المسحين المذكورين تمَّ نشرها حديثاً عام (2010م)، حيث صدر كتاب للباحث نفسه (فرح قيصر) تحت عنوان: "القلاع والحصون العثمانية في اليمن"، قدَّمَ فيه مخططات معمارية وصوراً فوتوغرافية للكثير من القلاع والحصون اليمنية، ومن ضمنها بعض القلاع في سهل تهامة. وبرغم أهمية هذه المخططات إلا أننا لم نستفد منها كونها عامة وغير تفصيلية، كما أنَّها لا تخدم أسلوب العمل المتبع الذي سارت عليه دراستنا هذه.

ذكرتْ أغلب المصادر والدراسات التاريخية أثناء عرضها للأحداث الحربية في منطقة تهامة كثيراً من المعارك التي كان قادتها يركزون على إسقاط القلاع تمهيداً لإسقاط المدن؛ في حين لم تهتم بتفاصيل تلك الأحداث، وخاصةً التي تتحدث عن الوسائل الدفاعية التي كانت تتضمنها هذه التحصينات ومدى فاعليتِها في صد العدوان الذي تعرَّضت له، بالإضافة إلى الأساليب الحربية المتبعة من قبل الجنود المهاجمين عند اقتحامها. وقد أثار هذا الأمر عدة تساؤلات، الأمر الذي تَطَلَّب إجراء دراسة آثارية لتلك المنشآت، نستطيع من خلالها استنطاق الأثر نفسه من أجل سد الفجوة المعرفية المذكورة.

ومن خلال ما ذُكر يمكن تحديد إشكالية الدراسة في ثلاثة أسئلة رئيسية نوردها كالآتي:

أولاً: مما تتألف هذه القلاع، وما هي الاستراتيجية الدفاعية التي اتبعت في بنائها واختيار مواقعها، وما هي الوظائف التي كانت تؤديها، وهل كانت العناصر الدفاعية التي تضمنتها تؤدي الغرض الذي أنشئت من أجله؟

ثانياً: ما هو الدور الحربي الذي لعبته القلاع الساحلية لمواجهة هجمات وتدخلات الدول الأجنبية على اليمن من جهة الساحل؟ وما مدى أهمية القلاع الواقعة جهة الداخل بالنسبة لحكم الدويلات اليمنية المتعاقبة؟

ثالثاً: ما أوجه الشبه والاختلاف بين القلاع الساحلية وبين القلاع الداخلية (في منطقة تهامة) من الناحية المعمارية؟ وهل ظلَّت جميع المرافق العمرانية المكونة لتلك القلاع، وكذا عناصرها الدفاعية، على حالتها السابقة – أي خلال فترة إنشائها – حتى الوقت الراهن؛ أم أنَّها أُستبدلت بمرافق أخرى تُلبي أغراضاً وظيفيةً جديدة؟

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأهمية هذا النوع من التراث المادي الثابت، من خلال إظهار الحالة المعماريةِ للقلاع وتوثيقِها توثيقاً دقيقاً، وإبراز الدور الحضاري والتاريخي الذي لعبته، إضافة إلى معرفة خصائص العمارةِ الحربية الإسلامية في منطقة تهامة اليمن، بواسطة إبراز العناصر الدفاعية والمعمارية والفنية للقلاع، ومعرفة التأثيرات المعمارية المتبادلة داخل اليمن وخارجه. ونتوخى من خلال هذه الدراسة أيضاً إنجاز خارطة أثرية تتضمن مواقعَ القلاع الباقية والمتهدمة في مجال تهامة، فضلاً عن الخروج بمعلومات يمكن الاعتماد عليها في إعادة تأهيل واستخدام هذه المنشآت.

وقد شكلت المادة الأثرية الشاخصة المصدرَ الرئيسي الأول للبحث وعمودَ هذه الدراسة والتي تمثلت في القلاع الباقية والمتهدمة. أما المصدر الثاني الذي تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة فقد تمثل في المادة المكتوبة، وهي المعلومات والإشارات التي تم العثور عليها في ثنايا المصادر والدراسات التاريخية وكتابات الأجانب. وعلى الرغم من أنها لم تشفِ العليل، ولم ترو الغليل، لعدم تطرقها – بشكل أوسع – إلى النواحي

الحضارية والمعمارية للقلاع موضوع الدراسة، إلا أنها كانت ذاتَ أهمية كبيرة في إغناء الجانب التاريخي الحربي. ومن المعروفِ أنَّ العمل في موضوعات تتعلق بالتراث المعماري لا بدَّ أن يعتمد على جانبين رئيسيين هما: الجانب النظري والجانب الميداني؛ ولذا فقد فَرَضت طبيعة الدراسة استخدام منهجين هما: المنهج التاريخي، والمنهج الأثري الذي يعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة. وأثناء العمل بالمنهجين المذكورين توجَّب علينا استخدام العديد من الوسائل والأدوات التي تساعد على إخراج الدراسة بالشكل المطلوب، حيث كان لكل مرحلة من مراحلها أدواتها الخاصة بها؛ فعلي سبيل المثال أثناء العمل الميداني تمَّ استخدام استمارة توثيق المواقع الأثرية، وأدوات الرفع الهندسي، والكاميرا، وجهاز تحديد المواقع (GPS). وخلال مرحلة الكتابة تمَّت الاستعانة بالعديد من البرامج الحاسوبية، ومن أبرزها برنامج التصميم الهندسي (Autocad)، وبرنامج التقاط الصور الجوية (google earth)، وبرنامج معالجة الصور (Photoshop).

وقد واجهتني في مراحل البحث والدراسة الكثير من الصعوبات، وهذا طبيعي؛ لأن كل عمل يكون محفوفاً بالصعوبات والعراقيل، ومن الصعوبات التي اعترضتني أثناء عملي هذا يمكنُني ذكر أبرزها في النقاط الآتية:

- اتساع المجال الجغرافي الذي يتم العمل البحثي فيه؛ وهذا بدورِهِ تطلَّب مضاعفة الجهود خلال مرحلة العمل الميداني، إذ أنَّه من الصعوبة التنقل من موقعٍ إلى آخر، وكان من الضرورة إعطاء كل قلعة حقها من الدراسة، ولذا فقد وجب تكرار الزيارات الميدانية عدة مرات.
- عدمُ اشتمالِ أغلب هذا النوع من العمارة الإسلامية – أي القلاع موضوع الدراسة – على نصوص تسجيلية، والتي يمكن أن تساعد في تحديد سنة تأريخ البناء، كما تعرَّضتْ العديد من القلاع، أيضا، للتهدم، وهذان الأمران زادا من صعوبة تتبع مراحل عمارة القلاع بشكل دقيق.
- وجود حاميات عسكرية في مواقع بعض القلاع، مما حال دون إجراء الدراسة الميدانية لها.

• عدم وجود خرائط أولية عن مواقع القلاع في منطقة البحث لدى الجهات الحكومية أو غيرها.

اقتضت طبيعة مادة الدراسة بتقسيمها إلى قسمين مسبوقة بمقدمة ومنتهية بخاتمة. يقوم القسم الأول بدراسة جغرافية تاريخية لمنطقة البحث، وينقسم إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: يتناول المجـال الطبيعي والبشري لمنطقة سهل تهامة، حاولنا من خلاله التعريف بهذه المنطقة ابتداءً من تسميتها وموقعها الجغرافي والتضاريس والمناخ والموارد المائية والغطاء النباتي. كما حاولنا تتبعَ نشأة مدن تهامة ودور القبائل في ذلك، ثم قمنا بتعريف أبرز هذه المدن والقبائل التي كانت تقطنها خلال الفترة الخاضعة للدراسة.

الفصل الثاني: ويقوم بعرض التاريخ السياسي والعسكري لمنطقة تهامة اليمن منذ دخولِ العثمانيين إليها وحتى خروجهم منها (945 - 1336هـ/ 1538 - 1918م)، وقد ركزنا فيه على الأحداثِ الحربية التي تمت في مدن تهامة لاسيما المتعلقة بالاستحكامات الحربية وخاصة قلاعها.

الفصل الثالث: واشتمل على عرض تاريخي موجز لأهمية الاستحكامات الحربية خلال فترات حكم الدويلات اليمنية في العصر الإسلامي، إضافة إلى الدور الحربي للقلاع والحصون اليمنية خلال الفترة (945 - 1336هـ / 1538 – 1918م).

الفصل الرابع: ويضم جداول تحتوي على أسماء القلاع المندرسة في سهل تهامة اليمني خلال الفترة (945- 1336هـ/ 1538- 1918م)، وكذا المعلومات التاريخية التي وردت عنها وفق ترتيبها الكرنولوجي كمنشئها وتاريخ بنائها أو أقدم ذكر تاريخي لها، والمكونات المعمارية العامة التي كانت تتضمنها بالإضافة إلى التعرف على الأسباب التي أدَّتْ إلى اندثارها إن وجدت.

أما القسم الثاني من هذا البحثِ فقد خُصِّص للدراسة الآثارية (الوصفية التحليلية)، وقد حاولنا فيه إبراز خصائص معمار قلاع تهامة، من خلال مناقشة العديد من النقاط، لعلَّ أبرزها مواقع القلاع، ومنشئيها

إن وجدوا، وتاريخ إنشائها، ودورها التاريخي السياسي والحربي، وكذا التجديدات المعمارية التي تعرضت لها، وما ذكر عنها في كتابات وزيارات الأجانب. كما تطرقنا إلى مواد بناءِ القلاعِ والأسلوبِ المتبعِ في عمارتِها، بالإضافةِ إلى عمليةِ الوصفِ والتحليل المعماري لجميع مرافقها، ومقارنة أغلب العناصر المعمارية والدفاعية والفنية التي ظهرت فيها، سواءً مع القلاع الأثرية داخل اليمن أو خارجها.

يتألف هذا القسم من بابين، الأول يتناول بالدراسةِ ست قلاع باقية ما تزال – وقت إعداد البحث – شاخصة بوحداتها المعمارية والدفاعية، وهي موزعة على خمسةِ فصول: الأول يختص بدراسة قلعة بيت الفقيه، والثاني قلعة الضحي، والثالث قلعة الزيدية، والرابع قلعة اللحية، والخامس قلعتي جبل الملح.

ويضم الباب الثاني دراسة لتسع قلاع متهدمة، توزَّعَتْ على خمسة فصول:

الأول يقوم بدراسة قلعة حيس، والثاني قلعة الزهرة، والثالث قلعة المعترض، والرابع قلعتي باجل، والخامس القلاع الأربع بميدي.

وقد اعتمدنا في إدراج القلاع المذكورة في هذا الباب على حالتها المعمارية بعد معاينتها ميدانياً، وعلى مستوى التهدم الذي لحق بها، ثم قمنا بالتَّعَرفِ على ما تتضمنه من وحدات معمارية أو دفاعية، ورسم مخططها الأفقي، وكذا محاولة وضع تصور نبين فيه التصميم المعماري الذي كانت تتخذه قبل تهدمها، سواءً من خلال ما تبقى من وحداتها والعمل على مقارنتها بالقلاع الباقية في مجالها الجغرافي، أو بواسطة تحليل الصور القديمة التي التقطت لها.

أنهيتُ الدراسةَ بخاتمة تتضمن ما تمَّ التوصل إليه من استنتاجات، تلتها عدد من التوصيات والمقترحات، ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع المستخدمة. وقد ذيَّلت الدراسةَ بملحق ينقسم إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: ويضم خريطة تتضمن مواقع القلاع الباقية والمتهدمة التي تمت دراستها، ونموذج للاستمارة الميدانية المستخدمة في توثيق القلاع موضوع الدراسة.

القسم الثاني: يحتوي على جدول كرنولوجي لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة تهامة اليمن خلال الفترة التاريخية (945- 1336هـ / 1538- 1918م).

القسم الثالث: يضمّ قائمة للمصطلحات والألفاظ العثمانية الواردة في متن الدراسة، والكثير منها جاء مقروناً بما يقابلها في اللغة التركية الحديثة مع شرح لمعانيها،

القسم الرابع: يشتمل على قائمة للمصطلحات والألفاظ المعمارية المحلية المستخدمة في معمار منطقة سهل تهامة اليمن، وبجانب كل واحد منها شرحاً لمعناه.

القسم الخامس: يحتوي على فهارس للوثائق والجداول والخرائط والمخططات الهندسية والأشكال التوضيحية واللوحات، التي تم استخدامها في الدراسة.

وفي الأخير نقدم هذه الدراسة ونحن ندرك أنها محاولة أولى للسير في طريق البحث العلمي الشاق، والكمال لله وحده.

القسم الأول: الإطار الجغرافي و التاريخي

الفصل الأول: المجال الطبيعي والبشري لسهل تهامة اليمن

الفصل الثاني: التاريخ السياسي والعسكري لمنطقة تهامة اليمن

منذ دخول العثمانيين إليها وحتى خروجهم منها (945 - 1336هـ / 1538 – 1918م)

الفصل الثالث: مدخل إلى الاستحكامات الحربية اليمنية في العصر الإسلامي

الفصل الرابع: القلاع المندرسة في سهل تهامة

خلال الفترة (945 - 1336هـ / 1538 – 1918م)

الفصل الأول:

المجـــال الطبيعي والبشري لسهل تهامة

أولا: المحددات الطبيعية

- تهامة (دلالة اللفظ)
- المجال (الموقع وأهميته)
- التضاريس
- المنــــــاخ
- الموارد المائية والغطاء النباتي

ثانياً: المحددات البشرية

- نشأة مدن تهامة ودور القبائل
- أهم المدن والقبائل التهامــية

يعتمد علم الآثار في دراساته بدرجة رئيسية على عدد من العلوم المساعدة، ومنها علم الجغرافيا، وعند إجراء دراسة آثارية للمنشآت المعمارية الثابتة، تجب معرفة جميع الملامح والخصائص الجغرافية لموقع الدراسة كان صغيراً أو مجال واسع، ومن أجل الوصول إلى تلك الخصائص يتم التركيز على عدد من النقاط، هي التضاريس، والمناخ، وموارد المياه،...إلخ. وجميع النقاط المذكورة تؤثر تأثيراً كبيراً في الاستيطان البشري وتشكيل المعمار، ومن خلالها نستطيع أيضاً فهم الظروف البيئية التي ساعدت على ظهور نمط معماري ما.

ويعد العامل البشري هو العنصر الرئيسي في إنتاج ذلك النمط المعماري، فحينما يجد الإنسان صعوبة في التكيف مع البيئة المحيطة به – أيا كانت ظروفها المناخية حارة أو باردة – يحاول التغلب عليها، ويفكر في إيجاد حلول معمارية لمنشآته تساعده على توفير الراحة، بحيث تتفق مع متطلبات حياته. ويجب أن تتوافق تلك الحلول المعمارية مع ما هو موجود من مواد بنائية في المنطقة نفسها، أو المواقع القريبة منها، مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب الاقتصادي، والمتمثل في قلة التكلفة، وكذلك الجانب الزمني، وهو الحصول على النمط المعماري المطلوب في أسرع وقت.

تهامـــة: (دلالة اللفظ)

جاء ذكر لفظ تهامة في النقوش اليمنية القديمة المنشورة بصيغة (ت هـ م ت / 𐩩𐩸𐩣𐩩)؛ والتي يقصد بها الأراضي المنخفضة الواقعة في الجهة الغربية من اليمن، وقد ارتبط هذا اللفظ (تهامة) باللقب الملكي الذي اتخذه ملوك اليمن في المرحلة الثانية من عصر التبابعة (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طوداً وتهامة). وحسب النقش الموسوم بـ (Ja 516) المؤرخ بسنة (428) ميلادية[1]، كان أول من تلقب باللقب الملكي المذكور هو أبو كرب أسعد بن ملكي كرب يهأمن[2]، عندما ضم أراضي نجد

[1]- Gajda I.: Himyar gagné par le monothéisme (IVe ‹VIe siècle de l'ère chrétienne), Ambitions et ruine, d'un royame de l'Arabie méridionale antique , Vol. I-II , (PhD thesis), Aix ‹ en ‹Provence 1997, p 75 – 76.

[2]– حكم التُبَّع اليماني أبي كرب أسعد فترة طويلة امتدت من نهاية القرن الرابع الميلادي حتى بداية القرن الخامس الميلادي، أي قبل ظهور الإسلام بحوالي 200 سنة، وحمل أطول لقب ملكي في تاريخ اليمن القديم وحكم معظم الجزيرة العربية، كما يعتبر عصره من أبرز عصور تاريخ اليمن

وتهامة إلى حكمه، ثم تكرر ذكر هذا اللقب كثيراً في عهد أبنائه حتى فترة حكم أبرهة الحبشي لليمن في منتصف القرن السادس الميلادي، أي قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة[1].

وعند التحقق في معاجم اللغة العربية عن لفظ تهامة، وُجد أن هناك إجماعاً عند كثير من علماء اللغة حول معنى تهامة: وهو شدة الحر وسكون الريح، واسم لكل ما هبط من الأرض، فعند الرازي (ت:691هـ) في مختار الصحاح ذكر كلمة (تهم)، وقال: "تِهامةُ بلد والنسبة إليه تِهَاميٌّ، وتَهَامٍ أيضا إذا فتحت التاء لم تشدد، كما قالوا رجل يمان وشآم، وقوم تهامون كما قالوا يمانون"؛ ونقل عن سيبويه قوله: "منهم من يقول تَهَامِيٌّ ويمانيٌّ وشآميٌّ بالفتح مع التشديد، وأَتْهَمَ الرجل صار إلى تهامة"[2]. كما بيَّن ابن منظور (ت:711هـ) في لسان العرب إن التهم: هو شدة الحر وسكون الريح[3]، بينما يذكر الفيومي (ت: 770هـ) في المصباح المنير معنيين لكلمة (تهم)، من خلال مثالين، الأول: تهم اللَّبن واللَّحم تهماً من باب تعب تغير أنتن، والثاني: تهم الحرّ اشتد مع ركود الريح، فيقال إن تهامة مشتقة من الأول لأنها انخفضت عن نجد فتغيرت ريحها، ويقال في المعنى الثاني لشدة حرّها، كما يوضح بان النسبة إلى تهامة تهامي وتَهام[4]. ونجد نفس المعنى في القاموس المحيط للفيروزبادي (ت: 817هـ)[5]، وكذلك في تاج العروس

القديم. للمزيد عن هذه الشخصية انظر: محمد عبد القادر بافقيه وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985، ب. ط، ص 59. وأيضا: يوسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره (بحوث ومقالات)، دار الفكر، ط 2، بيروت ودمشق، 1990، ص 255.

1 – أ. ج. لوندين: *"اليمن إبان القرن السادس بعد الميلاد"*، ترجمة محمد علي البحر، مجلة الإكليل، ع 2، وزارة الإعلام والثقافة – صنعاء 1989، ص 24 – 25.

2 – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، طبعة دائرة المعاجم، بيروت 1986، ص 33.

3 – جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن حقبة ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ب. ت. ط، ص 452.

4 – أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري: المصباح المنير، طبعة مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 30.

5 – محمد بن يعقوب الفيروزبادي: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نسخه مصورة عن الطبعة الثالثة، 1980، ج 4، ص 43.

للزبيدي (ت: 1205هـ)، بأن التَّهم يعني شدة الحر وركود الريح، وإن تهامة هي الأرض المنصوبة إلى البحر[1].

ومما سبق يستنتج أن تسمية تهامة كانت موجودة في عصر ما قبل الإسلام، وهي اسم للسهل المحاذي للبحر الأحمر من جهة الغرب. وبما أن الأسماء لا تعلل، نعتقد أن علماء اللغة في العصر الإسلامي قاموا بتفسير لفظ تهامة اعتماداً على الملامح الجغرافية التي تميزت بها المنطقة، كشدة الحر وقلة الأمطار وكثرة الكثبان الرملية وهبوط أراضيها بمحاذاة ساحل البحر؛ فالأصل في ذلك أن اللفظ تهامة سبق وجوده المعاني التي ذكرها علماء اللغة.

مجال تهامة:

يقع سهل تهامة في الجهة الغربية من شبه الجزيرة العربية وفي الجنوب الغربي من قارة آسيا، وقد حدد مجال تهامة مؤرخ اليمن الهمداني (ت: بعد 350هـ) عندما تحدث عن الحجاز فقال: "سَمَّتْه العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيِّه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعكٍّ وحَكَم وكِنانة وغيرها ودونها إلى ذات عِرق والجَحْفة وما صاقبها، وغار من أرضها– الغور غور تهامة وتهامة تجمع ذلك كله"[2]. ومعنى ذلك أن تهامة تمتد من الشمال إلى الجنوب بامتداد البحر الأحمر من خليج العقبة شمالاً حتى مضيق باب المندب جنوباً[3]، وينحصر مجال تهامة بين قسم الجبال والبحر الأحمر، كما ينقسم إلى: تهامة الحجاز، وتهامة عسير، وتهامة اليمن التي قسمها بعضهم إلى غربية تطل على البحر الأحمر، وجنوبية تطل على المحيط الهندي[4].

---

1 – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 1، الكويت 2002، ج 31، ص 345.

2 – الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990، ص 85.

3 – عبد الواسع يحيى الواسعي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ب. د، القاهرة 1928 – ص 11. وأيضا: حسين بن علي الويسي: اليمن الكبرى، مكتبة الإرشاد، ط 2، صنعاء، 1991، ج 1، ص 73.

4 ، أحمد وصفي زكريا: رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، ط 1، دمشق 1986، ص 81.

وما يهمنا في هذه الدراسة هو سهل تهامة اليمني بحدوده الجغرافية الحاليَّة، على اعتبار أن المفهوم الحالي لتسمية تهامة يطلق على الأراضي الممتدة من حرض شمالاً حتى باب المندب جنوباً، والتي تقع بين دائرتي عرض (1244 - 2000) شمالاً، وخطي طول (40 - 45) شرقاً تقريباً، وهو بذلك محاذ للبحر الأحمر[1]، ويبلغ طول السهل (500 كم) تقريباً، ويتراوح اتساعه (عرضه) ما بين (20 و 60 كم)، كما إن أكثر الأجزاء ارتفاعاً لا تزيد عن (200م)، فوق مستوى سطح البحر[2]. (خ: 1).

أهمية مجال تهامة:

يعد إقليم تهامة اليمني ذا أهمية استراتيجية كبيرة نظراً لاتساع رقعته الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر على طول امتداد الساحل اليمني الغربي، ويمكن تلخيص تلك الأهمية في ثلاثة جوانب رئيسية هي:

الجانب الاقتصادي:

يتمثل في وجود مساحة واسعة من الأراضي الزراعية التي تتمركز على ضفاف الأودية، كما أن الثروة السمكية المتمثلة في عملية الصيد البحري من أبرز مقومات العيش لدي ساكنة تهامة، لاسيما المدن المطلة على الساحل، بالإضافة إلى وجود عددٍ من مناجم الملح الصخري ذي الجودة العالية.

الجانب التجاري:

تعتبر الموانئ الواقعة على ساحل تهامة من أهم الموانئ اليمنية التي تتم بواسطتها عملية تصدير واستيراد البضائع وكافة المنتجات على مر فترات التاريخ الإسلامي اليمني؛ لذا فقد كانت العائدات المالية لتلك الموانئ من أبرز مصادر الدخل لجميع من تعاقبت سلطته أو سيطرته على اليمن من دول محلية كانت أو أجنبية.

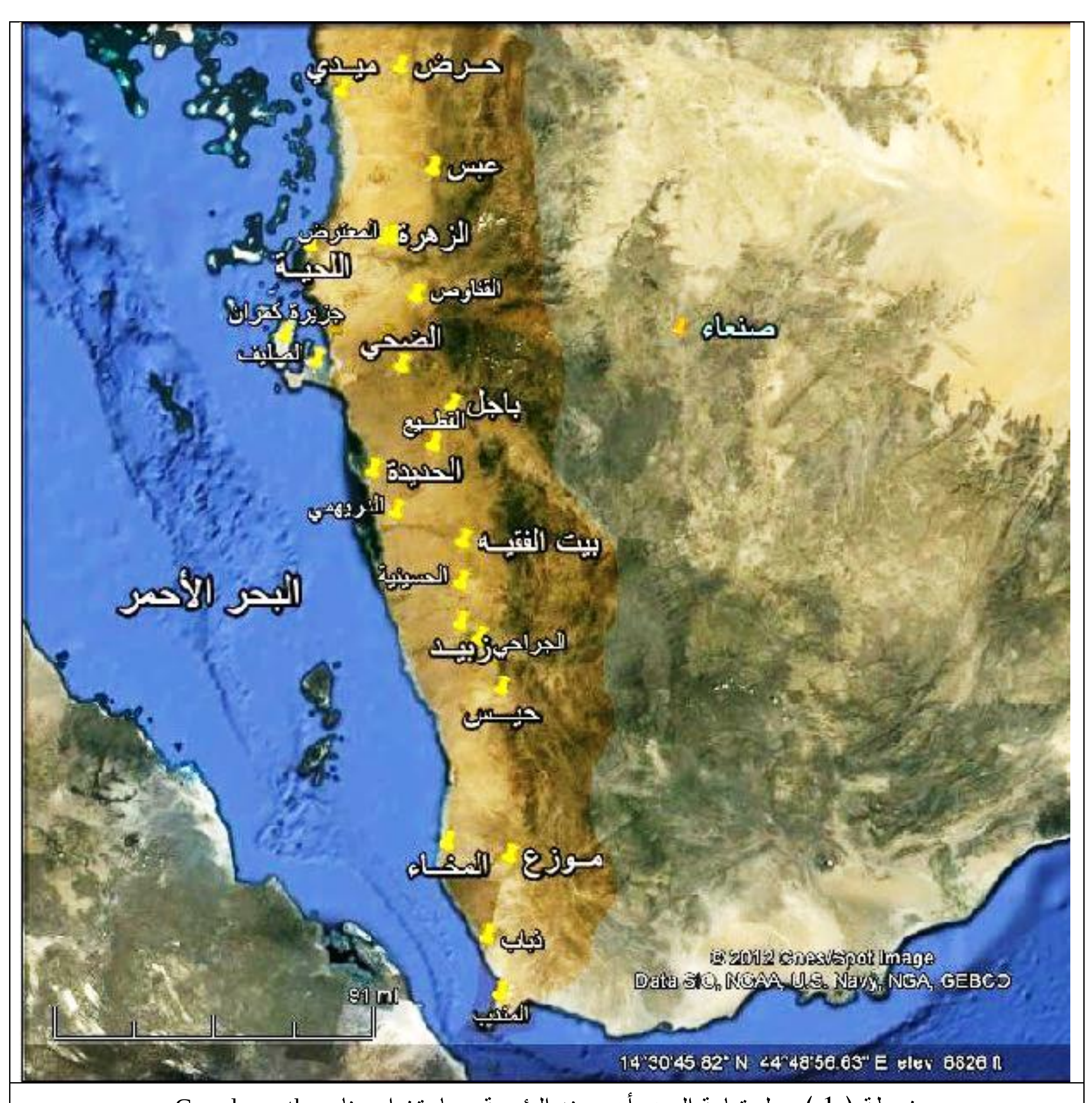
---

1 – عبد الرشيد عزاوي وآخرون: أطلس الوطن العربي والعالم، دار الفكر، بيروت، ب. ت. ط، ص 89.

2 – عبد الله محمد أحمد: جغرافية اليمن الطبيعية، المنتدى الجامعي للتوزيع والنشر، ط 1، صنعاء، 2001، ص 44.

الجانب السياسي:

سهل تهامة وساحله يمثل حلقة وصل مهمة بين اليمن والعالم الخارجي، لاسيما القرن الأفريقي الذي شهد عمليات هجرة إلى مدن تهامة وخاصة المطلة على البحر. وبسبب هذا الموقع المهم فُرض عليها أن تكون خط المواجهة الأول لأي عدوان خارجي على الأراضي اليمنية؛ مما أثر سلباً على مقدراتها ومعيشة ساكنتها الذين صارت حياتهم غير مستقرة، وهذا ما سيتم الحديث عنه في الفصل التالي الذي يتحدث عن تاريخ منطقة تهامة.



خريطة (1) سهل تهامة اليمن وأهم مدنه الرئيسية – باستخدام برنامج Google earth

التضاريس: (ج: 1)

تتكون تضاريس تهامة من سهل منبسط قليل الانحدار نحو البحر وسطحه متموج تموجاً بسيطاً في شكل موجات عريضة متتابعة، تشغل مقعراتها مجاري روافد الوديان التي تصب في البحر، أما محدباتها فتتكون في معظم الأحيان إما من كثبان رملية قليلة الارتفاع، أو بعض بقايا الكتل الصخرية المتراجعة نحو الداخل[1]. ويمكن تقسيم سهل تهامة إلى نطاقين أو جزأين، نبين خصائصهما في الجدول الآتي:

جدول (1) يبين خصائص تضاريس منطقة سهل تهامة[2]

الشريط الساحلي	الشريط الداخلي
هو الجزء الذي يجاور البحر الأحمر	هو الجزء الشرقي المحاذي لأقدام الحافة الجبلية
يعتبر أكثر أراضي اليمن انخفاضاً	يرتفع منسوبه عن الشريط المحاذي للبحر الأحمر
تنتشر به الأملاح والسبخات ورواسب الرمل والطين والحصى، وهو بذلك غير صالح للزراعة.	تتوقف فيه كمية كبيرة من مياه السيول لتترسب المواد التي تحملها على شكل دالات مروحية.
لعبت عوامل التعرية البحرية الناتجة عن الأمواج دوراً كبيراً في تشكيل المناطق الساحلية، ويظهر ذلك في تكوين عدد من الكهوف أو الفجوات في المناطق التي يسهل نحتها.	يتميز بتربته الخصبة الغنية بالمكونات المعدنية والعضوية، لذا أراضيه صالحة للزراعة.
يوجد به رؤوس وألسنة بحرية مثل رأس عيسى.	يشاهد فيه بعض التلال التي انفصلت عن الكتل الجبلية، والمواد الكبيرة الحجم كالجلاميد الصخرية والحصى.
يوجد فيه الأخوار مثل خور ابن عباس في منطقة الصليف.	

1 – محمد بن حسن ابن فرج: بغية المغانم في فصول التهايم، تحقيق ودراسة عبد الله خادم العُمري، منتدى العُمري، بيت الفقيه، 2006، ط 1، ص 17.

2 – تم إعداد هذا الجدول بالاعتماد على المراجع الآتية: جابر علي السنباني: "*جيولوجية المكون الثاني لإنشاء محمية بحرية في منطقة اللُحية وميدي بساحل البحر الأحمر*"، دراسة مقدمة إلى الهيئة العامة لحماية البيئة، صنعاء 2004، ص 50. وعبد الله محمد: جغرافية اليمن الطبيعية، ص 45 ، 46. وعيدروس علوي بلفقيه: جغرافية الجمهورية اليمنية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 1997، ص 50.

المنـــاخ:

يدخل مناخ سهل تهامة ضمن إقليم السهول الساحلية المطلة على البحر الأحمر والبحر العربي، فهو يتميز بارتفاع درجة الحرارة بشكل عام طوال السنة، وكذلك ارتفاع الرطوبة، وصغر المدى الحراري السنوي بسبب تأثير البحر، وقلة الأمطار[1]؛ ففي فصل الصيف تزيد درجة الحرارة عن (40ºم)، أما في فصل الشتاء فلا تقل عن (25ºم)، وتصل الرطوبة النسبية إلى أكثر من (70 %)[2].

الموارد المائية في تهامة:

تتسم معدلات سقوط الأمطار في سهل تهامة اليمن بالانخفاض الشديد، حيث تتراوح الكمية السنوية لها بضعة مليمترات عند خط الساحل، وترتفع إلى حوالي (200ملم) قرب مقدمات الجبال[3]. ويتخلل هذا السهل من الشرق إلى الغرب باتجاه البحر الأحمر عدد من الأودية الكبيرة والصغيرة التي تنحدر من المرتفعات الواقعة إلى الشرق من تهامة، وهي من أكثر أودية اليمن أهمية من حيث العدد وغزارة المياه الجارية فيها أثناء سقوط الأمطار، والتي يستفاد منها بدرجة كبيرة في الزراعة[4] (خ: 2 و ج: 2)، وقد قدر متوسط هذه المياه بحوالي (500 – 1000) مليون متر مكعب في السنة[5].

وتتميز المياه المتدفقة (السيول) في الوديان بفجائيتها وتقطعها تبعاً للهطول المطري من حيث كميته وزمنه، وقد تصل هذه السيول إلى معدلات عالية تصاحبها كوارث مدمرة نتيجة لتدفقها ولما تحمله من مواد مترسبة كثيرة[6]. ويلاحظ السريان الدائم أو شبه المستديم في بعض الأودية خاصة في أجزاء محدودة غالباً ما تكون قريبة من أعلى مجرى الوادي، وتفقد مياه السريان السطحي كمية كبيرة منها في مجرى الوادي بسبب الرشح أو الانجراف أو التبخر، ويعود ذلك إلى وجود الأراضي المنبسطة ذات

---

1 – عيدروس بلفقيه: جغرافية الجمهورية اليمنية، ص 91.

2 – شهاب محسن عباس: جغرافية اليمن الطبيعية، مؤسسة الزهيري التعليمية، صنعاء، 1994، ص 73.

3 – جابر السنباني: جيولوجية المكون الثاني ...، ص 19.

4 – نفسه.

5 – عبد الواحد عثمان مكرد وآخرون: الدليل الزراعي لسهل تهامة، وزارة الزراعة والري، صنعاء، 1998، ص 6.

6 – نفسه، ص 7.

النفاذية العالية وكذا محدودية مياه الأمطار، ونادراً ما يصل السريان السطحي لمياه الأمطار إلى البحر الأحمر[1].

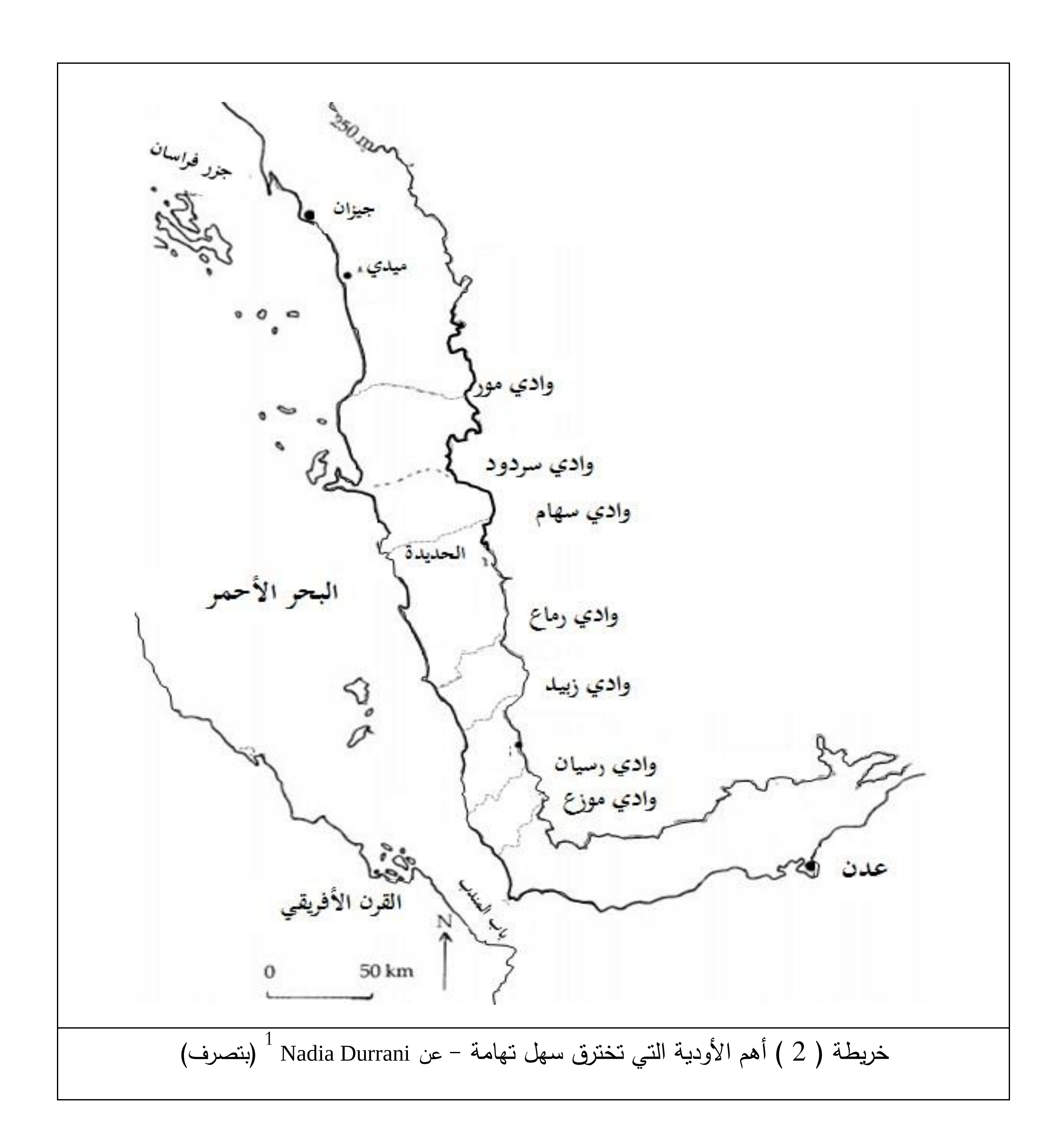
جدول (2) أهم الأودية التي تخترق سهل تهامة[2].

اسم الوادي	المنبع	المصب	المساحة	الطول
مُـور	مرتفعات العمشية جنوب غرب محافظة صعدة، ومرتفعات وشحة، وكحلان، وبلاد حاشد .	شمال منطقة اللُحية	9262 كم^2	524 كم
سُردود	الحيمة الداخلية والخارجية جنوب محافظة المحويت	البحر الأحمر جنوب الزَيدية	2506 كم^2	240 كم
رِماع	مرتفعات شمال ذمار	البحر الأحمر شمال الفازة	2540 كم^2	210 كم
زَبيد	مرتفعات إب	غربي مدينة زَبيد	4910 كم^2	أكثر من 250 كم
رسيان	مرتفعات صبر	البحر الأحمر شمال المخا	1750 كم^2	160 كم
سِهام	مرتفعات آنس وجبل النبي شعيب	جنوب مدينة الحُديدة	3200 كم^2	120 كم تقريباً
مَوزع	مرتفعات صَبر	جنوب ميناء المخا	1300 كم^2	110 كم تقريباً

---

1 – عبد الواحد عثمان مكرد وآخرون: الدليل الزراعي لسهل تهامة، ص 6 – 7.

2 – تم إعداد هذا الجدول بالاعتماد على المراجع الآتية: محمد بن احمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج 2، تحقيق وتصحيح إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، ط 2، صنعاء، 1996، ص 419. وأحمد حبيب رسول: دراسات في الجغرافية الاقتصادية والبشرية لليمن (الشطر الشمالي)، دار الكلمة، ط 1، صنعاء، 1985، ص 113. عبد الله محمد: جغرافية اليمن الطبيعية، ص 83. وأيضا عبد الواحد مكرد: الدليل الزراعي لسهل تهامة، ص 7.



خريطة (2) أهم الأودية التي تخترق سهل تهامة – عن Nadia Durrani [1] (بتصرف)

الغطاء النباتي:

يتنوع الغطاء النباتي في السهول الساحلية لتهامة وفقاً لكميات المياه المتوافرة؛ ففي المستنقعات تنمو بعض الأشجار التي تسمى المنجروف، وفي الأماكن التي تقع بجانب المجاري المائية للأودية تظهر فيها بعض الأشرطة من الأشجار، أما المناطق التي تغطيها الكثبان الرملية، فهي فقيرة في نباتاتها[1].

1- Nadia Durrani:, The Tihamah coastal plain of South ‹west Arabia in its regional context c. 6000 BC – AD 600, Archaeopress BAR S1456 , Society for Arabian Studies Monographs No. 4, 2005, P 25.

ومن النباتات الطبيعية الموجودة في سهل تهامة، نبات السوادة (Suaeda fruticosa – عصال)، ونبات النصاص (حمضي– Sporobolos spicatum)، ونبات السلم (Acacia flava)[2]، كما إن هناك أنواع كثيرة من الأشجار، خاصة التي يتم استخدامها في مجال البناء والعمارة، وأثاث المنازل، وفي الجدول التالي نذكر أبرز تلك الأشجار:

جدول (3) أبرز الأشجار الموجودة في تهامة[3]

اسم الشجــرة	الاســـــم العلمـــي
الأثل	Tamarix
السدر – العلوب	Ziziphus
الهلـــج[4]	Balanites aegyptica
العشــر	Calatropis procera
الطــرفاء	Forsk drientalis tamarix
الطلــح	Acacia gerrardii
الــــدوم	Hyphaene thebaica
النخيــل	Phoenix dactylifera

---

1 – عبد الله محمد: جغرافية اليمن الطبيعية، ص 102. وأيضا: إسماعيل بن محمد الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن المنبئ ببعض حوادث الزمن من الغرائب الواقعة في اليمن (تهامة والمخلاف السليماني)، تحقيق محمد الشعيبي، مطابع اليمن العصرية، ط 1، صنعاء، 1982، ص 40 و 158.

2 – عيدروس بلفقه: جغرافية الجمهورية اليمنية، ص 120.

3 – تم إعداد الجدول بالاعتماد على المراجع الآتية: عيدروس بلفقيه: جغرافية الجمهورية اليمنية، ص 124. و عبد الله محمد: جغرافية اليمن الطبيعية، ص 102.

4 – أشجار السدر والهلج: السدر من الأشجار الهامة في تهامة، ومنتشر بأعداد فردية بمساحة 10000 هكتار تقريباً، ومن مميزاتها تحمل الجفاف، وتحتاج إلى كمية أمطار تقدر بحوالي 300 – 400 ملم، في السنة، بالإضافة إلى إنها شجرة يزيد عمرها عن 25 سنة، ويبلغ ارتفاعها (من 5 إلى 15م)، وسيقانها تعتبر من الأخشاب المقاومة لحشرات الأرضة والسوس، لذلك تستخدم في عمليات البناء والأثاث الداخلي للمنازل، والأدوات الزراعية، والسفن التقليدية الخاصة بصيادي الأسماك. الهلج: شجرة تنمو في المناطق المحاذية للجبال، وتتحمل الجفاف والملوحة نسبياً، وتمتلك شجرة الهلج ساق قوي وضخم وتعيش أكثر من 25 عام، ويبلغ ارتفاعها (من 5 إلى 10م). للمزيد راجع: جعفر الجفري: *"الأشجار المحلية المستوطنة ومساهمتها في توفير سبل العيش في المناطق الريفية في سهل تهامة"*، ورقة عمل رقمية مقدمة إلى الهيئة العامة لتطوير تهامة، الحُديدة، ب. ت، ص 3 و 4 و 6.

نشأة مدن تهامة ودور القبائل

تؤكد الأبحاث الأثرية الجديدة قدم الاستيطان البشري في منطقة تهامة، حيث وجدت العديد من المعثورات والبقايا الأثرية التي تعود إلى فترات مختلفة، البعض منها يرجع إلى العصور الحجرية، وأخرى إلى عصري البرونز والحديد[1]. وقد تواصل النشاط السكاني في تهامة خلال الفترات التاريخية، أثناء حكم الممالك اليمنية القديمة في فترة ما قبل الإسلام، حيث ورد اسم قبيلة الأشاعر – أبرز قبيلة في تهامة – في أحد نقوش المسند اليمنية التي تعود إلى عصر ملوك سبأ وذو ريدان (المرحلة التبعية الهمدانية)، ويرجع تاريخ النقش إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد، وجاء لفظ قبيلة الأشاعر بصيغة (أ ش ع ر ن/ 𐩱𐩦𐩲𐩧𐩬)، ومقترن باسم قبيلة أخرى تسمى بحر (ب ح ر ن/ 𐩨𐩢𐩧𐩬)، وأشار النقش أيضا إلى أنهما كانتا تستقران في منطقة سهرت (س ه ر ت ن/ 𐩪𐩠𐩧𐩩𐩬)، وهي إحدى المناطق الواسعة التي تقع جنوب تهامة[2].

انتشرت في إقليم تهامة العديد من القبائل المتناثرة أثناء فترة ظهور الإسلام، وكانت أبرز سماتها أنها غير متجانسة من حيث النسب أو الانتظام الإداري، فمن الجهة الشمالية لهذا الإقليم كانت تقطنه قبيلة سعد العشيرة وهي من مَذحج، وفي وسطه تقطن قبيلة الأشاعر وعَك وحاضرتها مدينة زَبيد، أما جنوب هذا الإقليم فكانت تسكنه قبيلة الأصابح الحميريَّة[3].

وفي الفترات اللاحقة لظهور الإسلام لعب الجانب القبلي إلى جوار العاطفة الأسرية دوراً هاماً في تخطيط مدن تهامة واستقرار كل قبيلة أو أسرة في قسم معين من هذه المدينة أو تلك، وهذا هو الوضع نفسه كما في المدن اليمنية والعربية والإسلامية، حيث نجد التكتل القبلي أو الأسري متواجد بشكل واضح،

---

1 – انظر: كريستوفر ايدنز و ت .ج. ويلكسون: "*جنوب شبة العربية في العصر الجيولوجي الحديث (الهولوسين): الاكتشافات الأثرية الأخيرة*"، دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات امريكية وكندية)، ترجمة ياسين الخالصي ونهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء 2001، ص 15 و36 و60.

2 - Albert Jamme: Sabaean inscriptions from mahram Biliqis (Marib), Publications of the American Foundation for the Study of Man, vol 3, Baltimore, 1962, No.635

وأيضاً: محمد بافقيه وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية، ص 221 – 224.

3 ، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، ب. د، ط 5 ، 2004، ص 35.

ففي كل جزء معين تسكن أسرة أو قبيلة[1]، وقد ذكر مؤرخ اليمن الهمداني في القرن (4هـ / 10م) العديد من القرى والمدن التي كانت تقطنها قبائل تهامة، منها المطلة على الساحل كـ " الشقاق والمندب، وهما لبني مجيد بن حيدان بن عمرو بن الحاف"[2]، أما قرى الداخل فقد ذكر منها "الحَصيب وهي قرية زَبيد وهي للأشعريين، وقد خالطهم بآخره بنو واقد من ثقيف، وقرى [منطقة] حَيس وهي للركب من الأشعر والقحمة للأشاعرة، وفيها [أي يسكنها] من خولان وهمدان، وذؤال المعقر، والكدراء مدينة يسكنها خليط من عَك والأشعر،... ثم المَهجم وهي مدينة سُردود، ... ومُور [أي الوادي] وبه مدينة تسمى بلحة لعك، ثم الساعد من أرض حكم بن سعد قرية لحكم"[3].

وكان لطريق الحج اليمني القادم من حضرموت إلى مكة دور مهم في ظهور عدد من المدن والقرى التهامية كمحطات راحة للمسافرين، وكانت تلك الطريق تنقسم إلى قسمين ذكرهما المؤرخ عمارة اليمني (ت: 569هـ) في كتابه المسمى المفيد، فمن قرى الطريق الساحلية، المخنق وهي من عَدن، ثم العارة جنوب المخا، ثم عبرة ثم السقيا، ثم باب المندب، ثم المخا، ثم السحاري، ثم الخُوهة (الخُوخة)، ثم الأهواب، ثم غَلافقة، ومن قرى الطريق الوسطى (الداخلية) ذات الخيف ومَوزع والجدون وحَيس وزَبيد وفِشال والضُجاع والقَحمة والكَدراء والمَهجم[4].

لقد تعرضت معظم تلك المدن والقرى التي ذكرها كلا المؤرِّخَين الهمداني واليمني في القرون اللاحقة للاندثار؛ ويرجع ذلك إلى فقدان أهميتها السياسية أو الاقتصادية، ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى اندثارها وهجرة ساكنتها هي الظروف الجغرافية والطبيعية، فحينما كانت منازلها عبارة عن أكواخ أنشئت بمادتي القش والقصب اللتين تتوافقان مع البيئة الحارة، إلا أن عمليات التصحر وزحف الرمال

---

1 – محمد حسن منصوب: الجهات الحيسية في العصر الرسولي (دراسة لأحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية) 626 - 858هـ/ 1228– 1454م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن ، 2008، ص 62.

2 – الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص 95.

3 – نفسه، ص 96 – 97.

4 – عمارة بن علي الحكمي اليمني: تاريخ اليمن المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها)، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، ط 2، القاهرة، 1976، ص 78.

وكذلك تجريف الأرض، بسبب مياه السيول المتدفقة في أيام الأمطار، وكذلك الحرائق كان لها دوراً كبيراً في اندثار تلك المدن والقرى، وعلى إثر ذلك قامت مدن أو قرى أخرى على أنقاضها أو بالقرب منها[1].

وتعتبر مدينة المَهجم[2] من أبرز المدن التي اندثرت في المنطقة الشمالية من تهامة، حيث كانت قبل اندثارها محط اهتمام الوزراء النجاحيين (412 - 554هـ / 1021- 1159م)، واستمرت كذلك خلال عهود الدويلات اليمينة فازدهرت عمرانياً وتجارياً وعلمياً وخاصة في عهد الدولة الرسولية (626 – 858 هـ /1228-1454م)[3]. وبعد أن ظهرت مدن أخرى كالمَراوعة والزَيدية وتحول الطريق التجاري إليها بدلا من مدينة المَهجم، وكذلك ظهور الطريق الساحلي عبر ميناء الحُديدة ضعف النشاط الاقتصادي لمدينة المَهجم، وكان لانتقال الأمور الإدارية إلى مدينة الزَيدية في منتصف القرن (13هـ / 19م) الدور الكبير في تراجع أهمية المَهجم فهاجر معظم ساكنتها فاندثرت[4].

إن مدن تهامة صغيرة وهي أشبه بالقرى الكبيرة، وفيما يخص تاريخ نشأتها فإن المشكلة التي يعانيها الباحث في كتابته عن هذا الجانب، هي أن المصادر والمراجع التاريخية لم تشر بمعلومات تفصيلية عن عملية اختطاطها وكيفية توزيع خططها، كما أن هذه المصادر لم تذكر إلا نصوصاً قليلة تحتوي على معلومات مبعثرة تذكر الخطط عرضاً أثناء تطرقها للأحداث التاريخية، لذلك من الصعوبة بمكان أن نعرف بصورة دقيقة كيف أُختطت تلك المدن، وكيف حددت أقسامها ومرافقها. وعلى سبيل المثال توجد لدينا مدينتان: إحداهما من المدن الإسلامية المبكرة وهي زَبيد، والأخرى مدينة متأخرة (الزَهراء)، فالأولى نقلت جميع المصادر والمراجع عن المؤرخ عمارة اليمني بأنها اختطت من قبل محمد

1 – أنيس خضر السقاف: المدن والقرى المندثرة في بلاد عك والأشاعر، كتاب مُعد للنشر، الحُديدة، 2003، ص 2 و17 و 30 و 57.

2– هي مدينة تهامية خربة كانت قائمة بالشرق من مدينة الزَيدية على شط وادي سُردد. انظر: إبراهيم أحمد المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ج 2، دار الكلمة، صنعاء، 1985، ص 421.

3 – انظر: عبد الرحمن عبد الله الحضرمي: تهامة في التاريخ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق، ط 1، 2005، ص 225.

4 – نفسه، ص 228.

بن زياد عام (204هـ/ 819م)[1]؛ غير أن بعض الدراسات المتأخرة نفت هذا الأمر[2]. أما مدينة الزَّهراء فقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن البهكلي أن الشريف حمود الخيراتي اختطها عام (1221هـ/ 1806م)، وبالرغم من معاصرة المؤرخ البهكلي للشريف حمود إلا أنه لم يتحدث عن كيفية اختطاطها وتوزيعها على القبائل[3].

ونعتقد أن سبب عدم تطرق المصادر التاريخية لموضوع تقسيم خطط تلك المدن وتوزيع القبائل فيها هو أسلوب البناء المعتمد أساساً على الأكواخ المبنية بالقش والقصب، والتي لم تكن لها حدود ثابتة في المساحة التي تبنى عليها، بل ومن السهل نقلها من مكان إلى آخر، وهي معرضة أيضاً للحرائق، ويؤكد ذلك ذكر المصادر أحداث متكررة كانت الحرائق سبباً رئيسياً في تدمير منازل تلك المدن، كما لعبت الغارات التي كانت تشنها القبائل أو جنود الأئمة الزَيديَّة أو جنود القوات الأجنبية على مدن تهامة دوراً أساسياً في تغيير معالمها، وذلك لأنه كانت ترافق تلك الغارات عمليات السلب والنهب، مما أدى إلى نزوح الساكنة لمرات عدة من مدنهم وقراهم[4].

وعن تسمية بعض مدن تهامة فقد أرجعتها المصادر التاريخية إلى شخصيات يمنية عاشت في فترة ما قبل الإسلام، مثل مدينتي حَيس وحَرض، وشخصيات أخرى عاشت في الفترة الإسلامية كمدينة بيت الفَقيه، والجدول التالي يوضح اسماء بعض مدن تهامة والشخصيات التي نسبت إليها.

---

1 – عمارة اليمني: تاريخ اليمن ....، ص 42.

2 – من أبرز الدراسات التي تناولت هذا الموضوع: عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: *"نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال"*، مجلة الإكليل، ع 2 / السنة 17، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1989، ص 34 – 39. وأيضاً: صالح أحمد الفقيه: مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي (دراسة أثرية معمارية مقارنة)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الآثار بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2011، ص 19 – 24.

3 – انظر: فؤاد عبد الوهاب الشامي: تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات، وزارة الثقافة والسياحة، ط 1، صنعاء، 2004، ص 254.

4 – سيتم الحديث عن الغارات التي شنتها القبائل وكذلك دولة الأئمة الزَيديَّة وغيرها في الفصل الثاني من القسم الأول في هذه الدراسة، والذي يختص بالتاريخ السياسي والحربي لمنطقة تهامة خلال فترة الدراسة.

جدول (4) أسماء بعض مدن تهامة والشخصيات المنسوبة إليها

المدينة	الشخصية التي نسبت إليها المدينة
حَرض	حَرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير [1]
عَبس	عَبس بن ثوابة [2]، من قضاعة، وهم ولد عبس بن خولان[3]
الزَيدية	زيد بن ذؤال[4]
باجل	باجل بن أبي القاسم[5]
بيت الفَقيه	الفقيه أحمد بن موسى بن عُجيل (ت: 690هـ)[6]
حَيس	الحيس بن يريم بن ذي رعين من حمير [7]. وآخرون نسبوها إلى الحيس بن يريم بن ذي رعين بن كريب كريب بن نعامة بن شرحبيل الحميري[8]

تعددت أعراق ساكنة مدن تهامة، ومن أحد أسباب ذلك التعدد هو قرب تهامة اليمن من قارة إفريقيا، إذ لا يفصلها عن الساحل الإفريقي سوى مضيق باب المَندب الذي لا يزيد أتساعه على (20 ميل) جنوباً، الأمر الذي جعلها همزة وصل بين آسيا وإفريقيا؛ لذا فقد انتقلت جماعات إفريقية من إريتريا والحبشة والصومال – منذ قديم الزمان– واستقرت في بعض قرى ومدن تهامة، ونقلت معها بعض عاداتها الإفريقية إلى سكان تهامة الأصليين[9]، وتعتبر مدينة زَبيد أبرز مثال على ذلك.

1 – ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1979، ص 242. وأيضا: محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج 1، ج 2، ص 256.

2 – نفسه، مج 2، ج 3، ص 574.

3 – نشوان بن سعيد الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج 7، تحقيق حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط 1، 1999، ص 4327.

4 – إسماعيل بن محمد الوشلي: نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن، مجلد 2، ج 3، تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، ط 2، صنعاء، 2008، ص 109.

5 – نفسه، مج 2، ج 1، ص 157.

6 – محمد عبده كيال: الفقيه الذي لم ينصفه التاريخ (أحمد بن موسى بن عجيل)، وزارة الثقافة، صنعاء، 2004، ص 152.

7 – نشوان الحميري: شمس العلوم ...، ج 3، ص 1640.

8 – إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ص 135. وأيضا: حسين العمري وإبراهيم المقحفي: "حيس"، الموسوعة اليمنية، ج 2، مؤسسة مؤسسة العفيف الثقافية، ط 2، صنعاء، 2002، ص 1240.

9 – نجوى عبد اللطيف المطهر: صراع القوي حول تهامة اليمن في الفترة (1818 – 1849م)، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم التاريخ بكلية بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2005، ص 25.

وقد كانت مدينة زَبيد مقصداً لكثير من القبائل اليمنية والحبشية وغيرها، فضلاً عن التجار والعلماء من مختلف الأقاليم الإسلامية، فكان سكانها بسبب ذلك خليطاً غير متجانس من الجنسيات، منهم اليمني بمختلف قبائله، والحبشي بمختلف قبائله، كالسحرتيين والجبرتيين والجزوليين والأمحريين والزيلعيين والنوبيين، أضف إلى ذلك عروق أخرى، كالتُركماني والكُردي والتُركي والهِندي والفارسي[1]. وجاء وجاء تخطيط مدينة زَبيد ذا شكل شبه دائري، يضم شارعين رئيسيين متقاطعين، نتجت عنهما أربعة أرباع هي: الربع الأعلى وربع الجامع وربع المُجنبذ وربع المعاصر (الجِزع)[2]. وعلى غرار ما كان يجري عادة في المدن العربية الاسلامية كانت مدينة زَبيد مقسمة إلى عدد من الحافات تسكن في كل منها قبيلة أو فئة متجانسة من الناس، وسميت هذه الحافات باسم موطن سكانها الأصلي كحافة الزيالع في ربع الجزع، وهي نسبة إلى سكانها المهاجرين من مدينة زَيلع الحبشية، وحافة الهُنود وهي نسبة إلى سكانها الذين ترجع أصولهم إلى الهُند، وكذلك حافة الحَضارم نسبة إلى سكانها الذين ينتمون إلى حَضرموت[3].

كما لعب العامل الاقتصادي دوراً بارزاً في ازدهار بعض مدن تهامة في القرن الثامن عشر الميلادي، فكانت لتجارة البن (القهوة) أهمية كبيرة في وجود حركة تجارية متميزة، الأمر الذي أكسبها شهرة، وقد كانت المدن الداخلية كبيت الفَقيه مركزاً لتجميع محصول البن من المناطق اليمنية المنتجة له، وبذلك أصبحت في ذلك الحين أهم سوق للبن في اليمن، يجتمع فيها التجار من مختلف أنحاء العالم: من الحجاز ومصر وسورية والقسطنطينية وبلاد البربر وفاس ومراكش والحبشة وإيران والهند وأحياناً من أوربا،

---

1 – عبد الله عبد السلام الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية (204– 923هـ / 819– 1517م) دراسة أثرية معمارية، وزارة الثقافة اليمنية، صنعاء 2004، ص 77. نقلاً عن: عبد الرحمن بن علي الديبع: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء ودار العودة ببيروت، 1983، ص 52 و 104 و 109، 120 و 130 و 149 و 155.

2 –عبد القادر سلمان المعاضيدي: *"تخطيط وخطط زبيد وتطورها العمراني"*، بحث ألقي في مؤتمر زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي، والإسلامي، كلية الآداب بجامعة الحُديدة (14 – 17 ديسمبر/ 2002) نسخة إلكترونية، ص 23.

3 – بول بونافات:" *أحياء زبيد: ملاحظات في التاريخ الاجتماعي*"، مجلة حوليات يمنية – المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء 2002، ص 60.

وبعد تجميع محصول البن في مدينة بيت الفَقيه كان يتم تصديره إلى الأسواق العالمية عبر مينائي الحُديدة والمخا[1].

أهم المدن والقبائل التهامية: (خ: 1 -3، ج: 5- 6 - 7)

إن جميع الأحداث التاريخية التي وقعت في منطقة تهامة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمدنها، والتي غالبا ما كانت تضم قلعة أو حصناً يدافع عنها. ونظراً لأن أسماء هذه المدن وساكنتها من القبائل ستظل ترافقنا في جميع فصول الدراسة، لذا وجب ذكر أهمها وتحديد مواقع انتشار قبائلها خلال فترة الدراسة، وهذا ما ستتضمنه الجداول الآتية.

جدول (5) أهم مدن تهامة الواقعة في جهة الساحل

	إسم المدينة	**المـــوقع**	**الإحداثيات**[2]
مدن الساحل	مِيدي	تقع على ساحل البحر الأحمر وتعتبر آخر الموانئ اليمنية من جهة الشمال، وهي إحدى مديريات محافظة حَجة، وكانت قديماً ميناء لإرساء السفن[3].	N16 19.276 E42 48.548
	اللُحية	تقع شمالي مدينة الحُديدة على بعد (110 كم)، وهي إحدى الموانئ اليمنية الصغرى[4]، تحيط بها المياه من ثلاث جهات؛ فهي أشبه بجزيرة متصلة باليابسة[5].	N15 42.066 E42 41.633
	الحُديدة	مدينة بها مركز المحافظة التي تحمل اسمها، وهي في الوقت الحاضر أكبر وأهم مدن تهامة وثاني أهم وأشهر الموانئ اليمنية بعد ميناء عَدن. وتقع مدينة الحُديدة على ساحل البحر الأحمر على بعد (228 كم) جنوب غرب العاصمة صنعاء[6].	N14 47.515 E42 56.697

---

1 - انظر: أحمد قائد الصايدي: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت ودمشق، 1990، ص 166 - 167 و 221.

2 - قمنا بتحديد جميع نقاط الإحداثيات بواسطة جهاز تحديد المواقع (GBS) اثناء العمل الميداني.

3 - انظر: محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج 2، ج 4، ص 726. وأيضا: إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 2، دار الكلمة، صنعاء، والمؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 2002، ص 1694.

4 - محمد الحجري: نفسه، ص 679. وأيضا: إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ص 356.

5 - محمد بن سعيد عبد الودود: المستخلص في تاريخ مدينة اللُحية، مؤسسة الرحاب، صنعاء، 2010، ص 27.

6 - محمد العروسي: "*مدينة الحُديدة*"، الموسوعة اليمنية، ج 2، ص 1047.

N13 19.319 E43 14.859	مدينة عامرة، وإحدى الموانئ اليمنية على البحر الأحمر ومركز لمديرية المخا، تقع على بعد (98 كم) إلى الغرب من مدينة تَعز [1].	المخا	

جدول (6) أهم مدن تهامة الواقعة في جهة الداخل

الإحداثيات	المــوقع	المدينة
N16 24.613 E43 03.742	تقع في الشمال الغربي من مدينة حَجة وبالشرق من مدينة مِيدي، وبالقرب من الحدود الشمالية مع السعودية[2].	حَرض
N15 43.339 E42 59.812	تقع شمال مدينة الحُديدة على شط وادي مُور، وتبعد عن البحر شرقاً بنحو (30 كم)، وتعتبر الزُهرة من إحدى مديريات محافظة الحُديدة[3].	الزُهرة
N15 19.891 E43 00.441	تقع على بعد (62 كم) إلى الشمال الشرقي من مدينة الحُديدة، بالقرب من وادي سُردد، وهي مركز لمديرية الزَيدية[4]. ويرتبط بالزَيدية عدة مدن صغرى منها: الضِحي من الجهة الجنوبية على بعد (20 كم)، والمِغلاف من الجهة الشرقية على بعد (20 كم)، والقَناوص من الجهة الشمالية على بعد (15 كم)، ومن جهة الغرب مركز – ميناء – ابن عَباس على بعد (30 كم)[5].	الزَيدية
N15 03.208 E43 17.126	في الشمال الشرقي من الحُديدة بمسافة (55 كم)، وهي مركز لمديرية باجل بمحافظة الحُديدة[6].	باجل
N14 31.135 E43 19.586	تعد من أجمل مدن تهامة، ذلك لأنها شيدت في وسط تهامة الجنوبية، على تل رملي جيد الماء والهواء نسبياً [7]، وتبعد عن مدينة الحُديدة الساحلية بمسافة (67 كم) من الجهة الجنوبية الشرقية[8].	بيت الفَقيه

1 – محمد العروسي: "*مدينة المخا*"، الموسوعة اليمنية، ج 4، ص 2563.

2 – إبراهيم المقحفي: "*حَرض*"، الموسوعة اليمنية، ج 2، ص 1055.

3 – المؤلف نفسه: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 1، ص 748.

4 – نفسه، ص 755.

5 – حسين الويسي: اليمن الكبرى، ص 113.

6 – حسين العمري ومحمد العروسي: "*باجل*"، الموسوعة اليمنية، ج 1، ص 435. وأيضا: إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ص 41.

7 – أحمد وصفي زكريا: رحلتي إلى اليمن، ص 86.

8 – محمد العروسي وإبراهيم المقحفي: "*بيت الفَقيه*"، الموسوعة اليمنية، ج 3، ص 2269.

زَبيد	تحتل مدينة زَبيد موقع متوسط على شريط سهل تهامة بين البحر الأحمر غربا، وسلسلة المرتفعات الجبلية شرقا، وتقع على بعد (90 كم) جنوب مدينة الحُديدة[1]، و (171 كم) شمال مدينة تَعز[2].	N14 11.597 E43 19.120
حَيس	مدينة مشهورة في تهامة جنوب زَبيد بمسافة (35 كم)، وهي إحدى مديريات محافظة الحُديدة[3].	N13 55.976 E43 28.894

جدول (7) أبرز القبائل التهامية وأماكن استيطانها

إسم القبائل	أماكن تواجدها
الزَّرانيق	يقطن الزَّرانيق في قلب تهامة الجنوبية (تهامة اليمن) من شمال وادي زَبيد حتى جنوب وادي سِهام بشكل متوازي، ويحاذون الجبال شرقاً ويطلون على البحر الأحمر غرباً[4]، ولتحديد الموقع الموقع في العصر الحديث ما بين مدينتي الحُديدة وزَبيد[5].
القَحراء	تسكن هذه القبائل في وادي سُردد وشمال وادي سِهام والعبسية جنوب وادي سِهام من الحُديدة إلى جبل بُرع[6].
الجَرابح والحشابرة	تنقسم إلى فرعين العليا والسفلى، وتسكن في منطقة الزَيدية والضِحي[7].
الواعظات والزعليَّة والبعجيَّة	تسكن هذه القبائل في منطقتي الزُهرة واللُحية وشمال وادي مُور[8].
عبس وبنو مروان	مناطق مِيدي وعَبس وحَرض[9].
الزَهريون والمشالحة	الجزء الجنوبي من ساحل تهامة إلى منطقة المخا[10].

---

1 – عبده ثابت العبسي: *"مدينة زبيد التاريخية بين الحفاظ والتنمية"*، مؤتمر زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي، كلية الآداب بجامعة الحُديدة ، (14 – 17 ديسمبر/ 2002)، نسخة إلكترونية، ص 82 – 83.

2 – أحمد محمد أحمد الحزمي: القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة زَبيد التاريخية كمنهج لتأصيل العمارة التراثية في اليمن ، رسالة ماجستير (غير منشورة) – قسم العمارة بكلية الهندسة ، جامعة الأزهر 2000 ، ص 8.

3 – انظر: مجمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج 1، ص 301. وأيضا: إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 1، ص 546.

4 – عبد الودود قاسم مقشر: الزرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، مركز ذؤال للتراث والدراسات التاريخية، ط 1 – بيت الفقيه، 2008، ص 25.

5 - Ingrams, Doreen and Leila: Records of Yemen, Vol. 5. Administrative of The Yemen 1900 – 1904 , U. k; k; Archive Editions, The Arabia Historical Library, 1996 , p 351.

6 – محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، ج 1، ص 159. وأيضا: فرانسيس استون: تهامة ، الموسوعة اليمنية ، ج 1 ، ص 747.

7 – 8 – 9 – 10– محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج 1، ص 159. وأيضا: فرانسيس استون:*"تهامة"*، الموسوعة اليمنية، ج 1، ص 747.

بنو الحكم الموازع	يسكنون في منطقة مَوزع[1].
الهلاليون وبني حُميدة	مدينة باجل والقرى المجاورة لها[2].
المَعاصلة	إحدى القبائل الكبيرة في منطقة زَبيد، وينتشر سكانها من حازة جبل رأس إلى ساحل المتينة بالضفة الجنوبية لوادي زَبيد[3].
صَليل	قبيلة كبيرة تتفرع منها العديد من العشائر أبرزها بنو الكلفود مشائخ قرية دوغان، وتنتشر قبيلة صليل في قرية القناوص والمنيرة وبعض قرى الزَبدية[4].
أهل حَيس	كان ساكنة حَيس خلال فترة الدراسة ينقسمون إلى العديد من الأسر التي تتوزع على أحياء المدينة، وكل أسرة كبيرة كانت تقطن في أحد أحياء المدينة، ومن تلك الأسر: آل عُكيش وآل النِّعمي وآل الحَضرمي وآل الهِندي[5].

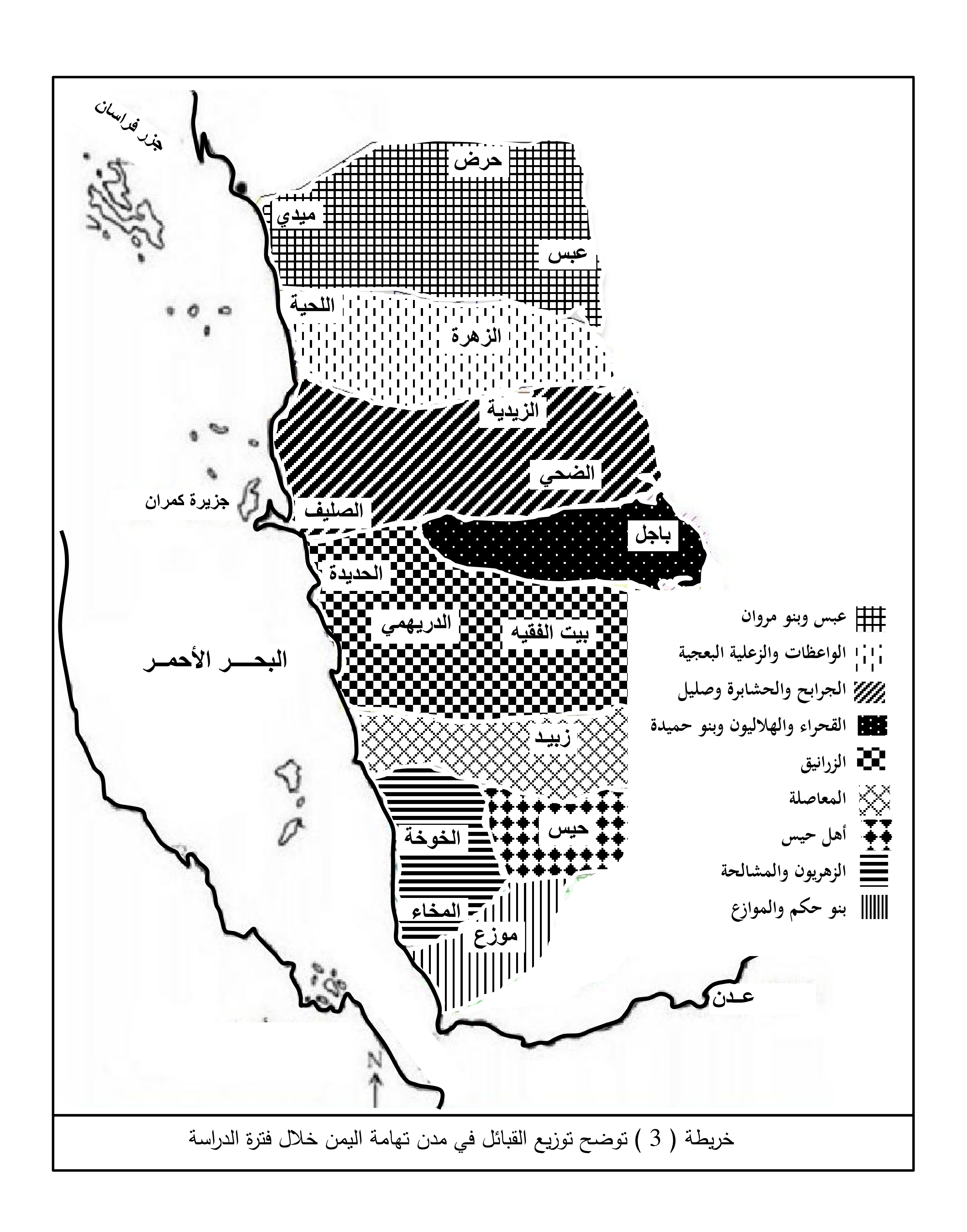
1 – محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج 1، ص 159. وأيضا: فرانسيس استون:"*تهامة*"، الموسوعة اليمنية، ج 1، ص 747.

2 – عبد الرحمن عبد الله الحضرمي: تهامة في التاريخ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق، ط 1، 2005، ص 116.

3– نفسه.

4 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2 – ج 1، ص 86 – 90. وفؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 266 – 268.

5 – أحمد بن أحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، تحقيق ودراسة حسين عبد الله العمري، ط 1، دار الفكر، دمشق 1987، ص 50 – 53.



خريطة (3) توضح توزيع القبائل في مدن تهامة اليمن خلال فترة الدراسة

الفصل الثاني:

التاريخ السياسي والعسكري لمنطقة تهامة اليمن

منذ دخول العثمانيين إليها وحتى خروجهم منها

(945 - 1336هـ / 1538 – 1918م)

- **الأوضاع السياسية لليمن قبل دخول العثمانيين إليها**
- **الحكم العثماني الأول** (945 – 1046هـ/ 1538 – 1636م)
- **فترة حكم آل القاسم وحكم الأشراف آل خيرات لتهامة**

  (1046 - 1265هـ/ 1636 – 1849م)
- **الحكم العثماني الثاني** (1265 – 1337هـ/ 1849 – 1918م)

الأوضاع السياسية لليمن قبل دخول العثمانيين إليها

تزامن توغل الحملة المملوكية التي أرسلها آخر سلطان[1] لمماليك مصر (قانصوة الغوري) إلى اليمن وسيطرتها على صنعاء، مع دخول السلطان العثماني سليم الأول القاهرة في ربيع عام (923هـ/ 1517م)، بعد استيلائه على بلاد الشام، ليمثل بذلك نهاية الدولة المملوكية[2]. وعندما علم أمراء المماليك في اليمن بسقوط دولتهم في مصر عام (922هـ/ 1517م) سارعوا إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية الجديدة، الأمر الذي زاد من رغبة العثمانيين في مد نفوذهم الفعلي إلى اليمن، خاصة عندما أدركوا – بعد دخولهم مصر – أهمية اليمن الإستراتيجية بالنسبة إلى نزاعهم مع البرتغاليين[3]. ورغم ذلك ظلت خطوات العثمانيين لتدعيم سيطرتهم في اليمن ضعيفة مدة طويلة، إذ لم يتمكنوا من إرسال حملة قوية لبسط نفوذهم على اليمن إلا في عام (945هـ / 1538م) أي بعد حوالي عشرين عاماً من وصولهم إلى مصر[4].

كانت الخارطة السياسية لليمن قبل وصول الحملة العثمانية الأولى إلى السواحل اليمنية على النحو الآتي: الأئمة الزيديون يسيطرون على أقاليم مختلفة من اليمن وصلت جنوباً إلى قرب مدينة عَدن، ومدينة زبيد غرباً، والمخلاف السليماني شمالاً[5]، فيما انحصر وجود الدولة الطاهرية في مدينة عَدن بعد أن

---

1 – عن هذا اللقب انظر ملحق المصطلحات والألقاب الواردة في هذه الدراسة.

2 – محمد بن أحمد النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، تحقيق حمد الجاسر، منشورات المدينة، ط 2، بيروت 1986، ص 24.

3 – سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن (1538– 1635م)، دار الأمين، ط 5، القاهرة، 1999، ص 105 – 106.

4 – نفسه، ص 113.

5 – المخلاف السليماني: نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي، ويعتبر المخلاف حالياً من مناطق الأطراف في شمال اليمن والطرف الجنوبي لتهامة الواقعة في المملكة العربية السعودية، ويقع جزء منه في المناطق الجبلية والجزء الآخر في تهامة على سواحل البحر الأحمر، وتمتد حدود المخلاف من وادي حرض في الجنوب إلى وادي عتود في الشمال، ومن البحر الأحمر في الغرب إلى شرق مرتفعات فيفا وهروب وصلا وحشر. ولم يكن للمخلاف السليماني منذ تكونه في القرن العاشر الميلادي أي حدود ذات صفة ثابتة مميزة بدقة، بل كانت تتغير وفقاً لضعف أو قوة السلطة القائمة في عثر أو أبي عريش أو صبيا أو في مناطق أخرى أيضاً. انظر: فؤاد عبد الوهاب الشامي: تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004، ط 1، ص 13 – 14. وأيضا: عبد الرحمن البهكلي: خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشرير وعدنان درويش، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، 2000، ص 11.

فقدت معظم مناطق نفوذها[1]، وظلت الدولة الكثيريَّة مسيطرة على حَضرموت، في حين بقيت القوة المملوكية مسيطرة على منطقة تهامة وبعض مناطق المخلاف السليماني متخذة من مدينة زَبيد مقراً لها[2].

الحكم العثماني الأول لتهامة اليمن (945 - 1046هـ / 1538 – 1636م)

وصلت أول حملة عسكرية عثمانية إلى السواحل اليمنية عام (945هـ / 1538م)، في عهد السلطان سليمان الأول (1520- 1566م)، وكانت الحملة بقيادة سليمان باشا[3] الأرناؤطي، الذي عرف بسليمان الخادم[4]. وقد استطاعت هذه الحملة بسط نفوذها على الكثير من الموانئ اليمنية، وفي ذلك الوقت قام عامر بن داود آخر سلاطين بني طاهر في عَدن بمراسلته، من أجل نصرته على قوة الأئمة الزَيديَّة، وعند وصول سليمان إلى عَدن استقبله عامر ورحب به؛ لكن سليمان باشا خدعه وأمر بشنقه، عقابا له على موقفه السابق حينما تردد عن الإجابة على مبعوثه قبل وصول الحملة[5]. أما موقف سلطان الدولة الكثيرية فقد اتسم بالوضوح تجاه العثمانيين حينما طلب المساعدة وبذل الطاعة، فأصدرت الدولة العثمانية فرماناً[6]

---

1 – الدولة الطاهرية: نسبة إلى بني طاهر، من أصول يمنية حميريَّة، كان مركز دولتهم (جُبَن) التي كانت في السابق من نواحي رَدَاع. وكان لبني طاهر، آخر أيام الدولة الرسولية (626– 858هـ/ 1229– 1454م) مكانة ومشيخة في منطقتهم، كما كانوا أمناء للرسوليين في (عدن) وما حولها، وبتدهور السلطة الرسولية استولى اثنان من أولاد طاهر – هما (المجاهد) علي وأخوه (الظافر) عامر الأول – على عدن وذلك في عام (1449م) ليقيما بعد عامين دولة بني طاهر، وقد تضاءلت دولتهم بهزيمتهم في صنعاء عندما دخلها الجراكسة المماليك عام (923 هـ/1517م)، وقتلوا آخر سلاطينهم الأقوياء عامر بن عبد الوهاب وأخيه عبد الملك. انظر: عبد الرحمن بن علي الديبع: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2006، ط 1، ص 494 – 495. وأيضا: محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 541.

2 – أحمد صالح المصري: موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومعارض مع تحقيق مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام للمؤرخ محمد بن يحيى الزبيدي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء 2006، ص 20.

3 – عن هذا اللقب انظر ملحق المصطلحات والألقاب الواردة في هذه الدراسة.

4 – كان سليمان باشا أحد المماليك الخاصة للسلطان العثماني سليم الأول، ومن الخصيان الذين تربوا في السراي بين الحريم، وقد تولى حكم مصر مرتين: الأولى عام (1525م) بعد عزله عن ولاية دمشق، واستمر فيها لمدة عشر سنوات، والثانية عام (1537م)، حيث استمر بها حتى خرج على رأس الحملة البحرية من السويس إلى السواحل اليمنية عام (1538م). ومن صفاته أنه كان سمينا للغاية وعديم الراي والفضل واشتهر بالغدر وسفك الدماء. انظر: سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول، ص 158 – 159.

5 – عبد الصمد بن إسماعيل الموزعي: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان،تحقيق عبد الله الحبشي، منشورات المدينة، ط ط 1، صنعاء، 1987، ص 27. وأيضا: محمد بن إسماعيل الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق خالد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، ط 1، صنعاء، 2005، ص 237– 382.

6 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية الواردة في هذه الدراسة.

سلطانياً يقضي بإقراره حاكماً على ولاية حَضرموت. كما أنضوى أمراء المماليك في تهامة طوعاً تحت سلطة الدولة العثمانية، مما ساعد حملة سليمان باشا في السيطرة على مدينة زَبيد والنواحي التابعة لها، وقبل مغادرته قام بتنصيب مصطفى بك[1]– وهو حاكم غزة السابق وأحد أمراء الحملة – حاكماً عليها، وترك معه ألفين من الجنود[2].

كانت أبرز نتائج الحملة العثمانية الأولى هي السيطرة على السواحل اليمنية، بينما ظلت القوة الزَيديَّة مسيطرة على المناطق الداخلية (الجبلية) بقيادة الإمام شرف الدين، حيث لم يستطع العثمانيون التوسع فيها والسيطرة على صنعاء إلا في عهد الوالي[3] أزدمر باشا (955 - 960هـ/ 1549 - 1554م)[4].

تعاقب على حكم اليمن في فترة الوجود العثماني الأول ثلاثة وعشرون والياً[5] عثمانياً، استمر حكمهم لمدة قرن من الزمان، وحاول الكثير منهم التوغل والتوسع في المناطق الداخلية، وذلك لضمان حماية قواتهم المرابطة في الساحل، ومن أجل السيطرة على جميع الأراضي اليمنية وضمها تحت لوائهم[6]؛ لكنهم كانوا يلاقون مواجهة دائمة من القوة الزَيديَّة بقيادة المطهر بن شرف الدين وإخوانه، إذ لم تستطع أي من القوتين القضاء على الأخرى؛ وكان الصراع ينتهي في بعض الأحيان إلى عقد صلح بينهما، وعند نقضه تعود الحرب بين الطرفين[7].

وتكاد تكون الفترة التي حكم فيها الوالي حسن باشا الوزير[8] والتي استمرت نحو ربع قرن (989-1913هـ/ 1580- 1604م) من أطول فترات الاستقرار النسبي الذي تحقق في بسط السيطرة المركزية للولاية

---

1 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية الواردة في هذه الدراسة.

2 – انظر: محمد النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص 85 – 86.

3 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية الواردة في هذه الدراسة.

4 – عبد الصمد الموزعي: الاحسان، نفسه، ص 21.

5 – انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية الواردة في هذه الدراسة.

6 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 447.

7 – للمزيد انظر: محمد الكبسي: اللطائف السنية، ص 248 و249 و267 و297 و298.

8 – عن هذا اللقب انظر ملحق المصطلح والألقاب العثمانية.

العثمانية، وأتاحت للوالي المذكور إنجاز بعض المشاريع العمرانية والزراعية والإصلاحات العامة[1]. وهذا الوالي كغيره من الولاة العثمانيين لم يهتموا بتقديم مشاريع خدمية للأهالي إلا بما يعمل على توطيد حكمهم وجذب الأهالي إليهم، وبما يخلد ذكراهم كتعمير المساجد وبناء المدارس والقلاع والحصون وغير ذلك[2]. وقد تركزت معظم تلك المنشآت في المنطقة الجبلية وخاصة في مدينتي صنعاء وتعز، بينما كانت مدينة زبيد – مركز العثمانيين في منطقة تهامة– الأوفر حظا من بين جميع مدن تهامة من حيث قيام بعض الولاة ببعض الإنشاءات وذلك لتواجدهم المكثف فيها، وكان أبرز تلك الأعمال في الجانب الدفاعي تجديد سور مدينة زَبيد لمرتين: الأولى في عهد الوالي بهرام باشا (977هـ/ 1570م)، والثانية في عهد محمد باشا (1025هـ/ 1616م)[3].

وبالرغم من أن منطقة تهامة وساحلها كانت تحت سيطرة العثمانيين الفعلية ومركزاً لحكمهم في كثير من الأوقات؛ إلا أن قبائل تهامة كانت لا تقل قوة أو أهمية عن القبائل التي تسكن في المناطق الجبلية في محاربة العثمانيين، وإعلان الثورة عليهم خاصة عند ظهور بعض الولاة الجائرين[4].

وبالمقابل تمكن الأئمة الزَّيديون بقيادة المطهر بن شرف الدين بسط نفوذهم في عدة مناطق من اليمن عام (974هـ/ 1567م)، الأمر الذي شجعه على ضم منطقة تهامة تحت لوائه، فقرر توجيه جيشه نحو مدينة زَبيد للسيطرة عليها، وحينما علم الوالي العثماني حسن بارس بقدوم الجيش، قام بجمع العساكر من جميع نواحي تهامة إلى زبيد، واستغاث بالدولة العثمانية في مصر لنجدته، وعندما التقى الجمعان

---

1 – حسين عبد الله العمري: الحضارة الإسلامية في اليمن، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 1993، ص 81.

2 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 473.

3 – أحمد عبد ربه المصري: موقف المؤرخين اليمنيين من الحكم العثماني الأول ...، ص 211. وأيضا: أحمد راشد بك: تاريخ اليمن وصنعاء، ج 2، ترجمة مديرية التطوير الثقافي، مطبعة البصرة، العراق، 1986، ص 209.

4 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص175.

بالقرب من زَبيد انتصر جيش المطهر في المعركة الأولى وانهزم في الثانية؛ وبالتالي لم تستطع جيوش الإمام المطهر دخول المدينة، فرجع من تبقى منهم إلى مدينة تَعز[1].

كانت وفاة الإمام المطهر بن شرف الدين عام (980هـ/ 1573م) بالنسبة للأتراك فرصة مناسبة لإقرار سلطتهم وبسط نفوذهم في الأراضي اليمنية[2]، إذ لم تقم بعد ذلك أي حركة تحررية تذكر حتى عام (1006هـ/ 1598م) عندما قام الإمام المنصور القاسم بن محمد[3]، مؤسس الدولة القاسمية بدعوته وإعلان نفسه إماماً. حيث نادى كل اليمنيين بأن يتجمعوا من أجل حرب التحرير ضد الوجود العثماني؛ فاستجابت القبائل لدعوته وندائه، وترتب على ذلك بداية صراع طويل ضد الأتراك انتصرت قواته في معظمها، حينها أضطر الوالي العثماني جعفر باشا[4] إلى عقد صلح عام (1016هـ/ 1608م) لكنه لم يدم أكثر من عام، ونتيجة لذلك عادت الحرب بين المقاومة اليمنية والعثمانيين[5]. وبعد وفاة الإمام القاسم عام (1029هـ/ 1619م) خلفه ابنه المؤيد محمد، والذي سار على نفس النهج؛ ففي أيامه بدأ نفوذ العثمانيين يتقلص خاصة بعد دخول قواته صنعاء عام (1045هـ/ 1636م) بقيادة أخيه الحسن[6]، حيث قتل العديد من العثمانيين

---

1 – محمد الكبسي: اللطائف السنية، ص 259.

2 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 317.

3 – الإمام القاسم بن محمد: ولد الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي مؤسس الأول للدولة القاسمية في شهر رمضان عام (967هـ/ 1559م)، وكانت بداية دعوته وإعلان نفسه إماماً من بلاد الشرف في محل يقال له حديد قارة بمحافظة حجة عام (1597م)، وبعد أن استجابت القبائل لدعوته وندائه خاض عدة حروب مع العثمانيين، فتحت على إثره الطريق لإعادة توحيد اليمن في عهد أبنائه تحت سلطة الإمامة الزَيديَّة من آل القاسم. وكانت وفاة الإمام القاسم في ليلة الثلاثاء من شهر ربيع الأول سنة (1029هـ / 1619م). للمزيد انظر: عبد الله عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب، ط 2، بيروت، 1984، ص 153. وأيضا: محمد الكبسي: اللطائف السنية، ص 298.

4 – جعفر باشا: كان من أفضل الولاة العثمانيين الذين قدموا إلى اليمن، فقد كان شاعرا وله حظا وافر من العلوم الشرعية والعقلية، ويقرب العلماء إليه ويجزل لهم العطايا والهبات. تولى حكم اليمن لمرتين: الأولى لمدة تسع سنوات (1607 – 1616م)، والثانية لمدة خمس سنوات (1624 – 1629م). محمد الكبسي: اللطائف السنية...، ص 318.

5 – انظر: سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 279. وأيضا: أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، مطبعة السنة المحمدية، ط 2، القاهرة، 1964،ص 262– 263.

6 – هو الإمام الحسن بن الإمام القاسم محمد مؤسس الدولة القاسمية، والذي يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد عام (996هـ/1587م) كان من أبرز القادة العسكريين الذين حاربوا العثمانيين حتى خرجوا من اليمن، ومن أبرز أعماله اختطاط حصن الدامغ وبأسفله ومدينة الحصين عام (1040هـ/1630م)، وكانت وفاته عام (1048هـ/1638م). للمزيد عن هذه الشخصية انظر: محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1998، ص 221 – 222.

واستسلم من بقي منهم[1]. وقد شجع ذلك القائد المذكور على النزول إلى تهامة فدخل مدن: بيت الفَقيه والزَيدية وحَيس والمخا؛ فارضاً على بقية القوات العثمانية التراجع إلى مدينة زَبيد، فحاصرها الحسن بن القاسم، حتى استسلم الوالي العثماني أحمد قانصوه[2]. لكن أحد أمرائه وهو أحمد مصطفى باشا ظل على رأس الجنود العثمانيين إلى شهر رجب عام (1045هـ/ 1636م)، ثم طلب الصلح وعزم على الخروج من اليمن عن طريق ميناء المخا. وبعد دخول الحسن بن القاسم مدينة زبيد صارت جميع المدن اليمنية – ومنها مدن تهامة والجزر القريبة من ساحل البحر الأحمر (كمران وجزر فرسان) – تحت لواء الدولة القاسمية، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من الوجود العثماني في اليمن[3].

جدول (8) أبرز الأئمة الزَيديين المعاصرين للحكم العثماني الأول

م	اسم الإمام	الفترة التاريخية
1	شرف الدين يحيى بن شمس الدين	(911 - 964هـ / 1506 - 1557م)
2	المطهر بن شرف الدين	(964 - 979هـ / 1557- 1572م)
3	القاسم بن محمد بن علي	(1005- 1028هـ / 1597- 1620م)
4	المؤيد محمد بن القاسم بن محمد	(1028- 1053هـ / 1620- 1644م)

1 – أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص 263.

2 – عين أحمد قانصوة باشا واليا على اليمن بدلا من حيدر باشا عام (1015هـ/ 1607م) بهدف استعادة السيطرة العثمانية في اليمن. وقد بذل الوالي المذكور جهودا كبيرة من أجل تحقيق ذلك الهدف خلال فترة ولايته على اليمن والتي امتدت ست سنوات، ولكن محاولاته كانت يائسة ومنيت في الأخير بالفشل. سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 384.

3 – انظر : محمد الكبسي: اللطائف السنية، ص 298 و 235 و 237.

جدول (9) قائمة بأسماء الولاة العثمانيين في فترة الحكم العثماني الأول

م	اسم الوالي	الفترة التاريخية لولايته
1	الأمير بهرام (والي عدن)	(944 - 946هـ / 1538 -1540م)
2	الأمير مصطفى بك (والي زبيد)	(944 - 946هـ / 1538 - 1540م)
3	مصطفى باشا النشار	(946 - 951هـ / 1540 - 1545م)
4	اويس باشا	(952 - 953هـ / 1546 - 1547م)
5	فرهاد باشا	(953 - 955هـ / 1547 - 1549م)
6	أزدمر باشا	(955 - 960هـ / 1549 - 1554م)
7	مصطفى باشا النشار (للمرة ثانية)	(962- 963هـ / 1555 - 1556م)
8	مصطفى باشا قرة شاهين	(963- 967هـ / 1556 - 1560م)
9	محمود باشا	(967- 972هـ / 1560- 1565م)
10	رضوان باشا	(972- 974هـ / 1565 - 1567م)
11	مراد باشا	(973- 974هـ / 1566- 1567م)
12	حسن باشا	(974- 975هـ / 1567- 1568م)
13	عثمان باشا	(975- 976هـ / 1568 - 1569م)
14	سنان باشا الوزير	(976 - 977هـ / 1569 - 1570م)
15	بهرام باشا	(977 - 982هـ / 1570 - 1575م)
16	مراد باشا الوزير	(982- 987هـ / 1576 - 1580م)
17	حسن باشا الوزير	(987 - 1012هـ / 1580- 1604م)
18	سنان باشا الكيخيا	(1012- 1015هـ / 1604- 1607م)
19	جعفر باشا	(1015- 1024هـ / 1607- 1616م)
20	محمد باشا	(1024- 1030هـ / 1616- 1621م)
21	أحمد فضلي باشا	(1030- 1030هـ / 1621 - 1621م)
22	جعفر باشا	(1033- 1038هـ / 1624 - 1629م)
23	أحمد قانصواه باشا	(1038- 1044هـ / 1629 - 1635م)

فترة حكم آل القاسم الزيديين وحكم الأشراف آل خيرات

(1046 - 1265هـ / 1636 - 1849م)

- **الأوضاع السياسية لتهامة خلال فترة حكم آل القاسم**

  (1046- 1189هـ/ 1636- 1775م)

- **دخول الدعوة الوهابية إلى تهامة**

  (1217هـ/ 1802م)

- **توسع الشريف حمود آل خيرات في تهامة**

  (1217 - 1232هـ/ 1802 - 1817م)

- **تدخل محمد علي باشا في تهامة**

  (1233- 1255هـ/ 1818- 1840م)

- **حكم الشريف حسين بن علي بن حيدر آل خيرات**

  (1253- 1254هـ / 1838- 1848م)

الأوضاع السياسية لتهامة خلال فترة حكم آل القاسم (1046- 1189هـ/ 1636- 1775م)

تسلم الأئمة الزيديون من أسرة آل القاسم مقاليد السلطة بعد خروج العثمانيين الأول من اليمن عام (1046هـ/ 1636م)، ونَعم اليمن باستقلال واستقرار نسبي استمر لأكثر من قرنين. وتعتبر فترة حكم الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد (1054- 1087هـ/ 1644- 1676م) أزهى فترات حكم الأئمة آل القاسم من الناحية السياسية، ففي عهده عادت الوحدة وسيطرة الدولة المركزية على اليمن كله من الحجاز شمالاً إلى عُمان جنوباً[1]. أما مرحلة ضعف الدولة القاسمية فقد بدأت بعد وفاة المتوكل، حينما تولى ابنه الإمام المؤيد محمد مقاليد السلطة (1092-1097هـ/ 1681- 1686م)[2]، وانتهت بدخول العثمانيين الثاني إلى اليمن عام (1265هـ/ 1849م)، ويرجع السبب في ذلك إلى ظهور أكثر من إمام معارض من اسرة آل القاسم نفسها، فكل واحد منهم كان يدعي الحق في الإمامة والحكم[3].

وكان جميع أئمة آل القاسم يحرصون على ضم منطقة تهامة تحت لوائهم، لذا كانوا يعينون لولايتها أحداً من أقربائهم أو عبيدهم كغيرها من المناطق اليمنية، ففي فترة حكم الإمام المتوكل اسماعيل – السابق ذكره – كان هاشم بن جازم بن أبي نمي الحسني والياً على تهامة عدا منطقتي حَيس ومَوزع[4]. وفي العشر السنوات الأخيرة من حكم المتوكل أسند ولاية منطقة تهامة لابنه الحسن[5].

وقد ظل الحسن بن المتوكل والياً على تهامة متخذاً من مدينة اللُحية مركزاً له حتى فترة حكم الإمام المهدي محمد بن أحمد، المعروف بصاحب المواهب (1097- 1127هـ/ 1686- 1715م). وعلى الرغم من إعلانه الولاء للمهدي، إلا أن الأخير أخذ يخطط للتخلص منه، بسبب ازدياد نفوذه في جميع جهات

1 – حسين عبد الله العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين (922 – 1336هـ/ 1516 – 1918)، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط 2، دمشق 2001، ص 48.

2 – علي عبد الله عزوان: الصراعات السياسية والتمردات القبلية في اليمن في النصف الأول من القرن الثامن عشر (111– 1163هـ/ 1700– 1750م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء،2007، ص 33.

3 – نفسه، ص 14.

4– انظر: مطهر بن محمد الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار (سيرة الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم)، ج 1، دراسة وتحقيق عبد الحكيم عبد الكريم الهجري، نسخة الكترونية، 2001، ص 226.

5 – علي عزوان: الصراعات السياسية ...، ص 20.

تهامة. وبعد أن أدرك الإمام المهدي ضعف واليه الحسن، أرسل بقواته إلى تهامة بهدف النيل منه، لكن الحسن بن المتوكل تخلى عن إمارته عندما علم بقدوم الجيش إلى مدينة اللُحية، فغادر المدينة في ربيع الأول عام (1102هـ/1691م)[1].

دخلت فترة حكم الإمام المهدي محمد مرحلة جديدة تميزت بالضعف، وذلك عندما بايع القاسم بن الحسين بن المهدي الإمام المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد، الذي أعلن إمامته عام (1123هـ/ 1712م) في مركبان إحدى قرى محافظة عَمران، وتمكن من الاستيلاء على أكثر المناطق الشمالية[2]. وبعد اتفاقهما على محاربة الإمام المهدي، تقدمت قواتهما نحو تهامة عام (1126هـ/ 1715م)، فانضمت الفرقة العسكرية المرابطة في مدينة المخا إلى صف الإمام المنصور، وأعلنت الولاء له. وعندما وصل الجيش إلى مدينة بيت الفَقيه حدثت حرب شديدة بينهم وبين عامل الإمام المهدي، المسمى حيدر شاوش، حيث حاصروه في قلعة بيت الفَقيه لمدة شهر فاضطر إلى الاستسلام[3]. وبعد سيطرة قوات المنصور والقاسم على منطقة تهامة، توجه القاسم بقواته إلى مدينة ذَمار وحاصر الإمام المهدي في مركز حكمه بقرية المواهب، فاضطر الأخير إلى طلب الصلح لينتهي بذلك عهده الذي استمر لمدة ثلاثين عام[4].

وبعد خَلع الإمام المهدي محمد صارت منطقة تهامة مقسمة إلى قسمين: الأول الشمالي، ومن مدنه اللُحية والزَيدية، والتي أصبحت تحت ولاية الإمام المنصور حسين. والقسم الثاني الأوسط والجنوبي، ومن مدنه الحُديدة وحَيس والمخا، وجميعها تحت ولاية القاسم بن الحسين[5]. ولكن هذا الأمر لم يدم طويلاً؛ طويلاً؛ فبعد فترة وجيزة حدث خلاف بين الحليفين (المنصور والقاسم)، فازدادت الاضطرابات ودخل

1 – علي عزوان: الصراعات السياسية ...، ص 37.

2 – نفسه، ص 144 و 161.

3 – محسن بن الحسن بن القاسم أبو طالب: تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول من سنة 1056– 1160هـ، ج 1، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مطابع المفضل، ط 1، صنعاء، 1990، ص 371.

4 – نفسه، ص 375 – 376.

5 – علي عزوان: الصراعات السياسية ...، ص 180.

الطرفان في حرب وخاصة في منطقة تهامة، حيث تقدم جيش القاسم إلى مدينة الضِحي وقتل أعداداً كثيرةً من أصحاب المنصور، ثم تراجع إلى مدينة بيت الفَقيه، في حين انحاز حوالي الف وخمسمائة من جيشه في قلعة مدينة الضِحي وبقوا فيها حتى جاء جيش المنصور فأعلنوا استسلامهم[1].

ويبدو أن المتوكل القاسم بن الحسين بعد هزائم قواته في تهامة عام (1129هـ/1717م)، لجأ إلى أسلوب الحيلة، وعمل على استمالة بعض عمال المنصور الذين في تهامة بالأموال، كعامل مدينة اللُحية سرور فقيه. أما أحمد بن خيرات أمير الجزء الشمالي من تهامة (المخلاف السليماني)، فقد أعلن ولائه حينما أدرك سيطرة المتوكل على أغلب مناطق تهامة[2].

ظلت منطقة تهامة تحت لواء الإمام المتوكل حتى وفاته عام (1139هـ /1727م)، ثم خلفه ابنه المنصور الحسين الذي امتدت فترة حكمه حوالي اثنين وعشرين عام (1139- 1161هـ/ 1727- 1749م). وقد واجه هذا الإمام منذ بداية فترة حكمه عدداً من المنافسين، كان أبرزهم في الجهة الغربية من اليمن إسماعيل بن محمد بن إسحاق واخوته. حيث استطاعوا في عام (1139هـ/ 1727م) ضم منطقة تهامة تحت رايتهم، بعد أن تقدم يحيى بن اسحاق بجيشه إلى مدينة بيت الفَقيه، وحاصر عامل الإمام المنصور في قلعتها، ثم هزم جيش الإمام المنصور في المعركة التي دارت على أبواب مدينة بيت الفَقيه، مما أدى إلى استسلام القوة العسكرية الموجودة في القلعة[3].

وبعد استيلاء محمد بن اسحاق على مدينة بيت الفَقيه عظم شأنه، واستولى على كثير من المناطق في تهامة وغيرها، ثم تقدم نحو صنعاء، ولكن سرعان ما استطاع الإمام المنصور القضاء على حركة أبناء اسحاق، وقام بإيداعهم في سجن صنعاء طوال فترة حكمه[4]. وفي أواخر عهده خرج عليه بعض

1 – محسن بن الحسن: تاريخ اليمن عصر الاستقلال ...، ص 388 – 389.

2 – محمد بن محمد زبارة: نشر العرف لنبلا اليمن بعد الألف، ج 2، دار الآداب، ط 2، بيروت، 1985، ص 320.

3 – محسن بن الحسن: تاريخ اليمن عصر الاستقلال ...، ص 29.

4 – علي عزوان: الصراعات السياسية ...، ص 280.

أئمة آل القاسم، وكان آخرهم أخوه أحمد بن المتوكل، وترتبت عن ذلك عدة حروب بينهما وصراع استمر حتى وفاة الإمام المنصور عام (1161هـ/ 1748م)[1]. وقد انتهت تلك الاضطرابات السياسية خلال فترة حكم ولده المهدي عباس (1161- 1189هـ/ 1748- 1775م)، والذي حكم معظم مناطق اليمن من العاصمة صنعاء، وتمكن من إعادة هيبة الدولة، فاتسمت فترة حكمة بالاستقرار النسبي[2].

مثلت فترة حكم الإمام المهدي عباس آخر فترة يسيطر فيها أئمة آل القاسم على معظم مناطق اليمن سيطرة فعلية. وبالرغم من ظهور بعض الأحداث الحربية في منطقة تهامة، إلا أن وضعها السياسي في هذه الفترة ظل إلى حد ما مستقر. وكان أئمة الدولة القاسمية يعينون لها ولاة من أقربائهم أو عبيدهم، عدا الجزء الشمالي من تهامة (المخلاف السليماني)، الذي أسندوا حكمه للأشراف آل خيرات[3].

دخول الدعوة الوهابية إلى تهامة

دخلت اليمن وخاصة منطقة تهامة مرحلة سياسية جديدة ابتداءً من فترة حكم الإمام المنصور علي بن المهدي عباس (1189- 1224هـ/ 1775- 1809م)، وفيها زاد ضعف الدولة القاسمية، وعانت كثيراً من الاضطرابات الداخلية، وكَثرت التمرُّدات القبلية في أنحاء اليمن. ونتيجة لذلك أصبحت تبعية أمراء المخلاف السليماني (الأشراف آل خيرات) للإمام إسمية، وأصبحوا يتصرفون كما يحلوا لهم[4].

وبينما كانت اليمن تعاني من تلك الاضطرابات كانت الدعوة الوهابية[5] قد بدأت في الانتشار خارج نطاق حدودها بنجد، واتجهت أنظار حامل لوائها السياسي محمد بن سعود وأبنائه إلى الأراضي اليمنية

---

1 – علي عزوان: الصراعات السياسية ...، ص 342.

2 – حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر...، ص 109 .

3 – انظر: يعقوب حسن دوبلة: تهامة دراسة سياسية تاريخية (1832– 1872 م)ن رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2009، ص 20.

4 – صادق محمد الصفواني: الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2002، ص 66. وأيضا: نجوى عبد اللطيف المطهر: صراع القوي حول تهامة اليمن في الفترة (1818 – 1849م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2005، ص 35 – 36.

5 – الدعوة الوهابية: تنسب الدعوة الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب المولود عام (1720م) في قرية العينيَّة من بلاد نجد، لقد نشأ في حجر أبيه وقرأ الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان في صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد. وعندما حج أنكر استغاثة الناس بالنبي علية الصلاة والسلام، وقرر أن يعيد للإسلام نقائه؛ فأعلن دعوته إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ومحاربة المعتقدين في الأموات،

نحو منطقتي عَسير والمخلاف السليماني[1]. وبعد أن دخلت عَسير تحت لواء الدعوة الوهابية، أصدر ابن سعود أوامره إلى عامله على عَسير عبد الوهاب بن عامر (أبو نقطه)، لشن هجوم عسكري على مدينة أبي عَريش عاصمة المخلاف السليماني[2]. وبالرغم من المقاومة الشديدة التي بذلها الشريف حمود بن محمد الخيراتي أمير المخلاف السليماني، لم يجد حلاً غير إعلان استسلامه والخضوع لأمير عَسير، والدخول في الدعوة الوهابية. ونتيجة لذلك أصبح المخلاف السليماني مرتبطاً سياسياً بالدولة السعودية، وتم الإبقاء على الشريف حمود أميراً على المخلاف المذكور، على أن يكون تابعاً لإمارة عسير من الناحية الإدارية والعسكرية[3].

توسع الشريف حمود بن محمد آل خيرات في تهامة (1217 - 1232هـ / 1802 - 1817م)

بعد إثبات الشريف حمود إخلاصه وحرصه على نشر الدعوة الوهابية، سعى إلى التخلص من تبعيته لأمير عَسير أبو نقطة، وجَعْل اتصاله بالدَّرعية – عاصمة الدولة السعودية الأولى – مباشر دون وسيط[4]. ولتحقيق ذلك الهدف بدأت قوات الشريف حمود عملياتها العسكرية في منطقة تهامة اليمن، ففي شهر ابريل عام (1261هـ /1802م) أكمل ابن أخيه الشريف علي بن حيدر سيطرته على جميع مدن المخلاف السليماني، ومن ثم دخل مدينة اللُحية بعد حصار بري وبحري استمر أياماً، أما أهل مدينة مُور[5] فقد أرسلوا إليه بقبولهم في الدخول تحت طاعة الشريف حمود، فدخلها الشريف علي واستقر بقلعتها[6].

فأجابه سعود بن عبد العزيز في منطقة الدرعية من بلاد نجد عام (1750م) وقام بنصرته، واتفقا على الجهاد في سبيل الله وفتح البلاد. وبعد وفاة سعود بن عبد العزيز استطاع ابنه عبد العزيز فتح جميع الديار النجدية والحسا والقطيف وكثير من البلاد الحجازية والطائف ومكة وغالب جزيرة العرب، وكانت معظم هذه الفتوح على يد ابنه سعود. وكانت وفاة محمد بن عبد الوهاب عام (1791م). انظر: السيد محمود شكري الألوسي: تاريخ نجد، تحقيق وتعليق محمد بهجة الأثري، ب. د، ط 4، 2005، ص 112– 115. وأيضا: محمد الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ص 273 – 274.

1 – نجوى المطهر: صراع القوي حول تهامة اليمن، ص27 و 37 و 42. وأيضا: فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 96.

2 – عبد الرحمن بن أحمد البهكلي: نفح العود في سيرة الشريف حمود، دراسة وتحقيق محمد بن أحمد العقيلي، مطابع جازان، ط 2، 1986، ص 164 – 167.

3 – انظر: فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 97.

4 – نجوى المطهر: صراع القوي حول تهامة اليمن، ص 50.

5 – نسبة إلى الوادي مور، وسيتم الحديث عن قلعتها في الفصل الخاص بالقلاع المندرسة.

6 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 205.

بعد تحقيق قوات الشريف حمود تقدم جزئي في تهامة مكث بنفسه في قرى وادي مُور، ولما علمت القبائل بقدومه توافدت إليه معلنة ولاءها، ومنهم مشائخ مدينة الزَيدية الذين سلموا قلعتها طوعاً[1]. كما قام الشريف حمود في شهر يونيو عام (1217هـ/ 1803م) بالتصدي لقوات إمام صنعاء المنصور علي في مدينة باجل، ثم حاول الاستيلاء على مدينة الحُديدة[2]. وقبل أن يقوم الشريف المذكور بأي إجراء عسكري على الحُديدة قام بمراسلة عاملها الفقيه صالح بن يحيى العلفي وبعض علمائها، وطلب منهم الدخول في طاعة الأمير عبد العزيز بن سعود، لكن هذا العامل رفض ذلك، مما جعل الشريف حمود يقوم بمداهمة المدينة فتمكنت قواته من التوغل فيها[3]، فخرج عاملها الفقيه صالح العلفي وتحصن في قلعة الصِّديقية، ثم قام جنده بإطلاق قذائف المدفعية من أبراجها نحو المدينة، فاضطر الشريف حمود إلى الخروج منها[4].

عندما أدرك الشريف حمود عدم استطاعته السيطرة على مدينة الحُديدة، فضَّل الاستيلاء على معظم مناطق تهامة الواقعة جنوب شرق مدينة الحُديدة حتى منطقة التُّحيتا[5] الساحلية؛ إلاَّ أنه ولأسباب غير معروفة عاد بقواته من هذه المناطق إلى مدينة الزَيدية وعاد هو إلى مدينة أبي عَريش[6].

خلاف الشريف حمود مع إمام الدولة القاسمية المنصور علي

مثّل توسع الشريف حمود في تهامة وسيطرته على بعض المراكز الهامة فيها مصدر قلق لإمام صنعاء المنصور علي، فعندما رأى هذا الأخير تحركات الأول في المناطق التابعة له وتوجهه نحو

---

1 – انظر المصادر الآتية: أحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 39. والشوكاني: البدر الطالع ،ص 251 – 252. وأيضا: حسين عبد الله العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، دار الفكر، ط 1، دمشق 1984، ص 132.

2 – لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين، دراسة وتحقيق عارف محمد الرعوي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004، ط 1، ص 824.

3 – نفسه، ص 824 و 827. وأيضا: محمد بن احمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج 1، دار اليمامة، ط 3، الرياض، 1982، ص 62.

4 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 220 – 221.

5 – التحيتا: قرية في تهامة تقع في الغرب من زبيد، وسميت بالتحيتا لموقعها تحت وادي زبيد غرباً. انظر: محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج 1، ص 140. وأيضا: عبد الرحمن الحضرمي: تهامة في التاريخ، ص 210.

6 – انظر: لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين ...، ص 824 و 827. وأيضا: ويعقوب دوبلة: تهامة دراسة سياسية تاريخية، ص 29.

المناطق الجبلية قام بإرسال العديد من الحملات العسكرية لطرده ومنعه من التوسع فيها[1]. وكان أبرز تلك الحملات هجوم جيش صالح العلفي أمير مدينة الحُديدة على مدينة الزَيدية عام (1217هـ/ 1803م)، واستيلائه على قلعتها[2]. وحينما علم بذلك الشريف حمود الخيراتي، أرسل ابن عمه علي بن حيدر وبرفقته قوة – مكونة من قبائل الواعظات ووادي مُور وبلاد صَليل – إلى مدينة الزَيدية لاستعادتها واستعادة قلعتها، لكنهم لم يفلحوا في ذلك الأمر[3].

وبعد وصول موافقة الأمير سعود بن عبد العزيز للشريف حمود بالاستقلال بولايته (المخلاف السليماني) عن إمارة عَسير، بدأ هذا الشريف يتطلع إلى السيطرة على اليمن باسم آل سعود[4]. وكان أول عمل قام به هو استرجاع مدينة الزَيدية وقلعتها[5]، ثم الهجوم على مدينة الحُديدة تمهيداً للسيطرة على بقية مدن تهامة، حيث فرض حصاراً عليها من البر والبحر بدأ في شهر رجب من العام (1221هـ/ 1806م) واستمر أكثر من سبعة أشهر، حتى طلب أهالي المدينة الاستسلام[6]. وبسقوط الحُديدة في يد الشريف حمود، سقطت معها هيبة أئمة آل القاسم في معظم أنحاء تهامة، إذ أعلن عامل مدينة زَبيد استسلامه، ودخل أهالي مدينة حَيس وقرى المخا في طاعته. وهكذا وصل نفوذ الشريف حمود الخيراتي إلى جميع مناطق تهامة اليمن من أبي عَريش شمالاً حتى المخا جنوباً[7].

خلاف الشريف حمود مع أمير الدولة السعودية

بدأت مخاوف الدولة السعودية الأولى من تلك التوسعات التي حققها الشريف حمود في تهامة، وشعرت بأنه يخطط للانفصال عنها، على الرغم من أن هذا الشريف كان يدفع جميع ما عليه من أموال،

---

1 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 95.

2 – لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين ...، ص 827.

3 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 229.

4 – عبد الرحمن البهكلي: نفح العود ...ن ص 201 – 203 . وأيضا: محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ص455.

5 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 232.

6 – لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين ...، ص 1016– 1020.

7 – انظر: نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 56.

ويحاول طوال الوقت كسب ودها ورضاها[1]. ومع ذلك لم يقتنع ابن سعود وأرسل قوة عسكرية في عام (1222هـ/ 1807م) إلى مدينة أبي عريش، لمعرفة نوايا الشريف حمود، لكن الحنكة السياسية التي كان يتميز بها الشريف حمود جعلته يستقبل القوة العسكرية ويحسن وفادتها[2]. كما قام عبد الوهاب أبو نُقطة أمير عَسير – من قبل الدولة السعودية – عام (1222هـ/ 1808م) بإرسال قوة عسكرية من جهة البحر لإخضاع هذا الشريف، وفي هذه المرة أيضاً استطاع الأخير التصدي لهذه القوة البحرية عند جزر فُرْسان الواقعة غرب ميناء جَيزان[3].

وكانت أقوى معركة بين الشريف حمود والدولة السعودية عام (1224هـ/ 1809م)، عندما أرسل سعود بن عبد العزيز جيشاً كبيراً بقيادة أمير عَسير (أبو نقطة) لإعادة المخلاف السليماني (شمال تهامة) وتأديب الشريف حمود[4]. وقد انتهت المعركة التي جرت بين الطرفين بمقتل الأول وهزيمة جيشه، وعلى إثر ذلك تراجعت كلتا القوتين، فعاد الأخير إلى أبي عريش وتحصن فيها[5]. وفي العام التالي (1225هـ/ 1810م) قرر ابن سعود القضاء على الشريف حمود نهائياً، فقام بتوجيه حملة عسكرية كبيرة تحركت بمحاذاة الساحل إلى وادي مور، ومنه وصلت إلى مدينة اللُحية واستولت عليها، ثم قامت بقتل العمال الذين كانوا يعملون في عمارة قلعتها[6].

وعلى الرغم من استطاعة الحملة المذكورة السيطرة على عدة مدن في تهامة، إلا أنها لم تُبق فيها حاميات عسكرية، ويبدو أن الهدف من تلك الحملة هو جمع الأموال والغنائم بأي شكل وبأية وسيلة من الأراضي التهامية[7]. وقد ظهر ذلك واضحاً في السنة نفسها أثناء الحملة الثانية التي قادها طامي بن

1 – نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 58.
2 – عبد الرحمن البهكلي: نفح العود ...، ص 237 و241.
3 – صادق الصفواني: الأوضاع السياسية الداخلية لليمن ...، ص 185.
4 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 97. وأيضا: حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص 140.
5 – فؤاد الشامي، نفسه، ص 313 – 314.
6 – نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 62.
7 – نفسه، ص 63.

شُعيب الرفيدي (أمير عَسير الجديد)، الذي توجه إلى اللُحية بجيش كبير واستولى على قلاعها، وقام رجاله خلال خمسة أيام بأعمال سلب ونهب واسعة النطاق[1].

وبينما كان الشريف حمود يحاول إصلاح ما أفسدته حملات العسيريين في ممتلكاته، جاءه عرض من سعود بن عبد العزيز بالدخول في صلح عام (1226هـ/ 1811م)، فما كان من حمود سوى قبول ذلك العرض، خاصة أن سعود عرض عليه المال في حال دخوله في طاعة الدولة السعودية من جديد[2]، وبذلك انتهي صراع الشريف حمود الخيراتي مع آل سعود.

خلاف الشريف حمود مع إمام الدولة القاسمية المتوكل أحمد

بعد وفاة الإمام المنصور علي خلفه ابنه الإمام المتوكل أحمد عام (1224هـ/1809م)، الذي عمل على مصالحة الشريف حمود الخيراتي، وقدَّم له الدعم والمساندة بالمال والجنود لمواجهة أمراء الدولة السعودية الأولى، مقابل دخوله في تبعيته، وإعادة تهامة وموانئها إلى حكمه، إلاَّ أن المصالحة التي تمت بين الشريف حمود وسعود خذلته، لذا عزم المتوكل على استرجاع تهامة بالقوة العسكرية، وإبعاد الشريف حمود عن إمارتها[3]. وكان من أبرز المواجهات العسكرية التي جرت بينهما عام (1227هـ/ 1812م)، عندما أرسل الإمام المتوكل أحمد بن علي، الشيخ يحيى علي سعد، لكي يستولي على مدينة حَيس فدخلها، وكان فيها حينئذ الشريف حوذان بن محمد عاملاً عليها من قبل الشريف حمود آل خيرات. وحين شعر ساكنة حَيس بخطورة الموقف لجأ بعضهم إلى القلعة للتحصن فيها؛ فضربت بالمدفعية ثم دار القتال بين الطرفين لمدة خمسة وعشرين يوماً، وكانت القلعة نفسها خلال هذه المدة مسرحاً لتلك الأحداث حتى تم الصلح بينهما[4].

---

1 – انظر: عبد الرحمن البهكلي: نفح العود ...، ص 273 .

2 – نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 63.

3 – يعقوب دوبلة: تهامة دراسة سياسية تاريخية، ص 32.

4 – محمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 50.

وكان لمحاولة الإمام المتوكل استرجاع تهامة دور في إضعاف وضع الشريف حمود ومركزه فيها، الأمر الذي انعكس على منطقة تهامة التي لم تشهد استقراراً سياسياً، وظلت الأوضاع فيها كما هي حتى تدخل في المنطقة نائب الملك العثماني بمصر محمد علي باشا[1].

تدخل محمد علي باشا في تهامة (1818- 1840م)

كان الهدف الرئيسي من تدخل محمد علي باشا في الجزيرة العربية هو القضاء على الدعوة الوهابية ودولتها السعودية الأولى في نجد. كما أن هناك سببين رئيسيين دفعاه إلى التدخل أيضاً في تهامة، الأول لجوء بعض أقارب الشريف حمود الخيراتي إلى قوات محمد علي باشا بمكة المكرمة، وذلك لسوء معاملته لهم[2]. والثاني شكوى إمام اليمن المتوكل أحمد بالسلطان العثماني من تردي الأحوال في اليمن بسبب تمرد الأشراف آل خيرات عليه في تهامة، وطلبهم المساعدة منه[3]. كما كان لتبادل الهدايا بين المتوكل أحمد ومحمد علي باشا منذ بداية وصوله إلى الحِجاز عام (1227هـ/ 1813م)، دور في تدخله في تهامة[4].

بعد وفاة الشريف حمود الخيراتي عام (1233هـ / 1818م) كلف محمد علي باشا – الوالي العثماني بمدينة جِدة السعودية – خليل باشا على رأس حملة عسكرية لإخضاع منطقة تهامة، وتتبع فلول الوهابيين

1 – محمد علي باشا: هو ابن إبراهيم آغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، وهو ألباني الأصل ولد في بلدة صغيرة بمقدونيا عام (1182هـ/ 1769م)، توفي والده فكفله عمه ثم مات بعد مدة يسيرة فتكفل به حاكم المدينة ورباه عند أحد أصدقاء والده، فشب على حب استعمال السلاح وقدم إلى مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة لرد الغزاة الفرنسيين عن مصر فأبلى بلاء حسنا في القتال، وبفضل كفاءته ونبوغه وصل إلى أعلى المناصب وتمكن من كسب ود الشعب المصري حتى وصل إلى ولاية مصر، وظل يحكمها حتى أعتزل الأمور لابنه إبراهيم سنة (1265هـ/ 1849م)، وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضاً إلى أن توفي بها ودفن في القاهرة. للمزيد انظر: خير الدين بن محمود الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين)، ج 7، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت 1980، ص 298 – 299.

2 – عبد الله بن علي العمودي: تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع، تحقيق عبد الله أبو داهش، مطابع الجنوب، ط 1، أبها، 2001، ص 253.

3 – محمد الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ص 298 – 299.

4 – نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 70.

فيها، فاستطاع خليل بجيشه الكبير السيطرة على المخلاف السليماني بدون مقاومة تذكر، ثم قام بتسليم إمارتها لعلي بن حيدر الخيراتي، تنفيذاً لأمر محمد علي باشا[1].

وبدخول المخلاف السليماني تحت نفوذ محمد علي باشا، خضعت لحملته بقية مدن تهامة[2]، فأعاد حكمها وكذلك موانئها إلى عمال إمام صنعاء الجديد، المهدي عبد الله بن المتوكل عام (1234هـ / 1819م)، مقابل دفع ثلاثة آلاف قنطار من البن اليمني في كل عام إلى المطبخ السلطاني. وأن يدفع الإمام المهدي مبلغ مائتي ألف ريال فرانصي[3] كنوع من التعويض لرجاله، وبهذا قويت شوكة الدولة القاسمية من جديد[4].

وبعد الاتفاق بين الإمام المهدي وقوات محمد علي باشا على أحقية أئمة آل القاسم في حكم تهامة، انسحبت قوات محمد علي باشا منها، وعاد الحكم الإمامي لتهامة من جديد. وخلال فترة حكم الإمام المهدي لتهامة قامت القوات البحرية البريطانية عام (1820م) بقصف مدينة المخا، وذلك على إثر طرد عامل المخا للوكيل التجاري البريطاني. وكانت القوات المذكورة قد بدأت بالهجوم على الحصن الشمالي المعروف باسم (الطَّيار)، فردت القوات اليمنية بمدفعيتها من الحصنين الشمالي والجنوبي المسمى (عبد الرؤوف). ولكن قصف القوات البريطانية كان مؤثرا وأحدث دماراً بالغاً في الحصن الشمالي، مما اضطر الجنود اليمنيين إلى مغادرته، فدخلته القوات الملكية البريطانية وقامت بتفجيره حتى حولته إلى أنقاض[5].

---

1 – الحسن بن أحمد عاكش الضمدي: الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني المسمى الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف من الملوك، تحقيق إسماعيل بن محمد البشري، دار ة الملك عبد العزيز، الرياض، 2003، ص 254.

2 – انظر خريطة (4)، ص 58.

3 – هو ريال الإمبراطورة النمساوية المعروفة (ماريا تريزا) التي طُبعت صورتها على إحدى وجهيه وعلى الوجه الآخر شعار الإمبراطورية النمساوية، وكان مصنوع من مادة الفضة، كما كان يعتبر الوحدة النقدية المعتمدة في التعامل الرسمي والتجاري، وكان يطلق عليه بالريال الفرانصي، وقد ظل التعامل به وتداوله مستمراً في اليمن وفي أنحاء أخرى من الجزيرة العربية؛ ففي اليمن انتهى التعامل به عام (1965م)، عندما صدر قانون قضى بسحبه وإيقاف التعامل به في الأسواق. للمزيد انظر: أحمد قايد بركات: النقد في اليمن، الموسوعة اليمنية، ج 4، ص 3039 – 3040.

4 – انظر: عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 206. وحسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص 177 – 221 و 223.

5 – سلطان بن محمد القاسمي : الاحتلال البريطاني لعدن 1839م، مطابع البيان التجارية، ط 1، دبي 1991، ص 96 و 98.

مثلت حادثة المخا أبرز حدث تاريخي في تلك الفترة، بعد ذلك هدأت الأوضاع في تهامة فترة من الزمن، ومرت بضع سنوات حتى عام (1245هـ/ 1830م) وحينها قام أمير عَسير علي بن مجثل بالتقدم بجيشه نحو تهامة حتى وصل إلى قرى قبائل صليل فدخل قرية دوغان، وخيم برجاله بالقرب من قلعتها، ثم ضرب عليها الحصار حتى استسلم جميع من فيها. بعد ذلك استولى على كل محتويات القلعة من الأموال والخيول والمؤن وغير ذلك، وعين الشريف حسن بن بشير بن محمد بن خيرات عاملا على القرية[1].

دور محمد علي باشا في القضاء على تمرد محمد آغا[2] وعلى بن مجثل

كان محمد علي باشا قد انشق على الدولة العثمانية، وقام بمحاربتها في بلاد الشام، فترتب على ذلك تأخر مرتبات وإعانات قواته المرابطة في الحجاز، فاستغلت الدولة العثمانية ذلك وحاولت إضعافه، فدعمت القوات العثمانية المتمردة التي قادها محمد آغا الملقب بتركجة بيلمز[3]. وقد زاد من قوة هذا التمرد تحالف أمير عَسير مع تركجة بيلمز، فاستطاعت القوات المتمردة الزحف نحو تهامة عام (1248هـ/ 1832م)، ودخول مدينة الحُديدة والسيطرة عليها، ثم اتجهت إلى بقية المدن لتسقطها واحدة تلو الأخرى. وكانت هذه القوات أثناء دخولها مدن تهامة تقوم بأعمال سلب ونهب واسعة النطاق، استطاع من خلالها تركجة بيلمز إعلان سيطرته على تهامة باسم السلطان العثماني[4].

وبالمقابل لم يستطع إمام صنعاء المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد رد العدوان الذي قاده تركجة بيلمز، بعكس حليفه – أمير عَسير علي بن مجثل العَسيري – الذي أتخذ من أعمال السلب والنهب التي

---

1 – نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 126.

2 – عن هذا اللقب انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية الواردة في هذه الدراسة.

3 – حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص 227.

4 – مؤلف مجهول: حوليات يمانية (اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي)، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ط 1، صنعاء، 1991، ص 57 – 58. ومحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 100 – 101.

قام بها تركجة وقواته في تهامة ذريعة لنقض الاتفاق الذي كان بينهما، وزحف بجيشه نحو تهامة عام (1249هـ / 1833م) لإخضاع بيلمز فتم له ذلك، وملك سائر مدن تهامة[1].

بعد تمرد الجند الألبان بقيادة تركجة بيلمز مدعوماً من قبل الدولة العثمانية، إلى جانب تعرض تهامة للأعمال العدوانية من جانب علي بن مجثل، بات حتماً على محمد علي باشا أن يستولي على اليمن[2]، لذا كلف أحمد باشا يكن والي الحِجاز حملة عسكرية بقيادة الباشا محمد أمين وساعده في هذه المهمة الشريف الحسين بن علي بن حيدر[3]. وقد انطلقت الحملة من مدينة أبي عَريش عام (1250هـ / 1834م) براً وبحراً، وواصلت تقدمها دون مقاومة تذكر حتى وصلت إلى مدينة الحُديدة، وبعد حصار ضرب عليها استسلمت الحامية العَسيرية، وبعدها سقطت مدن وموانئ تهامة تباعاً[4]. ثم سارع محمد علي باشا بإرسال القائد إبراهيم باشا يكن حاكماً على تهامة عام (1251هـ / 1835م)، وعند وصوله إلى الحُديدة أعلن قرار محمد علي باشا بجعله والياً على اليمن، واتخذ من هذه المدينة مقراً له وجعلها مركزاً إدارياً لحكمه، وقام بإجراء تحركات نجحت من خلالها قواته الاستيلاء على مدن بيت الفَقيه وزَبيد والمخا، وعين لكل مدينة محافظاً وموظفين لإدارة شؤونها وجماركها[5].

أثارت طموحات محمد علي باشا في الجزيرة العربية وسيطرته على الموانئ اليمنية قلق بريطانيا، وذلك لما كان يمثل من خطورة مباشرة علي التجارة البريطانية ومواصلاتها مع الهند بسبب تحكم محمد علي باشا على طرق التجارة البحرية الموصلة إلى الهند[6]؛ لذا استغلت بريطانيا الخلافات بين محمد علي والدولة العثمانية بعقد اتفاق مع الدولة العثمانية عام (1254هـ / 1838م) ضمنت من خلاله حرية التجارة

1 – انظر: مؤلف مجهول: حوليات يمانية، ص 63. ومحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 107– 108.

2 – كان الهدف الرئيسي لمحمد علي باشا من الاستيلاء على اليمن هو السيطرة على جميع المناطق المنتجة للبن اليمني، وكذلك الموانئ التهامية التي يتم تصديره منها. للمزيد انظر: يعقوب دوبلة: تهامة دراسة سياسية تاريخية، ص 65 – 66.

3 – نجوى المطهر: صراع القوي حول تهامة اليمن، ص 154.

4 – نفسه

5 – محمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 112. وأيضا: محمد الكبسي: اللطائف السنية ...، ص 407.

6 – نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 211.

والتعاملات التجارية في جميع أنحاء الدولة العثمانية. كما قامت باحتلال عَدن عام (1255هـ / 1839م) بهدف نقل تجارة البن من موانئ تهامة إلى ميناء عَدن[1]. وقد استمرت بريطانيا بالضغط على محمد علي باشا مطالبة إياه بسحب قواته من اليمن تنفيذاً لاتفاق الدول الكبرى في لندن عام (1256هـ / 1840م)، مما اضطر محمد علي باشا إلى ترك الجزيرة العربية، وأصدر أوامره للباشا إبراهيم يكن في فبراير عام (1840م/ 1255هـ) بالانسحاب من اليمن وعودة قواته إلى مصر، وتسليم تهامة إلى الشريف الحسين بن علي بن حيدر الخيراتي[2].

حكم الشريف الحسين بن علي بن حيدر (1254 - 1264هـ / 1838 - 1848م)

واجه الشريف حسين بن علي بن حيدر تمرداً قاده علي حُميدة (شيخ قبائل القحري)، وذلك في العام الثاني من تسلمه منطقة تهامة، وحصلت بينهما عدة حروب استخدم فيها الشريف الحسين قذائف المدفعية، بعد أن فرض الحصار على علي حُميدة الذي كان يتحصن في قلعة جبل باجل. وكانت آخر حرب جرت بينهما في ذي القعدة عام (1260هـ / 1845م)، استطاع فيها الشريف الحسين تحقيق النصر[3].

كما دخل الشريف الحسين في صراع مع إمام صنعاء الجديد، المتوكل محمد بن يحيى الذي كان يعاني من مشاكل مالية جعلته يفكر في إعادة سيطرته على تهامة وموانيها باعتبار تهامة القوة الاقتصادية في اليمن[4]؛ ففي عام (1263هـ / 1847م) وجه الإمام المتوكل جيشاً كبيراً للسيطرة على تهامة بعد تحالفه مع مع الشيخ علي حُميدة، فالتقى الطرفان في مدينة القطيع. وانتهت المعركة بهزيمة جيش الشريف حسين وتعرضه للإصابة، ثم انسحب بمن معه إلى قلعة القُطيع وتحصن فيها. وبعد مرور شهرين من الحصار

1 – إيريك ماكرو: اليمن والغرب منذ عام (1571م)، تعريب وتعليق حسين عبد الله العمري، دار الفكر العربي، دمشق 1983، ص 72.

2 – انظر: محمد الكبسي: اللطائف السنية، ص 412. ومحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 125. فاروق عثمان أباظة: الحكم العثماني في اليمن (1872 – 1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986، ص 43.

3 – محمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 132 – 33. وأيضا: مؤلف مجهول: حوليات يمانية، ص 140.

4 – حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص 321.

المضروب عليه، اضطر إلى الاستسلام فأسر وأخذه الإمام المتوكل إلى مدينة زَبيد[1]. وبعد ذلك توغل جيش هذا الإمام في تهامة فتمكن من بسط نفوذه على مدن بيت الفَقيه وزَبيد والمخا، وأصبح مسيطراً على تهامة من المخا جنوباً حتى الزَيدية شمالاً، ولم يتبق له إلا الحُديدة وما والاها شمالاً إلى أبي عَريش[2]. ولكن سرعان ما استطاع الأشراف آل خيرات بمساعدة قبائل يام النَّجدية فك أسر الشريف حسين، ثم تمكن بعد ذلك بقواته من السيطرة على المواقع المهمة التي كانت بيد رجال الإمام المتوكل، حيث تتابع خروج عمال هذا الإمام وحامياته العسكرية من قلاع زَبيد وبيت الفَقيه وغيرها. كما تمكن الشريف الحسين من اللحاق بالإمام المتوكل محمد بن يحيى وحاصره في قلعة مدينة حَيس حتى انسحب من تهامة نحو المناطق الجبلية[3].

لقد استطاع الأشراف آل خيرات استرجاع تهامة وموانئها إلى حكمهم، وعاد الشريف حسين إلى مدينة أبي عَريش وأستقر فيها، ولكن سرعان ما وصلت أوامر السلطان العثماني في عام (1264هـ / 1848م) باستدعائه إلى اسطنبول، فذهب إلى هناك ثم عاد إلى مكة المكرمة ومكث فيها حتى توفي عام (1293هـ / 1876م). وبخروج الشريف حسين بن علي من المخلاف السليماني انتهت السيطرة الفعلية لأسرة آل خيرات على المخلاف السليماني وتهامة اليمن[4].

---

1 – حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص 221.

2 – نفسه، ص 326.

3 – للمزيد انظر المصادر الآتية: عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، المطبعة السلفية، القاهرة 1927، ص 71. ومحمد الكبسي: اللطائف السنية، ص 416. ومؤلف مجهول: حوليات يمانية، ص 154. وأيضا: إسماعيل بن محمد البشري: الحملة العثمانية على أبي عريش والسواحل اليمنية (1265هـ/ 1849م)، مكتبة العبيكان، ط 2، الرياض، 2002، ص 23.

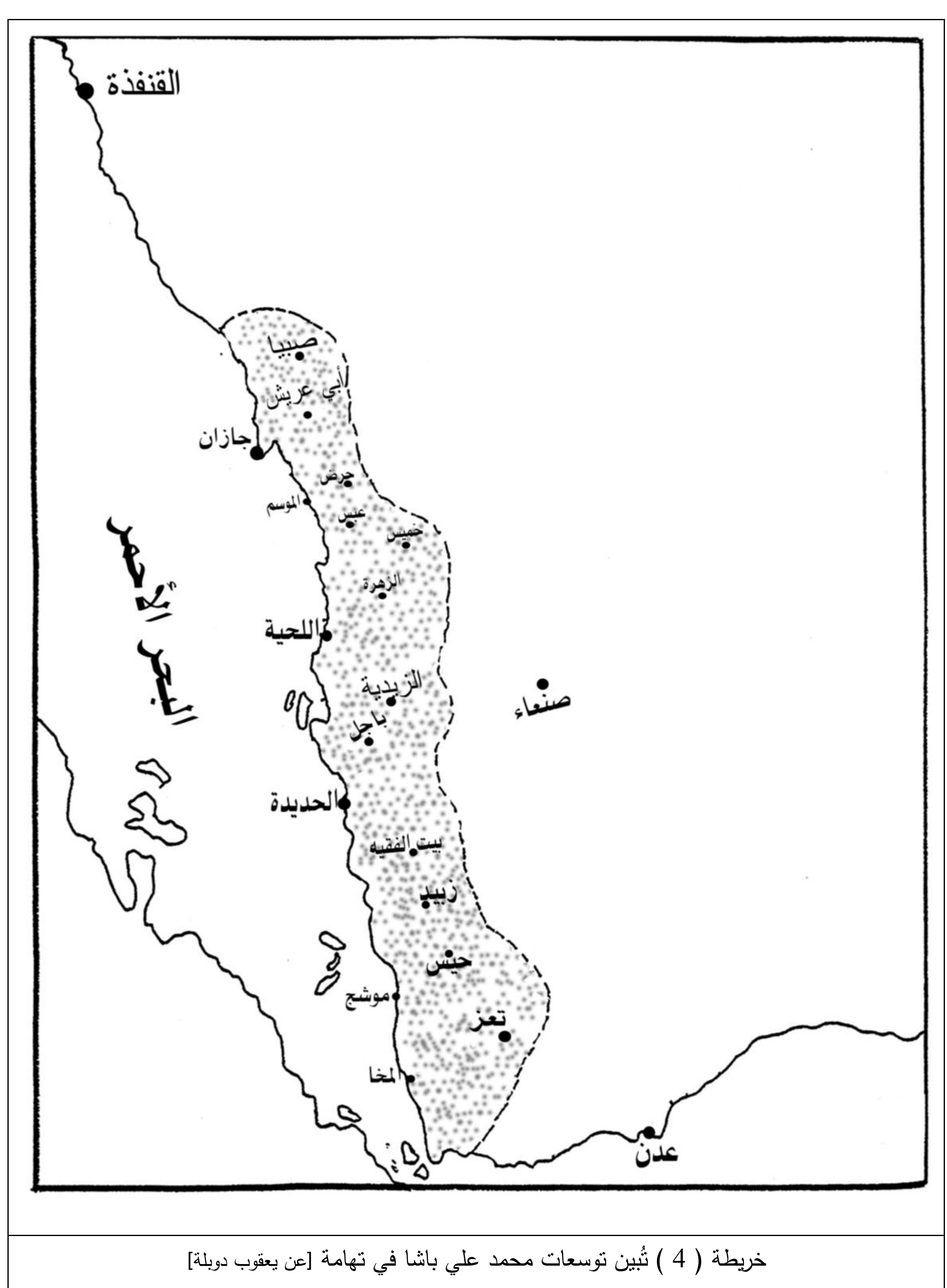
4 – يعقوب دوبلة: تهامة دراسة سياسية تاريخية، ص 107.

جدول (10) قائمة بأسماء الأئمة والدعاة من بيت القاسم حتى دخول العثمانيين إلى اليمن للمرة الثانية

م	إسم الامام	الفترة التاريخية
1	الإمام القاسم بن محمد (مؤسس الأسرة القاسمية)	(1005- 1028هـ / 1597- 1620م)
2	المؤيد محمد بن الإمام القاسم	(1028- 1053هـ / 1620- 1644م)
3	المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم	(1053- 1086هـ/ 1644- 1676م)
4	المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم	(1086- 1091هـ / 1676- 1681م)
5	المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم	(1091- 1097هـ / 1681- 1686م)
6	المهدي محمد بن أحمد بن الحسن	(1097- 1126هـ / 1686- 1715م)
7	المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد	(1126- 1127هـ / 1715- 1716م)
8	المتوكل قاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن	(1127- 1139هـ / 1716- 1727م)
9	المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن الحسين	(1139- 1160هـ / 1727- 1748م)
10	المهدي عباس بن المنصور حسين بن المتوكل قاسم	(1160- 1188هـ / 1748- 1775م)
11	المنصور علي بن العباس	(1188- 1223هـ / 1775- 1809م)
12	المتوكل أحمد بن علي بن العباس	(1223- 1229هـ / 1809- 1815م)
13	المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد	(1229- 1250هـ / 1815- 1835م)
14	المنصور علي بن المهدي عبد الله	(1250- 1251هـ / 1835- 1836م)
15	الناصر عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي عباس	(1251- 1255هـ / 1836- 1840م)
16	المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي	(1261- 1263هـ / 1846- 1848م)
17	الهادي محمد بن المتوكل احمد	(1263- 1264هـ / 1848- 1849م)

جدول (11) أبرز أمراء آل خيرات الذين حكموا منطقة تهامة خلال فترة الدولة القاسمية

م	إسم الأمير	الفترة التاريخية
1	حمود بن محمد بن أحمد	(1215- 1232هـ / 1801- 1817م)
2	أحمد بن حمود	(1232- 1233هـ / 1817- 1818م)
3	علي بن حيدر بن محمد	(1233- 1253هـ / 1818- 1838م)
4	حسين بن علي بن حيدر	(1253- 1254هـ / 1838- 1848م)



خريطة (4) تُبين توسعات محمد علي باشا في تهامة [عن يعقوب دوبلة]

الحكـــــم العثمانـــي الثانـــي لتهامـــــة

(1265 - 1337هـ/ 1849 - 1918م)

- **الدخول الثاني للعثمانيين إلى اليمن** (1265هـ / 1849م)
- **محاولة أمير عسير السيطرة على تهامة** (1871- 1872م)
- **الوضع السياسي لتهامة خلال الفترة** (1872- 1911م) **ومقاومة الزَّرانيق للوجود العثماني الثاني**
- **توغل محمد الإدريسي في تهامة بمساعدة إيطاليا ثم الإنجليز** (1911- 1918م)
- **خروج العثمانيين من اليمن** (1336هـ / 1918م)

الدخول الثاني للعثمانيين إلى اليمن (1265هـ/ 1849م)

كان لاقتتال وصراع الشريف حسين الخيراتي مع إمام صنعاء المتوكل محمد بن يحيى (1261-1263هـ/ 1846- 1848م) في منطقة تهامة بمثابة الإرهاصات لدخول اليمن في دور تاريخي آخر في ظل السلطان العثماني؛ حيث صدر الأمر إلى والي الحجاز توفيق باشا وأمير مَكة محمد بن عون بالتوجه إلى اليمن على رأس جيش عثماني مكون من ثلاثة آلاف رجل. وقد وصلت الحملة إلى مدينة اللُحية ومنها إلى الحُديدة في إبريل عام (1265هـ/ 1849م)، فقابلهم الشريف حسين مرحباً ومقدماً كل التسهيلات[1]. كما وافق إمام صنعاء المتوكل محمد على دخول القوات العثمانية إلى مدينة صنعاء في يوليو من العام نفسه، لكنها لم تستقر في المدينة بسبب ثورة العامة والقبائل المجاورة لصنعاء، والتي كان يقودها الإمام الهادي علي بن المهدي عبد الله، لذا قرر العثمانيون الرحيل من صنعاء، وقنعوا بالسيطرة على تهامة وساحلها لقربها من مراكز قواتهم المرابطة في الحجاز[2].

استقر العثمانيون في تهامة وجعلوا من مدينة الحُديدة مركزا لولايتهم، وتوزع قادتهم (عمال المدن) مع حامياتهم العسكرية في جميع المدن، وجعلوا من القلاع الرئيسية فيها أماكن لتواجدهم ومراكز لإداراتهم الحكومية، وكانت تخرج منها الحملات العسكرية لإخضاع وتأديب القبائل الثائرة. وعلى سبيل المثال لا الحصر لتلك الحملات التأديبية العثمانية التي تمت في تهامة، خرج الوالي العثماني على اليمن بونابرت مصطفى باشا عام (1268هـ/ 1852م) من مدينة زَبيد لإخضاع قبيلة الزَّرانيق. وقبل دخوله بيت الفَقيه عاصمة الزَّرانيق درات العديد من المواجهات العسكرية بين جيشه والقبيلة المذكورة، فانتهت المعارك بهزيمة الجيش العثماني ومقتل هذا الوالي، فنقل جثمانه إلى مدينة بيت الفَقيه ثم دفن في قلعتها[3].

1- حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن، ص 333 – 334.

2- انظر: محسن بن أحمد الحرازي: فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء، تحقيق ودراسة حسين عبد الله العمري، دار الفكر، ط 1، دمشق 1986، ص 20 – 22. وأيضا: مجهول: حوليات يمانية، ص 164.

3 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 506– 507.

وبالمقابل كانت القبائل تكرر هجومها على الحاميات العسكرية العثمانية، وخاصة المتمركزة في القلاع الرئيسية، ومنها أثناء صراع آل خيرات على حكم المخلاف السليماني حين قام الشريف الحسن بن محمد باستدعاء قبائل يام النجرانية لمحاربة العثمانيين، وتوجهوا نحو مدينة اللُحية في شهر رمضان عام (1267هـ/ 1850م). وفي أول مواجهة بين الطرفين هزم العثمانيون؛ فتعقبهم الشريف الحسن بن محمد بن علي وقبائل يام بالقتل والأسر، ثم تبعوهم حتى دخلوا اللُحية فحاصروهم عدة أيام في قلعتها[1]. كما هجمت قبائل بني قَيس والزَّعلية والواعظات وصَليل عام (1287هـ/ 1871م) على الحامية العسكرية العثمانية المتواجدة في قلعة الزَيدية، لكن الجنود العثمانيين قاموا بحسم الموقف وذلك بإطلاق قذائف المدفعية على جموع القبائل، فكانت النتيجة تراجع القبائل وانسحابها من مدينة الزَيدية[2].

محاولة أمير عَسير السيطرة على تهامة (1871- 1872م)

بسبب الوضع الاقتصادي الخانق والطبيعة الجبلية الفقيرة لمنطقة عَسير، ظهرت بوادر الاستعدادات العسكرية لأميرها محمد بن عايض، حيث قام بنقض الصلح مع العثمانيين وتوجه نحو تهامة للاستيلاء عليها في شهر رمضان عام (1287هـ/1871م)[3]. وقد بدأ ابن عايض بالزحف من عَسير على رأس جيش كثيف فسيطر على المخلاف السليماني وطرد الحامية العثمانية منه ثم رحلها بحراً إلى مدينة الحُديدة مركز تجمع القوات العثمانية. وواصل الزحف إلى مدينة الضِحي، ثم باجل، وقبل دخوله مدينة الحُديدة، عسكر بجنده في مكان يسمى قَضَبه[4] واتخذ منها موقعاً خلفياً لقواته، ثم ضرب الحصار على

---

1 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 495 – 496.

2 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 84.

3 – عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم، ص 106. محمد الكبسي: اللطائف السنية، ص 421. فاروق أباظه: الحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 84.

4 – هي إحدى القرى الواقعة في الجهة الجنوبية من مدينة الحُديدة، وبالقرب من هذه القرية تقع إحدى القلاع الأثرية المتهدمة فوق إحدى التلال الرملية، وقد قمنا بزيارتها أثناء العمل الميداني.

الحُديدة، وحاول جيشه تسلق سورها بواسطة السلالم، فقابلهم الجنود العثمانيين الموجودين في الأسوار والأبراج الكائنة داخل البلدة بقذائف المدفعية، مما أجبر الجيش العسيري على الانسحاب إلى معسكره[1].

وعندما وصلت أخبار إغارة الجيش العسيري على تهامة إلى عاصمة الدولة العثمانية قررت الدولة العثمانية القضاء على تمرد أمير عَسير محمد بن عايض، والمحافظة على ولاياتها في تهامة، فأرسلت حملة عسكرية مزودة بالأسلحة قوامها عشرون ألف جندي بقيادة محمد رديف باشا[2]. ولما علم ابن عايض بقدوم الحملة العثمانية إلى عَسير عاد بجيشه إليها، وحينما لم يستجب لمراسلة قائد الحملة بالدخول في طاعة الدولة العثمانية، قامت الحملة بشن غاراتها في منطقة عَسير حتى تم إلقاء القبض أميرها المذكور وقتله في شهر ابريل عام (1872م)[3].

الوضع السياسي لتهامة خلال الفترة (1872– 1911م)، **ومقاومة الزَّرانيق للوجود العثماني الثاني**

ثار اليمنيون ضد العثمانيين عندما فرضوا عليهم سياستهم المركزية التي كادت تفقدهم استقلالهم القبلي الذي اعتادوا عليه منذ آلاف السنين. كما أن هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى الاستمرار في ثورتهم تلك، من أهمها: سوء الإدارة العثمانية في اليمن، وشدة الظلم في تحصيل الضرائب، وكذلك اتباعهم سياسة الإرهاب والضغط لاستنزاف ثروات اليمن وملئ خزائن الدولة العثمانية، بالإضافة إلى تصرفات الكثير من جنودهم المخالفة للقيم الدينية[4].

وقد شكلت البيئة الجغرافية عاملاً مساعداً للمقاومة اليمنية، فمن أكبر العقبات التي واجهت الحكم العثماني في تهامة اليمن صعوبة التحرك في سهولها القاحلة، وندرة المياه والمناخ الحار القاسي الذي لم

1 – أحمد راشد: تاريخ اليمن وصنعاء، ج 2، ص 222.

2 – عبدالكريم علي العزير: التشكيلات المركزية العثمانية والإدارة المحلية في اليمن (1850– 1918م)، ب. د، ط 1، صنعاء، 2003، ص 179– 180.

3 – عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم، ص 108.

4 – نفسه، ص 140 – 141. وفاروق أباظة: الحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 84 و 136.

يعتده أبناء الأناضول[1]. والأمر نفسه حدث للعثمانيين في المناطق الجبلية من اليمن إذ إن قواتهم النظامية لم تستطع التحرك فيها بسهولة، ولذا كانت ثورات قبائلها أشد قسوة وضراوة[2]. ومن أشهر قبائل تهامة الثائرة ضد الحكم العثماني الثاني قبائل الزَّرانيق، والتي تعد من أكثر القبائل التهامية عداً وأشدها بأساً[3]، وفيها من القوة والجلد ما لا يوجد في غيرها، فقد عرف عنها تحملها عن المكان كلما استشعر أفرادها قدوم قوات الأتراك نحوهم[4].

وبرغم خضوع منطقة تهامة تحت النفوذ الفعلي للعثمانيين خلال الفترة (1871– 1911م)، إلا أن قبيلة الزَّرانيق قامت بعدة هجمات على الحامية العثمانية المتحصنة في قلعة مدينة بيت الفَقيه. ومنها أثناء ولاية عثمان باشا (الملقب بالأعرج) على اليمن (1886–1887م)، حيث أضطر قائم مقام[5] مدينة بيت الفَقيه إلى الهروب منها، وما كان من الدولة العثمانية إلا أن جهزت حملة عثمانية ضخمة لإخضاع هذه القبيلة[6]. وفي عهد الوالي العثماني حسن أديب باشا (1890–1891م) كانت ثورة الزَّرانيق في أوج قوتها بسبب عدم التزام العثمانيين بالاتفاق المسبق بينهما، فاندلعت الثورة وحوصرت الحامية العثمانية المرابطة في قلعة بيت الفَقيه، مما أدى فرار الحامية مع القائم مقام في أواخر عام (1308هـ/1891م)[7].

ومن أساليب المقاومة التي قام بها الزرانيق ضد العثمانيين: قطع أسلاك التلغراف، والهجوم على الدوريات البحرية العثمانية في البحر الأحمر، وقطع الطريق الذي يوصل بين مدينتي الحُديدة وتَعز وبين الحُديدة وصنعاء، ونهب المواد الغذائية الخاصة بالجنود العثمانيين، وكذلك استخدام أسلوب الاغتيال

---

1 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

2 – فاروق أباظة: الحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 84.

3 – أمين الريحاني: ملوك العرب، ج 1، دار الجيل، ط 8، بيروت، 1987، ص 275.

4 – للمزيد انظر: عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم، ص 180.

5 – عن هذا اللقب انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

6 – عبد الودود مقشر: الزرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 141.

7 – عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 28.

السياسي[1]، والمواجهة المباشرة معهم، بالإضافة إلى حرب العصابات (الكر والفر) وعمل الكمائن والقنص[2].

وعليه يمكن القول بأن الزَّرانيق قد انضموا إلى المقاومة اليمنية ضد العثمانيين، حتى أن المسألة الزَّرنوقية أصبحت تطرح أولاً عند قدوم أي والٍ أو أي متصرف[3] عثماني ينهض بشؤون تهامة. وقد أدرك أدرك بعض القادة العثمانيين أن كل ثورات الزرانيق نابعة من بنية القبيلة العربية التي تتوق دوماً إلى الحرية وكسر كل القيود[4].

توغل محمد الإدريسي في تهامة بمساعدة إيطاليا ثم الإنجليز (1911- 1918م)

ظهر السيد محمد بن علي الإدريسي[5] في صبيا إحدى مدن المخلاف السليماني عام (1325هـ/ 1908م)، وأظهر الانتماء للدولة العثمانية، لكنه في الخفاء عمل على إثارة القبائل عليها. وعندما قامت إيطاليا بحربها ضد الدولة العثمانية في البحر الأحمر عام (1328هـ/ 1911م)، أبدى الإدريسي استعداده لمساعدتها فزودته بالمال والسلاح والذخيرة وناصرته في البر والبحر. وقامت السفن البحرية الإيطالية

1 – من أساليب الاغتيال السياسي التي مارسها قبائل الزرانيق هو دس السم؛ فعندما تم اغتيال محمد بيك القائد العسكري (قائم مقام) لمدينة بيت الفقيه عاصمة الزرانيق، قرر المشير أحمد فيضي والي اليمن إرسال قائد تركي خبير بتهامة ألا وهو أحمد بيه الشركسي إلى بيت الفقيه، ولم تمض فترة طويلة حتى وضعوا له السم في المشروب (الخمر) فكان مصيره مثل مصير محمد بيك. انظر: مقشر، الزرانيق والحكم العثماني في اليمن، ص 171. كما توفي بالسم عام (1851م) الحاكم العثماني لليمن صبري باشا في مدينة المخاء، حيث وضع له السم في القهوة. انظر: هارولد. ف. جاكوب: ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء ودار العودة ببيروت، ط 2، 1988، ص 56.

2 – عبد الودود مقشر: الزرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 194 و 151.

3 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

4 – عبد الودود مقشر: الزرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 196.

5 – محمد بن علي الإدريسي: هو حفيد السيد أحمد بن إدريس، ولد في مدينة صبيا من أم سودانية، وبعد أن ترعرع في صبيا رحل إلى السودان وطلب العلم هنالك ثم انتقل إلى مصر فدرس العلوم المقررة في الأزهر الشريف، وبينما كان في مصر كان له صلة بمحمد علي علوي بك المترجم الإيطالي بدار المفوضية الإيطالية في القاهرة. وقام محمد علوي بك بعرض مشروع على السيد محمد الإدريسي، وهو السيطرة على تهامة كون أهلها غاضبين من حكم الأتراك لهم فقبل ذلك المشروع، وهذه الصداقة كانت هي السبب في ظهور نجمه في عالم السياسة، بالتالي بدأ ظهوره عام (1908م). انظر: عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 235. وأيضا: عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم، ص 340.

بمحاصرة السواحل الغربية لليمن وأطلقت مدافعها على اغلب موانئ تهامة التي يسيطر عليها العثمانيين[1]، وأثناء ذلك بدأ محمد الإدريسي بالزحف باتجاه الجنوب نحو تهامة[2].

ومن المدن الساحلية التي تعرضت للقصف المدفعي الإيطالي مدينة مِيدي، مما جعل القوات العثمانية تنسحب من القلعة الرئيسية ومن جميع مراكزها في المدينة وتتراجع نحو الجبال، فدخلها الإيطاليين من جهة البحر؛ ثم جيش السيد محمد الإدريسي من جهة البر. وبعد استقرار الإدريسي في ميدي قام بشن غاراته على الحاميات العسكرية العثمانية المتمركزة في تهامة كتلك المتواجدة في اللُحية والواعظات حتى عام (1333هـ/1914م)[3]. كما قامت السفن البحرية الإيطالية بقصف مدينة الحُديدة – مركز تجمع العثمانيين في تهامة – والمواقع العسكرية العثمانية فيها كحصن المنظر في الثالث والعشرون من يوليو عام (1911م)[4]، والمعسكر العثماني بمنطقة الحالي في الخامس عشر من أغسطس عام (1912م)[5].

وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى قام الأتراك ببناء التحصينات الدفاعية في المناطق الساحلية من تهامة في أكتوبر عام (1332هـ/ 1914م)، وذلك استعداداً منهم لدخول الحرب ولصد عدوان محتمل من قبل الإنجليز على الساحل اليمني، لكن الأسطول الملكي الإنجليزي أقفل البحر الأحمر في شهر نوفمبر من العام نفسه، وكانت سفنه الحربية ترابط أمام موانئ تهامة (الحُديدة، اللُحية، الصَّليف، المخا،

---

1 – انظر المصادر الآتية: حسين بن أحمد العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، عنى بنشره الأب أنستاس الكرملي، مكتبة الثقافة الدينية، ب. ت. ط، ص 88. وعبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 235 – 236. وعبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم، ص 246. وأيضا: إيريك ماكرو: اليمن والغرب، ص 132.

2 – عبد الواسع الواسعي – نفسه – ص 343.

3 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2 ، ج 2 ، ص 107. وأيضا: أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص 209.

4 – انظر: إسماعيل الوشلي: نفسه، ص 100. والذيل، ص 115. وأيضا: أحمد عثمان مطير: الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحُديدة، دار المصباح، الحُديدة، ب. ت. ط، ص 147.

5 – جون بولدري: أهم الأحداث في تاريخ الحُديدة، ترجمة محمد عزي صالح، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، 2001، ص 51.

الشيخ سَعيد) وذلك لمنع مرور السفن الحربية العثمانية، ومن أجل قطع الإمداد عن الجيش العثماني المتواجد في اليمن[1].

وحينما تخلت إيطاليا عن محمد بن علي الإدريسي بدأت المناطق التهامية التي توغل فيها تخرج عن سيطرته فلجأ إلى الإنجليز، وبالتالي وقَّع معاهدة معهم في عام (1333هـ/ 1915م) فأمدوه بالمال والذخيرة[2]، على أن يتقدم مع رجال قبائله من جهة البر بينما يقوم الإنجليز بضرب المواقع التركية بالبوارج البحرية والطائرات الحربية[3]. ومن العمليات الحربية التي قام بها الإنجليز خلال الفترة (1333 - 1335هـ / 1915 - 1917م)، ضرب الحامية العثمانية المتواجدة في مدينة اللُحية لعدة مرات بمدافع البوارج البحرية. ولكن قوات الإدريسي لم تستطع دخول المدينة والسيطرة عليها إلا في السادس عشر من فبراير عام (1918م)، وهو الهجوم الذي بلغ ذروته على اللُحية؛ لكن سرعان ما استعادتها القوات العثمانية في الثامن عشر من يونيو عام (1918م)[4].

وقد استمرت محاولات محمد الإدريسي لبسط نفوذه على المواقع والمدن التي يسيطر عليها العثمانيين في المنطقة الشمالية من تهامة (اللُحية، الزُهرة، مُور، عَبس، جبل المِلح) مدعوماً من الجو بالطائرات الحربية الإنجليزية، لكن قواته لم تحقق تقدماً كبيراً بسبب صمود الحاميات العثمانية[5].

خروج العثمانيين من اليمن

بعد مضي خمس سنوات من الحرب العالمية الأولى تمكنت جيوش بريطانيا وفرنسا من دخول إسطنبول فاستسلم الأتراك. وعلى إثر ذلك عقدت اتفاقية (مندروس)[6] بين بريطانيا والدولة العثمانية في

---

1 – جون بولدري: أهم الأحداث في تاريخ الحُديدة، ص 54. وأيضا: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (1914– 1919م)، ترجمة سيد مصطفى سالم، دار الأمين، سوهاج، ب. ت. ط، ص 50 – 51.

2 – إيريك ماكرو: اليمن والغرب ...، ص 105.

3 – جون بولدري: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي، ص 98 – 100.

4 – نفسه، ص 100 – 104.

5 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 179– 180.

6 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

عام (1336هـ/ 1918م)، حيث نصت المادة السادسة عشر منها على تخلي الدولة العثمانية عن مناطقها في آسيا وإفريقيا، وبموجب هذه الاتفاقية أرسل الحاكم البريطاني في عدن إلى الوالي العثماني محمود نديم – وكان بصنعاء – يطلب منه تطبيق هذه المعاهدة، ثم تلى ذلك صدور الأوامر من السلطان العثماني محمد رشاد بمغادرة القوات العثمانية إلى بلادها[1].

وتنفيذا لأوامر الدولة العثمانية، أمر محمود نديم جيشه بتسليم الأسلحة ومنها المدافع وما بقي من أدوات الحرب إلى إمام صنعاء[2]. ويرجع السبب في ذلك إلى العلاقة الطيبة التي استمرت بين الولاة العثمانيين والإمام يحيى بن محمد حميد الدين[3] منذ عقد صلح دعَّان بين الطرفين عام (1911م)[4]. أما الحاميات التركية في تهامة عندما وصلها أمر الانسحاب من محمود نديم، قام المرابطون في مناطق عَبس والواعظات واللُحية – الذين كانوا قائمين على مقاومة الإدريسي– ببيع كل ما لديهم من الأثاث والمؤن في مدينة الزَيدية وغيرها والسير نحو الحُديدة، وبالنسبة للأسلحة الثقيلة كالمدافع فقد أرسلوها إلى إمام صنعاء يحيى بن محمد[5].

شعر الإنجليز بالأهداف التوسعية التي كان يخطط لها إمام صنعاء يحيى بن محمد، التي كان أبرزها ضم منطقة تهامة إلى حكمه، لذا قام الأسطول الحربي الإنجليزي بشن هجوم من جهة البحر على مدينة الحُديدة واحتلالها في الثالث عشر من ديسمبر عام (1918م/ 1336هـ)، ثم سلموها لمحمد الإدريسي

---

1 – عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم ...، ص 261. جون بولدري: العمليات البحرية البريطانية ...، ص 131.

2 – ينظر: عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 237. وفاروق أباظة: الحكم العثماني في اليمن، ص 420.

3 – الإمام المتوكل يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين: ولد بصنعاء في شهر في ربيع الأول عام (1286هـ / 1869م)، وأخذ فنون العلم بها عن والده وغيره من القضاة حتى تبحر في جميع فنون العلوم العقلية والنقلية. ولماً كانت وفاة والده الإمام المنصور بالله أجمع من كان في محروس قفلة عذر من أكابر علماء صنعاء وغيرها على مبايعة ابنه الإمام يحيى، وكانت بداية دعوته في يوم 20 ربيع الأول عام (1322هـ) وتلقب بالمتوكل على الله. انظر: عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 230. وعبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم، ص 185 – 197.

4 – صلح دعان: نسبة إلى قرية دعان في الشمال الغربي من مدينة عمران، وفيها تم الاتفاق بين الوالي العثماني أحمد عزت كممثل للدولة العثمانية والإمام المتوكل يحيى عام (1911م) على إصلاح أمور بلاد صنعاء والمناطق التي يقطنها الزيديون (المناطق الجبلية)، ومن أهم بنود ذلك الاتفاق اعتراف الإمام بالسيادة العثمانية، ويشرف الإمام على شؤون القضاء والأوقاف وتعيين الحكام (القضاة) والمرشدين، كما يجمع الأتراك الزكاة من المواطنين باسم الإمام ويقدموها له بعد خصم 5.2 % بدل الجباية. للمزيد عن بنود الصلح انظر: أمين الريحاني: ملوك العرب، ص 147. وأيضا: عبد الواسع الواسعي، نفسه، ص 234 – 235. وأحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص 269.

5 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 185. وجون بولدري: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي، ص 98.

فأصبحت معظم المدن التهامية تحت نفوذه[1]. وقد استمر الجنود الأتراك يتجمعون من جميع الجهات المتفرقة من اليمن في ميناء الحُديدة، وهناك تم نقلهم في بداية عام (1919م) بواسطة البواخر الإنجليزية إلى عَدن ثم إلى جزيرة مالطة ثم إلى تركيا[2].

وبذلك دخلت اليمن مرحلة تاريخية سياسية جديدة؛ فالإمام يحيى بن محمد حميد الدين استلم جميع المناطق الجبلية الوسطى، والإنجليز يسيطرون على عَدن، والسيد محمد الإدريسي امتد نفوذه على معظم المناطق التهامية.

جدول (12) قائمة بالولاة العثمانيين في منطقة تهامة بولاية اليمن[3] (1264- 1289هـ/ 1848- 1872م)

م	اسم الوالي	الوصول	المغادرة	ملاحظة
1	توفيق باشا (القبرصي)	1264/ 1265هـ	1848م /1849م	توفي في اليمن
2	سلمان بك	1265هـ/1849م		اختاره مجلس الولاية للقيام بعمل الوالي
3	محمود باشا الكردي (1)	1265هـ/1849م		تم إرساله من الحجاز للقيام بعمل الوالي
4	مصطفى صبري	1266هـ/1850م		توفي في اليمن في نفس العام
5	محمد سري باشا	1266- 1268هـ	1850 - 1851م	عين والي بالوكالة ثم والي
6	بونابرت مصطفى باشا	1268هـ/1851م		توفي بعد ثلاثة أشهر من وصوله
7	مطوش بك	1268- 1269هـ	1851- 1852م	والي بالوكالة لمدة ثلاثة أشهر
8	محمود باشا الكردي (2)	1269- 1272هـ	1852- 1855م	
9	أحمد باشا السليماني (1)	1273- 1279هـ	1856- 1862م	
10	علي باشا (باور)	1279- 1281هـ	1862- 1864م	
11	أحمد باشا السليماني (2)	1281- 1284هـ	1864- 1867م	
12	أحمد باشا (التاجر)	1284- 1286هـ	1867- 1869م	

1 - جون بولدري: أهم الأحداث في تاريخ الحُديدة، ص 57.

2 - انظر: إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 188. وعبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 236 - 37. وأيضا: فاروق أباضة: الحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 424.

3 - فؤاد عبد الوهاب الشامي: العلاقات بين الإدارة العثمانية والإمام يحيى 1322-1337هـ/ 1904- 1918م، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2009، ملحق رقم 2، ص 340.

13	علي باشا الحلبي	1286- 1287هـ	1869- 1870م	
14	رديف باشا	1287- 1288هـ	1870- 1871م	

جدول (13) قائمة بالولاة العثمانيين في اليمن (الفترة الثانية بعد دخول صنعاء)[1]

م	اسم الوالي	الفترة التاريخية
1	أحمد مختار باشا	(1289 – 1290هـ /1872 – 1873م)
2	أحمد أيوب باشا	(1290 – 1293هـ/ 1873 – 1876م)
3	المشير[2] مصطفى عاصم باشا	(1293 – 1295هـ/ 1876 – 1878م)
4	إسماعيل حافظ (للمرة الأولى)	(1295 – 1298هـ/ 1878م – 1881م)
5	محمد عزت باشا	(1299 – 1302هـ/ 1881 – 1884م)
6	المشير أحمد فيضي باشا (للمرة الأولى)	(1302– 1304هـ/ 1884 – 1886م)
7	عزيز باشا	(1304هـ/ 1886 – 1887م)
8	عثمان باشا (الأعرج)	(1305 – 1306هـ/ 1887 – 1888م)
9	عثمان نوري باشا (الفقيه)	(1306 – 1307هـ/ 1889 – 1890م)
10	اسماعيل حافظ باشا (للمرة الثانية)	(1307 – 1308هـ/ 1890 – 1891م)
11	حسن أديب باشا	(1308 – 1309هـ/ 1891م)
12	أحمد فيضي باشا (للمرة الثانية)	(1309 – 1315هـ/ 1891 – 1898م)
13	حسين حلمي باشا	(1316 – 1318هـ/ 1898 – 1900م)
14	المشير عبد الله باشا	(1318– 1320هـ/ 1900 – 1902م)
15	توفيق باشا	(1320 – 1322هـ/ 1902 – 1904م)
16	المشير أحمد فيضي باشا (للمرة الثالثة)	(1323 – 1326هـ/ 1905 – 1918م)
17	حسن تحسين باشا	(1326 – 1328هـ/ 1908 – 1910م)
18	كامل بك	(1328هـ/ 1910م)
19	محمد علي باشا	(1328 – 1329هـ/ 1910 – 1911م)
20	أحمد عزت باشا (اللواء)[3]	(1329 – 1331هـ/ 1911 – 1913م)
21	محمود نديم بك (بالنيابة)	(1331– 1336هـ/ 1913 – 1917م)

1 – الجدول عن حسين عبد الله العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ...، ص 202 – 203.

2 – عن هذا اللقب انظر ملحق المصطلحات والألفاظ العثمانية.

3 – نفسه.

جدول (14) يبين تعاقب العهود السياسية في منطقة تهامة خلال فترة الدراسة

إسم الدولة	الفترة التاريخية	
الوجود العثماني الأول	945 - 1046هـ / 1538 - 1636م	
الدولة القاسمية 1046 - 1265هـ 1636 - 1849م	عمال آل القاسم	1046- 1181هـ / 1636 - 1775م
	أمراء آل خيرات	1215- 1265هـ / 1801- 1849م
	تدخل محمد علي باشا	1233- 1255هـ / 1818- 1840م
الوجود العثماني الثاني في تهامة	1265 - 1337هـ / 1849 - 1918م	

الفصل الثالث

مدخل إلى الاستحكامات الحربية اليمنية في العصر الإسلامي

- **أهمية الاستحكامات الحربية خلال فترات حكم الدويلات اليمنية في العصر الإسلامي**

- **الدور الحربي للقلاع والحصون اليمنية**
  خلال الفترة (945 - 1336هـ/ 1538 – 1918م)

أولاً: الحكم العثماني الأول في اليمن

ثانياً: دورآل خيرات ومحمد علي باشا في عمليات إنشاء القلاع والحصون

ثالثاً: الحكم العثماني الثاني في اليمن (1265 – 1337هـ/ 1849 – 1918م)

رابعاً: دور الولاة العثمانيين في عمليات بناء وترميم القلاع والحصون

أهمية الاستحكامات الحربية خلال فترات حكم الدويلات اليمنية في العصر الإسلامي

لعبت الاستحكامات الحربية دوراً كبيراً في تاريخ اليمن السياسي والعسكري خلال فترة العصر الإسلامي؛ لذا فقد كانت بمثابة الدرع الواقي الذي يدافع عن الدويلات التي تعاقبت على حكم اليمن. وبسبب الأوضاع غير المستقرة في كثير من مراحل التاريخ الإسلامي اليمني، تركزت جهود تلك الدويلات وكذلك القبائل في عمليات بناء تشييد الأسوار والقلاع والحصون؛ فالدولة كانت تقوم بذلك من أجل فرض سيطرتها على أراضيها، وتحسباً لأي هجوم أو غزو أجنبي؛ أما القبائل فكان هدفها من ذلك تحصين ديارها وممتلكاتها، والدفاع عنها كلما زادت حدة الخلافات فيما بينها.

وكانت الدويلات الإسلامية في اليمن تقوم بشحن القلاع والحصون بالعدة والعتاد والجنود؛ لتنطلق منها الكتائب العسكرية لإخضاع وتأديب القبائل الخارجة عن النظام، وكانت قواعد لانطلاق الحملات على المناطق التي تقع خارج نطاق حكمها من أجل السيطرة عليها. وكان أول ما يفكر فيه القادة العسكريون أثناء حروبهم وعند تخطيطهم للسيطرة على مدينة ما هو دك الأسوار والاستيلاء على الحصن أو القلعة، لأنها تعتبر مركز القوة ونقطة الضعف أيضاً، وتمثل السيطرة عليها بداية لهزيمة العدو.

ومن الاستحكامات الحربية التي بنيت في اليمن في عهد الدولة الصليحية (439 – 532هـ/ 1047 – 1137م) حصن (مَسار)[1]، الذي بناه علي بن محمد الصليحي وأعلن دعوته منه، وحصن (التَّعكر) المطل على مدينتي إب وجِبلة من جهة الجنوب. وكذلك فعل الأئمة الزَّيديون، فالإمام عبد الله بن حمزة (593 - 614هـ/ 1195 - 1217م) أنشأ حصن (ظفار) في قرية ذي بِين التي تبعد عن مدينة صنعاء بمسافة (94كم)[2]، وحصن (الطويلة)[3] الرابض فوق سفح جبل القَرانع. أما بني حاتم حكام صنعاء (583 – 579هـ/

1 – يطل حصن مَسار على مدينة مَناخة من ناحية الغرب. إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ص 383.

2 – نفسه، ص 169.

3 – يقع حصن الطويلة في الجهة الشمالية الغربية عن مدينة صنعاء بنحو 77 كم، وعن مدينة كوكبان بمسافة 25 كم من جهة الغرب. انظر: إبراهيم المقحفي: نفسه، ص 265.

1138- 1183م) فقد قاموا ببناء عدة حصون، منها حصن (براش) المطل على صنعاء، وحصن (ذِمرمر)[1] وحصن (كَوكبان)[2] المطل على شِبام كَوكبان[3].

وبالنسبة للأسوار الدفاعية يعد سور مدينة زَبيد من أقدم الأسوار التي أنشئت في اليمن في العصر الإسلامي، ويعتبر الرحالة الجغرافي المقدسي (ت: 380هـ) أول من قدم وصفا له، حيث قال: "عليه حصن من الطين بأربعة أبواب: باب غَلافقه، وباب عَدن، وباب هِشام [سِهام]، وباب شَبارق"[4] . كما بني أول سور لمدينة تَعز في عهد ملوك الدولة الأيوبية في اليمن (569 – 626هـ / 1173- 1229م)[5].

وقد انتشرت القلاع والحصون في اليمن بشكل كبير (أنظر: خ 5)، حيث نجد أن معظم المدن أو المواقع الاستراتيجية أو قمم الجبال العالية في ربوع اليمن إما أن تضم سوراً أو قلعة أو حصناً أو برجاً؛ بل إن معظم المنازل اليمنية التي تم إنشاؤها في المناطق الجبلية في العصر الإسلامي ذات أشكال برجية بها فتحات ضيقة؛ ويرجع السبب في ذلك إلى الأوضاع غير المسقرة آنذاك[6].

كانت السيطرة على القلاع والحصون تمثل عاملاً رئيسياً لمد نفوذ الدويلات الإسلامية. ففي عهد الدولة الصليحية اعتمد الملك المكرم على الحصون القريبة من المدن المهمة لتقوية سيطرته ومد نفوذه عليها ومنها: حصن (ذِمرمر)، وحصن (ثُلا) [7] ، وحصن (كَوكبان)، وحصن (التَّعكر)، وحصن

---

1 – حصن ذِمرمر أحد الحصون الشهيرة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة 18 كم، ويعتبر مركزا لوادي السِّر ويرتفع عن سطح البحر بـ 2547م، ويقع هذا الجبل فاصلاً بين الغِراس والسِّر من الغرب ثم بين الغِراس وبين زَجان من الشمال. إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ص 168.

2 – هو حصن مشهور يقع في الغرب الشمالي من مدينة صنعاء على بعد (42كم)، وقد أقيم الحصن على جبل ذخار المطل على مدينة شِبام كَوكبان، ويصل ارتفاع كَوكبان عن سطح البحر بنحو 2605م. محمد العروسي وابراهيم المقحفي: *"كوكبان"*، الموسوعة اليمنية، مج 4، ص 2472.

3– عن جميع هذه الحصون انظر: محمد عبده السروري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (429هـ/ 1037م) إلى (626هـ / 1228م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004، ص 709. وأيضا: إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ص 169.

4 – محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط 2، ليدن 1906، ص 84.

5 – عبد الله عبد السلام الحداد:" *الاستحكامات الحربية الإسلامية في اليمن"*، مجلة المنهل، ع 571، مج 61، 2001، ص 55.

6 – يوسف محمد عبد الله: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره (بحوث ومقالات)، ج 1، دار الفكر المعاصر ببيروت و دار الفكر بدمشق، ط 2، 1990، ص 392.

7 – ثُلا: هي مدينة أثرية تقع على بعد (50 كم) من صنعاء بالشمال الغربي، وفلكيا بين دائرتي عرض 29 15 . 48 15 شمالا، وخطي طول 43 43. 53 43 شرقا. وتعتبر مركزا لمديرية ثُلا التابعة لمحافظة عَمران حسب التقسيم الإداري الجديد، ويطل على مدينة ثُلا من الجهة الغربية

(القاهرة)[1] المطل على مدينة تَعز[2]. وعندما دخل الأيوبيون إلى اليمن (569هـ / 1173م) كانت من أولى مهامهم أن يسيطروا على الحصون المنتشرة في أقاليم اليمن، فاستولوا على حصون بني حاتم، ومنها حصن (الدُّملؤة)[3] بمحافظة تَعز، وغيرها من الحصون في منطقة صنعاء[4].

ومن الأساليب الحربية التي كانت تستخدمها الدويلات المتتالية في اليمن منذ عصر النجاحيين (412 - 554هـ / 1021- 1159م) حتى عصر الأيوبيين (569 - 626هـ / 1173- 1229م) هي عملية شراء الحصون والقلاع وامتلاكها من أصحابها أو المسيطرين عليها، ثم تقوم بترميمها وبناء ما تهدم منها. ومثال على ذلك شراء الداعي محمد بن سبأ الزريعي بعض الحصون من المنصور ابن المفضل سنة (547هـ/ 1152م)، وهي الحصون التي ورث حكمها عن دولة الصليحيين؛ وكذلك شراء سيف الإسلام طغتكين بن أيوب حصن الدملؤة السابق ذكره[5].

ومن الأساليب الحربية أيضاً اتخاذ سياسة هدم الاستحكامات لكي لا يتحصن بها جيش العدو عند اقتحامها، وبذلك يصبح من السهل شن الغارات عليه لأنه صار مكشوفاً. ومثال على ذلك – في فترة حكم دولة بني حاتم – قام علي بن حاتم الهمداني بهدم سور مدينة صنعاء مرتين: الأولى قبل قدوم توران

وجزء من الجهة الشمالية جبل ثُلا الذي يقع في أعلاه حصن ثُلا. للمزيد عن مدينة ثُلا ومآثرها. انظر: عبد الرحمن حسن جار الله: ثلا إحدى حواضر اليمن في العصر الإسلامي (تاريخها وآثارها)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004، ص 10.

1 – قلعة حصينة تشرف على مدينة تَعز، عثر فيها على شواهد أثرية ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام، وفي العصر الاسلامي هناك من يرجع عمرانها إلى القرن الخامس الهجري، يقال أن بانيها الأمير عبد الله بن محمد الصليحي، وقد لعبت دوراً هاما في العهد الصليحي ثم العصر الرسولي، كما شهدت القلعة في العصر العثماني عدة معارك ومواجهات بين العثمانيين والأئمة الزيديين. وتتألف القلعة من عدة منشآت منها: الأسوار التي يتخللها الأبراج، برك الماء، ومخازن الحبوب، وثكنات الجند، وغيرها. انظر: إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 2، ص 1243.

2 – أمة الملك إسماعيل الثور: "*أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني (1873- 1904م)*"، بحث ألقي في مؤتمر عدن الحضارة والتاريخ – جامعة عدن (3– 5 إبريل 2007)، النسخة الالكترونية، ص 3.

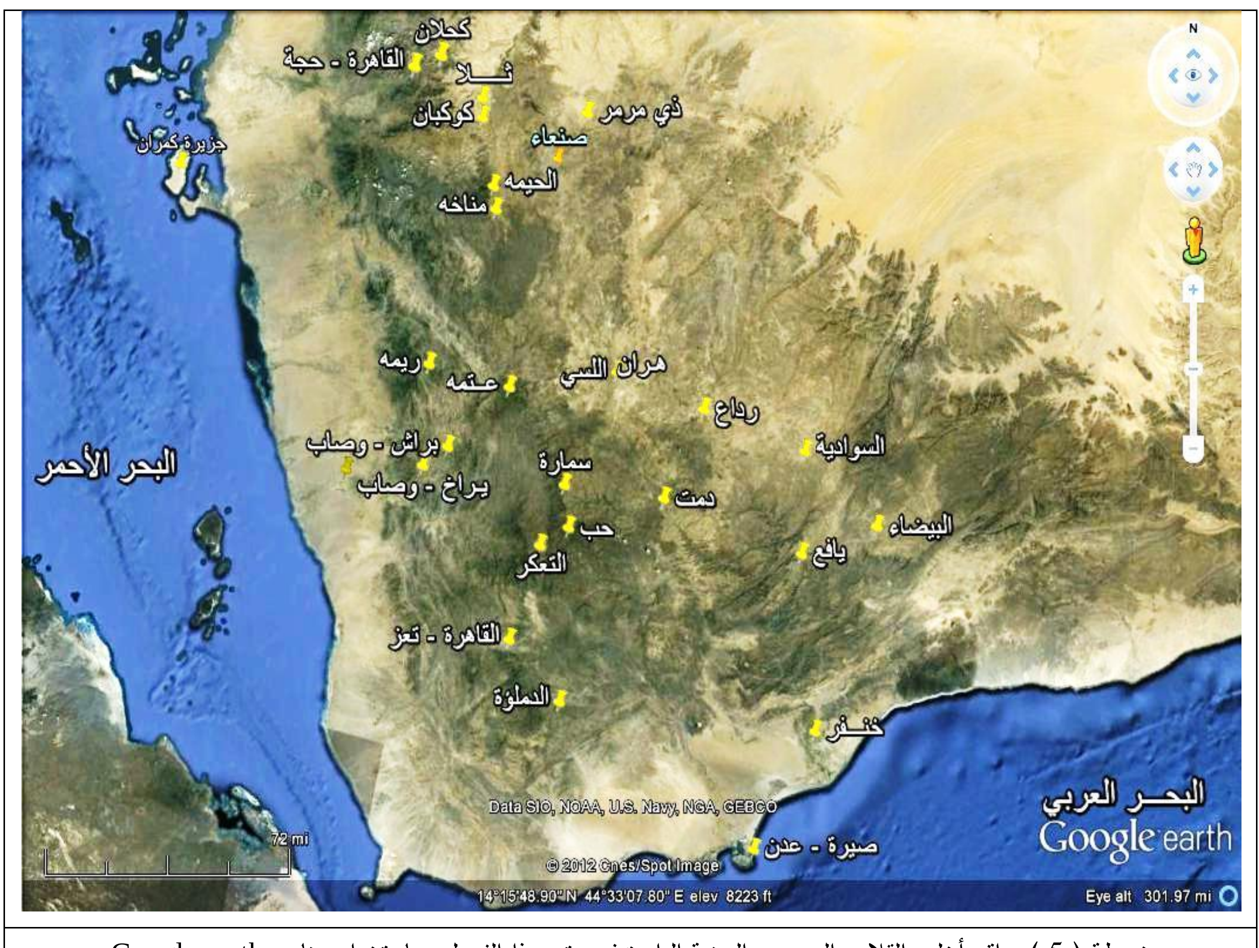
3 – يقع حصن الدملؤة على أعلى مرتفع فوق قرية المنصورة من جبل الصلو على بعد (60كم) جنوب شرق مدينة تعز، ويرتفع عن منسوب سطح البحر بـ 2000 متر. عن هذا الحصن انظر: عبد القادر الشيباني:" *الحصون والقلاع في محافظة تعز من معاقل دفاعية إلى وظائف سياحية*"، مؤتمر تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، تعز، الفترة 25 – 27 يوليو 2007، ص 18.

4 – أمة الملك الثور: *أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن*"، ص 3.

5 – محمد السروري: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن، ص 427.

شاه الأيوبي إلى صنعاء في عام (570هـ/ 1174م)، والثانية: عندما علم بقدوم طغتكين بن أيوب إلى صنعاء عام (583هـ / 1187م)[1].

نستخلص مما سبق أن الاستحكامات الحربية كانت تمثل عاملاً رئيسياً في استقرار الحكم، لذا لجأ الكثير من حكام الدويلات اليمنية في العصر الإسلامي إلى القيام بالعديد من الأمور في سبيل ذلك، ومن أهمها الاستيلاء على الاستحكامات بشتى الوسائل، إما بعقد المصالحة مع أصحابها أو أخذها بالقوة أو شرائها، كما اهتموا بعملية التشييد والترميم والإضافة، وفي بعض الأوقات لجأ بعض الحكام إلى إتباع سياسة الهدم ثم البناء كتكتيك حربي.



خريطة (5) مواقع أغلب القلاع والحصون اليمنية الواردة في متن هذا الفصل- باستخدام برنامج Google earth

---

1 – انظر: محمد بن حاتم بن عمران اليامي: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سمث، جامعة كامبردج، 1973، ص 19 و 27. وأيضا: علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، وزارة الإعلام والثقافة، ط 2، صنعاء، 1980، ص 161.

الدور الحربي للقلاع والحصون اليمنية خلال الفترة (945 - 1336هـ / 1538 – 1918م)

أولاً: الحكم العثمـاني الأول في اليمن

عندما وطأت القوات العثمانية أرض اليمن بقيادة سليمان باشا في الثالث من أغسطس عام (944هـ/ 1538م)، أحضرت معها الأسلحة النارية ومعدات الحرب الفتاكة التي أحدثت الذعر والخوف في قلوب السكان العزَّل الذين كانوا لا يعرفون غير السلاح الأبيض[1]. ونتيجة لإتقان العثمانيين استخدام تلك الأسلحة استطاعوا مد نفوذهم على الأراضي اليمنية وخاصة الساحلية منها، التي اتخذوها قاعدة لهم[2]. وبرغم توغلهم في المناطق الداخلية من اليمن، إلا أن نفوذهم كان لا يقتصر إلا على المدن الهامة أو القلاع والحصون المنتشرة في البلاد، ويرجع السبب في ذلك إلى الصدام الدائم الذي كانوا يلاقونه من قبل القبائل الثائرة والأئمة الزَّيديين، الذين تمكنوا من الحصول على كثير من الأسلحة العثمانية أثناء الحروب التي دارت بين الطرفين[3].

وخلال تلك الصراعات لعبت القلاع والحصون دوراً بارزاً في تثبيت أقدام العثمانيين في اليمن؛ ولذا اهتم الكثير من ولاتهم بعمليات إنشائها أو ترميم القائم منها، وشحنها بالسلاح والعتاد أيضا، وكان قادة الحاميات العسكرية المرابطة فيها هم حكام المدن أو الأقاليم. أما عن مصدر تمويل تلك المشاريع فكان يتم الإنفاق عليها من المبالغ التي تصرف بعد جباية الخراج السنوي من ولاية اليمن[4]. وقد ذكرت المصادر والمراجع التاريخية العديد من القلاع والحصون التي تم بناؤها في فترة الوجود العثماني الأول، ومنها قيام الوالي محمد باشا عام (1026هـ/ 1616م) بإنشاء حصن (الكِبريت)[5] في ذَمار، وكذلك عمارة ما

---

1 – شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص 260.

2 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 185.

3 – نفسه – ص 470 و494.

4 – نفسه – ص 456 و459 و481.

5 – يقع هذا الحصن أعلى جبل اللِّسِي، وهو جبل بركاني مشهور في الشرق من مدينة ذمار التي تبعد عن مدينة صنعاء بحوالي (100كم)، وعرف جبل اللسي قديماً باسم (الأسي) وفيه العديد من المعادن كالفحم والكبريت والمغنسيوم، وغير ذلك. وتقع في سفحه الشرقي بلدة (اللِّسِي) التابعة في أعمالها في الوقت الحالي لمديرية ميفعة عنس من محافظة ذمار. انظر: إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 2، ص 1373.

اختل وخُرِّب من القلاع في محافظة حَجة[1]؛ كما قام الوالي أزدمر باشا ببناء قلعة عظيمة في (خَنفر)[2]، وترك بها حامية عسكرية وشحنها بالآلات والذخائر[3]. أما الوالي حسن باشا فقد أنشأ في عام (998هـ/ 1589م) عدة مبان في قلعة (الطَّلَّقة) بيافع[4] وزودها بالسلاح والغذاء، وترك بها حامية عسكرية، وأمر في العام نفسه ببناء قلعة (يَراخ) في مديرية وصاب السافل[5].

وعندما كان الولاة العثمانيون يدركون بأن ليس لهم مصلحة من بقاء قلعة ما كانوا يقومون بهدمها، كقلعة (يَراخ) السالفة الذكر، التي أمر الوالي سنان باشا بهدمها[6]، وكذلك فعل الوالي بهرام باشا في شهر أبريل من العام (980هـ /1572م) عندما أمر بهدم العديد من قلاع منطقة رَيمة[7].

وقد اهتم الولاة العثمانيون، أيضا، ببعض الأعمال الإنشائية والعمرانية الأخرى، منها: إقامة المساجد والمدارس الدينية، وتمهيد طرق الجبال الوعرة، وعمل الجسور على الطرق التي تمر منها المياه[8]، المياه[8]، ومثال ذلك قيام الوالي بهرام باشا ببناء جسر عُتمة[9]، إلا أن تلك الأعمال كانت تخفي وراءها أعمالاً عسكرية؛ فبناء الجسور وتمهيد الطرق يهدفان، في الأساس، إلى تسهيل انتقال الجيوش والمعدات الحربية العثمانية بين ربوع اليمن، وبناء المساجد والمدارس كان الغرض منه جذب الأهالي إلى الولاة؛ من أجل توطيد حكمهم[10].

1 – أحمد راشد: تاريخ اليمن وصنعاء، ج 2، ص 209.

2 – خنفر: مدينة خاربة كانت قائمة في سفح جبل خنفر الواقع وسط سهل أبين بين واديي بنا وحسَّان. للمزيد انظر: أبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 1، ص 583.

3 – عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، ص 32.

4 – يافع بلد متسع يقع في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة سبع مراحل، وتتصل ببلاد يافع من شماليها ببلاد رداع ومن غربيها بوادي بنا النافذ إلى أبين. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج 2، ص 773.

5 – عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، ص 68.

6 – نفسه، ص 98.

7 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 311.

8 – نفسه، ص 476.

9 – أحمد المصري: موقف المؤرخين اليمنيين من الحكم العثماني الأول، ص 284.

10 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 474 و477.

وعند الحديث عن الدور الدفاعي الذي لعبته القلاع والحصون اليمنية – في المناطق الجبلية خلال فترة الوجود العثماني الأول– لابد من ذكر بعض الحصون مثل: ثُلا، وكَوكبان، وحَب[1]، حيث لم تتمكن القوات العثمانية من اقتحامها بالقوة العسكرية برغم هجماتها المتكررة، فحصن ثُلا رابط فيه الإمام المطهر بن شرف الدين، وحصن كَوكبان كان مسيطراً علية محمد بن شمس الدين بن شرف الدين، أما حصن حَب فقد تحصن به علي بن شرف الدين[2]. وعندما لم تتمكن القوات العثمانية من السيطرة على الحصون المذكورة لجأ الوزير العثماني حسن باشا عام (977هـ /1570م) إلى عقد صلح مع محمد بن شمس الدين، ودخل حصن كوكبان، ثم عقد صلحاً آخر مع الإمام المطهر؛ بينما قام الوالي العثماني بهرام باشا عام (977هـ / 1570م) باغتيال علي بن شرف الدين بواسطة السم، فسلمت الحامية العسكرية حصن حَب[3].

كانت تلك أبرز الوقائع التي حدثت في المناطق الجبلية، أما بالنسبة للسهل الساحلي الغربي (تهامة) فقد تعرضت المواقع العسكرية العثمانية لمواجهات عدة مع القبائل الثائرة، وبالرغم من ذلك ظل العثمانيون مسيطرين عليها، متخذين من مدينة زَبيد وقلعتها قاعدة لهم ومركزاً لحشد جنودهم[4].

ثانياً: دور آل خيرات ومحمد علي باشا في عمليات إنشاء القلاع والحصون

بعد الخروج الأول للعثمانيين من اليمن علي أيدي المقاومة اليمنية بقيادة آل القاسم (الزَّيديين) برز دور آل خيرات في شمال تهامة فأسند إليهم حكمها، ويعد الشريف حمود بن محمد آل خيرات – الذي توسع في منطقة تهامة خلال الفترة التاريخية (1216 – 1232هـ/ 1801- 1817م) – من أبرز الشخصيات التي كان لها دور فاعل في عمليات إنشاء وتعمير الكثير من الاستحكامات الحربية، خاصة

---

1 – حصن شهير في جبل بَعدان، ويعتبر من أمنع الحصون اليمنية وهو مناوح لجبل التَّعكر من الشرق، وكان الملك المظفر الرسولي قد انطلق منه في القرن السابع الهجري للسيطرة على المناطق الجبلية بعد مقتل والده السلطان داود. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 1 – ص 400.

2 – سيد سالم: الفتح العثماني الأول، ص 274 و286.

3 – قطب الدين النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص 344 و430 و441.

4 – فاروق أباظة: الحكم العثماني في اليمن، ص 84.

إنشاء القلاع والحصون الحربية، ومنها: قلعة (القَناوص)، وقلعة (مُور) في عام (1221هـ/ 1806م)، وحصن (الجَامعي) في عام (1225هـ / 1810م)، وقلعة (مُختارة) في عام (1227هـ / 1812م)[1].

وفي الفترة الأخيرة من حكم آل خيرات لتهامة ضعفت سلطتهم عليها بسبب المواجهات المستمرة مع الأئمة الزيديين، فقام محمد علي باشا بإرسال الحملات الحربية لأجل إعادة نفوذه في اليمن فتم له ذلك؛ ولكن الأوضاع السياسية في اليمن ظلت غير مستقرة خلال فترة تبعيتها له (1333 – 1356هـ/ 1818-1841م)، لذا كانت عملية إصلاح القلاع والحصون وتعميرها من بين أوجه الصرف التي كلفت الحكومة المصرية في اليمن مبالغ كبيرة. وكانت هذه العمليات مستمرة ودائمة نظراً لأهمية القلاع والحصون في الدفاع ضد القبائل المتمردة، وخاصة قبائل (ذو محمد) التي كان لها نفوذ واسع في منطقة تَعز. وقد كانت القبائل المذكورة تمارس التعسف والإرهاب ضد أهالي اليمن الأسفل، وكثيراً ما كانت تغير على القوات العثمانية (المصرية) المرابطة في هذه المناطق من حين إلى آخر ثم تحتمي بتلك القلاع والحصون[2]. وعندما سيطرت القوات المصرية على محافظة تَعز سلبتهم هذه السلطة، واضطر إبراهيم باشا أن يصدر أوامره إلى مصطفى بك والي مدينة تَعز باقتحام هذه القلاع وهدمها؛ لكي لا تحتمي القبائل بها مرة أخرى[3].

ثالثاً: الحكم العثماني الثاني في اليمن (1265 – 1337هـ / 1849 – 1918م)

كان جل اهتمام الطرفين العثماني والمقاومة اليمنية خلال فترة الحكم العثماني الثاني لليمن إحكام السيطرة على القلاع المنتشرة في كل الميادين التي جرت فيها المعارك العسكرية بينهما؛ وعندما كان العثمانيون يغيرون على القبائل الموالية للإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين في المناطق الجبلية، سارعت القبائل بالتحصن في القلعة أو الحصن الموجود في المنطقة نفسها[4]، وكانت القبائل أيضا في

1 – انظر فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 231 و268 و324 و334. وأيضا إسماعيل البشري: الديباج الخسرواني، ص 68 و107 و183.

2 – انظر: جميلة هادي الرجوي: محمد علي واليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط 1، صنعاء 2006، ص 202 و250.

3 – نفسه، ص 250.

4 – أمة الملك الثور: *"أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني"*، ص 3.

بعض المرات ترفض تسليم الحصون الموجودة في مناطقهم لأي طرف من الأطراف المتحاربة: العثمانيين أو أصحاب الإمام المذكور أو القبائل الموالية له، حفاظاً على سلامة مناطقهم وقراهم من عواقب تلك الحرب، وحتى لا تتعرض حصونهم للتهديم[1].

وفي المنطقة الساحلية (تهامة) كان سنجاق[2] الحُديدة مركزاً مهما للقوات العثمانية باعتبارها المنطقة المتوسطة والقريبة إلى مناطق الاضطرابات في كل من سنجاقي صنعاء وعَسير[3]. وكانت مدينة الحُديدة نفسها تأتي في المركز العسكري الثاني لولاية اليمن بعد صنعاء، وهي أيضاً مركز لقيادة القوات البحرية في البحر الأحمر[4]، فمنها كان يرسل الجنود للمحافظة على مدينة اللُحية، وعلى الخط الرابط بين مدينتي اللُحية والزُهرة[5].

وبسبب الأطماع الأوربية وجدت الدولة العثمانية نفسها مضطرة إلى وضع خطة لحماية الشواطئ اليمنية، لذا قسمت المنطقة الساحلية إلى عدة أقسام، على أن يتم إنشاء تحصينات ومواقع مراقبة في الموانئ والجزر الكبيرة، بحيث تتضمن فنارات وخط تلغراف يربط هذه المواقع بعضها ببعض، وأن يكون في كل منطقة إسناد: مدافع بحرية، ومخازن للأسلحة، ومعدات احتياطية، وقوة من الجنود العثمانيين واليمنيين[6].

رابعاً: دور الولاة العثمانيين في عمليات بناء وترميم القلاع والحصون

كان للولاة العثمانيين المتواجدين في اليمن دور كبير في عمليات بناء وترميم القلاع والحصون، وذلك لأنها ساعدتهم على حماية أنفسهم وتوطيد حكمهم فيها، ويعد أحمد فيضي باشا من أبرز الولاة

---

1 – أمة الملك الثور: *"أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني"*، ص 4.

2 – المقصود به قسم إداري من أقسام الدولة. للمزيد انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

3 – فاروق أباظة: الحكم العثماني في اليمن، ص 65.

4 – فؤاد عبد الوهاب الشامي: *" التشكيلات العسكرية في ولاية اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني (1848– 1918م)"*، مجلة الإكليل، وزارة الثقافة، ع (35– 36) يناير– يونيو، صنعاء 2010، ص 167.

5 – سلطان عبده ناجي: التاريخ العسكري لليمن (1839– 1967م)، دائرة التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة اليمنية، ط 3، صنعاء 2004، ص 56.

6 – عبد الكريم العزيز: التشكيلات المركزية العثمانية والإدارة المحلية في اليمن (1850– 1818م)، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط 1، صنعاء 2003، ص 280 و286.

الذين اهتموا بعمليات البناء والتشييد؛ فحين قدم إلى اليمن في المرة الأخيرة (1322 – 1325هـ/ 1905 – 1908م) أحكم السيطرة على الجبال وعلى بعض القلاع المحيطة بمدينة صنعاء، ومنها: (قلعة المهدي) و(قلعة العَجْز) و(قلعة مَفْحق)، كما أنه وضع فرقاً عسكرية ترابط فيها كونها مراكز دفاعية مهمة[1]. وعند دخوله مدينة صنعاء اهتم أيضا ببناء استحكامات عسكرية خارج المدينة، حيث عمَّر ثلاث دور عسكرية في جبل نُقُمْ المشرف على مدينة صنعاء من الجهة الشرقية، وخمساً أخرى على جبل عُصر في الجهة الغربية من مدينة صنعاء. كما عَمَّر باب شُعوب وباب اليمن بناءً جديداً رصيناً مُحكماً، وحرص أحمد فيضي باشا على إعادة بناء قلعة صنعاء، التي سميت لاحقاً بقصر السلاح، وعلى إعادة إعمار سور صنعاء المتصل بسور القلعة[2].

وقد انصب اهتمام العثمانيين منذ سنة (1299هـ / 1881م) حتى نهاية حكمهم في اليمن عام (1337هـ / 1918م) على بناء القَشلات[3] (الثكنات) العسكرية خارج المدن، وكان العُرضي[4] الذي يعد المركز المركز الرئيسي لقيادة الجيش السابع بمدينة صنعاء أهم منشأة عسكرية بناها العثمانيون في اليمن، وقد تم بناؤه على مراحل (ل: 1 – 2)، وكان أكثر الولاة اهتماماً باستكمال مبانيه وملحقاته هو الوالي أحمد فيضي باشا الذي أمر، أيضا، ببناء ثكنات عسكرية متفرقة في المراكز والمدن المختلفة: كمدينتي عَمران وذَمار، وناحية حُفَاشْ[5].

أظهرت الوثائق العثمانية مدى حرص الولاة العثمانيين على عمليات بناء الحصون والقلاع الحربية المنتشرة في سواحل اليمن أو الموجودة في الجبال، إضافة إلى ترميم ما تهدم منها. وقد كانت

---

1 – أمة الملك الثور: *"أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني"*، ص 6.

2 – محمد بن عبد الله الإرياني: سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين، المسماة (الدُّر المنثور في سيرة الإمام المنصور)، ج 1، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحيه، دار البشير، ط 1، عمان، 1996، ص 440. وأيضا عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم ...، ص 155.

3 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

4 – العُرضي لفظ محرف عن الكلمة التركية (أوردو)، وللمزيد عن هذا المصطلح، انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية الواردة في هذه الدراسة.

5 – للمزيد انظر: أمة الملك الثور: *"أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن ..."*، ص 6. وأيضا: فؤاد الشامي: *"التشكيلات العسكرية في ولاية اليمن"*، ص 168.

مسألة مهمة بالنسبة لهم؛ لأنها تؤمن حماية الولاية من أي هجوم محتمل. كما استمر الولاة العثمانيون في اليمن في مراسلة الحكومة العثمانية من أجل الاستئذان في تمويل تلك الأعمال. حيث تشير إحدى الوثائق، العثمانية، أن الحكومة العثمانية أرسلت في الأول من يونيو عام (973هـ/ 1566م) حُكماً بالموافقة على الطلب الذي تقدم به الوالي العثماني في ولاية اليمن. والذي يتضمن إضافة مبلغ مالي لترميم وبناء القلاع العسكرية المنتشرة في سواحل اليمن وكذلك الموجودة في الجبال. وذلك بغرض حماية وتأمين الولاية من المقاومة اليمنية في الداخل، والأعداء من الخارج، خاصة وأن بعض القلاع أصبحت متهدمة تماماً وتحتاج إلى جهود وأموال، وكان الوالي العثماني السابق قد بدأ بعملية الترميم، إلا أنها تهدمت بسبب الأمطار الغزيرة، ونظراً لصرف جزء من المبلغ المخصص لهذه العملية، فقد تعذر إنجاز المشروع[1] (الوثيقة:1).

وفي وثيقة أخرى تعود إلى المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني الثاني في اليمن، أرسل الوالي محمود نديم (1911- 1918م) إلى الحكومة العثمانية بطلب يتضمن إرسال الأموال إليه، لكي يتمكن من إعادة بناء وترميم بعض القلاع والحصون والأبراج والمباني القديمة في ولاية اليمن، إذ رأى أن حاجة الجيش العثماني لها مُلحَّة لتكون ثكنات عسكرية، ونقاط ارتكاز قوية في المدن والقرى، فوافق السلطان العثماني آنذاك، وأرسلت حكومته خمسة وعشرين ألف قرشاً للصرف على هذا العمل[2].

وفي وثيقة جديدة رفع متصرف أيالة[3] (ولاية) اليمن في العشرين من يناير عام (1286هـ / 1869م) بشأن منطقه اللُحية التي تحتاج إلى حماية منابع المياه الصالحة للشرب، ويطلب فيها بناء قلعة عسكرية لصد هجمات القبائل المجاورة، والتي تقوم بسرقة الأهالي أثناء ذهابهم إلى أماكن تواجد المياه ورجوعهم منها(وثيقة: 2)[4].

---

1 – الارشيف العثماني بتركيا والمركز الوطني للوثائق باليمن: اليمن في العهد العثماني، إستنبول، 2008، ص 85.

2 – أمة الملك الثور: *"أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن"*، ص 6.

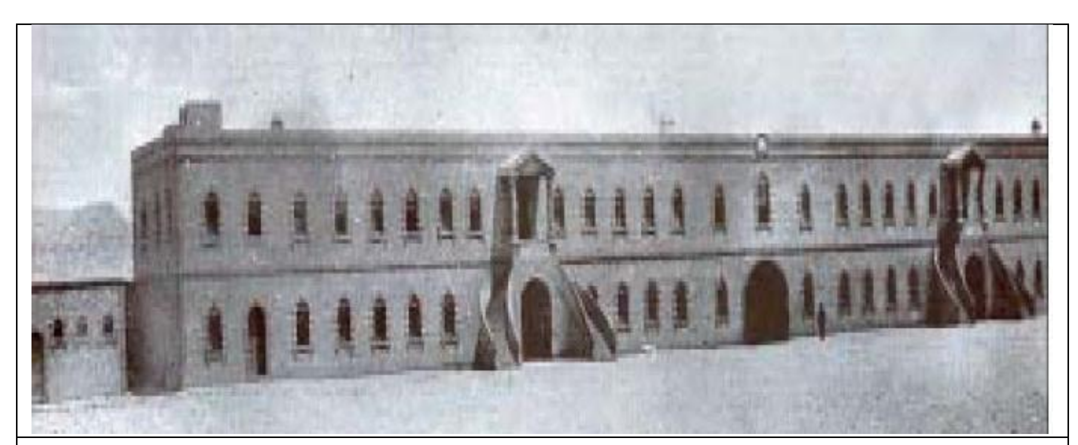
3 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية الواردة في هذه الدراسة.

4 – الارشيف العثماني والمركز اليمني للوثائق: اليمن في العهد العثماني، ص 317.

كما أوضحت لنا بعض التصاوير المرسومة في المخطوطات العثمانية المعارك الحربية التي كان يخوضها الجيش العثماني مع القبائل اليمنية، والتي كانت تدور رحاها غالباً في مواقع القلاع والحصون، ويعبر ذلك عن مدى أهمية السيطرة على تلك المنشآت لدى الطرفين. (ل: 3)

ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام (1914م/ 1332هـ) تعرضت الاستحكامات العسكرية العثمانية التي تطل على الساحل اليمني الغربي (تهامة)، للقصف المدفعي البريطاني، لكن الأتراك ظلوا مرابطين في مواقعهم. وكان هجوم جيش الإدريسي المتكرر والحصار البحري البريطاني له الأثر البالغ في تخليهم عن الكثير من المدن الساحلية تمهيداً لانسحابهم من الأراضي اليمنية في نهاية الحرب العالمية الأولى عام (1918م / 1336هـ)[1].

1 – جون بولدري: أهم الأحداث في تاريخ الحديدة، ص 54 – 57. وأيضا: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (1914-1919م)، ص 51.



لوحة (1) مجمع الدفاع (العرضي بصنعاء)

القَشلة الأولى الغربية بعد الإنشاء عام (1312هـ/ 1894م) عن المُرشد التاريخي للعُرضي[1]



لوحة (2) مجمع الدفاع (العرضي بصنعاء)

القَشلة الرابعة أثناء الافتتاح عام (1318هـ/ 1900م) عن المُرشد التاريخي للعُرضي[2]

1 – دائرة التوجيه المعنوي والمركز العسكري للوثائق: المرشد التاريخي للعرضي (مجمع الدفاع)، دائرة التوجيه المعنوي بوزارة الدفاع اليمنية، صنعاء، ط 1، 2006، ص 18.

2 – نفسه، ص 34.

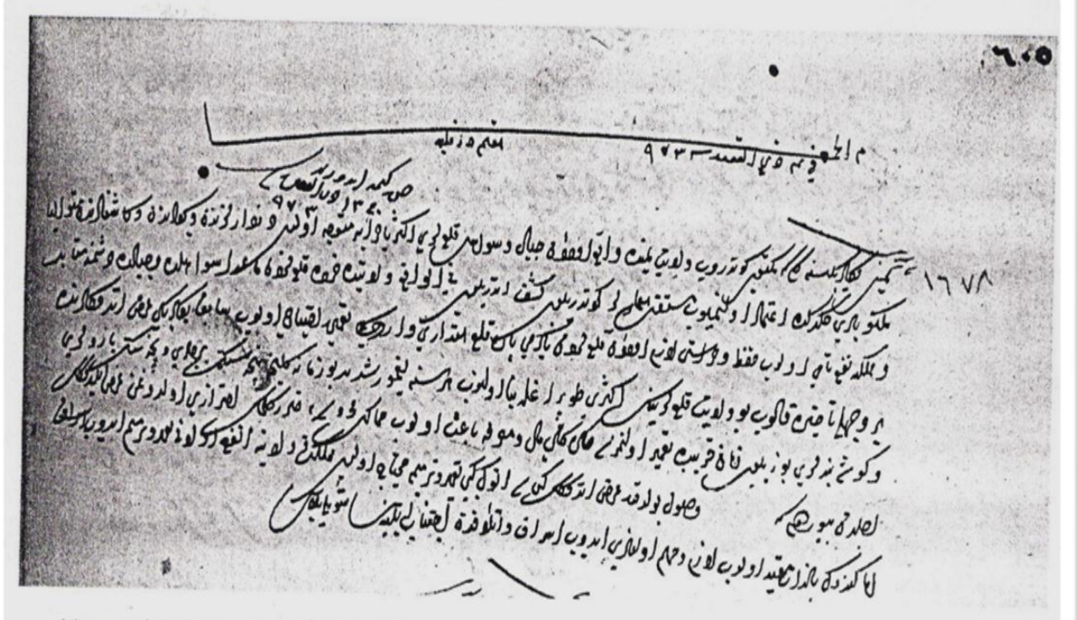
YEMEN'DEKI KALELERİN TAMİRİ

Çoğu harap durumda bulunan Yemen'in sahil ve dağlık kesimlerindeki kalelerin bakım ve onarımlarının yapılması

ترميم قلاع اليمن

حكم مرسل إلى أمير أمراء اليمن بشأن الطلب الذي قدمه لترميم وبناء القلاع العسكرية المنتشرة في سواحل اليمن وكذلك القلاع الموجودة في الجبال المقابلة للأعداء وذلك بغرض حماية وتأمين الولاية من الأعداء في الداخل والخارج خاصة وان بعض هذه القلاع أصبحت مهدمة تماما وتحتاج إلى جهود وأموال، وكان قد بدأ أمير الأمراء السابق بعملية الترميم ولكن نظراً لصرف جزء من المبلغ فقد تسبب في عدم إنجاز المشروع وفي موسم الأمطار الغزيرة تهدم ما تم ترميمه.

التاريخ : 1 يونيو 1566م



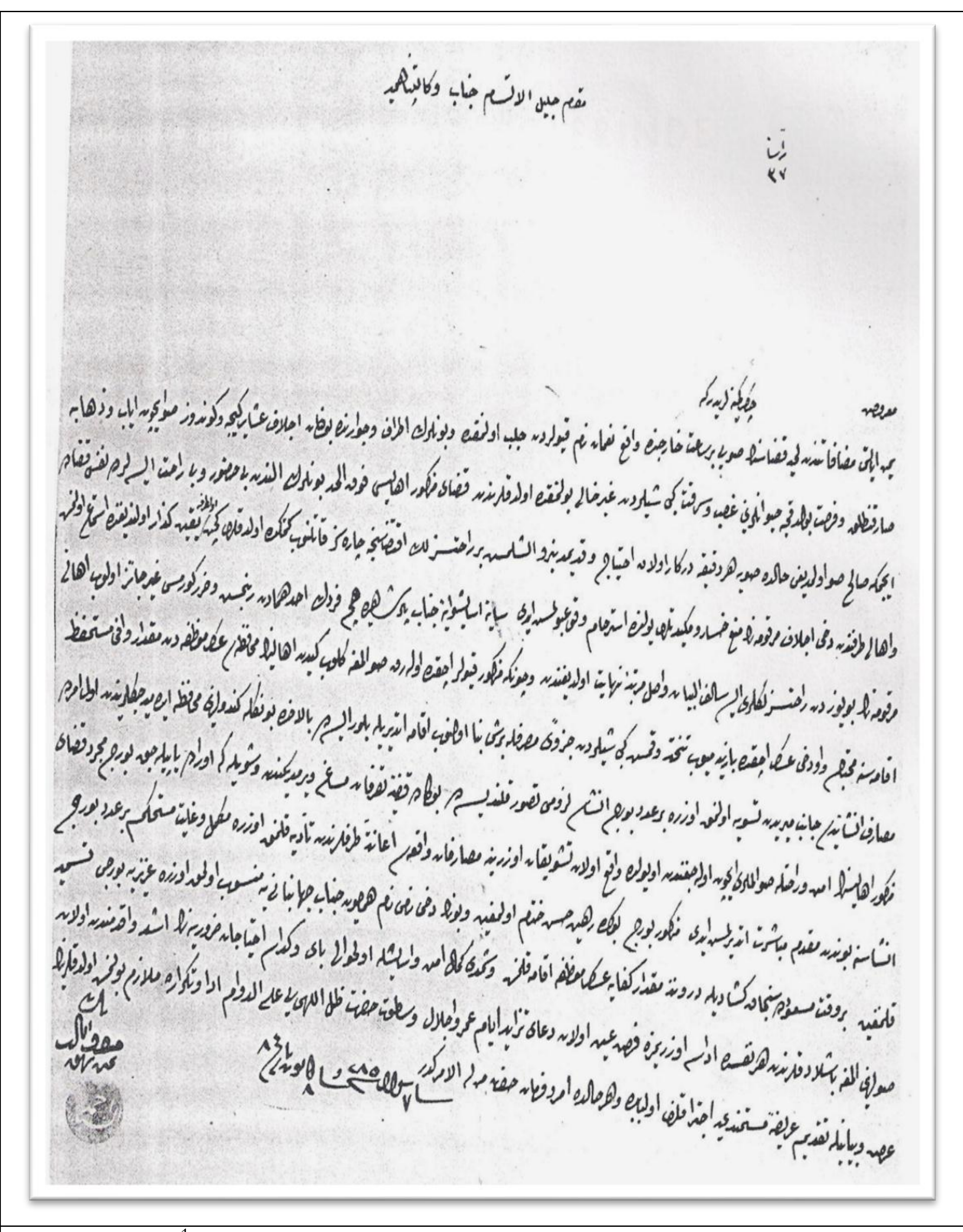
Yemen beylerbeyisine hüküm ki

Mektub gönderip Vilâyet-i Yemen'de vâki olan cibâl ve sevâhil kaleleri ekseriyâ haraba müteveccih olup dizdârlarından ve beylerinden ve kâşiflerinden mütevâliyen mektubları geldikde itimad olunmayıp müstakil mimarlar gönderilip keşfetdirilip fi'l-vâki vilâyetde hurde kalelerden mâadâ sevâhilde ve cibâlde düşmana mukabil ve memlekete nef'-i tâmmı olup hıfz u hirâseti lâzım olan kalelerden yirmi pâre kale mikdarı vardır ki tamire ihtiyac olup sâbıkâ beylerbeyi arz etdiklerinde bir vechile te'hire kalıp bu vilâyet kalelerinin ekseri toprağla bina olunup her sene yağmur-ı şedîd bu zamana gelince nicesinin burcları ve nicesinin bârûları ve köşebendleri bozulup zaman-ı karîbde tamir olunmazsa sonra küllî mâl ve masrafa bâ'is olup Memâlik-i Mahrûse'ye zarar gelmek ihtirâzı olduğun arz eylediğin ecilden buyurdum ki vusûl buldukda arz etdiğin gibiyse onun gibi tamir ve termîme muhtac olup memleket ve vilâyete enfa' olanı tamir ve termîm edip amma kendin bizzat mukayyed olup lâzım ve mühim olanları edip israf ve itlâfdan ictinâb eyleyesin, şöyle bilesin.

Fî 13 Zilkade 973 / [1 Haziran 1566]

وثيقة رقم (1)، الموضوع: ترميم قلاع اليمن عام (1566م) [1]

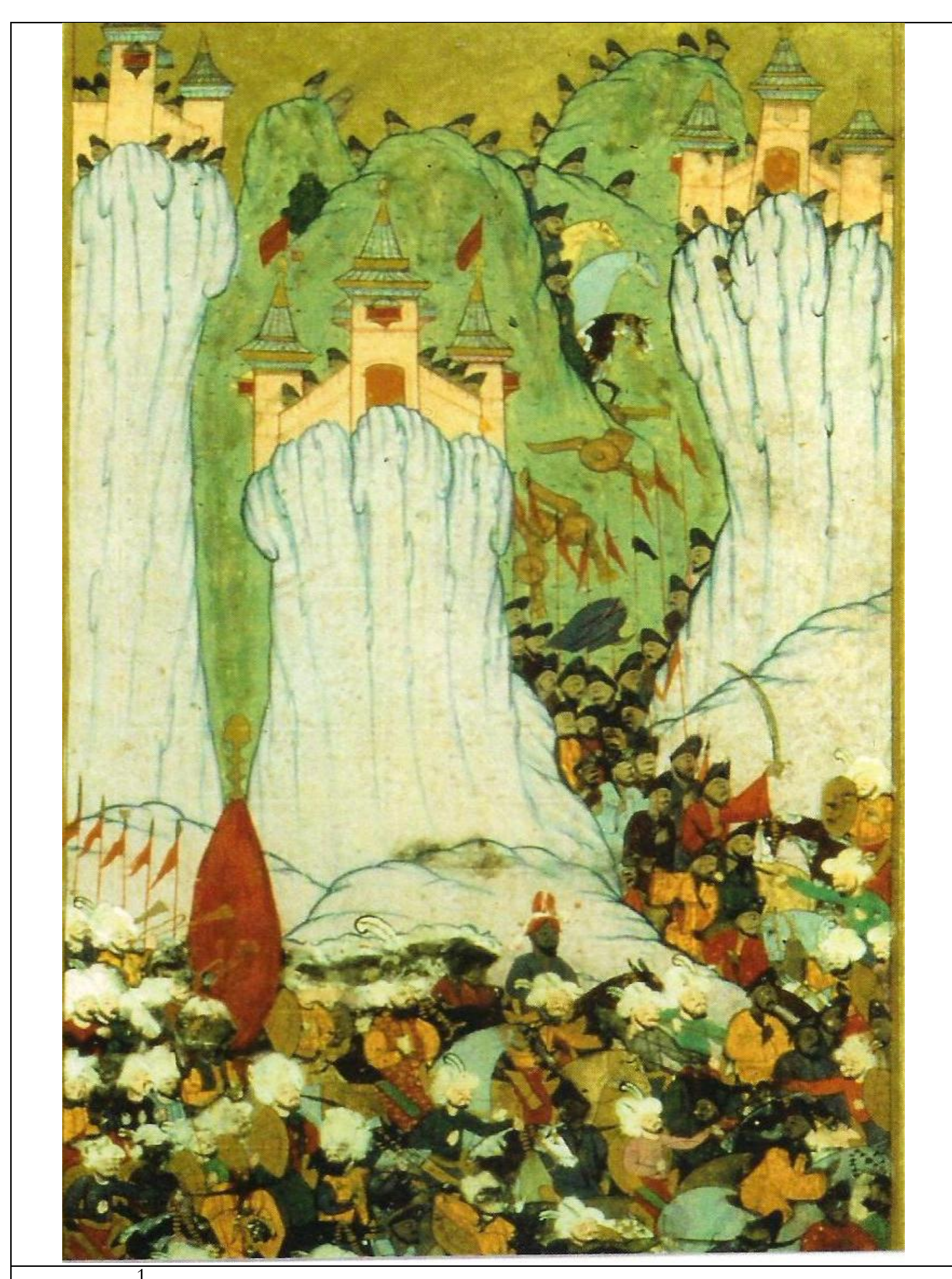
1 – الارشيف العثماني بتركيا والمركز الوطني للوثائق باليمن: اليمن في العهد العثماني، ص 85.



مقام جليل الاقسام جناب وكالتپناهی

وثيقة رقم (2) الموضوع: بناء قلعة في منطقة اللُحية عام (1869م) [1]

1 – الارشيف العثماني بتركيا والمركز الوطني للوثائق باليمن: اليمن في العهد العثماني، ص 317.



لوحة (3) معركة حربية في حصن كَوكبان – عن (Caesar E. Farah)[1]

نقلاً عن مجموعة (Rumuzi) تصاوير عن حصون اليمن في القرن السابع عشر

1 - Caesar E. Farah: The Ottoman Forts and Castles of Yemen – a photographic and architectural analysis, Edwin Mellen press, United Kingdom, 2010 , plate 6.

الفصل الرابع

القلاع المُندرسة في سهل تهامة اليمن

خلال الفترة (945- 1336هـ/ 1538- 1918م)

يقصد بالقلاع المُندرسة تلك التي تلاشى رسمها ولم يتبق إلا اسمها الذي حفظته لنا المصادر والمراجع التاريخية، والعديد من هذه القلاع في منطقة سهل تهامة اليمن تم التأكد من وجودها من عدمه أثناء الدراسة الميدانية.

لم نتمكن من معرفة الأشكال البنائية لتلك القلاع، وكذا عناصرها المعمارية والدفاعية، عدا قلعتي الحالي والمنظر اللتين كانتا تقعان خارج مدينة الحُديدة؛ حيث اشتملت الأولى على فناء مكشوف وبرجين دفاعيين ومبنى مكون من طابقين، والثانية من مبنى يضم سوراً وأبراجاً دفاعية. وقد لوحظ أن هناك قلة في المعلومات التاريخية التي تحدثت عن هذه القلاع، وإن وجدت فأغلبها مقتضبة جداً، ذُكرت في ثنايا المصادر والمراجع التاريخية ضمن سياق أحداث حربية شهدتها المنطقة نفسها خلال الفترة التاريخية (945 - 1336هـ/ 1538- 1918م). كما إن الكثير من المدن والقرى التي كانت تضم قلعة أو أكثر في هذه المنطقة لم يعد لها وجود في الوقت الراهن.

ونتيجة لما سبق ذكره رأينا أن ننظم القلاع المُندرسة في جداول تتضمن المعلومات الرئيسية التي وردت عنها وفق ترتيبها الكرنولوجي.

جدول (15) القلاع المُندرسة في سهل تهامة اليمن خلال فترة الدراسة

إسم القلعة	الموقع	المنشئ وسبب التسمية	تاريخ الانشاء أو أقدم ذكر تاريخي	المكونات المعمارية العامة	تاريخ الاندثار وسببه
فَضلي	خارج سور مدينة المخا القديمة	ربما نسبة إلى الباشا أحمد فضلي[1]	عام (1081هـ/ 1670م)[2]	غير معروفة	غير معروف
القلعة الشمالية (الطَّيار) والقلعة الجنوبية (عبد الرؤوف)	اللسان البحري الشمالي والجنوبي من ساحل مدينة المخا	غير معروف	عام (1121هـ /1709م)[3]	تمت معاينة موقع القلعتين ميدانياً، ولم يتبق منهما أي شيء يذكر (خ :6-7، ل:4)	قامت بتدميرها قذائف السفن الحربية الإنجليزية عام (1329هـ/ 1911م)[4]
حَرض	مدينة حَرض	غير معروف	عام (1158هـ/ 1745م)[5]	غير معروفة	غير معروف
اليَمانية (الكُورنيش)	جنوب الميناء القديم في مدينة الحُديدة	غير معروف	عام (1167هـ/ 1763م)[6]	سور دفاعي وأربعة أبراج ركنية	حالياً بناء حديث (ل:5)
البَدوي	قرية البَدوي	غير معروف	عام (1183هـ/ 1768م)[7]	غير معروفة	غير معروف
مُــور	قرية مُور	غير معروف	عام (1216هـ/ 1802م)[8]	غير معروفة	غير معروف
الصِّديقية	ربما كانت تقع في حي الصِّديقية بمدينة الحُديدة (ل:6)	نسبة إلى الشيخ الصديق الشاذلي[9]	عام (1218هـ/ 1803م)[10]	أبراج دفاعية	غير معروف
الدولة	مدينة الحُديدة	غير معروف	عام (1218هـ/ 1803م)[11]	غير معروفة	غير معروف
مَوزع	مدينة مَوزع	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1221هـ/ 1806م)[12]	غير معروفة	غير معروف

1 – هو أحد الولاة العثمانيون الذين تولوا اليمن لمدة أربع سنوات (1620 – 1624م) في الفترة الأخيرة من حكمهم الأول انظر: إسماعيل الكبسي اللطائف السنية، ص 298.

2 – انظر: عبد الإله بن علي الوزير: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي (1045 – 1090هـ/ 1635 – 1680م) المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد جازم، دار المسيرة، ط 1، بيروت، 1985، ص 268.

3 – أحمد الصايدي: اليمن في عيون الرحالة الأجانب، ص 71.

4 – أميرة علي المداح: المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، رسالة دكتوراه، (غير منورة)، قسم التاريخ الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، 1985، ص 232.

5 – عبد الرحمن البهكلي: خلاصة العسجد، ص 152 – 153.

6 – أحمد الصايدي: *"المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن"*، ص 222.

7 – نفسه – ص 364– 365.

8 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 205.

9 – أحمد مطير: الدرة الفريدة في تاريخ الحديدة، ص 63.

10 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 220 – 221.

11 – لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين، ص 1016.

12 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 288.

خارطة (6) مدينة المخا موضح بها القلعتان الشمالية والجنوبية، نشرت عام (1764م)[1] قبل نشر نيبور لرسمه.	خارطة (7) مدينة المخا عام (1763م) موضح بها القلعتان الشمالية والجنوبية، رسم نيبور[2].



لوحة (4) موقع قلعة الطَّيار (القلعة الشمالية) في ساحل مدينة المخا

1 - J. N. Bellin: ''Le petit atlas maritime'' Paris, 1764, v. III, pl. 20.

2- توركيل هانس: من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص 336.



لوحة (5) المبنى الحديث لقلعة الكُورنيش (اليمانية) بمدينة الحُديدة



لوحة (6) صورة جوية لجانب من مدينة الحُديدة، وموضح عليها موقع حي ومقبرة الصّديقية

(المنطقة المقترحة لموقع قلعة الصّديقية) – باستخدام برنامجي google earth و microsoft powerpoint

جدول (16) القلاع المندرسة في سهل تهامة اليمن خلال فترة الدراسة

إسم القلعة	الموقع	المنشئ	تاريخ الانشاء أو أقدم ذكر تاريخي	المكونات المعمارية العامة	تاريخ الاندثار وسببه
آل المعروف	بالقرب من مدينة حَيس	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1220هـ/ 1806م)[1]	غير معروفة	غير معروف
القناوص	قرية القناوص	حمود الخيراتي[2]	عام (1222هـ/ 1807م)[3]	غير معروفة وتمت معاينة موقعها ميدانياً (ل:7)	غير معروف
القبلية (الشمالية)	مدينة حَيس	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1221هـ/ 1807م)[4]	غير معروفة	غير معروف
اليمانية (الجنوبية)	مدينة حَيس	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1221هـ/ 1807م)[5]	غير معروفة	غير معروف
قلعة بني الزاري	قرية بني الزاري بالقرب من مدينة زَبيد	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1221هـ/ 1807م)[6]	غير معروفة	غير معروف
قلعة الدِريهمي	قرية الدِريهمي	غير معروف	عام (1221هـ/1807م)[7]	غير معروفة	غير معروف
العيسية	قرية العيسية غربي وادي مُور	حمود الخيراتي[8]	عام (1224هـ/ 1810م)[9]	غير معروفة	غير معروف
مُختارة	جبل مُختارة	حمود الخيراتي[10]	عام (1225هـ/ 1811م)[11]	غير معروفة	غير معروف
الحُسينية	قرية الحُسينية في وادي مُور	غير معروف	عام (1230هـ/ 1816م)[12]	غير معروفة	غير معروف

1 – أحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 36

2 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 266 – 268.

3 – نفسه.

4 – نفسه، ص 39.

5 – نفسه.

6 – نفسه، ص 41

7 – نفسه، ص 267.

8 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 120.

9 – نفسه.

10– انظر المصادر والمراجع الآتية: الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 127. وإسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 98. وفؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 334. وعبد الرحمن الحضرمي: تهامة في التاريخ، ص 290.

11 – المصادر والمراجع نفسها والصفحات.

12 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 21.

جدول (17) القلاع المُندرسة في سهل تهامة اليمن خلال فترة الدراسة

إسم القلعة	**الموقع**	**المنشئ**	**تاريخ الانشاء أو أقدم ذكر تاريخي**	**المكونات المعمارية العامة**	**تاريخ الاندثار وسببه**
الكُلفود (دَوغان)	قرية دَوغان	تنسب إلى الشيخ إبراهيم بن علي كُلفود[1]	كانت القلعة موجودة خلال الفترة (1801-1817م)[2]	غير معروفة	خربها أمير عسير علي بن مجثل عام (1246هـ/ 1830م)[3] 1830م)[3]
بُجيلة	قرية بُجيلة جنوب وادي مُور	يحيى بن حيدر آل خيرات[4]	عام (1234هـ / 1818م)[5]	غير معروفة	غير معروف
الحالي	منطقة الحالي في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحُديدة[6]	غير معروف	عام (1250هـ/ 1834م)[7]	فناء مكشوف وبرجان دفاعيان ومبنى مكون من طابقين[8]. (ل:8)	غير معروف
الكاملية	قرية الكاملية شرق مدينة الزُهرة	الحسين بن علي بن حيدر آل خيرات[9]	عام (1251هـ/ 1835م)[10]	غير معروفة	غير معروف
شرقي مدينة حَيس	خارج مدينة حَيس	غير معروف	عام (1256هـ/ 1841م)[11]	غير معروفة	خربها الحسين بن علي بن حيدر عام (18041م)[12]

1 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 90.

2 – نفسه.

3 – انظر المصادر الآتية: الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 282. وأحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 9.

4 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 221. وأيضا: إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1، ج 4، ص 95.

5 – نفسه.

6 – إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ج 2، ص 1318. وأحمد مطير: الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة، ص 63.

7 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 317. وأيضا: إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1، ج 2، ص 31.

8 – هيرمان بورشارت: هيرمان بورشارت في اليمن (رحلات مصورة في اليمن للأعوام 1900 – 1909م)، سفارة جمهورية ألمانيا الاتحادية ومعهد الآثار الألماني بصنعاء، 2005، ص 41.

9 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 336 – 337.

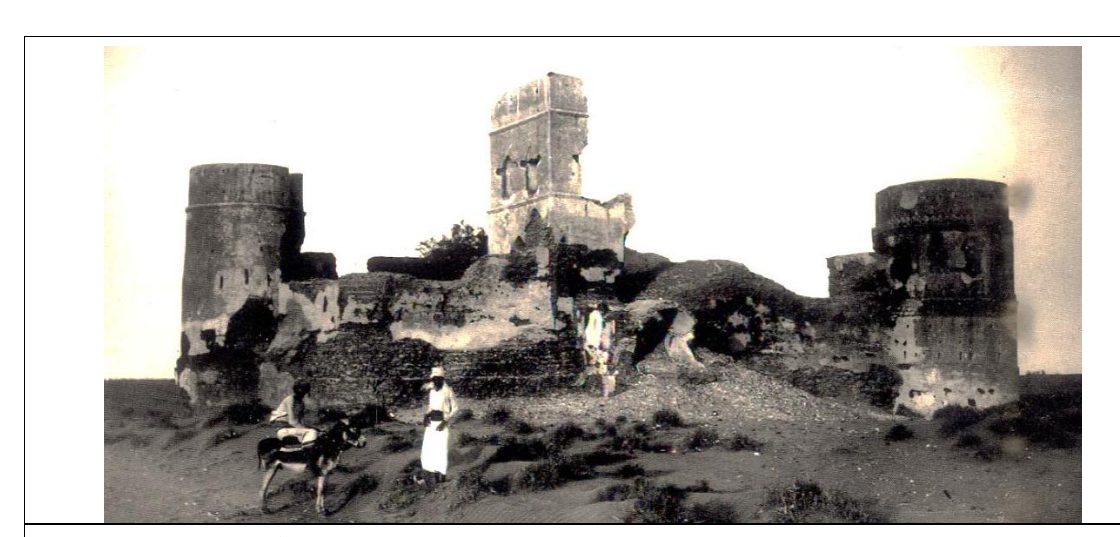
10– نفسه.

11– نفسه – ص 368.

12 – نفسه.



لوحة (7) موقع قلعة القناوص



لوحة (8) قلعة الحالي عام (1907م) – عن هيرمان بورشارت[1]

1 – هيرمان بورشارت: هيرمان بورشارت في اليمن (رحلات مصورة في اليمن للأعوام 1900 – 1909م)، ص 41.

جدول (18) القلاع المندرسة في سهل تهامة اليمن خلال فترة الدراسة

إسم القلعة	الموقع	المنشئ والتسمية	تاريخ الانشاء أو أقدم ذكر تاريخي	المكونات المعمارية العامة	تاريخ الاندثار وسببه
القُطيع	مدينة القُطيع	غير معروف	ذكرت عام (1264هـ/ 1847م) [1]	غير معروفة	غير معروف
الشامية	في الجانب الشمالي من مدينة الحُديدة	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1329هـ / 1911م)[2]	غير معروفة	غير معروف
ابن عباس	قرية بن عباس	عمر افندي البراني[3]	بعد عام (1322هـ/ 1904م) [4]	غير معروفة	غير معروف
المنظر	قرية المنظر جنوب مدينة الحُديدة القديمة	أنشأها العثمانيون، وهي نسبة إلى قرية المنظر	ذكر أثناء قصف الإيطاليين للموانئ اليمنية في الثالث والعشرين من يوليو عام (1328هـ/ 1911م)[5]	مبنى يضم سوراً وأبراج دفاعية[6]	غير معروف
قلعة باب المندب	باب المندب (خ:8)	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1333هـ/ 1915م)[7]	غير معروفة	غير معروف
قلعة الشيخ سعيد	قرية الشيخ سعيد بباب المندب	غير معروف	ذكرت في أحداث عام (1333هـ/ 1915م)[8]	غير معروفة	غير معروف
الصَّليف	قرية الصَّليف (خ:9)	العثمانيون	ذكرت خلال الفترة (1914 – 1919م)[9]	غير معروفة	قام بتدميره الإنجليز عام (1335هـ/ 1917م)[10]

1 – للمزيد انظر المصادر الآتية: الواسعي: فرجة الهموم، ص71 – 72. الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 426 – 429. ومجهول: حوليات يمانية، ص 152.

2 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 115 – 222.

3 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 1، ص 224.

4 – نفسه.

5 – انظر: الوشلي، نفسه، ص 100. والذيل، ص 115. وأيضا: أحمد مطير: الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحديدة، ص 147.

6 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، هامش 1– ص 214. والذيل، هامش 1– ص 222.

7 – سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص 85.

8 – نفسه.

9 – انظر: إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 140. وجون بولدري: "العمليات البحرية البريطانية على السواحل اليمنية ابان ابان الحكم التركي، ص 92.

10 – نفسه، ص 92.

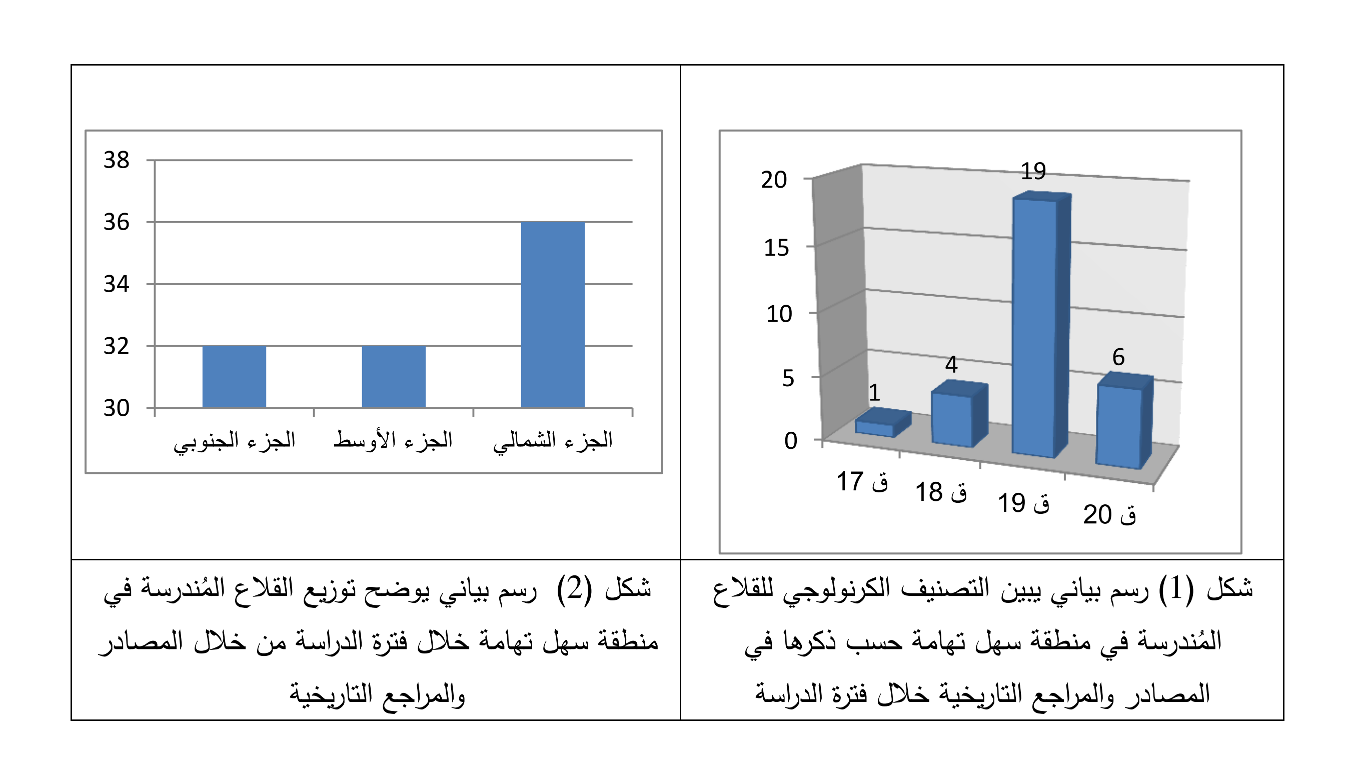


خريطة (8) الجزء الجنوبي من سهل تهامة ومضيق باب المندب - باستخدام برنامج google earth



خريطة (9) جزء من سهل تهامة اليمني يتضمن موقع قريتي الصليف وابن عباس – باستخدام برنامج google earth

من خلال الجداول السابقة تبين أنه في فترة القرن التاسع عشر الميلادي، وخاصة النصف الأول منه، شهدت منطقة سهل تهامة اليمني عمليات تشييد وعمارة للعديد من القلاع الدفاعية (ش: 1)؛ وذلك لأنها كانت مسرحا لعمليات حربية واسعة النطاق. وخلال تلك الفترة كان الأشراف آل خيرات هم القوة السياسية الأكثر سيطرة على تهامة، ولذا كان لهم دور بارز في الاهتمام بالمنشآت الدفاعية لا سيما القلاع. أما بالنسبة لتوزيع القلاع المندرسة على الأجزاء الثلاثة في منطقة سهل تهامة، فقد وجد أن هناك تقارب في عدد القلاع في الجزأين الجنوبي والأوسط، بينما يكثر عددها في الجزء الشمالي. وهذا يدل على مدى الأهمية السياسية للمنطقة ككل، ويبين لنا حرص جميع من حكموا منطقة تهامة – خلال فترة الدراسة (945 - 1336هـ/ 1538- 1918م) – على تحصين أغلب مدنها وقراها، من أجل تثبيت حكمهم فيها (ش:2). ويُظهر لنا أيضا أن المعارك الحربية تركزت بشكل كبير في الجزء الشمالي من تهامة (المخلاف السليماني)، ولذا وجد ارتفاع كبير في نسبة انشاء القلاع فيه.



شكل (1) رسم بياني يبين التصنيف الكرنولوجي للقلاع المُندرسة في منطقة سهل تهامة حسب ذكرها في المصادر والمراجع التاريخية خلال فترة الدراسة

شكل (2) رسم بياني يوضح توزيع القلاع المُندرسة في منطقة سهل تهامة خلال فترة الدراسة من خلال المصادر والمراجع التاريخية

القسم الثاني: دراسة آثارية (وصفية تحليلية)

الباب الأول: القلاع الباقية

الفصـــل الأول: قلعة بيت الفَقيه

الفصل الثانـــي: قلعة الضِحـــي

الفصل الثالـــث: قلعة الزَيديـة

الفصل الرابـــع: قلعـة الزَيلعي

الفصل الخامـس: قلعتا جبل الملح

الفصل الأول: قلعة بيت الفَقيه

- ❖ الموقع
- ❖ المنشئ وتاريخ الإنشاء
- ❖ الدور السياسي والحربي وأهم التجديدات
- ❖ القلعة من خلال كتابات وزيارات الأجانب
- ❖ مواد البناء وأسلوبه
- ❖ نظام التغطية
- ❖ الدراسة الوصفية والتحليلية للقلعة

الموقـع: (ل:9، خ: 10)

بنيت قلعة بيت الفَقيه فوق تل رملي مرتفع شرق مدينة بيت الفَقيه، كما أنها تقع في ملتقى بعض أحيائها: فمن جهة الغرب وجانب من الجهة الشمالية يحدها حي الصَليفيين، ومن الجهة الشمالية أيضاً حافة (حارة) دِير السرور، ومن الجهة الجنوبية وجانب من الجهة الغربية حي العلاوية وحي الهُنود، ومن الجهة الشرقية حي العماري (الحديث)[1]. أما إحداثيات القلعة فتقع بين دائرتي عرض (N14.51667) شمالاً، وخطي طول (E43.32852) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمسافة (165 قدم).

وتظهر أهمية موقع قلعة بيت الفَقيه في اختيار المكان الذي بنيت عليه، حيث أن القلعة تشرف على المدينة من الجهة الشرقية، وذلك لأنها بنيت فوق أعلى تلة رملية قريبة من المدينة القديمة، وبسبب امتداد العمران في الوقت الراهن ظهرت أحياء جديدة تحيط بالقلعة من جميع الاتجاهات.



لوحة (9) صورة جوية لموقع قلعة بيت الفَقيه – باستخدام برنامج google earth

1 – عبد الله خادم العُمري: قبيلة الزَّرانيق وبيت الفَقيه، نسخة إلكترونية مقدمة للطباعة، منتدى العُمري، بيت الفقيه، 2009، ص 103.

المنشئ وتاريخ الإنشاء:

ذُكر تاريخ إنشاء قلعة بيت الفَقيه أثناء حديث المؤرخ محمد البحر (ت: 1082هـ) عن أحداث عام (1039هـ/ 1629م)؛ حيث قال: "وفي جمادي الأول منها تقلد الأمير مصطفى ولاية بيت الفَقيه ابن عجيل من جماعة الوزير، فشرع في بناء قلعتها وشيد أركانها وأحكم بنيانها وجعل فيها أربع قلاع للمدافع ودامت العمارة فيها نحو خمسة أشهر وتمت في شوال"[1]. ويتبين من خلال هذه الإشارة أن الأمير العثماني مصطفى باشا[2] قام بإنشاء القلعة في السنة الأولى من تقلده ولاية مدينة بيت الفَقيه، في فترة الوجود العثماني الأول (1538 – 1636م)، وقد استمرت عملية بناء القلعة حوالي خمسة أشهر.

الدور السياسي والحربي للقلعة وأهم التجديدات:

أنشئت قلعة مدينة بيت الفَقيه عام (1039هـ/ 1629م)؛ أي بعد مرور واحد وتسعين عاماً من دخول العثمانيين إلى اليمن عام (944هـ/ 1538م)، وربما كان سبب تأخر بنائها هو المقاومة الشديدة التي أبداها التهاميون، وخاصة قبائل الزَّرانيق التي كانت عاصمتها مدينة بيت الفَقيه. ويبدو أن العثمانيين قاموا ببناء هذه القلعة لكي ترابط فيها حاميتهم العسكرية، وتأمن من هجمات الزَّرانيق، وتكون مركزاً لحكمهم في المنطقة، ومع ذلك لم يمكثوا فيها سوى سبع سنوات؛ حيث تم خروجهم الأول من اليمن عام (1045هـ/ 1636م).

وأثناء حكم الدولة القاسمة لليمن (1636- 1849م) كان معظم ولاة مدينة بيت الفقيه يقيمون في قلعتها، كما كانت ترابط فيها حامياتهم العسكرية، وقد ذكرنا خلال العرض التاريخي في الفصل الثاني من القسم الأول في هذه الدراسة الدور الحربي الذي لعبته القلعة أثناء صراع أئمة آل القاسم فيما بينهم على الحكم، وكان أبرز حدث حربي تم فيها هو الهجوم الذي شنه جيش الإمامين المنصور حسين بن القاسم

---

1 – عبد الله العمري: قبيلة الزَّرانيق وبيت الفَقيه، ص 101.

2 – تولى الأمير مصطفى الأرناؤطي بيت الفقيه لمرتين: الأولى خلال الفترة الواقعة بين (1039 – 1041هـ / 1629 – 1631م)، والثانية في شهر شوال عام (1041 – 1042هـ / يونيو 1631 – 1632م). وفي بداية تقلده ولاية بيت الفقيه تزوج من امرأة من قبيلة الزرانيق تسكن في وادي رمع وذلك بهدف التقرب من ساكنة بيت الفَقيه وقبائلها. عبد الودود مقشر: الزَّرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 95.

والمتوكل القاسم بن الحسين بن المهدي على عامل الإمام المهدي محمد بن أحمد، المسمى حيدر شاوش، وصمود العامل المذكور في القلعة لمدة شهر انتهى بإعلان استسلامه بعد الحصار الذي فرض عليه[1].

كما ذكرت قلعة بيت الفَقيه عندما ظهر أحمد الحسني – المكنى بأبي علامة – الذي دخل بقواته إلى تهامة؛ حيث دارت بينه وبين آل القاسم عدة معارك حتى وصلت قواته إلى مدينة بيت الفَقيه. وعندما شعر الأمير سليم عامل إمام صنعاء المهدي عباس بقدوم جيش أحمد الحسني إلى المدينة تحصن بقلعتها[2].

وبعد مقتل الوالي العثماني بونابرت مصطفى باشا في الخامس عشر من يوليو عام (1268هـ / 1852م) على أيدي قبائل الزَّرانيق تم نقل جثمانه إلى مدينة بيت الفَقيه ودفن في قلعتها[3]. وعلى إثر ذلك أسندت ولاية اليمن إلى محمود باشا الكردي الذي وصل إلى مدينة الحُديدة (مركز الولاية) في الحادي عشر من ديسمبر من العام نفسه، وقد اتبع في سياسته التهدئة مع القبائل التهامية؛ فتمت في عهده إعادة تعمير قلعة بيت الفَقية[4].

وخلال ولاية عثمان باشا (الملقب بالأعرج) على اليمن (1886- 1887م)[5]، جُهزت حملة عثمانية ضخمة بقيادة محمد أمين آغا لإخضاع قبائل الزرانيق، وكانت الحامية العسكرية العثمانية المتحصنة في قلعة مدينة بيت الفَقيه في وضع حرج للغاية، بسبب هجمات قبائل الزَّرانيق المتكررة عليها؛ مما أدى إلى هروب القائم مقام[6] صالح بك من المدينة. بعد ذلك صدرت الأوامر إلى اليوزباشي[7] محمد أمين آغا بتولي

---

1 – محسن أبو طالب: تاريخ اليمن عصر الاستقلال..، ص 371.

2 – عبد الرحمن البهكلي: خلاصة العسجد ...، ص 210. وعبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 196.

3 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 506– 507.

4 – عبد الودود مقشر: الزَّرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 121.

5 – محمد الكبسي: اللطائف السنية ...، – ص 329. عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم ...، – ص 266 – 267.

6 – عن هذا المصطلح انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

7 – نفسه.

منصب قائم مقام مدينة بيت الفَقيه، وعند قدومه إليها تأكد له عدم القدرة على حسم الأمر مع الزرانيق بالأسلوب العسكري، لذا اتجه إلى عقد صلح معهم[1].

وفي عهد الوالي العثماني حسن أديب باشا (1890 – 1891م) كانت ثورة الزَّرانيق في أوج قوتها بسبب عدم التزام الأتراك بالاتفاق المسبق بينهما؛ فاندلعت الثورة وحوصرت الحامية العثمانية في قلعة بيت الفَقيه، ثم فرت الحامية مع القائم مقام في أواخر عام (1308هـ/ 1891م)، وقام الزَّرانيق بقطع أسلاك الاتصال (البرق) التي كانت توصل مدينة بيت الفَقيه مع مدينتي الحُديدة وصنعاء[2].

وبرحيل العثمانيين من اليمن عام (1918هـ/ 1337م) لم تخضع مدينة بيت الفَقيه كغيرها من مدن تهامة للحكم الإمامي إلا في الحادي والعشرين من ربيع الثاني عام (1348هـ/ 1929م)، وذلك عندما دخلت إليها القوات الامامية بقيادة ولي العهد آنذاك أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين، حيث ضربت المدينة بالمدفعية[3]، فتحصن الزَّرانيق في القلعة، واستخدموا المدفع الذي كان بها للدفاع عن المدينة ولكنهم لم يفلحوا في ذلك، وبانتصار الإمام أحمد على الزَّرانيق واحتلال عاصمتهم بيت الفَقيه أمر بعمارة القلعة عام (1348هـ/ 1930م)[4].

وقد ظلت القلعة تؤدي وظيفتها كمركز إداري وعسكري لحكم مدينة بيت الفَقيه والقرى المجاورة لها خلال فترة حكم المملكة المتوكلية اليمنية (1918 – 1962م)، وكذلك في الفترة التي أعقبتها (العهد الجمهوري). وبعد الانتهاء من بناء المجمع الحكومي الجديد لمديرية بيت الفَقيه – قبل حوالي سبع سنوات من إجراء هذه الدراسة – هجرت القلعة واستغني عنها، وكان ذلك آخر استخدام لمرافقها.

---

1 – عبد الودود مقشر: الزَّرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 141.

2 – انظر: عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص 28.

3 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مجلد 2، ج 4، ص 247. عبد العزيز قائد المسعودي: معالم تاريخ اليمن المعاصر (القوى الاجتماعية الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية) 1905 – 1948م، مكتبة السنحاني، ط 1، صنعاء، 1992، ص 148.

4 – عبد الله العُمري: قبيلة الزَّرانيق وبيت الفقيه، ص 95.

قلعة بيت الفَقيه من خلال كتابات وزيارات الأجانب

لم يقدم الرحالة الأجانب وغيرهم ممن تحدثوا عن قلعة بيت الفَقيه وصفاً دقيقاً لمنشآت القلعة ومكوناتها المعمارية، ولكنهم أجمعوا على أن أجمل ما في المدينة هي قلعتها؛ فعندما جاءت البعثة الفرنسية إلى اليمن عام (1121هـ/ 1709م) ذكرت أنه لا يوجد سور للمدينة، بل يرى على بعد طلقة بندقية حصن جميل للغاية يوجد فيه المصدر الوحيد للماء[1]. وفي نهاية عام (1175هـ/ 1762م) وصلت البعثة الدنماركية إلى اليمن في عهد الإمام المهدي عباس، ودخلت مدينة بيت الفَقيه في شهر فبراير عام (1175هـ/ 1763م)، وجعلت من المدينة مركزاً ومنطلقاً لرحلاتها داخل بلاد اليمن. وعند حديث أحد أعضائها عن المدينة، قال نيبور (Carsten Niebuhr): "توجد فيها قلعة بداخلها بئر عميقة"[2]؛ وقام زميله المستر جورج ولهام باورينفايند (Bauernfeind) برسم لوحة للمدينة تتضمن القلعة[3] (ل:10).

وخلال فترة حكم آل خيرات لتهامة تحت السيادة العثمانية تحدث عن القلعة بلايفير (Playfair) نائب المقيم السياسي البريطاني في عدن فقال: "ولمدينة بيت الفَقيه قلعة في وسطها تعرف بحصن عثمان"[4]. ويبدو أن بلايفير لم يدخل مدينة بيت الفقية، لأن قلعتها كانت تقع في الجهة الشرقية من المدينة فوق تلة رملية مرتفعة. وفي عام (1250هـ / 1835م) زار المدينة الرحالة الفرنسي موريس تاميزيه (Maurice Tamisier) وذكر أن أجمل ما في هذه المدينة قلعتها[5].

---

1 – انظر: جان دي لاروك: أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة (1708 – 1710 و 1711– 1713م)، ترجمة منير عريش، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004، ص 75.

2 – أحمد قايد الصايدي: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص 166 و167 و221.

3 – انظر: توركيل هانس: من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة أحمد الرعدي، الهيئة العامة للكتاب، ط 1، صنعاء، 2001، ص 283.

4 – إف إل بلايفير: تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان وعلي محمد باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط 1، عدن، 1999، ص 28.

5 – عبد الودود مقشر: الزَّرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، ص 32.

وقدم لنا النَّحات والمهندس الفرنسي فريدريك بارتولدي (Frédéric bartholdi)[1] صورة فوتوغرافية للقلعة (ل:11)، كان قد التقطها أثناء رحلته إلى تهامة عام (1855 – 1856م)، حيث تظهر فيها بوضوح المكونات المعمارية العامة التي تتألف منها القلعة، وأبرزها السور الدفاعي الذي يتخلله الأبراج.

وذكر لنا الإيطالي سلفاتور أبونتي (Selvatore Abonti) الذي زار اليمن عام (1353هـ/ 1934م) إشارة عن المكونات العامة للقلعة، حيث قال: "قلعتها هي بناء ضخم ذو جدران عالية، وتقوم فوق جدرانها أبراج مستديرة مرتفعة"[2]. وهذا الوصف برغم عموميته إلا أنه ينطبق على القلعة حال إجراء الدراسة، لأنها لم تتعرض لأعمال معمارية جوهرية غيرت من معالمها منذ آخر عمارة أجريت لها عام (1348هـ / 1929م) كما سبق الذكر.

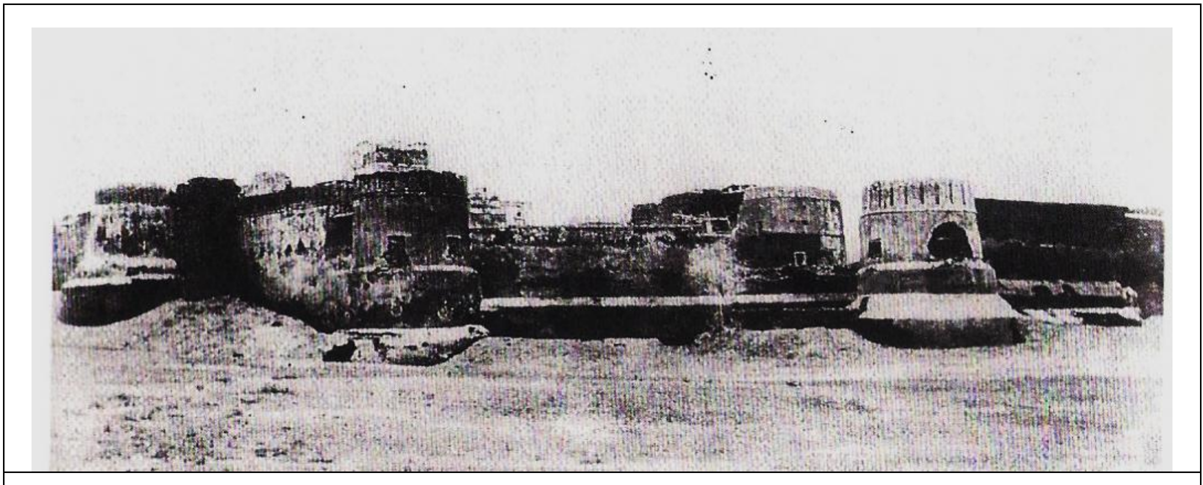


لوحة (10) مدينة بيت الفَقيه وعلى الطرف الأيسر منها القلعة (رسم باورينفايند – عام 1763م)[3]

1 – عاش فريديريك بارتولدي في الفترة الواقعة بين عامي (1834 – 1904م)، ويعتبر أحد النحاتين المشهورين بفضل انجازه لأبدع عمل فني المتمثل في التصميم الأولي المصغر لتمثال الحرية الواقع في نيويورك عام (1869م)، وقد قام بتنفيذه المهندس جوستاف إيفل. وبعد دراسة فريديريك بارتولدي الهندسة المعمارية قام مع بعض أصدقائه من هواة الجمال برحلة إلى منطقة الشرق الأوسط خلال الفترة الواقعة بين عامي (1855 – 1856م)، وخلالها قام بمفرده برحلة إلى تهامة اليمن، وأحضر منها العديد من الصور الفوتوغرافية والمخططات الأولية واللوحات المائية والمطبوعات الحجرية لزبيد والحُديدة والمخا وبيت الفَقيه. جوليت أنفو وباتريس شوفاليه: فرنسيون في اليمن (1709– 2009م)، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2009، ص 15.

2– سلفاتور أبونتي: مملكة الإمام يحيى، رحلة في بلاد العربية السعيدة، تعريب طه فوزي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1947، ص 27.

3 – توركيل هانس: من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص 283.



لوحة (11) قلعة بيت الفَقيه عام (1855 - 1856م) [عن بارتولدي][1]

مواد البناء وأسلوبه:

تعتبر قوالب الآجر هي المادة الأساسية التي أنشئت بها قلعة بيت الفَقيه، حيث يتراوح متوسط أحجامها ما بين (20سم x 10سم) و(10سم x 5سم)، وقد قام البناؤون بوضع قطع الآجر على هيئة مداميك أفقية مستوية تترابط مع بعضها البعض بواسطة عجينة الرمل (الطين) أو مادة النُّورة الكِدري[2]، ولكن بطريقة معينة تعرف محلياً باسم (المثني والقفل)[3] ، وتتم فيها وضع قالبين من الآجر بجوار بعضهما بشكل طولي، ثم يليهما قالب واحد بشكل عرضي، وهكذا يستمر بناء صف الجدار، وفي مصر يعرف هذا الاسلوب بـ "زوج على فرد"، وهناك طريقة أخرى تسمى محلياً بـ (المريوش)[4] أي البناء بقوالب الآجر المفردة بحيث يوضع كل قالب فوق نصفي القالبين اللذين من تحته[5]. كما استخدمت مادة الجِص[6] لكساء

1 – جوليت أنفو وباتريس شوفاليه: فرنسيون في اليمن (1709– 2009م) ، ص 15.

2 – انظر ملحق المصطلحات والألفاظ المعمارية المحلية.

3 – نفسه.

4 – نفسه.

5 – عن أسلوب البناء بالآجر انظر عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 366.

6 – الجِص: يعرف في اليمن بالجِص أو القص، وهو صخر رسوبي سهل التشغيل، يتكون من كبريتات الكالسيوم وكبريتات الجير، ويتميز بشراهته للماء وسهولة قولبته وتشكيله وتصلده السريع، ويستخدم في البناء كمادة رابطة أو لتكسية الجدران، ويستعمل كذلك في أعمال الزخرفة. انظر: أحمد إبراهيم حنشور: الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2007، ص 79.

الجدران الداخلية للقلعة، بينما استخدمت مادة القَضاض[1] التي تتألف من الجِير والرمل والحَصى الصغيرة، كطبقة عازلة لمنع تسرب الماء وخاصة في الجدار الداخلي للبئر والبركة وأماكن الوضوء. واستخدمت أيضا مادة الأخشاب لعمل السقوف والنوافذ والأبواب والأعتاب التي تعلوها، بالإضافة إلى ربط صفوف البناء تفاديا لحصول تشققات في الجدران.

نظام التغطية:

استخدمت في تغطية جميع منشآت قلعة بيت الفَقيه الأسقف المسطحة، وهذا الأسلوب أستخدم أيضا في جميع قلاع تهامة التي تضمنتها الدراسة، ويتم تنفيذه بواسطة وضع عوارض خشبية كبيرة تسمى أسراء[2]، وهي ذات بدن دائري الشكل أو مربع تمتد بشكل متواز بين جدارين، وتبعد عن بعضها البعض بحوالي (40 – 60 سم)، وتعلوها بشكل متقاطع فروع خشبية صغيرة الحجم تسمى ضلوع[3]، ثم تغطى بأعواد رقيقة من سعف النخل. بعد ذلك توضع مادة الألأل[4]، ثم تعلوها طبقة من الطين ثم طبقة من مادة الجِير، الجِير، يطلق عليها محلياً باسم النُّورة الكِدري – وكسرات الآجر، تليها الطبقة الأخيرة، وهي عبارة عن خليط من الجير أيضا (النُّورة الكِدري) والرمل[5].

أولا: المخطط العام للقلعة (ل:9، م:1)

تتألف قلعة بيت الفَقيه من مساحة شبه مستطيلة يبلغ أقصى طول لها في الجهة الجنوبية، حيث بلغ نحو (75.67م) من الشرق إلى الغرب، وعرضها نحو (59.38م) من الشمال إلى الجنوب، ويتوسط تلك المساحة فناء واسع مكشوف تحيط به مجموعة من المنشآت أبرزها حجرات الجند وقصر الإمام والمرافق الملحقة به؛ أما الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة فتضم المسجد وملحقاته وكذلك البئر، وغيرها من

1 – للمزيد عن هذه المادة انظر: ملحق الألفاظ والمصطلحات المحلية الواردة في هذه الدراسة.

2 – نفسه.

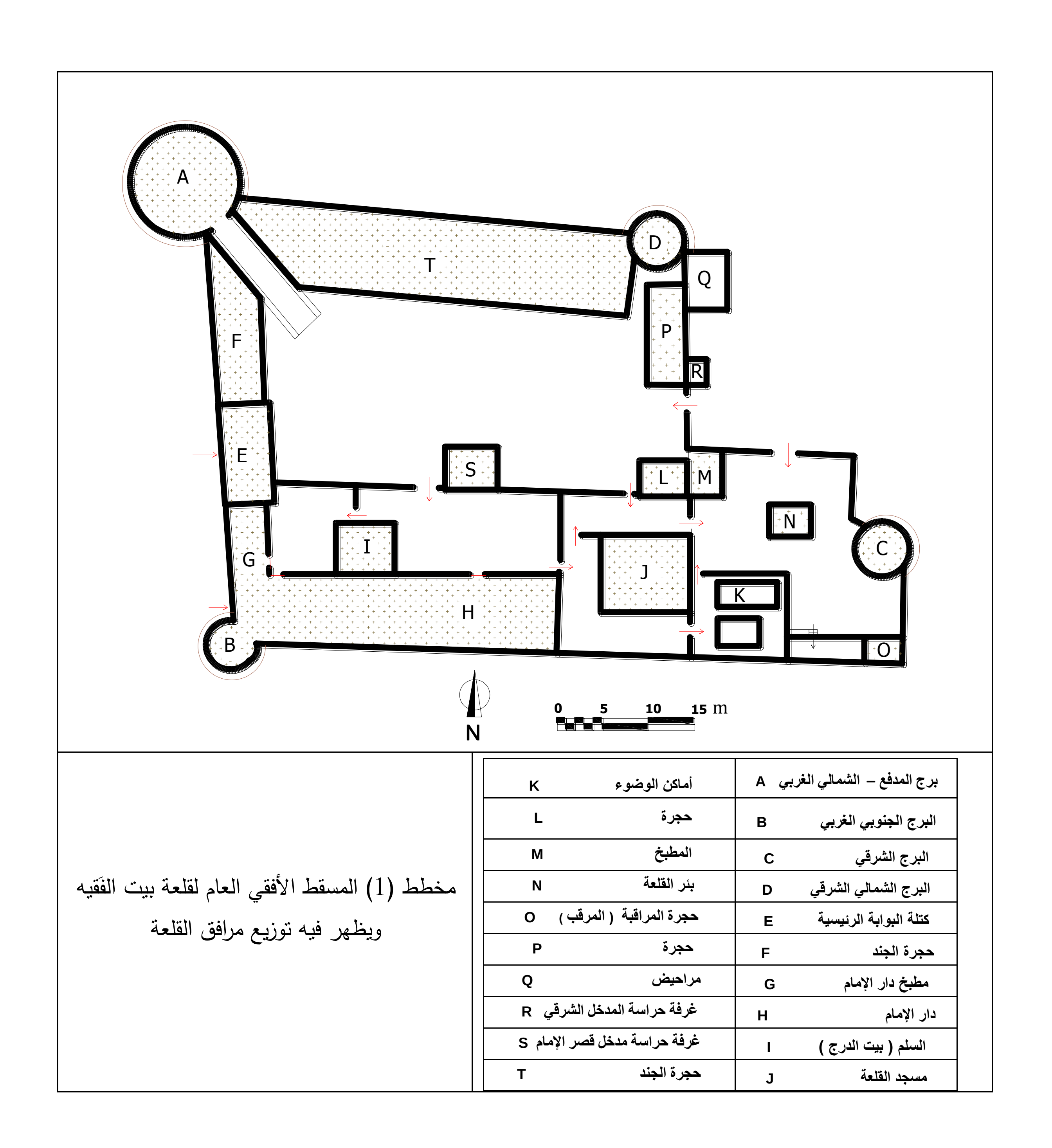
3 – نفسه.

4 – نفسه.

5 – للمزيد عن هذه الطريقة في تسقيف المباني التقليدية في تهامة انظر: محمد الحزمي: القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة مدينة زَبيد التاريخية كمنهج لتأصيل العمارة التراثية باليمن، ص 59.

المنشآت. والقلعة مدعمة في أركانها بأربعة أبراج دفاعية اسطوانية الشكل، ويتم الدخول إليها عبر بوابة رئيسية تقع في الجهة الغربية، وثلاثة مداخل فرعية، منها اثنان واسعان يتجهان نحو الشرق والشمال، والثالث صغير ملتصق بالبرج الجنوبي الغربي من جهة الغرب، تلك هي أهم المنشآت العامة التي تضمها القلعة.

ويستنتج مما سبق أن تخطيط القلعة المتسع جاء انعكاسا للدور الذي لعبته المدينة سياسياً وتجارياً خلال فترات تاريخية متعددة، وذلك لكي تكون قادرة على أداء وظائفها بما يتناسب مع الأهمية التي تبوأتها.



A	برج المدفع – الشمالي الغربي	K	أماكن الوضوء
B	البرج الجنوبي الغربي	L	حجرة
C	البرج الشرقي	M	المطبخ
D	البرج الشمالي الشرقي	N	بئر القلعة
E	كتلة البوابة الرئيسية	O	حجرة المراقبة (المرقب)
F	حجرة الجند	P	حجرة
G	مطبخ دار الإمام	Q	مراحيض
H	دار الإمام	R	غرفة حراسة المدخل الشرقي
I	السلم (بيت الدرج)	S	غرفة حراسة مدخل قصر الإمام
J	مسجد القلعة	T	حجرة الجند

مخطط (1) المسقط الأفقي العام لقلعة بيت الفَقيه ويظهر فيه توزيع مرافق القلعة

– الوصف من الخارج (الواجهات)

تشتمل قلعة بيت الفَقيه على أربع واجهات ثلاث منها تتألف من ضلع واحد، وهي الشمالية والجنوبية والغربية، في حين تتألف الواجهة الرابعة (الشرقية) من عدة أضلاع. وبسبب طبوغرافية موقع القلعة الذي يتألف من تلة رملية مرتفعة، نجد أن القلعة تطل على فضاء واسع من جميع الاتجاهات، وفي الفقرات التالية ستتم عملية الوصف العام للواجهات الخارجية للقلعة .

• **الواجهة الغربية:** (ل:12)

تعتبر الواجهة الغربية للقلعة هي الرئيسية نظراً لوجود المدخل الرئيسي فيها، ولإطلالتها على المدينة القديمة، وهذه الواجهة تمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة (59.38م)، وتتصدرها كتلة المدخل، حيث تظهر بها الباب الرئيسي للقلعة، وجدار مطبخ قصر الإمام، والبرج الجنوبي الغربي، وجدار الحجرة الغربية لمبيت الجند، والبرج الشمالي الغربي.



لوحة (12) الواجهة الغربية (الرئيسية)

• **الواجهة الشمالية:** (ل: 13)

تمتد الواجهة الشمالية من الشرق إلى الغرب بمسافة (62م)، وهي تضم البرج الشمالي الغربي (A) السابق ذكره، تليه الواجهة الخارجية لجدار الحجرة الشمالية لمبيت الجنود، والتي تمتد نحو الشرق حتى تلتصق بالبرج الشمالي الشرقي، حيث يبلغ امتدادها (43.20م). وأبرز ما يشاهد في جدار هذه الواجهة هي فتحات الرماية الضيقة التي تتوزع إلى ثلاثة مستويات: الجزء السفلي منه يمثله صفان من فتحات المزاغل[1] المائلة والأمامية، والجزء الأوسط يضم فتحات طولية للتهوية، أبعاد كل واحدة منها نحو (40سم

---

1 – المزاغل: مصطلح معماري مفردها مزغل، وجدت في العمارة الإسلامية لتمكن حراس الأبنية العسكرية من الدفاع عنها، وظهرت أقدم نماذج لها في عمائر ما قبل الإسلام في كل من سوريا والعراق وإيران واليمن ثم انتقلت إلى العمارة الإسلامية ولا سيما عمارة الحصون والقلاع والأسوار وكانت ضيقة من الأمام ومتسعة من الخلف (الداخل) حتى تعطي المدافعين حرية الدفاع دون أن تعطي الفرصة للمهاجمين كي يصوبوا أسلحتهم إلى المدافعين من خلفها. انظر: عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 2000، ص

x 20سم)، ثم تعلوها فتحات تصريف المياه، أما الجزء العلوي فيوجد به أيضا صف من فتحات الرماية (المزاغل).



لوحة (13) الواجهة الشمالية

- **الواجهة الشرقية:** (ل:14)

سبق الذكر أن الواجهة الشرقية للقلعة تتألف من عدة أضلاع، حيث يبلغ امتدادها من الشمال إلى الجنوب بمسافة (49.15م)، وتبدأ ببناء مضاف تبدو عليه مظاهر الحداثة (Q) وهو خاص بقضاء الحاجة (مراحيض)، يليه الجدار الخارجي لإحدى الغرف المجاورة للمدخل الشرقي والذي تكتنفه غرفة صغيرة (R) كانت تستخدم لحراسة المدخل، وتتسع لشخص واحد (م:2)، يليها المدخل الشرقي للقلعة، وتنتهي هذه الواجهة عند البرج الشرقي للقلعة.

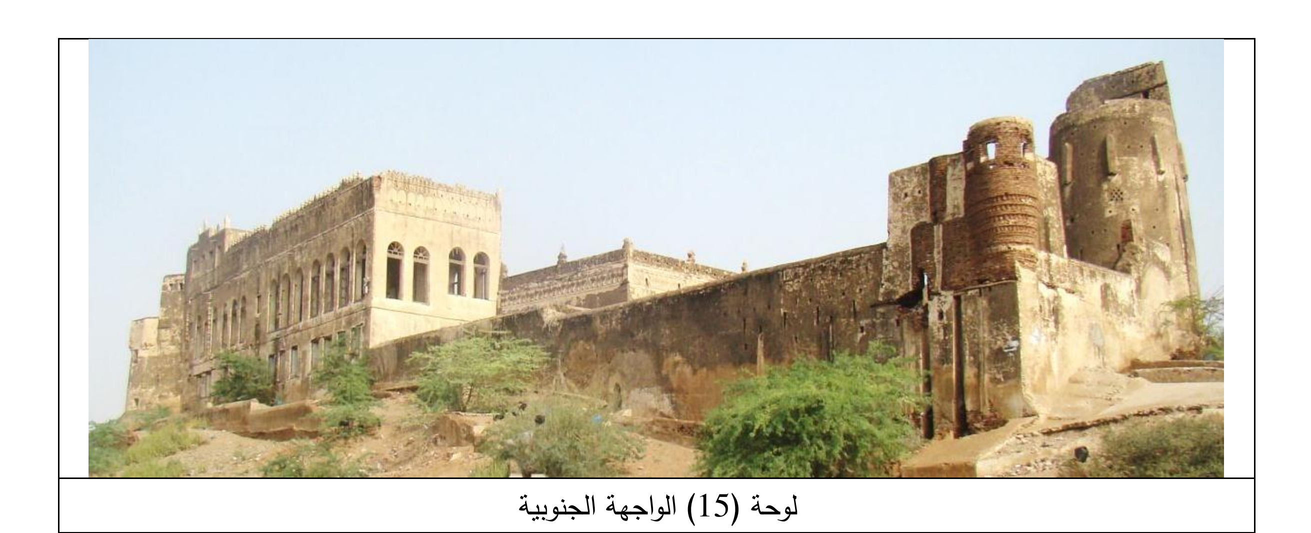
278. وأيضا: فهمي علي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1994، ص 73- 74.



لوحة (14) الواجهة الشرقية

• **الواجهة الجنوبية:** (ل:15)

تمتد الواجهة الجنوبية من الشرق إلى الغرب بمسافة (75.67م)، ويبدأ جدارها ملتصقاً بالمرقب الجنوبي الشرقي، ويتصل به جدار مرتفع به بروز لجدارين ذي شكل قوسي لحمامات ملحقة به، وبأسفله فتحات لخروج الماء، يليه جدار سور القلعة الجنوبي الذي يبلغ امتداده نحو (33.40م)، وتنتهي الواجهة الجنوبية عند البرج الجنوبي الغربي السابق ذكره.



لوحة (15) الواجهة الجنوبية

– **القلعة من الداخل:** (م:2، 3)

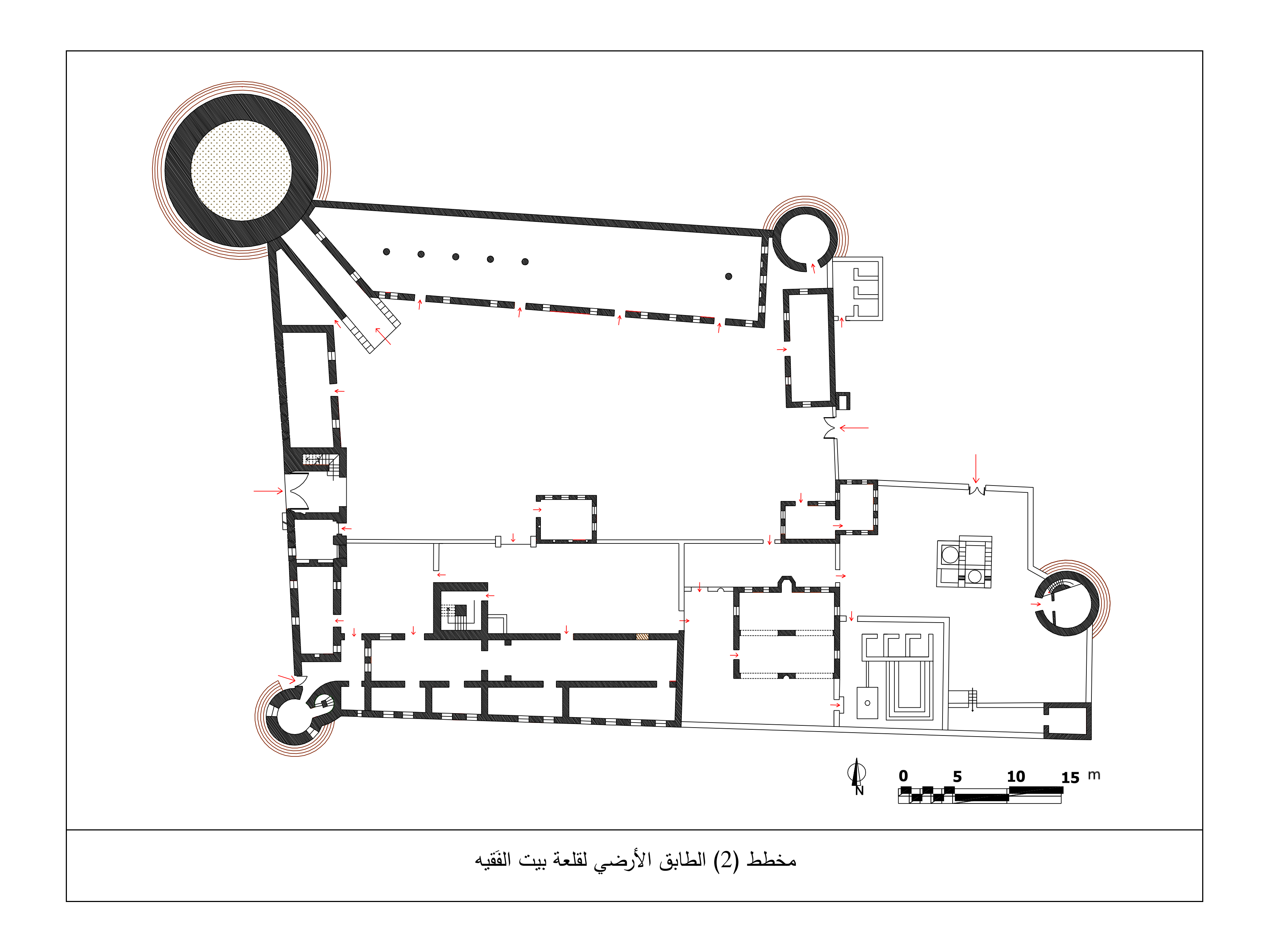
تتألف قلعة بيت الفَقيه من الداخل من منطقتين: الأولى أكبر مساحة، حيث تضم فناءً واسعاً ذا شكل مستطيل يبلغ أبعاده نحو (46م x 21.30م)، ويتم الدخول إليها عبر البوابة الرئيسية للقلعة التي تقع

في الجهة الغربية منه، وعبر مدخل آخر يقع في الجهة الشرقية. ويحيط بالفناء المذكور عدداً من المرافق أهمها: دار الامام من الجهة الجنوبية، وحجرتا الجند من الجهتين الغربية والشمالية، والمسجد من الجهة الجنوبية الشرقية. أما المنطقة الثانية فتقع في الجهة الشرقية من القلعة، ويتم الدخول إليها بواسطة مدخل يتجه نحو الشمال، وهي تضم فناء به بئر عميقة وسقاية[1] ملحقة بها، ويحيط بها أيضا عدداً من المرافق، هي: أماكن الوضوء، وبركة المسجد، ومطبخ مستحدث، ومراحيض.

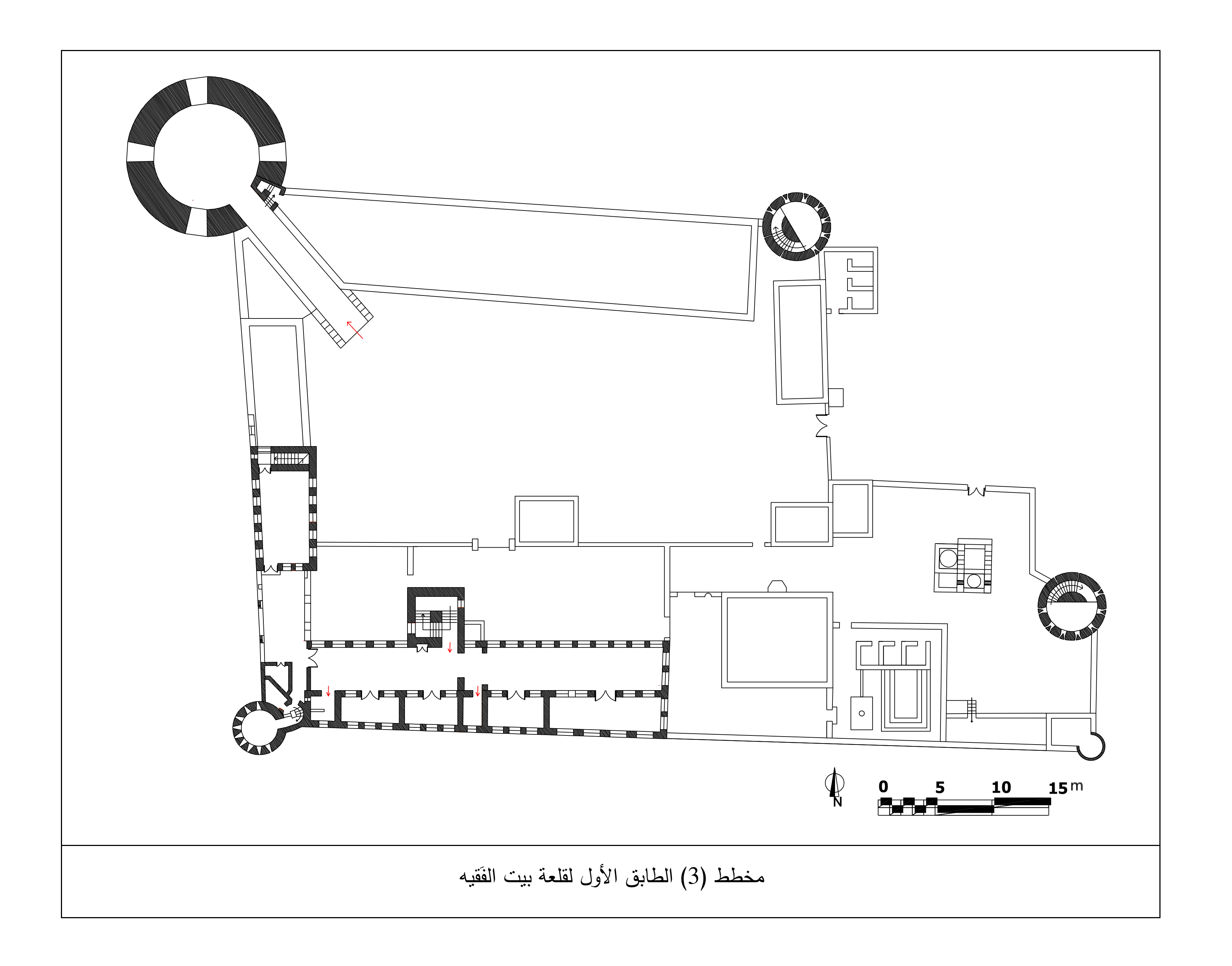
ولعل أبرز ما يلاحظ على القلعة من الداخل هو تعدد مرافقها ووجود العديد من الجدران التي تفصل مرافق الجزء الأول عن الثاني، وتفصل دار الامام عن جميع مرافق القلعة. ويبدو أن الغرض من ذلك هو عرقلة مهاجمي القلعة في حالة اقتحامها، وبالتالي تصعب عليهم السيطرة على القلعة بسهولة، وبذلك يتحقق الجانب الدفاعي للقلعة من الداخل.

ويعتبر وجود الفناء المكشوف أمراً مهماً سواءً في قلعة بيت الفَقيه أو غيرها من القلاع في منطقة تهامة وخارجها، ذلك لأنه يعتبر نواة في تصميمها تحيط به المرافق من جميع الجهات، ولذا فان الفناء يؤدي عدة وظائف أهمها إدخال الضوء والهواء إلى جميع مرافق القلعة، وساحة مناسبة لتجمع الجنود الموجودين فيها، حيث تسمح لهم ممارسة تدريباتهم اليومية.

1 – عن هذا اللفظ انظر ملحق الألفاظ والمصطلحات الواردة في هذه الدراسة.



مخطط (2) الطابق الأرضي لقلعة بيت الفَقيه



مخطط (3) الطابق الأول لقلعة بيت الفقيه

ثانيا: الوحدات الدفاعية

وجد في أغلب مرافق قلعة بيت الفَقيه العديد من العناصر الدفاعية التي تحول دون اقتحام القلعة بسهولة وبشكل متفاوت من وحدة معمارية إلى أخرى، ولكنها ظهرت بكثرة في الوحدات الدفاعية المطلة على خارج القلعة، كالسور والأبراج وكتلة البوابة الرئيسية، وذلك لأنها أول المرافق التي تتعرض للهجوم، ولذا فقد حرص البناؤون على أن تكون أكثر حصانة من بقية وحدات القلعة، وفي الفقرات التالية سيتم الحديث عن الوحدات الدفاعية التي اعتمدت عليها قلعة بيت الفقية.

• **البوابة الرئيسية** (E): (ل: 16، و ش:3)

تقع البوابة الرئيسية لقلعة بيت الفَقيه في مكان متوسط من الواجهة الغربية، وتتكون من الداخل من مساحة مستطيلة، تبلغ أبعادها نحو (11م X 5.80م)، تتألف من طابقين: الأسفل به دركاة[1] المدخل وغرفة حراسته، والعلوي يتألف من حجرة مستطيلة واسعة المساحة، تبلغ أبعادها نحو (8.15م X 4.40م).

يتقدم بوابة القلعة منطقة منحدرة مكسوة بالملاط (الزَّلاقة)[2] الغرض الدفاعي منها هو إعاقة مهاجمي القلعة عند محاولتهم اقتحامها من جهة المدخل، ويتم الدخول إلى دركاة المدخل عبر فتحة يتوجها عقد نصف دائري يبلغ عرضه (3.19م) وارتفاعه (3.20م)، ويشغله مصراعان خشبيان، يفتح في الأيمن منه باب صغير (الفرخ)[3] لا يسمح بدخول أكثر من شخص واحد في الوقت نفسه. وتعلو مدخل البوابة حجرة لحراسته فتح بها خمس نوافذ تتوجها عقود نصف دائرية، عرض كل واحدة منها (80سم) وارتفاعها (2.50م)، كانت شبابيك خشبية بارزة إلى الخارج تزينها من الأعلى.

1- ورد لفظ الدركاة في المراجع العربية بأنها لفظ فارسي معرب يتكون من مقطعين أحدهما (در) بمعنى باب، والثاني (كاة) بمعنى محل، وبذلك تكون الدركاة هي باب المحل. ويقصد بها المساحة الصغيرة التي تلي المدخل وتؤدي إلى الدهليز أو الممر المنكسر المفضي إلى داخل المبنى، وكان الغرض منها هو حجز ما يجري داخل البناء عن أنظار من بخارجه في العمارتين الدينية والمدنية، وإعاقة المهاجمين في العمارة الحربية. انظر: عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص 106.

2 – الزَّلاقة: في المصطلح الأثري هي الموضع الأملس الذي لا يثبت عليه الأقدام عند مداخل القلاع والحصون وأسوار المدن، ويتم عملها من أجل إعاقة المهاجمين للمنشئة، وقد استخدم هذا المصطلح في العصر المملوكي للدلالة على طريق صاعد أو نازل بغير درج للصعود بواسطته إلى مكان عال والنزول منه، وغالباً ما يكون هذا الطريق للدواب التي يصعد بها لدوران السواقي ونحوها وينزل منه. نفسه – ص 135.

3 – انظر ملحق المصطلحات المحلية.

وتخطيط كتلة البوابة هذه يعتبر من النوع المباشر، وهو يشبه نظيره في الباب الجنوبي لسور مدينة زَبيد والمعروف بباب القرتب، سواءً من حيث وجود حجرة للحراسة تعلوه، أو وجود فتحات النوافذ، وكذلك فتحات المزاغل في الجدار الساتر للحجرة (ل: 17)[1].



لوحة (16) كتلة المدخل الرئيسي (E) (قلعة بيت الفَقيه)



لوحة (17) الواجهة الداخلية لباب القرتب بمدينة زَبيد [عن أحمد الحزمي]

ويكلل الجزء العلوي من جدران البوابة في قلعة بيت الفَقيه جدار ساتر[2]، يبلغ ارتفاعه نحو (2م)، يتخلله صف من المزاغل المفردة يستطيع من خلالها الجنود الرماية والدفاع عن البوابة، تعلوها أيضاً حلية معمارية مكررة عبارة عن صف من الأشكال المعقودة بداخلها فتحات للرماية، ويعلوها صف آخر لعقود مزدوجة تنتهي من الأعلى بأشكال رمحيه (ل:18، ش:4).

والغرض الوظيفي للجدار الساتر هو احتماء المدافعين خلفه، ولذا فهو عنصر مهم في العمارة الحربية عامة، وقد وجد في اليمن قبل الإسلام في أسوار مدينة الدريب ومدينة نشق، وكان يسمى في اللغة اليمنية القديمة بمعذار (𐩣𐩲𐩹𐩧)[3]. وقد استخدم في العصر الإسلامي باليمن في أسوار الكثير من

1 – انظر: أحمد محمد الحزمي: القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التقليدية بمدينة زبيد، ص 34.

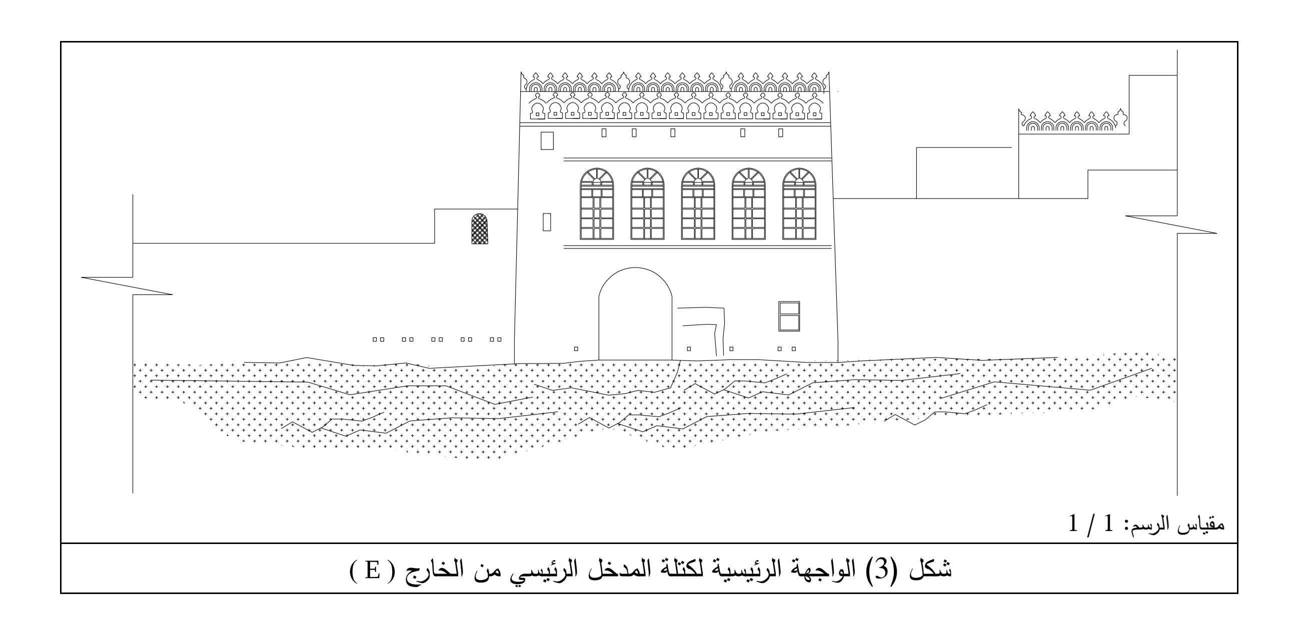
2 – هو عبارة عن حائط يعلوا الواجهات الخارجية للأسوار والتكنات والأبراج والمداخل، ويشغل الجدار الساتر صفاً أو أكثر من المزاغل وعدد من السقاطات البارزة أو المغيبة، ويرتبط الجدار الساتر بالممشى إذ أن الأول هو الذي يحمي هذا الأخير. انظر: عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زَبيد ...، ص 351.

3 – فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، ص 35 و63.

المدن، كزبيد وصنعاء وصَعده وتَعز، وكذلك في أسوار معظم القلاع، كقلعة القاهرة بحَجة وقلعة رَداع وغيرها[1].

وعند مقارنة الشكل المعماري الذي تتألف منه الواجهات الخارجية لكتلة البوابة الرئيسية مع واجهات دار الإمام في القلعة موضوع الدراسة، يتبين أن كلا المبنيين متشابهين في عدة عناصر معمارية، ومنها اتساع النوافذ وأسلوب بنائها، وكذا الحليات المعمارية التي تزين جداراهما الساترة. وبالتالي فإن هذين المبنيين يرجعان إلى مرحلة بنائية واحدة، ومن المؤكد أنها تعود إلى العمارة التي أجريت للقلعة عام (1348هـ / 1929م).

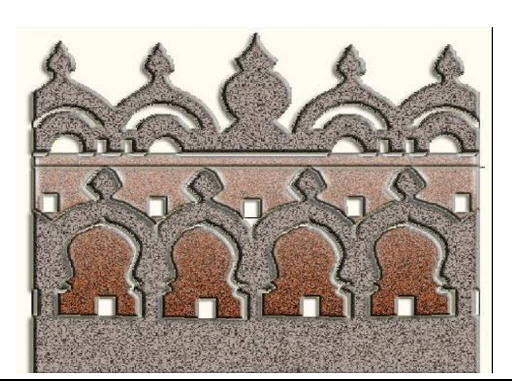
وكان بجانب المدخل الرئيسي للقلعة من جهته الجنوبية من الخارج مبنى صغير يتسع للجندي المكلف بحراسة المدخل، إلا أنه في الراهن متهدم.



شكل (3) الواجهة الرئيسية لكتلة المدخل الرئيسي من الخارج (E)

1 – عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 272. وأيضاً: هيفاء عبد القادر مكاوي: التحصينات العسكرية لمدينة عدن في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية – أثرية – معمارية)، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2007، ص 135.

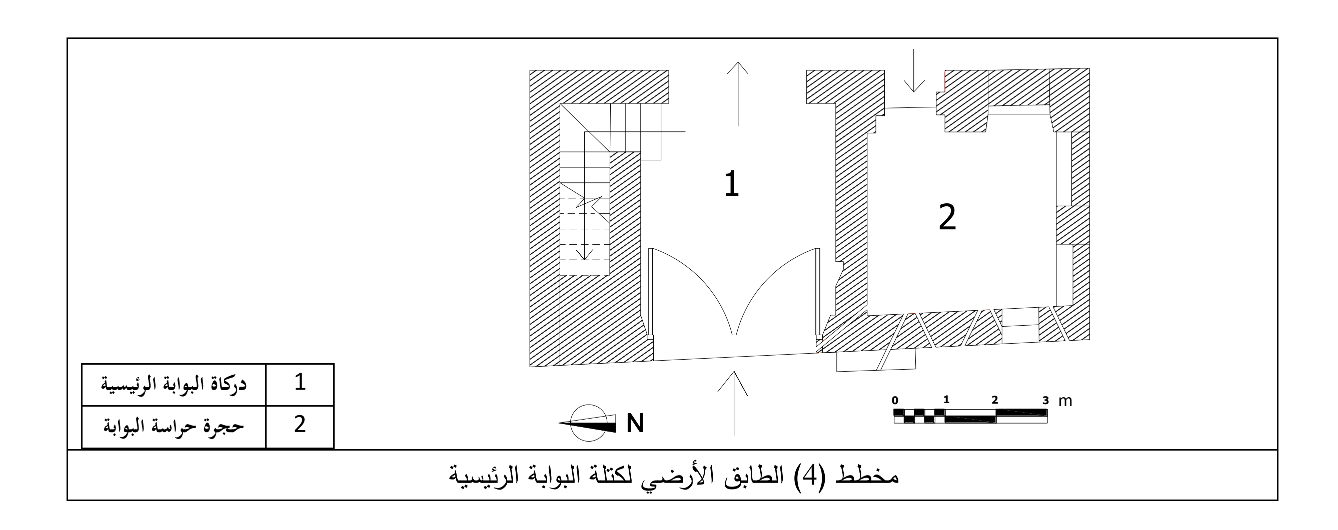

لوحة (18) واجهة كتلة البوابة الرئيسية المطلة على الفناء


شكل (4) رسم توضيحي لذروة الجدار الساتر لكتلة المدخل

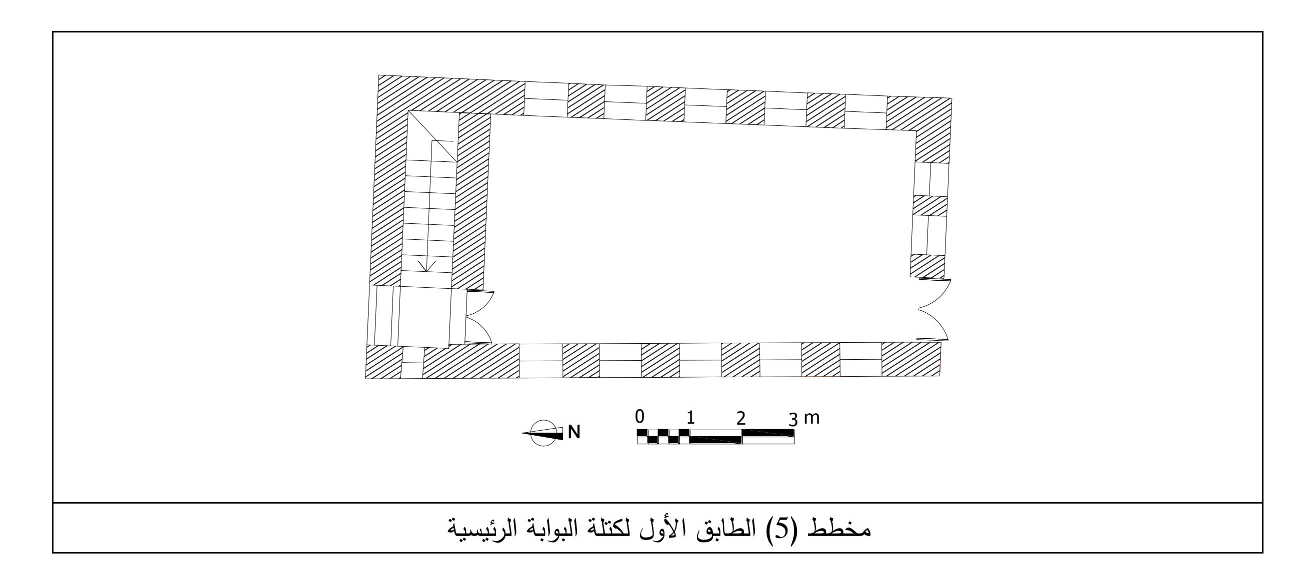
يفضي المدخل الخارجي للبوابة إلى الدركاة المذكورة وإلى جانبه من الداخل توجد دخلة طولية في الجدار، الغرض الوظيفي منها هو الدفاع عن البوابة، وذلك بوضع قطع خشبية تستند عليها وعلى الباب الخشبي، وتماثلها أخرى في الجدار الغربي من الدركاة. وتخطيط الدركاة ذو شكل مستطيل، أبعادها من الداخل نحو (4.15م x 3.80م)، تنتهي من الجهة الشرقية بفتحة مدخل ذي عقد نصف دائري، يبلغ ارتفاعه (3.50م)، وعرضه (2.70م). ومما يليه من جهة الجنوب يوجد مدخل حجرة حراسة المدخل، والتي تتخذ شكلاً مستطيلاً، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (3.80م x 3.70م)، (م: 4).

ويتم الصعود إلى الحجرة العلوية لحراسة البوابة بواسطة سلم صاعد يقع بجانب مدخل الدركاة المؤدي إلى الفناء من الجهة الشمالية، وينتهي من أعلى بفتحة باب. وهذه الحجرة ذو شكل مستطيل، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (8.15م x 4.40م)، وسمك جدرانها (55سم)، ويتخلل جدرانها الأربعة العديد من النوافذ ذات العقود النصف دائرية التي تتشابه في قياساتها، حيث بلغ ارتفاع كل واحدة منها (2.50م)، واتساعها (80سم). وتتوزع هذه النوافذ على جدان الحجرة كالآتي: خمس في الجدار الغربي، تقابلها خمس أخرى في الجدار الشرقي، ونافذتين في الجدار الجنوبي، بجانبها باب يفضي إلى سطح مطبخ الدار، ويقابله باب آخر في الجهة الشمالية يفضي إلى سطح حجرة مبيت الجند (ل:19، م:5). وبواسطة السلم

أيضاً يتم الصعود إلى سطح حجرة المدخل نفسها، حيث يكلل جدرانها الأربعة جدار ساتر، يبلغ ارتفاعه نحو (2م). والغرض الرئيسي من وجوده هو الدفاع عن المدخل الرئيسي للقلعة، وقد زين من الخارج بأشكال معقودة بها فتحات ضيقة يستطيع المدافعون عن المدخل الرؤية والرماية منها.



مخطط (4) الطابق الأرضي لكتلة البوابة الرئيسية



مخطط (5) الطابق الأول لكتلة البوابة الرئيسية


لوحة (19) حجرة حراسة المدخل الرئيسي

- **أبراج القلعة**

لقلعة بيت الفَقيه خمسة أبراج: ثلاثة منها متشابهة في تكوينها المعماري، وهي الجنوبي الغربي، والشمالي الشرقي، والشرقي، أما البرج الشمالي الغربي فهو خاص بإطلاق المدفعية، والجنوبي الشرقي يمثل حجرة للمراقبة تؤدي دور البرج.

– **البرج الجنوبي الغربي:** (B) (ل:20)

يتخذ هذا البرج شكل اسطواني قائم يرتد إلى الداخل كلما أرتفع البناء، ومسقطه الأفقي دائري يبلغ محيطه من الأسفل (11.10م)، وارتفاعه (10.60م)، وهو يتكون من ثلاثة طوابق: الأرضي منها دعم بجدار ساند مشطوف من أعلاه، وتتخلله فتحات ضيقة (مزاغل) للرماية، تبلغ أبعاد الواحدة منها نحو (10x10سم).

يتم الدخول إلى هذا البرج بواسطة مدخلين، الأول من خارج القلعة، ويقع بجانب البرج من الجهة الغربية، والثاني يقع داخل القلعة بجانب مطبخ دار الإمام، وهذا الأخير يؤدي إلى الطابق الأرضي للبرج (م:6)، حيث يشغله باب خشبي لم يتبق إلا أحد مصراعيه، وهو بحالة سيئة، حيث سقطت معظم الزخارف التي كانت تزينه. وهذا الطابق قطره من الداخل نحو (2.26م)، ويحتوي جداره في الأسفل على

ثمان دخلات معقودة بداخل كل واحدة منها مزغلان سدا في مرحلة لاحقة من بنائهما، وقد فتحت في منتصف جدار هذا الطابق نافذتان إحداهما تتجه نحو الجهة الشمالية الغربية والأخرى نحو الجهة الجنوبية، ويبلغ ارتفاع كل منهما (60م)، واتساعها (50سم)، وغطي هذا الطابق بسقف خشبي مسطح (ل:21).

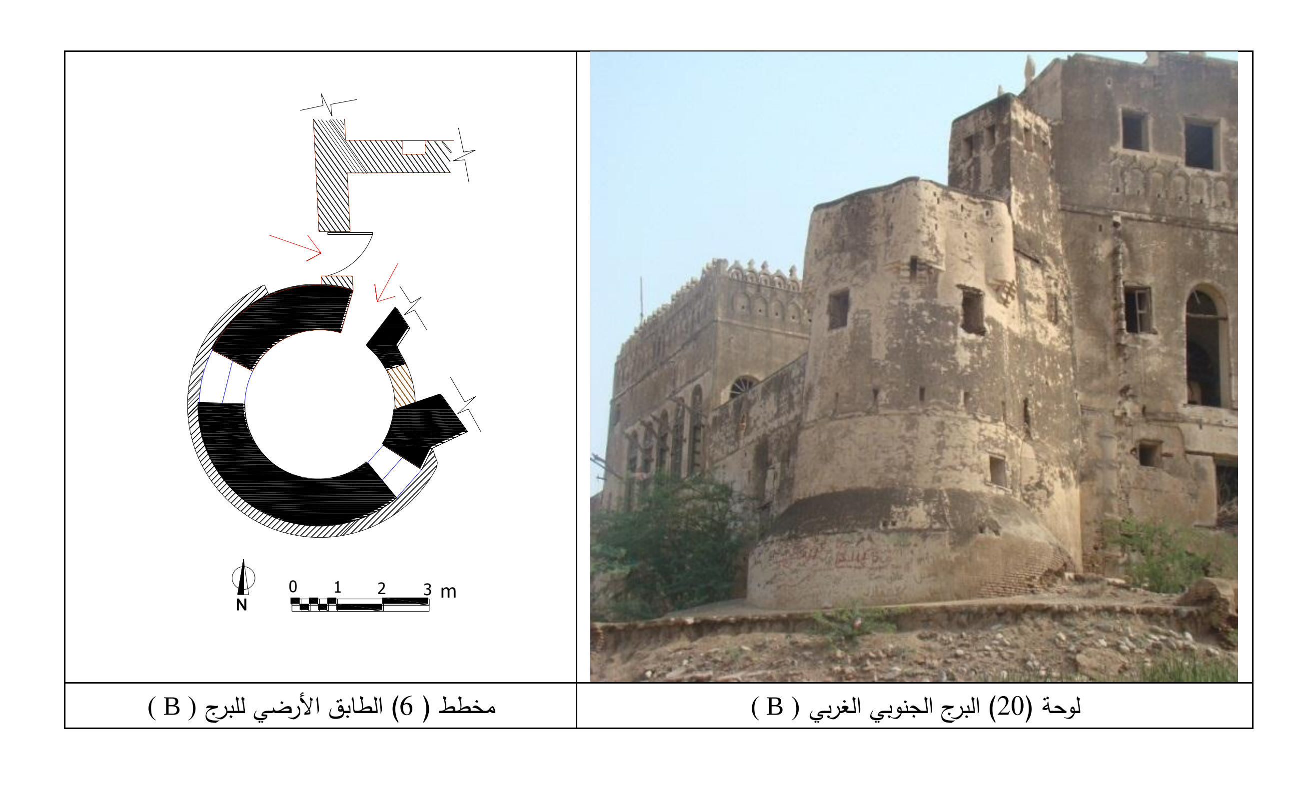
ويُصعد إلى الطابق الأول من هذا البرج بواسطة سلم ينتهي في الأعلى بفتحة باب، تبلغ ارتفاعها (1.75م)، واتساعها (1م). ويضم جدار هذا الطابق إحدى عشر سقاطة غير بارزة، وهي على هيئة أشكال مستطيلة رأسية ترتد نحو الداخل، وبأسفل كل واحدة منها فتحة مائلة نحو الأسفل تسكب من خلالها المواد الحارقة على المهاجمين الذين يحاولون الاقتراب من جدار البرج؛ كما فتح في الجزء العلوي من جدار البرج ثلاث نوافذ للضوء والتهوية ارتفاع كل منها (70سم) واتساعها (55سم)، ويمكن من خلالها أيضاً التصويب نحو الخارج ولكن لعدو يتمركز في مسافة بعيدة من القلعة (م:7، ل:22).

أما الطابق الثاني من البرج فيتم الدخول إليه من جهتين: الأولى عن طريق درج يلتف بداخل البرج، والثاني بواسطة مدخل يرتبط بسطحي مطبخ دار الامام وإحدى حجرات الطابق الأرضي. وهذا الطابق من البرج مكشوف ذو شكل دائري أيضاً، يبلغ قطره (3.30م)، ويلتف حوله جدار ساتر يبلغ ارتفاعه نحو (1.60م)، تتخلله أربع دخلات طولية ثلاثية الأضلاع بارزة إلى الخارج تسمى معمارياً بـ (سَقَّاطات[1]) (ش:5)، فتح في الضلعين الجانبيين منها أربعة مزاغل مائلة إلى اليمين واليسار بواقع مزغلين في كل ضلع يستطيع الجندي من خلالها توجيه بندقيته في كلا الجهتين بكل سهولة، وفي الضلع الأوسط

1 – السَّقاطات: سقط الشيء بمعنى وقع من أعلى إلى أسفل، وفي المصطلح الأثري هي عبارة عن شرفة بارزة عن سمت الجدار، وفي أرضيتها فتحات يمكن من خلالها إسقاط الزيت المغلي والحمم والضرب بالسهام لمن يتجرأ على الوصول إلى هذه المنطقة ويتمكن من الالتصاق بجدار السور أو البرج وغيره. للمزيد انظر: محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 128، الكويت 1988، ص 124. وعاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 141.

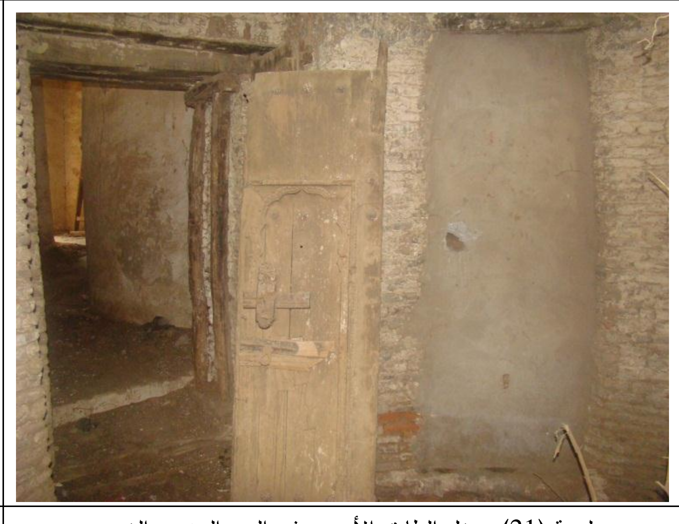
منها فتحت في أسفله سقّاطة تؤدي وظيفةً دفاعيةً، تتلخص في رمي العدو إما بالسهام أو بطلقات البنادق، وإما بصب الزيوت الحارقة عليهم (م:8، ل:23).

وينتهي البرج الجنوبي الغربي من الأعلى بمرقب[1] يصعد إليه من الطابق الثاني، وهو عبارة عن كتلة بنائية ذات شكل خماسي غير متساوية الأضلاع، يبلغ ارتفاعها نحو (2.20م)، وفتحت في جدرانها الثلاثة: الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي والشمالي الغربي، نوافذ للمراقبة بواقع نافذتين في كل جهة، يبلغ ارتفاع كل واحدة منها (70سم)، واتساعها (35سم) تتم من خلالها مراقبة مساحة واسعة خارج القلعة وداخلها.

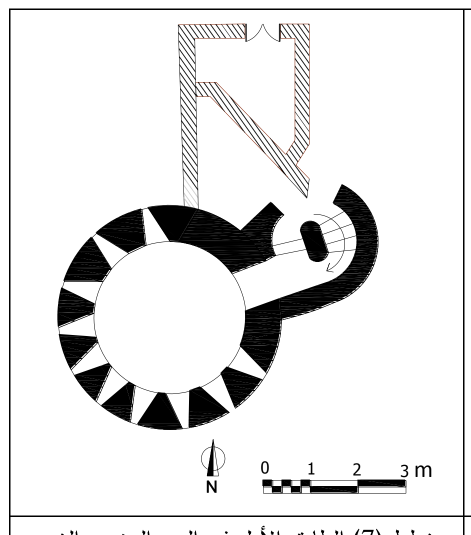


لوحة (20) البرج الجنوبي الغربي (B)	مخطط (6) الطابق الأرضي للبرج (B)

1 – المَرقب والمَرْقَبةُ: الموضع المشرف، يرتفع عليه الرقيب، وما أوفيت عليه من علم أو رابية لتنظر من بعد. وأرتقب المكانُ: عَلا وأَشرف؛ والمرقبة هي المنظرة في رأس جبل أو حصن، وجَمعه مراقب. ورقب الشيء يرقبه، وراقبه مراقبة ورقابا: حرسه. للمزيد انظر: محمد ابن منظور: لسان العرب، باب الراء، ص 425.



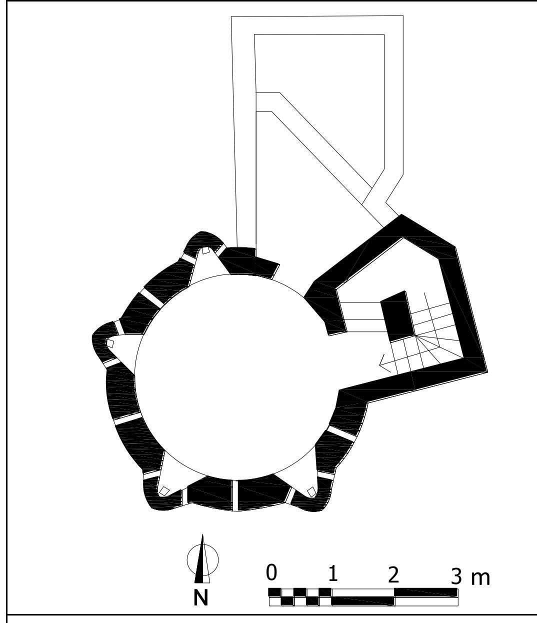
لوحة (21) مدخل الطابق الأرضي في البرج الجنوبي الغربي



مخطط (7) الطابق الأول في البرج الجنوبي الغربي



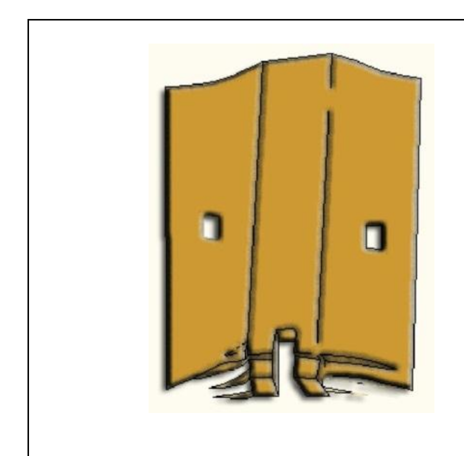
لوحة (22) العناصر الدفاعية في الجدار الداخلي للطابق الأول
من البرج الجنوبي الغربي (B)



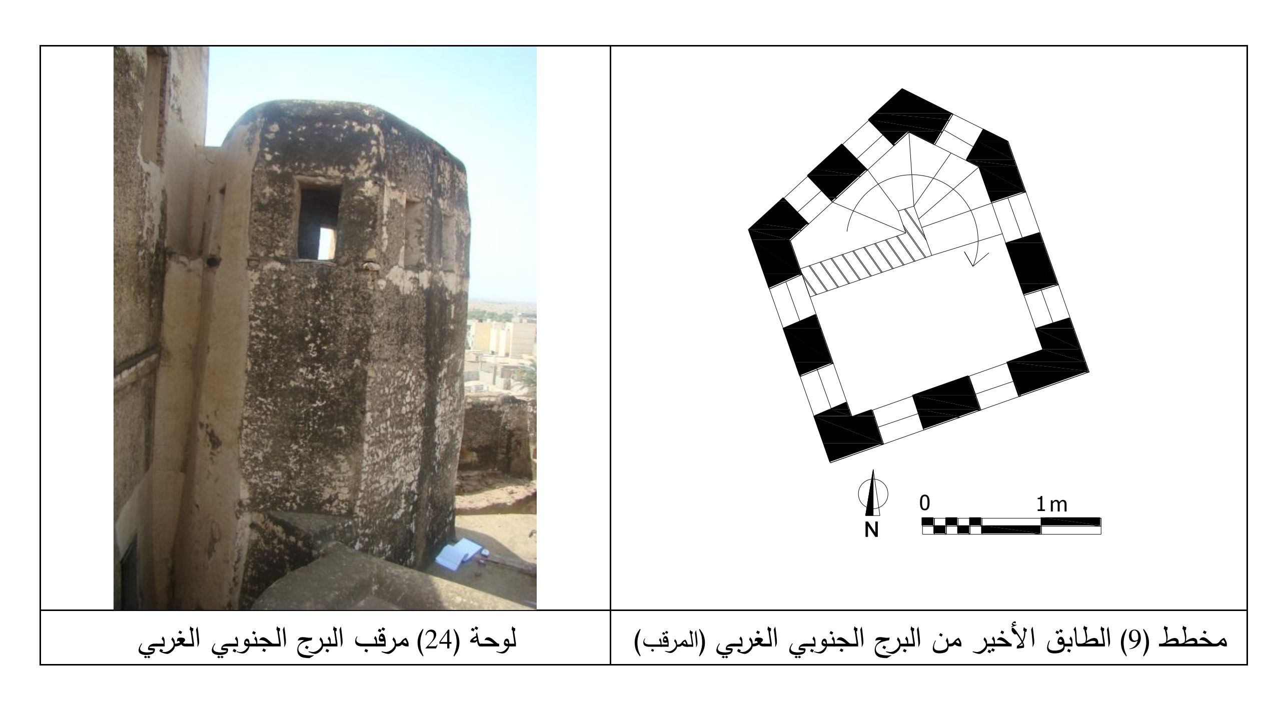
مخطط (8) الطابق الثاني
البرج الجنوبي الغربي (B)



لوحة (23) العناصر الدفاعية في الجدار الساتر – الطابق الثاني



شكل (5) رسم توضيحي للواجهة الخارجية لعنصر السَّقَاطة



مخطط (9) الطابق الأخير من البرج الجنوبي الغربي (المرقب)	لوحة (24) مرقب البرج الجنوبي الغربي

التحليل المعماري للبرج الجنوبي الغربي: (B)

إن هذا البرج يشبه نظيراه الشمالي الشرقي والشرقي في القلعة نفسها، من حيث تخطيطه المعماري وشكله الخارجي ومكوناته الدفاعية والمعمارية، كما يشبه أيضاً الأبراج الأربعة التي تشغل أركان قلعة مدينة الضِحي، وبرج المدرسة الإسكندرية بقلعة مدينة زَبيد، الذي يتكون من أربعة طوابق[1]. وقد وجد هذا الشكل في كثير من القلاع خارج اليمن، وخاصة تلك التي كانت مادة بنائها من الآجر، كما في قلاع قطر وعُمان والسعودية والجزائر. ومن العناصر الدفاعية في البرج المذكور (B) السَّقاطة، والتي وجدت في أغلب المنشآت الدفاعية في اليمن وخارجه، غير أن ما تميزت به العمارة اليمنية عن غيرها، وخاصة المدنية منها، هو وجود هذا العنصر في أعلى مداخل المنازل، فكانت له عدة أغراض وظيفية من أهمها مراقبة ومعرفة الشخص الذي يقف عند المدخل، وما تزال الكثير منها باقية إلى الوقت الراهن[2].

1 – عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 342.

2 – عن هذا الموضوع انظر مثلاً: غازي محمد رجب: *"مظاهر حربية في العمارة العربية اليمنية"*، مجلة آداب المستنصرية، ع 11، بغداد، 1985، ص 594. وأيضا: فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، ص 41.

- **البرج الشمالي الغربي** (برج المدافع) (A) (ل:25، ش:6)

يقع هذا البرج في الزاوية الشمالية الغربية من القلعة في مكان متوسط بين حجرتي السكن الخاصة بالجنود، ويطلق عليه نوبة[1] المدفع؛ لأنه بني لغرض رمي قذائف المدفعية منه[2]. ومن الناحية المعمارية يعتبر أكبر أبراج القلعة مساحة، ويتخذ شكلاً دائرياً، حيث يبلغ محيطه من الخارج نحو (32.45م)، وارتفاعه (6م). وقد دعم البرج بجدار ساند كسي بطبقة من الملاط (القَضاض)، إلا أن بعض أجزائه من الأسفل تهدمت في الوقت الراهن. وتوجد في البرج من أعلاه أربع فتحات واسعة تسمح بإطلاق قذائف المدفعية، يبلغ اتساع كل واحدة منها من الخارج (2م).

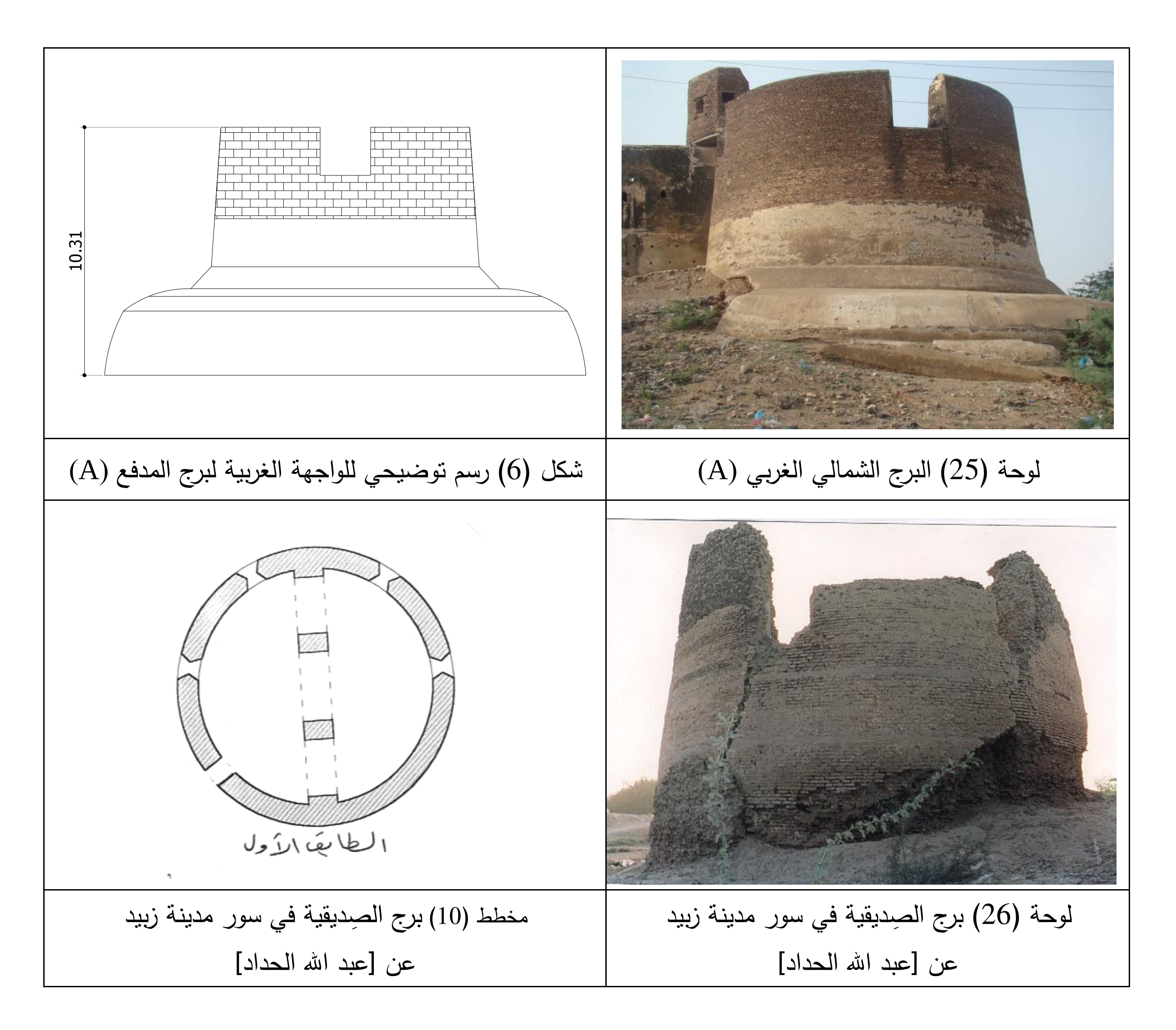
ويعتبر اتساع فتحات المدافع المذكورة أمراً منطقياً؛ فمع ظهور واستخدام أسلحة جديدة في العصر العثماني، كالمدفعية، بدلاً من أسلحة الرمي التقليدية التي شاع استخدامها في العصور السابقة، أخذت فتحات الرمي في الأبراج أشكالاً تتناسب مع هذه الأسلحة، فأصبحت فتحات المدافع متسعة من الداخل والخارج، لكي تسمح بحرية حركة مواسير المدافع، والأمثلة على ذلك كثيرة[3]. ففي سهل تهامة وخاصة في المنطقة الداخلية منه، تضمنت بعض أبراج سور مدينة زَبيد فتحات للمدافع، كما في برج أبو حسن وبرج الصِّديقية وبرج الكتف (ل:26 - م:10)، وجميع هذه الأبراج ذوات محيط واسع تتحمل وجود المدافع بداخلها[4]، أما القلاع التي تضمنتها الدراسة وأرفقت بها أبراج مماثلة فهي قلعتا الزُهرة، والزَيدية (ل:89، 228).

1 - عن هذا المصطلح انظر ملحق الألفاظ والمصطلحات المحلية.

2 - يذكر الكثير من أبناء مدينة بيت الفَقيه أن المدفع الذي كان بالقلعة كان إلى وقت قريب يستخدم لغرض الإعلان بدخول وقت صلاة المغرب في شهر رمضان من كل عام، وبالطبع لم تستخدم قذائف حيه في ذلك الأمر وإنما كانت تصنع من مواد محلية بالإضافة إلى مادة البارود فتعطي صوتاً مرتفعاً فقط، وما زالت بعض المدن اليمنية مستمرة في استخدام المدفع لهذا الغرض، ومنها: مدينتي صنعاء وذَمار. ولم تكن هذه العادة مستخدمة في اليمن فحسب، وإنما كانت تتم، أيضا، خارج اليمن، ومثال ذلك قلعة باب الربع بمدينة الطائف (1801م) في المملكة العربية السعودية. للمزيد انظر: سليمان بن صالح آل كمال: *"تحصينات الطائف العسكرية خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين"*، مجلة الدارة، ع 3، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 2003، ص 153.

3 - محمد عثمان: المدينة الإسلامية، ص 130- 131.

4 - عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد ...، ص 359.



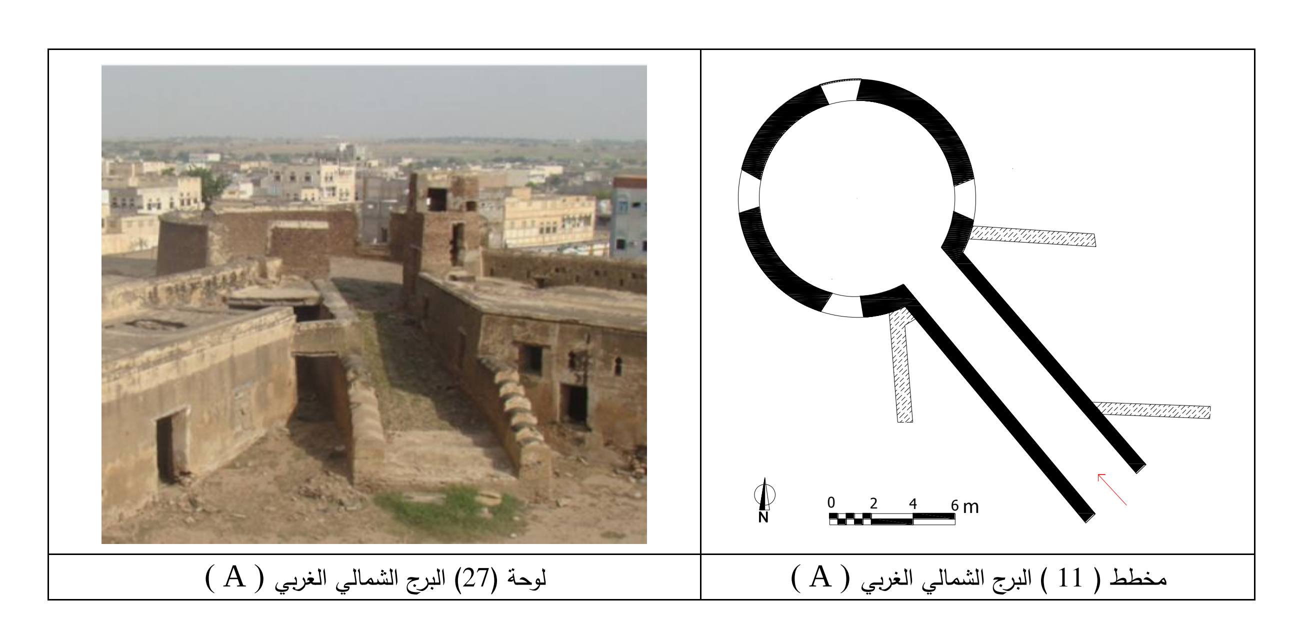
لوحة (25) البرج الشمالي الغربي (A)	شكل (6) رسم توضيحي للواجهة الغربية لبرج المدفع (A)
لوحة (26) برج الصِديقية في سور مدينة زبيد عن [عبد الله الحداد]	مخطط (10) برج الصِديقية في سور مدينة زبيد عن [عبد الله الحداد]

ويتم الصعود إلى برج المدافع بواسطة طريق صاعد بغير درج (زلاقة)[1] ردم بالتراب، ويعتبر أسلوب استخدام الطريق الصاعد المذكور هو الأنسب لإدخال أسلحة المدفعية ذات العجلات إلى داخل البرج، وقد وجد مثيلاً له في بعض قلاع تهامة التي تضمنتها الدراسة، كقلعة الزَيدية، وقلعة حَيس، وقلعة جبل الملح الغربية، وقلعة جبل باجل.

ويكتنف الطريق الصاعد للبرج من الجانبين جداران متدرجان يرتفع منسوبهما كلما صعدنا إلى الأعلى، ويبلغ امتداده نحو (13م) واتساعه (2.57م)، وينتهي عند باب البرج الذي يبلغ اتساعه نحو (2.50م). والبرج من الداخل ذو شكل دائري قطره (9.35م) يلتف حوله جدار ساتر يبلغ ارتفاعه نحو

1 – عن الطريق الصاعد (الزّلاقة) يراجع الوصف الأثري لكتلة البوابة الرئيسية من الخارج في القلعة نفسها، ص 118.

(1.25م)، به أربع فتحات لإطلاق قذائف المدفعية (ل:27، م:11)، اتساعها من الداخل كالآتي: الشرقية (1.20م)، والغربية (1.25م)، والشمالية (1.30م)، والجنوبية (1.35م). أما أرضية البرج فقد ردمت بالتراب أيضاً حتى تتحمل الثقل والاهتزاز الناتج عن المدافع التي كانت تشغل سطحه. وهذا الأسلوب في بناء الأبراج استخدم في القلاع العثمانية ليس في اليمن وحسب، وإنما خارجها، كما في الأبراج الأربعة لقلعة القَيقب في الجمهورية الليبية، والتي تعود في تاريخها إلى الفترة العثمانية (1268هـ/ 1852م)[1].

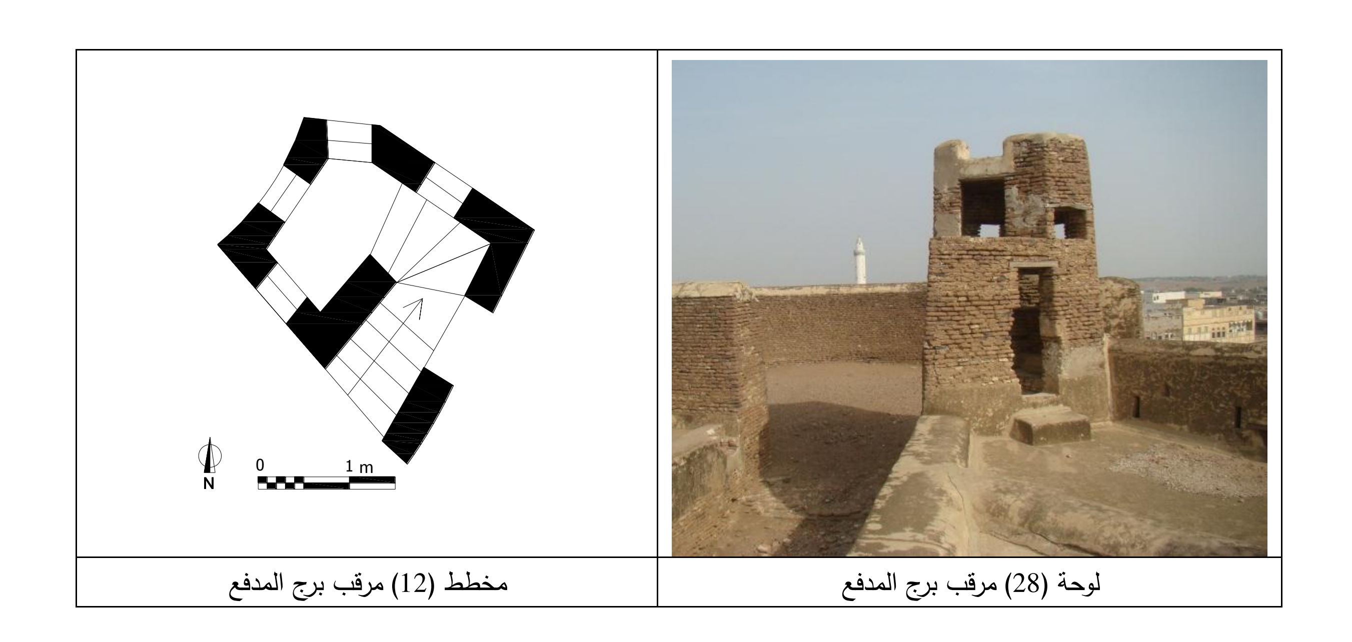


مخطط (11) البرج الشمالي الغربي (A)

لوحة (27) البرج الشمالي الغربي (A)

ويكتنف مدخل برج المدافع في قلعة بيت الفَقيه من الجهة الشرقية مرقب (ل:28، م:12)، يتم الصعود إليه عبر فتحة باب مستطيلة الشكل تؤدي إلى الجزء العلوي منه بواسطة عشر درجات. والمسقط الأفقي لهذا المرقب ذو شكل رباعي غير متساوي الأضلاع، فتحت في جدرانه أربع فتحات، يبلغ اتساع كل واحدة منها نحو (50سم) وارتفاعها (60سم)، والغرض الإنشائي منها مراقبة كل الاتجاهات بداخل القلعة وخارجها.

1 – تقع قلعة القَيقب في القرية التي تحمل اسمها، وهي جنوب مدينة الأبرق بالجبل الأخضر بنحو (8 كم)، وقد شيد هذه القلعة أبو بكر حدوث (شيخ قبيلة البراعصة) بمساعدة الحكومة العثمانية ونيابة عنها. للمزيد انظر: مجموعة من الباحثين الليبيين: معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط 1، القاهرة، 2008، ص 228.



مخطط (12) مرقب برج المدفع	لوحة (28) مرقب برج المدفع

- **البرج الشمالي الشرقي (D)**: (ل:29)

يتخذ هذا البرج شكل دائري يبلغ محيطه من الأسفل نحو (9م)، وارتفاعه (11م)، ويدعمه جدار ساند في الأسفل، والدخول إليه يتم عبر فتحة مدخل ذو عقد مدبب، تؤدي إلى مدخل آخر اتساعه (1.20م) وارتفاعه (2م)، وقد شغل بباب خشبي ذي مصراعين تمت صناعتهما بألواح طولية ثبتت بالمسامير الحديدية، وزين كل واحد منهما بشكل زخرفي نفذ بأسلوب الحز، وهو على هيئة محراب في رأسه ورقة نباتية خماسية البتلات. وقد سقفت منطقة ما بين المدخلين المذكورين بقبو على هيئة طاقية نصف كروية مدببة، ويبدو أن هذه المنطقة من البرج هي من الأجزاء الأقدم في القلعة، مقارنة بالبناء الحالي لها؛ ذلك لأن الكثير من القلاع العثمانية كان يغطي الطابق السفلي من أبراجها وطوابقها السفلية أقبية أو قباب صغرى. وهذا النوع من التغطية وجد في مواضع عدة في تحصينات مدينة عَدن، وخاصة قلعة صِيرة[1]، وفي القلاع التي تضمنتها الدراسة وجد، أيضا، في بعض الممرات الأرضية في قلعة الزَّيلعي

1 – هيفاء مكاوي: التحصينات العسكرية بمدينة عدن ....، ص 144.

بمدينة اللُّحية؛ أما خارج اليمن فتعتبر الأقبية المدببة في الطوابق السفلية لبعض أبراج قلعة المويلح العثمانية (1013هـ/ 1605م) في السعودية خير مثال لها[1].

ويتألف الطابق الأرضي لهذا البرج من مساحة مستديرة يقطعها في جانب منها جدار فتح فيه مدخل يصعد من خلاله إلى الطابق الأول. وتتخلل جدار هذا الطابق فتحات من العناصر الدفاعية، تتألف كل واحدة منها من دخلة معقودة، يبلغ ارتفاعها نحو (45سم)، وعرضها (35سم)، وتضم فتحتان للرماية (مزغلان) إحداهما تميل نحو اليمين والأخرى نحو اليسار (م:13).

ويصعد إلى الطابق الأول في البرج بواسطة درج ملتو ينتهي من أعلى بفتحة باب تؤدي إلى حجرة الجند، وهي ذات شكل مستدير متعرج تتخلله ثلاثة مستويات: الأول من الأسفل عبارة عن أربع دخلات معقودة ترتد نحو الداخل بنحو (45سم)، يبلغ اتساع كل واحدة منها نحو (50سم)، وارتفاعها (55سم). وقد فتح أيضا في كل دخلة مزغلان من النوع المائل، أحدهما يتجه نحو اليمين والآخر نحو اليسار، ويتوسطهما مزغل مائل إلى الأسفل يمكن أن يستخدم كسقَّاطة؛ أما المستوى الثاني فيضم أربعة مزاغل زوجية مائلة، يقع كل واحد منها بداخل دخلة معقودة، بلغ اتساع كل واحدة منها نحو (45 سم)، وارتفاعها (45 سم). بينما يتكون المستوى الثالث من ثلاثة أشكال معقودة شبيهة بالسابقة، غير أن عقود هذا المستوى غُطت بقطع الآجر وتركت بها فتحات لتهوية البرج (م:14).

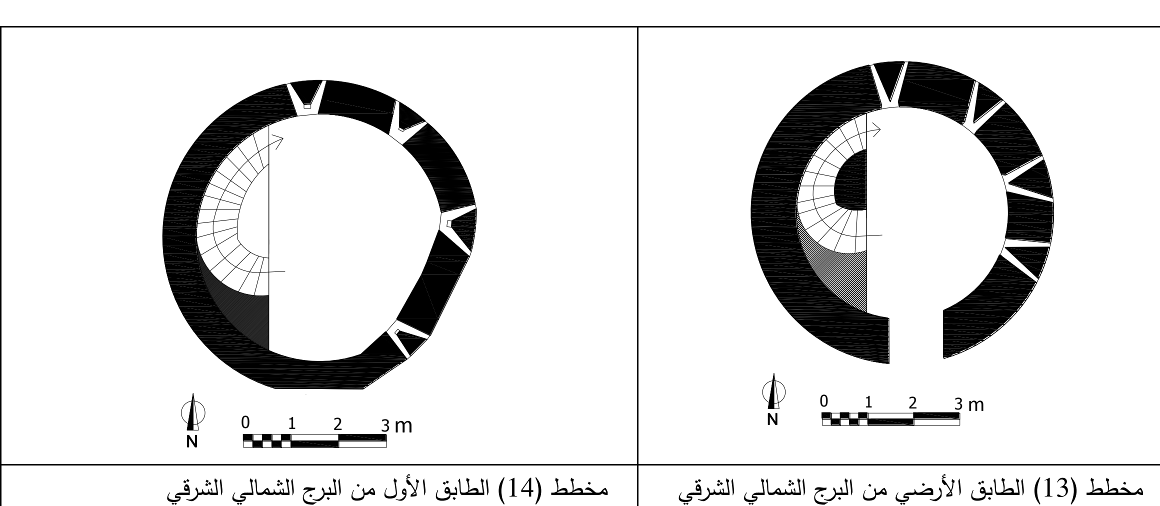
ويصعد من هذا الطابق إلى الطابق الثاني عبر الدرج نفسها، حيث تنتهي بفتحة باب اتساعه (1م). وهذا الطابق مكشوف يلتف حوله جدار ساتر، يبلغ سمكه نحو (65 سم)، وارتفاعه (2م)، تتخلله أربع دخلات طولية بارزة إلى خارج البرج، وقد فتحت بكل واحدة منها فتحتان لمزغلان مائلان نحو الخارج، وتتوسطهما من الأسفل فتحة واحدة لسقَّاطة بارزة نحو الخارج (ل:30، م:15). ويستمر الصعود من هذا الطابق إلى الطابق الثالث (المرقب) وهو الأخير، والذي تعرضت بعض جدرانه للتهدم، ولكن من خلال

1 – هشام محمد علي عجيمي: قلعة المويلح (دراسة معمارية حضارية)، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة، 1983، ص 36.

ما تبقى منه يظهر بأنه يشبه مرقب البرج الشرقي، في وجود سبع نوافذ، تتخلل جدارة كانت تستخدم للمراقبة.

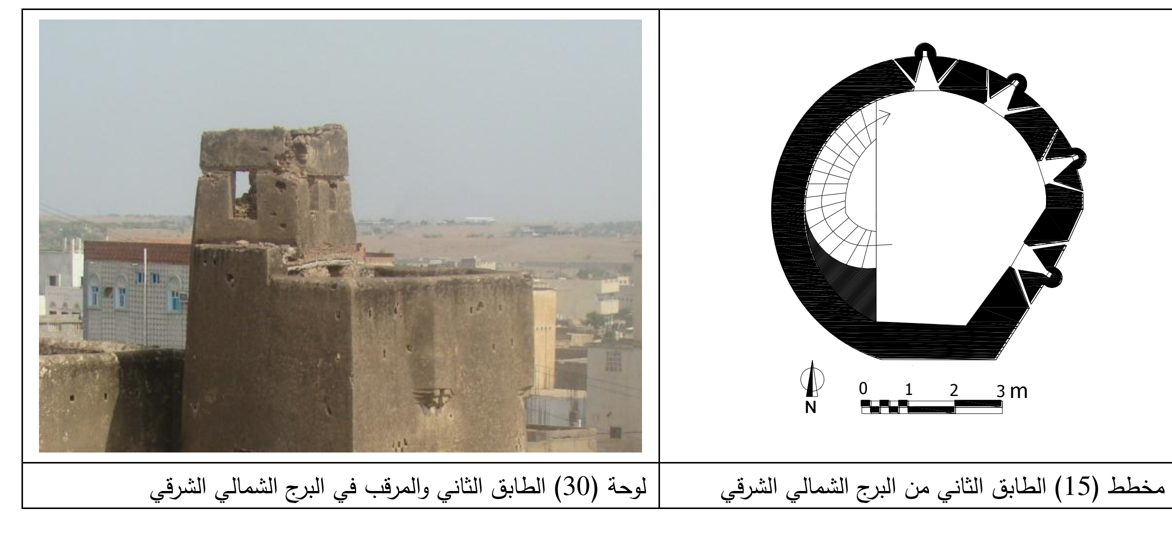


لوحة (29) البرج الشمالي الشرقي (D)



مخطط (13) الطابق الأرضي من البرج الشمالي الشرقي

مخطط (14) الطابق الأول من البرج الشمالي الشرقي



مخطط (15) الطابق الثاني من البرج الشمالي الشرقي

لوحة (30) الطابق الثاني والمرقب في البرج الشمالي الشرقي

– **البرج الشرقي** (C): (ل:31)

يطل هذا البرج على الجهة الشرقية من القلعة ويتخذ شكلاً اسطوانياً، حيث يبلغ محيطه من الخارج (8.50م)؛ والشكل الخارجي له يشبه نظيريه في البرجين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي في القلعة نفسها، سواء من حيث التصميم المعتمد على الشكل الأسطواني القائم الذي يميل نحو الداخل كلما أرتفع البناء، والمدعم من الأسفل بجدار ساند مشطوف من أعلاه، أو من حيث كسائه من الخارج بمادة الملاط (القَضاض).

يتألف البرج الشرقي من أربعة طوابق، ويتم الدخول إليه عبر مدخل يقع في الجهة الغربية منه، يبلغ اتساعه نحو (1م) وارتفاعه (2م)، يتوجه فتحته عقد مدبب، ويقابله مدخل آخر يتوسط الجدار، يبلغ اتساعه (95سم)، وارتفاعه (1.70م)، يؤدي إلى الطابق الأرضي للبرج (م:16). وبهذا الطابق فتح مزغلان أحدهما مفرد والآخر مزدوج من النوع المائل، كما توجد به خزانه على شكل دخلة في الجدار ارتفاعها (50سم)، وعرضها (40سم) وعمقها (30سم)، (ل:32). وقد غطي هذا الطابق بسقف خشبي مسطح، وهي الطريقة التي استخدمت في تسقيف جميع مرافق القلعة.

ويصعد إلى الطابق الأول في البرج بواسطة سلم مكون من ثلاثة عشر درجة تستند في جانب منها على جدار البرج وجانبها الآخر على الجدار الداخلي (الدعامة)، وينتهي السلم من أعلى بفتحة باب يبلغ اتساعها نحو (1.13م)، تؤدي إلى حجرة الجند، وهي ذات شكل مستدير يبلغ سمك جدارها نحو (75سم)، (م:17). وتتخلل جدار هذه الحجرة دخلات معقودة تتوزع على ثلاثة مستويات: الأول من الأسفل به خمس دخلات، اتساع عقد كل واحدة منها نحو (50سم)، وارتفاعه (55سم)، وعمقه (45سم). وقد فتح بكل واحدة من هذه الدخلات مزغلان من النوع المائل، أحدهما يتجه نحو اليمين والآخر نحو اليسار، ويتوسطهما مزغل مائل إلى الأسفل يمكن أن يستخدم كسقَّاطة. أما المستوى الثاني فيضم خمسة مزاغل زوجية مائلة، يقع كل واحد منها بداخل دخلة معقودة، يبلغ اتساع كل واحدة منها (45سم)، وارتفاعها

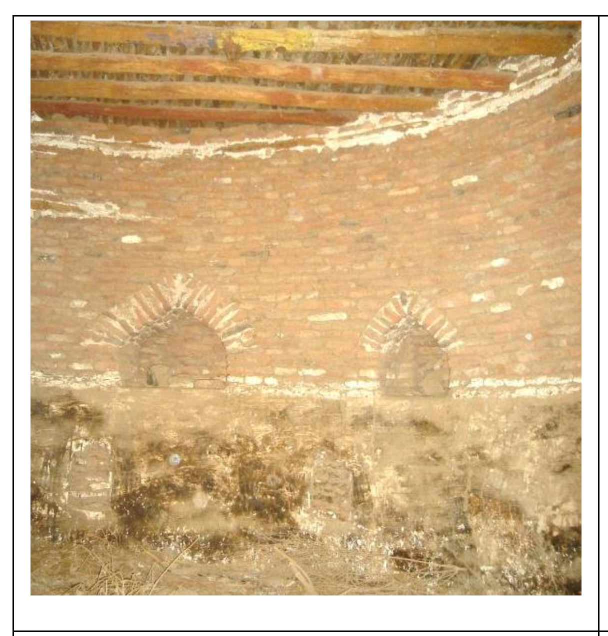
(45سم). بينما يتكون المستوى الثالث من خمسة أشكال معقودة شبيهة بالسابقة، غير أن عقود هذا المستوى غُطت بقطع الآجر وتركت بها فتحات للتهوية والرماية أيضا (ل:33، ش:7).

ويصعد من هذا الطابق إلى السطح – الذي يمثل الطابق الثاني – عبر الدرج نفسها، حيث تنتهي بفتحة باب، بلغ اتساعه نحو (1م)، وارتفاعه (1.85م). وهذا الطابق يتكون من مساحة مستديرة الشكل، قطرها من الداخل نحو (2.30م)، يلتف حولها جدار ساتر سمكه (65سم)، وارتفاعه (2.10م)، تتخلله ست دخلات طولية فتحت بكل واحدة منها فتحتان لمزغلين مائلين نحو الخارج، ويتوسطهما من الأسفل فتحة واحدة لسقَّاطة بارزة إلى الخارج، كما تتخلل المناطق المحصورة بين الدخلات الطولية مزاغل مزدوجة (م:18، ل:34، ش:8). ويستمر الصعود من هذا الطابق إلى الطابق الثالث الأخير (المَرقب) (م:19)، والذي تتخلل جداراه سبع نوافذ، منها خمس تطل إلى خارج القلعة، ونافذتان تطل إلى الداخل، بلغ ارتفاع كل منهما نحو (65سم) وارتفاعها (35سم).

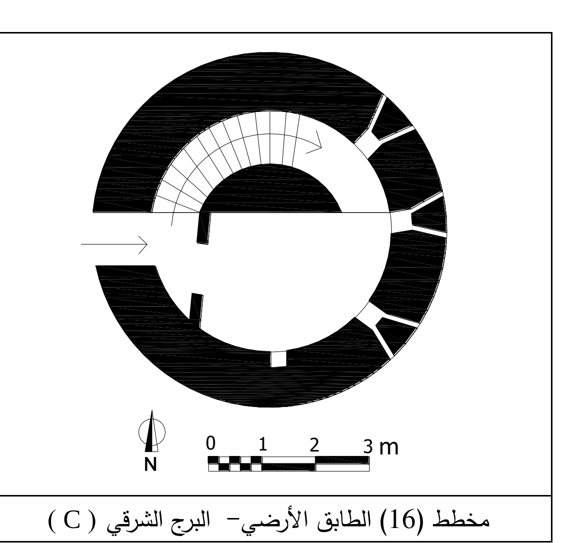
ومن خلال الدراسة الوصفية المعمارية للأبراج الثلاثة: الجنوبي الغربي، والشمالي الشرقي، والشرقي، يتضح بأن جيع العناصر المعمارية والدفاعية التي تتألف منها متشابهة جداً من حيث أسلوب بنائها ووظيفتها، وهذا الأمر يدعو إلى القول بأن الأبراج الثلاثة المذكورة أنشئت في مرحلة بنائية واحدة، ومن المؤكد أنها ترجع إلى العمارة التي تمت في القلعة عام (1348هـ/ 1929م)، والتي أمر بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين.



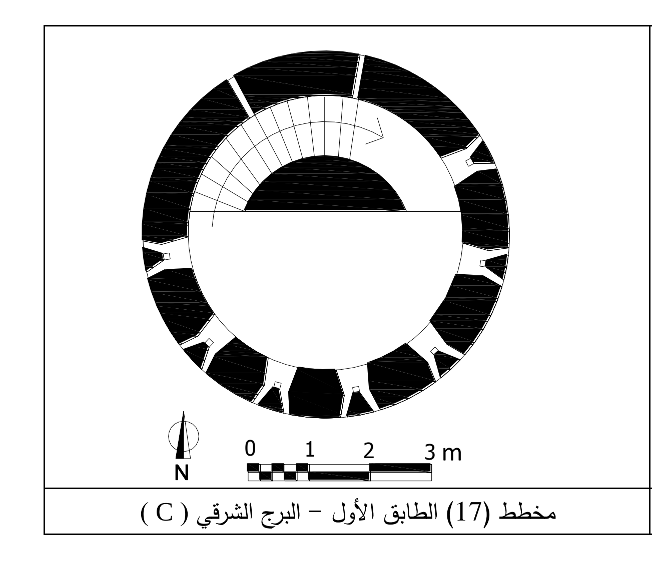
لوحة (31) البرج الشرقي (C)



لوحة (32) الطابق الأرضي – البرج الشرقي (C)



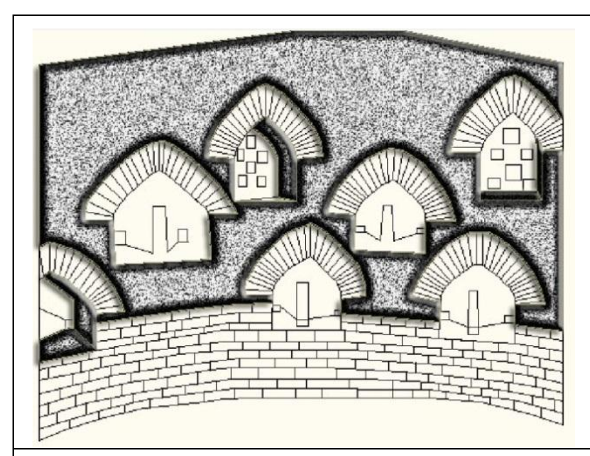
مخطط (16) الطابق الأرضي– البرج الشرقي (C)



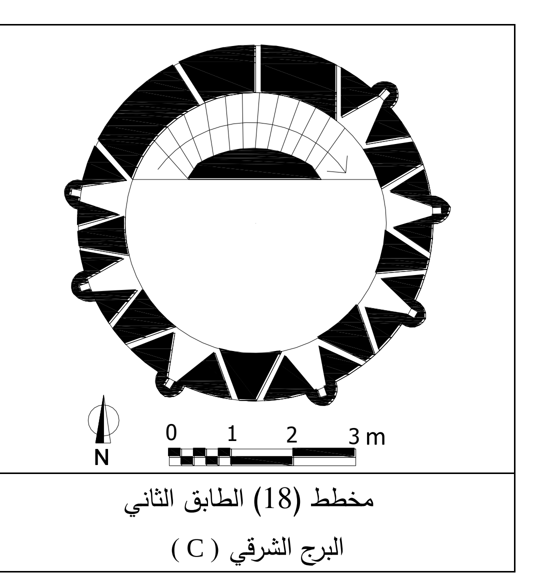
مخطط (17) الطابق الأول – البرج الشرقي (C)



لوحة (33) العناصر الدفاعية في الطابق الأول
البرج الشرقي (C)



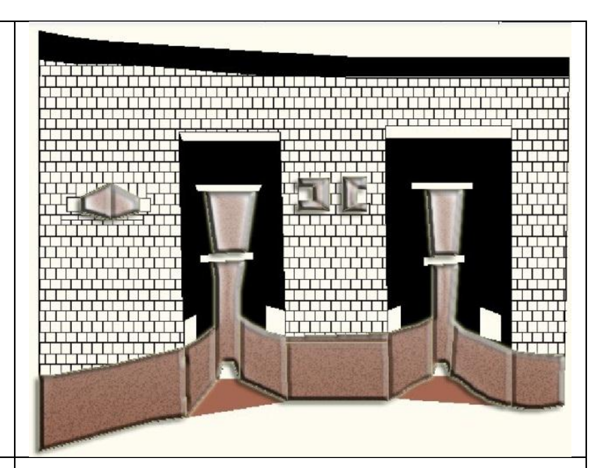
شكل (7) تفريغ للعناصر الدفاعية في الطابق الأول من
البرج الشرقي (C) (المزاغل والسَقاطات الغير بارزة)



مخطط (18) الطابق الثاني
البرج الشرقي (C)



لوحة (34) الجدار الساتر ويتخلله العناصر الدفاعية الطابق الثاني
من البرج الشرقي (C)



شكل (8) تفريغ للعناصر الدفاعية التي تتخلل الجدار
الساتر في الطابق الثاني من البرج الشرقي (C)

مخطط (19) الطابق الثالث (المَرقب)
في البرج الشرقي (C)

– **حجرة المراقبة** (O) **(المرقب):** (ل:35 – 36)

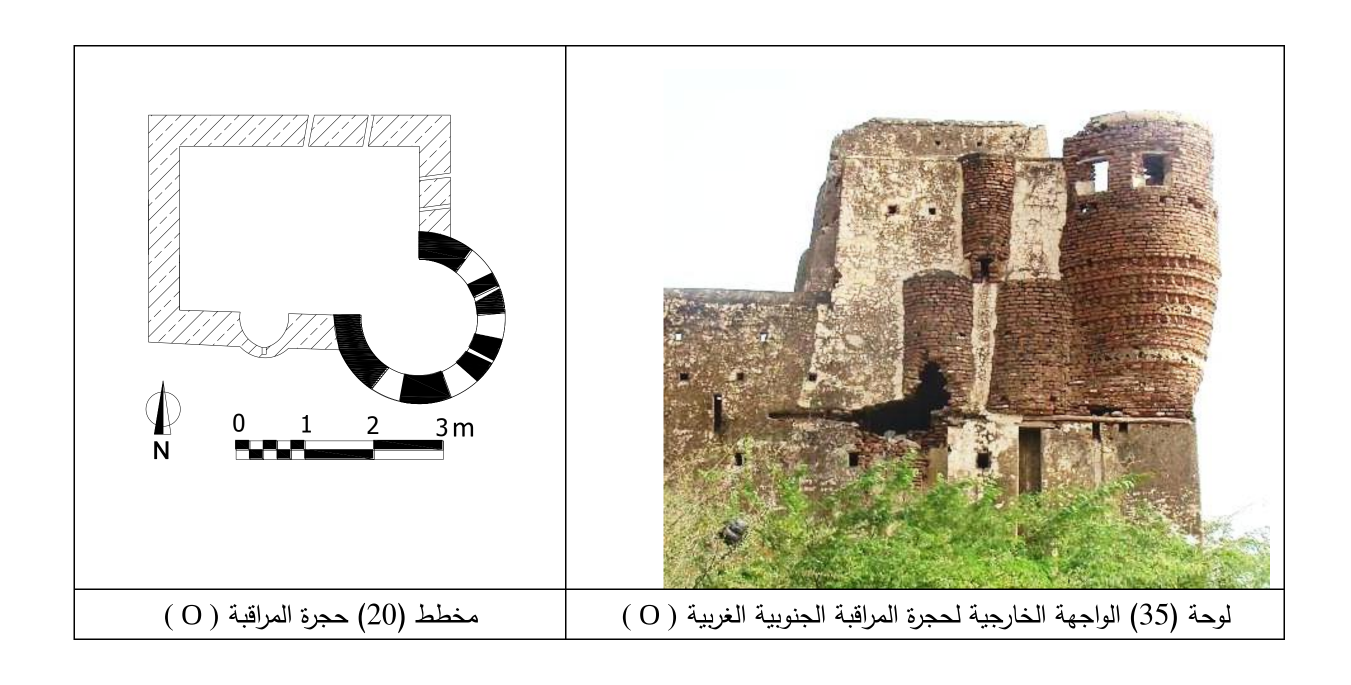
تقع هذه الحجرة في الزاوية الجنوبية الشرقية من القلعة، ومن خلال المعاينة الميدانية لطريقة بنائها ومقارنتها مع الجدران الملاصقة لها، تم التأكد بأنها أضيفت في وقت لاحق لبناء السور الذي بأسفلها. أما عن أسلوب بناء هذه الحجرة (المَرقب)، فقد استخدم البنَّاء قطع الآجر في عمل صفوف على هيئة حلقات تتسع كلما ارتفع البناء، ويسمى هذا الأسلوب بالمقرنصات[1] لتحويل زاوية التقاء الجدارين إلى

1 – المقرنصات: هي أحد الحلول المعمارية المبتكرة لتحويل المنطقة المربعة إلى دائرية، وقد استخدمت في مختلف المباني الإسلامية وأصبحت من أبرز خصائصها. وتنتمي مقرنصات قاعدة المرقب المذكور إلى النوع المنشوري، حيث وضعت نصف قوالب الآجر بداخل الجدار، والنصف الآخر يبرز عنه إلى الخارج، يعلوه صف آخر وضعت قوالبه إلى جانب بعضها بشكل متراص. وقد استخدم هذا النوع من المقرنصات في اليمن

منطقة دائرية، يستند عليها جدار المرقب الذي يتخذ الشكل المستدير. وقد فتحت في الجزء العلوي من جدار الحجرة أربع فتحات للمراقبة، يبلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (70سم) واتساعها (40 سم).

ويتم الدخول إلى حجرة المراقبة من داخل القلعة بعد الصعود فوق سطح المراحيض، وهي من الداخل ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها نحو (3.45م x 2.35م)، وتضم في الجدار الجنوبي دخلة طولية بها في أسفلها فتحة للعنصر الدفاعي السقاطة، التي تؤدي وظيفة حربية تتمثل في سكب المواد الحارقة كغيرها من السقاطات سواءً في أبراج القلعة نفسها أو الاستحكامات الحربية بشكل عام (م:20).

ومن خلال ما ذكر عن حجرة المراقبة يتبين أنها قامت بالدور الدفاعي الذي كانت تؤديه أبراج القلعة، ولذا يمكن اعتبارها أحد أبراج القلعة.



لوحة (35) الواجهة الخارجية لحجرة المراقبة الجنوبية الغربية (O)

مخطط (20) حجرة المراقبة (O)

بشكل كبير في شرفات المآذن ومناطق انتقال القباب وغيرها. عن أصل المقرنصات وأنواعها انظر: كامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية (الخصائص التخطيطية للمقرنصات)، دار الفكر اللبناني، ط 1، بيروت، 1994، ص 13- 14.



لوحة (36) حجرة المراقبة الجنوبية الغربية (O)

سور القلعة:

يمتد سور قلعة بيت الفَقيه في أربعة اتجاهات، ومعظم أجزائه تمثلها الواجهات الخارجية لمرافق للقلعة وقد سبق الوصف العام لها، أما وصفها التفصيلي فسيتم أثناء تناول كل وحدة معمارية على حدة، وبقية الأجزاء من السور تمثلها جدران مرتفعة توصل بين وحدات القلعة والأبراج، وهي التي سنتناولها في الفقرات الآتية.

– **الجهة الشرقية** (ل:14)

يتألف السور في الجهة الشرقية من القلعة من عدة جدران متلاصقة مع بعضها، وتبدأ بجدار ملتصق بالبرج الشمالي الشرقي، يبلغ امتداده نحو (43م)، وارتفاعه (4م)، ويضم من الأسفل عدد من الفتحات الصغيرة (مزاغل) ومن الأعلى صف من الفتحات المائلة إلى الأسفل. وينتهي الجدار المذكور عند المدخل الشرقي للقلعة، الذي يبلغ ارتفاع فتحته نحو (2.50م) واتساعه (2م). وفتحة المدخل هذه مسقوفة بعتب خشبي، كما يشغلها مصراعان شبيهان بمصراعي المدخل الرئيسي في القلعة. ومما يلي المدخل من الجهة الجنوبية امتداد سور القلعة بمسافة (3.80م)، يقطعه سور آخر يتجه نحو الشرق بمسافة (18م) (م:1)، يتخلله صفان من المزاغل المائلة، وفتح فيه مدخل يتجه نحو الشمال، يبلغ ارتفاع

فتحته نحو (2.20م) واتساعها (1.55م)؛ وعند نهاية هذا الجدار يلتقي به جدار آخر يبلغ ارتفاعه (3م)، يمتد نحو الجنوب بمسافة (7.50م)، وينتهي عند البرج الشرقي للقلعة.

ويلي البرج الشرقي من جهة الجنوب جدار يمتد بمسافة (8م)، وينتهي عند حجرة المراقبة الجنوبية الشرقية، وبسبب انخفاض وارتفاع المنطقة التي أنشئ عليها هذا الجدار نجد أن ذروته غير مستوية.

- **الجهة الجنوبية** (ل:15)

يلي حجرة المراقبة من جهة الجنوب جدار سور القلعة الذي يبلغ امتداده (33.40م)، ويتخلله صفان من فتحات الرماية المائلة (المزاغل)، وينتهي هذا السور عند جدار مبنى دار الإمام.

- **الجهتان الغربية والشمالية** (ل:12 – 13)

لا تشتمل الواجهة الغربية من القلعة على سور منفرد، حيث تمثل الواجهات الخارجية – لكتلة البوابة الرئيسية ومرافقها وكذلك مطبخ دار الامام وحجرة الجند الغربية – سوراً خارجيا للجهة الغربية في القلعة، وتشابهها في ذلك الواجهة الخارجية الشمالية في القلعة، حيث يمثلها جدار خارجي لحجرة السكن الخاص بالجنود.

مرافق القلعة (الوحدات الإدارية والسكنية والدينية)

سبق وأن تم تقسيم القلعة من الداخل إلى منطقتين بسبب تعدد مرافقها، وهذا التقسيم سيتم الاعتماد عليه في الفقرات التالية التي تختص بالدراسة الوصفية والتحليلية لجميع مرافق القلعة.

المنطقة الأولى: (دار الامام، وحجرات سكن الجند، والحجرات الملحقة)

دار الإمام: (ل: 37 ، م:2 - 3)

تعتبر دار الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين وحدة معمارية مستقلة بذاتها، حيث يربطها بالفناء الرئيسي للقلعة باب كبير؛ وللدار فناءان يفصل بينهما جدار به فتحة باب، ويبدو أن الجزء الغربي من الدار كانت خاصة بعائلة الإمام، نظراً لاستقلالية هذا الجزء من القلعة. ويتردد في الأوساط المحلية أن

الإمام أحمد كان يستخدم الطابق العلوي للراحة، والسفلي للتخزين ومرافق حكومية، وبعد ذلك استخدم المبنى بكامله في بداية العهد الجمهوري (1962م) كمستشفى ثم إدارة حكومية للاتصالات[1].



لوحة (37) دار الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين

مدخل دار الإمام وغرفة حراسته (A): (ل:37)

يتم الدخول إلى فناء الدار عبر مدخله الرئيسي، وهو على هيئة جدار مرتفع تتوسطه فتحة باب واسع ذات عقد نصف دائري، يبلغ ارتفاعها نحو (4م)، بجانبها من الجهة الشرقية غرفة الحراسة الخاصة بالمدخل، وهي ذات شكل مستطيل مغطاة بسقف خشبي مسطح، وتبلغ أبعادها من الداخل نحو (4.75م x 3.80م)، وسمك جدرانها (60سم)، ويتم الدخول إليها عبر فتحة باب ارتفاعها (2م)، واتساعها (1.48م)، وتقابلها في الجدار الشرقي نافذتان سدتا في وقت لاحق للبناء الأصلي. أما الجدار الشمالي المطل على فناء القلعة ففتحت فيه ثلاث نوافذ، يبلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (1.14م)، وعرضها (74سم).

فناء الدار (B):

يؤدي المدخل السابق ذكره إلى فناء واسع مكشوف يمتد بطول دار الإمام، حيث تبلغ أبعاده (31.15م x 8.30م)، وينقسم هذا الفناء إلى جزأين بواسطة جدار به فتحة باب يبلغ اتساعها (1م)، وفي

1 – مقابلة مع الأستاذ: محمد عبده كيال، بتاريخ 7- 9- 2010.

الطرف الشرقي للفناء توجد فتحة باب ثانوي تؤدي إلى فناء المسجد. ويبدو أن الغرض الوظيفي من تقسيم فناء الدار هو إضفاء طابع الخصوصية لمرافق الخدمة الخاصة بالإمام أحمد بن يحيى وعائلته.

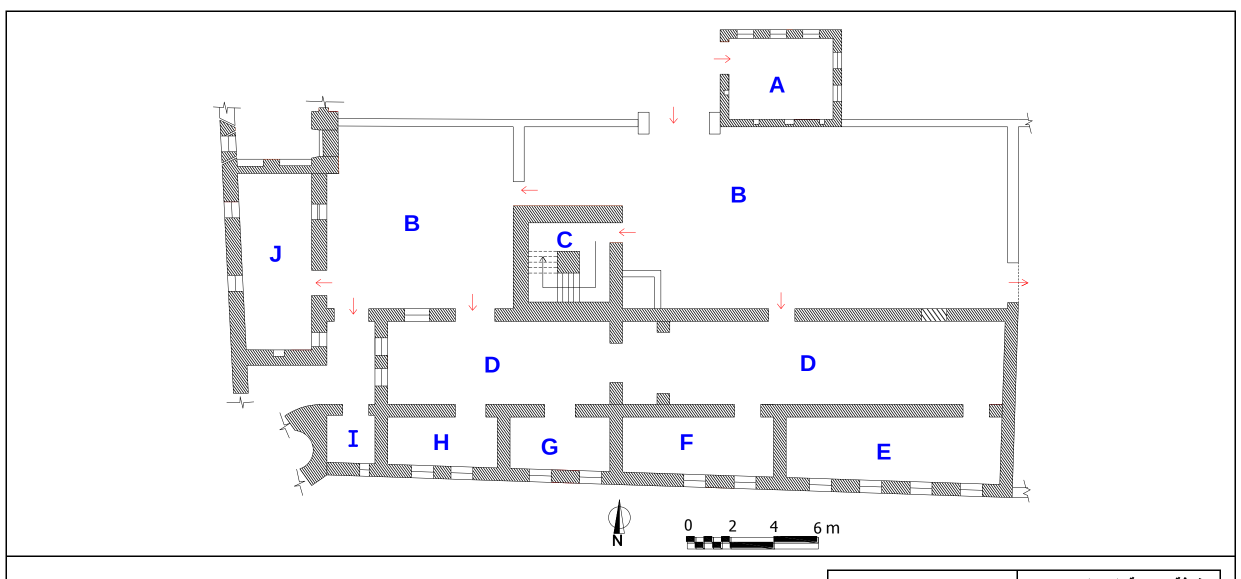
مبنى دار الإمام: (ل:37)

يتألف مبنى دار الإمام من طابقين: الأرضي والأول، ويتقدمه، في مكان متوسط منه تقرياً من الجهة الشمالية سلم (C) (بيت الدرج)، وهو ذو مساحة مستطيلة، ابعادها (5م X 4.70 م)، ترتفع بارتفاع الدار البالغ نحو (10م). ويتم الدخول إلى الطابق الأرضي للدار عبر مدخلين في جداره الشمالي، فالأول فتح في الجهة الشرقية والثاني في الجهة الغربية. وعموماً الدار ذات شكل مستطيل غير متساوي الأضلاع، حيث يبلغ طول الضلع الشمالي نحو (32م)، والجنوبي (31.90م)، والشرقي (8.65م)، والغربي (7.60م). كما أن الدار بطابقيه مقسم من الداخل إلى جزأين: الأكبر في الجهة الشرقية، والأصغر في الجهة الغربية، وتربط بينهما أبواب تفتح عند الحاجة، وقد غطت جميع حجرات الدار بسقف خشبي مسطح.

الطابق الأرضي: (ل:38 ، م:21)

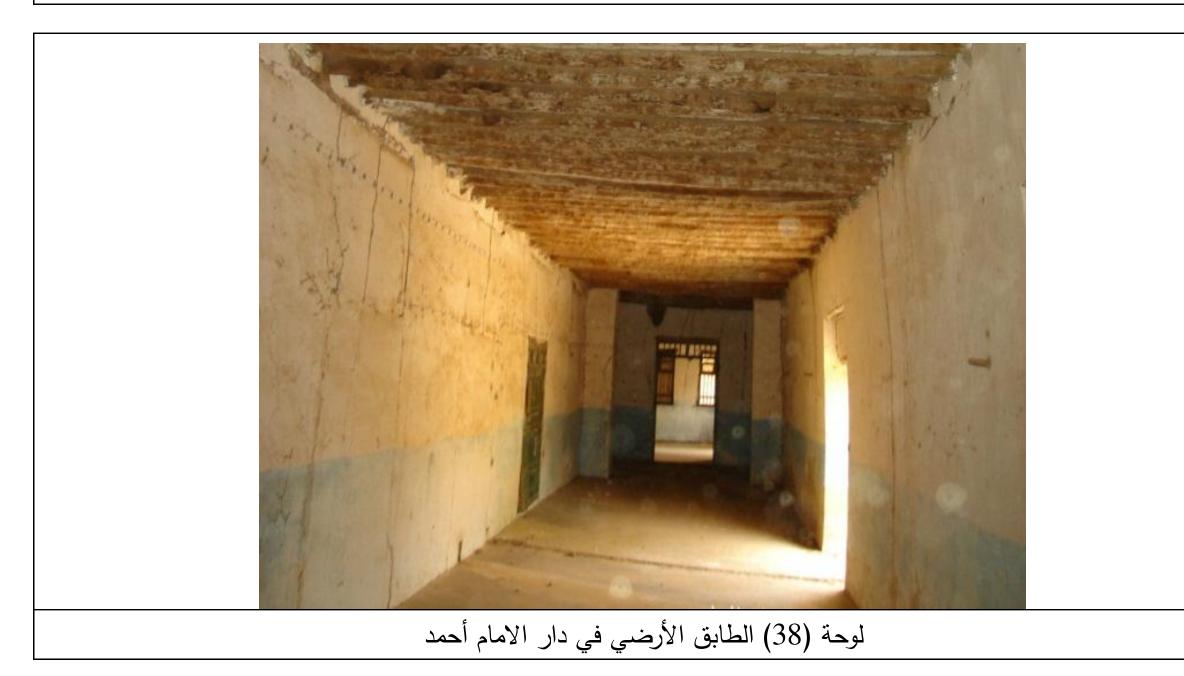
يمكن أن نقسم هذا الطابق، بحسب المخطط الأفقي، إلى قسمين يربط بينهما مدخل شغلت فتحته بباب خشبي. ويضم هذا الطابق أربع حجرات بكل واحدة منها مدخل، وجميع هذه المداخل فتحت على ممر (D) يمتد بطول هذا الطابق. أما نوافذ الحجرات فعددها اثنتا عشر، فتحت جميعها في الجدار الجنوبي، وبالأسفل منها يوجد صفان من فتحات ضيقة للرماية بالبنادق (المزاغل). وقد ألحق بهذا الطابق مرحاض (I) يقع في الجهة الغربية منه ويلتصق بالبرج الجنوبي الغربي للقلعة. وفي الجدول الآتي نبين القياسات المعمارية للحجرات المذكورة:

القسم	أبعاد الحجرات		قياسات فتحات المداخل	عدد النوافذ 12	قياس كل نافذة
الأول	الأولى (E) (9.75م X 3.08م)	الثانية (F) (6.10 X 2.74م)	ارتفاعها (2م) واتساعها (1.20م)	أربع في الحجرة الأولى (E)، ونافذتان في كل من الحجرات الثلاث (F)، و(G)، و(H)	ارتفاعها (2م) اتساعها (1.20م)
الثاني	الأولى (G) (4.75م X 2.50م)	الثانية (H) (5 م X 2.35 م)			



A	غرفة حراسة المدخل	F	الحجرة الثانية
B	الفناء المكشوف	G	الحجرة الثالثة
C	السلم (بيت الدرج)	H	الحجرة الرابعة
D	الممر	I	مرحاض
E	الحجرة الأولى	J	مطبخ الدار

مخطط (21) الطابق الأرضي لدار الإمام أحمد



لوحة (38) الطابق الأرضي في دار الامام أحمد

الطابق الأول: (ل:39 ، م:22)

يُصعد إلى الطابق الأول بواسطة السلم السابق ذكره، والذي يضم بداخله درجاً صاعداً ملتوياً يستند من الجانب الداخلي على دعامة وسطى مربعة طول ضلعها (96 سم)، ومن الجانب الآخر على الجدران الأربعة للسلم، وينتهي الدرج بمدخل يبلغ اتساع فتحته (1.38م)، ويؤدي إلى ممر يشبه ممر الطابق الأرضي، غير أن جداره الشمالي المطل على فناء الدار فتحت به نوافذ معقودة، اتساع كل واحدة منها نحو (1.15م)، وارتفاعها (2.50م)، بواقع إحدى عشرة نافذة في القسم الشرقي وخمس نوافذ في القسم الغربي. أما حجرات هذا الطابق فهي أيضاً مشابهة لحجرات الطابق الأرضي من حيث التخطيط والقياسات، عدا الحجرة الثانية الواقعة في القسم الشرقي (D)، حيث تبلغ أبعادها (4.95م X 2.75م)، ويرجع السبب في صغر مساحتها إلى وجود مرحاض (E) – اقتطع جزءً منها– يقع في الجهة الغربية. كما تختلف حجرات هذا الطابق عن حجرات الطابق الأرضي في وجود فتحات للنوافذ، تخترق جدارها الشمالي، وبذلك فهي تطل على الممر المذكور.

والملاحظ على الطابق الأول من دار الإمام اتساع نوافذ جميع حجراته، وكذلك نوافذ الممر الذي يتقدمها، ويرجع السبب في ذلك إلى شدة الحرارة في تهامة وخاصة في فصل الصيف؛ لذا حرص البناؤون على جعلها واسعة، حتى تسهل حركة إنسياب الهواء من جميع الجهات المختلفة، مما يساعد على تلطيف درجة الحرارة داخل هذا الطابق، وهي بذلك تشبه داري الحكومة والضيافة في قلعة مدينة زَبيد من حيث وجود عدد كثير من النوافذ[1] (ل:40، م23).

---

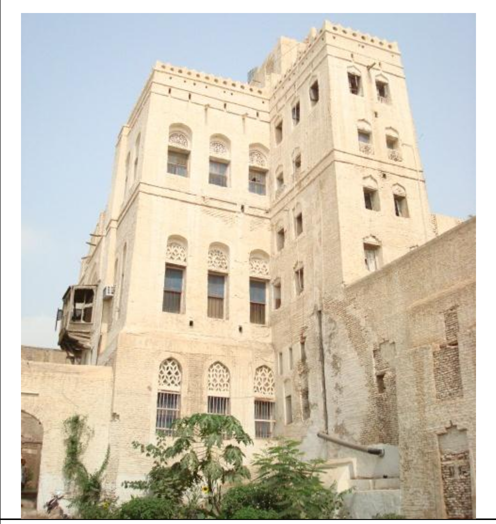
1 – انظر: عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 293.



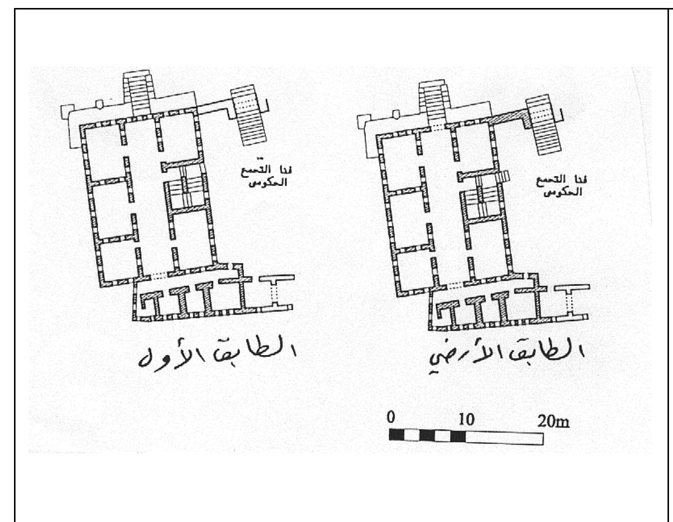
لوحة (39) الطابق الأول في دار الامام أحمد

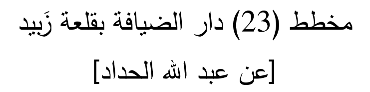
مخطط (22) الطابق الأول لدار الإمام أحمد

السلم (بيت الدرج)	A	مرحاض	E
الممر	B	الحجرة الثالثة	F
الحجرة الأولى	C	الحجرة الرابعة	G
الحجرة الثانية	D	مرحاض	H



لوحة (40) دار الحكومة بقلعة زَبيد



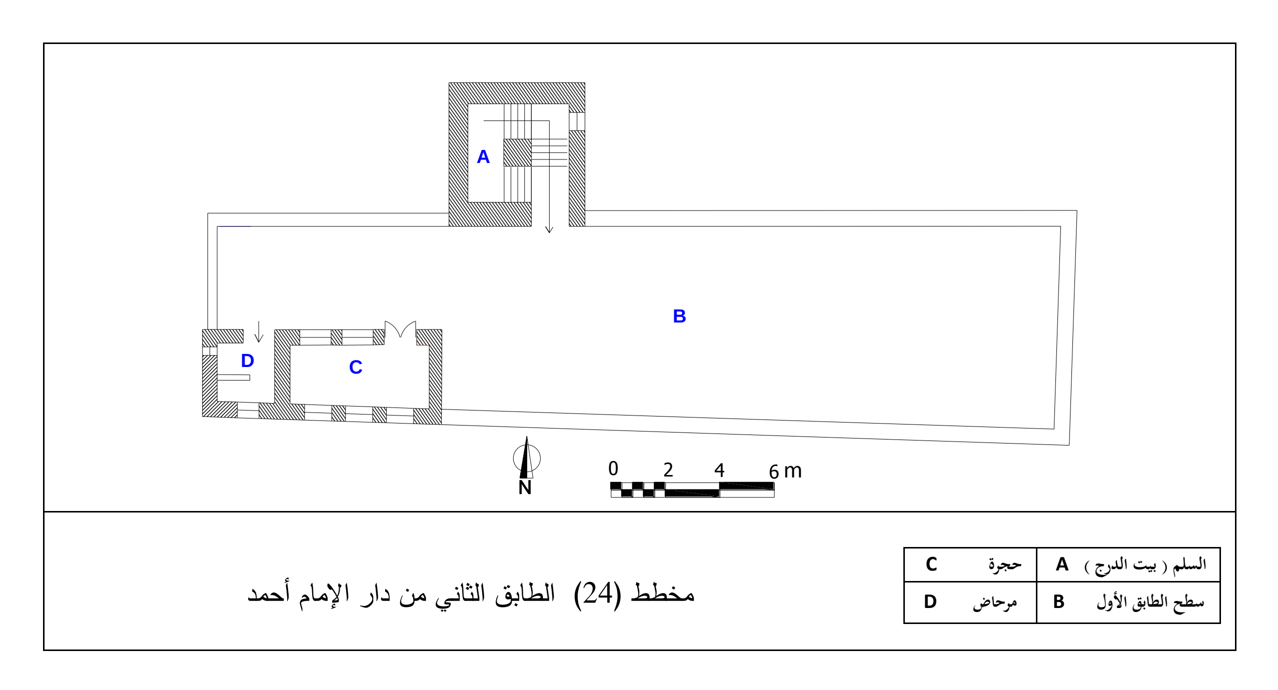


مخطط (23) دار الضيافة بقلعة زَبيد
[عن عبد الله الحداد]

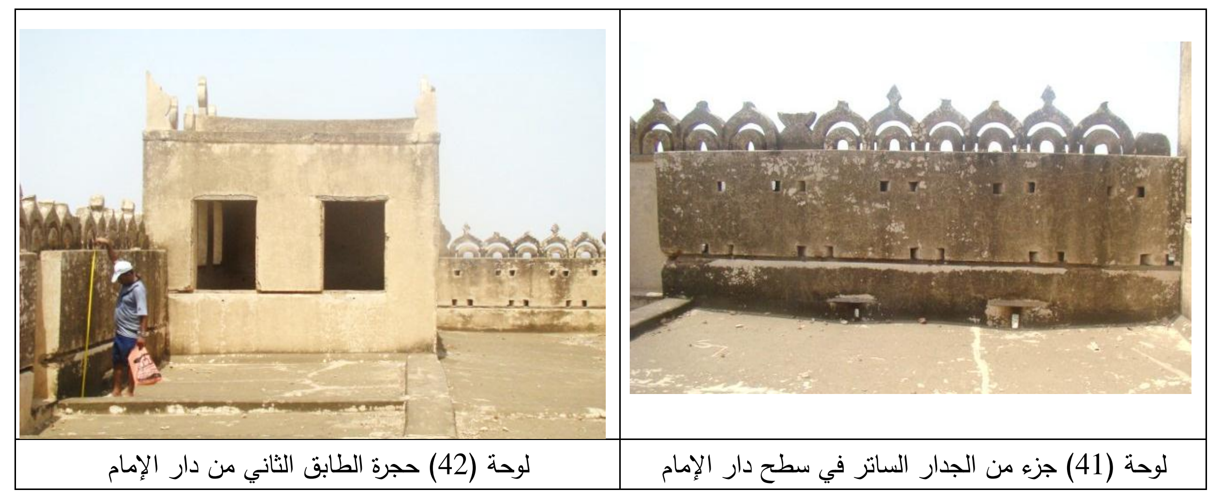
الطابق الثاني: (م:24)

يستمر الصعود بواسطة السلم (A) السابق ذكره إلى سطح الطابق الأول من الدار (B)، والذي يلتف حول جدرانه الخارجية من الأعلى جدار ساتر ارتفاعه (2م) (ل:41)، وتتخلله شرافات على هيئة أشكال معقودة يطلق عليها محلياً بشرانيف[1]، وفتحات ضيقة للمزاغل الزوجية المائلة. وفي الجهة الغربية من سطح هذا الطابق تقع حجرة الطابق الثاني (C) (ل:42)، وهي ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها نحو (6.15م x 3.5م)، وفتحت في جدارها الشمالي نافذتين أبعاد كل منهما (1.130م x 85سم)، وتقابلهما في الجدار الجنوبي ثلاث نوافذ، سبق أن تم وصفها. ويقع في الجهة الغربية من هذه الحجرة مرحاض (D)، يشبه مرحاضي الطابق الثاني في جميع التفاصيل المعمارية.

1 – عن هذا المصطلح انظر ملحق الألفاظ والمصطلحات المحلية .



مخطط (24) الطابق الثاني من دار الإمام أحمد

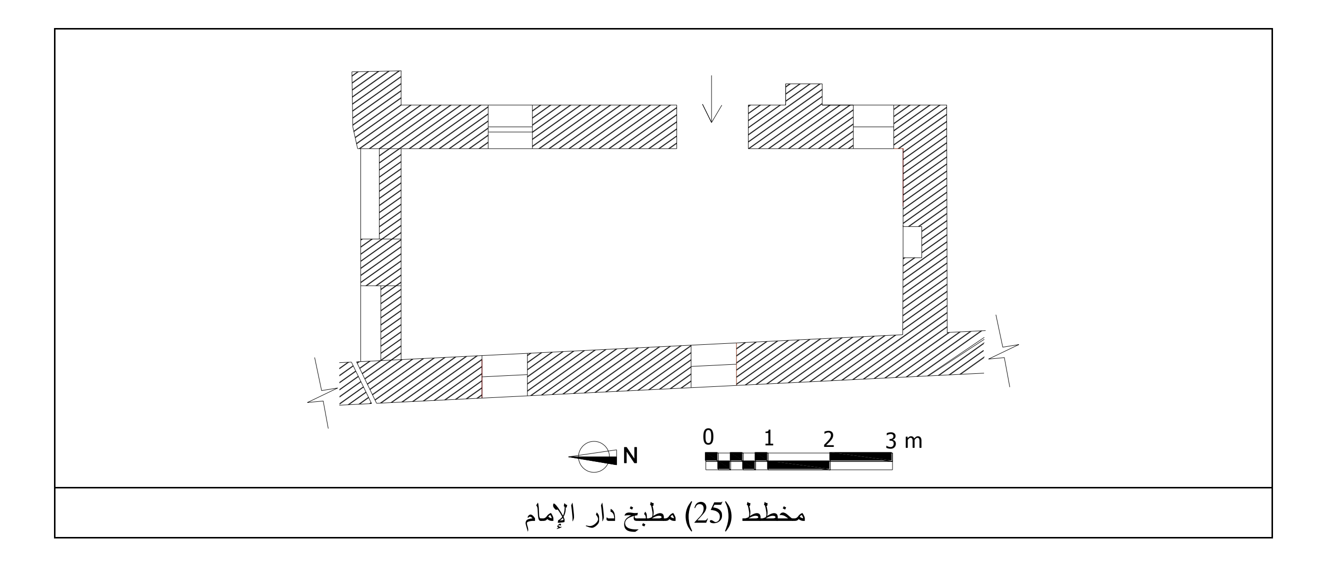


لوحة (41) جزء من الجدار الساتر في سطح دار الإمام

لوحة (42) حجرة الطابق الثاني من دار الإمام

مطبخ دار الإمام: (م:25)

يقع المطبخ في الجهة الغربية الدار، ويتم الدخول إليه عبر فتحة مدخل، يبلغ اتساعها (1.15م) وارتفاعها (1.90م). والمطبخ ذو شكل مستطيل، يبلغ أبعاده من الداخل نحو (8.05م X 3.40م)، وسمك جدرانه (75سم)، ويطل على الفناء الصغير بجداره الشرقي الذي يتخلله نافذتان، يبلغ ارتفاع كل منهما نحو (1.20م) واتساعها (70سم)، كما فتحت في جداره الغربي أيضاً نافذتين أغلقتا في الوقت الراهن.



مخطط (25) مطبخ دار الإمام

حجرتي سكن الجند:

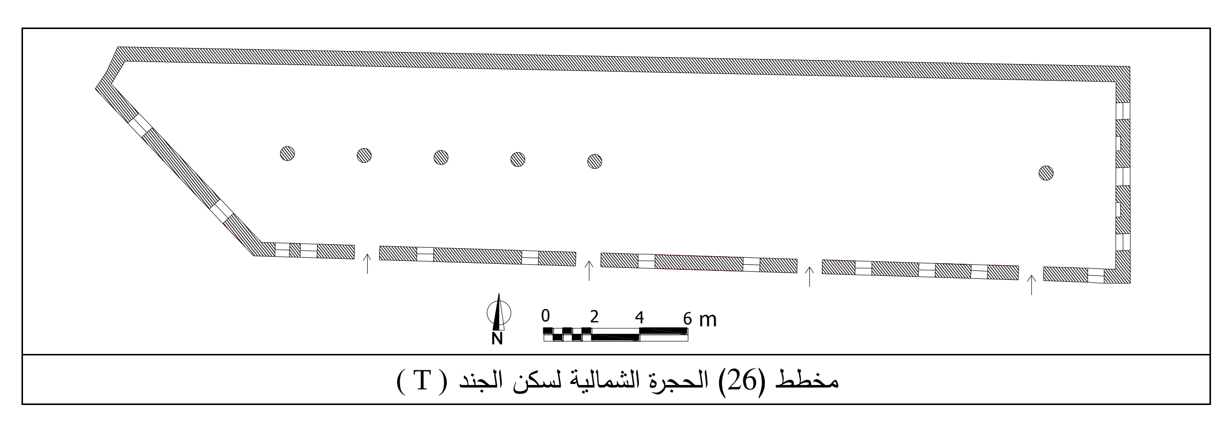
توجد في قلعة بيت الفقيه حجرتان لإقامة الجنود، الكبرى تقع في الجهة الشمالية من القلعة، والصغرى في الجهة الغربية.

الحجرة (T): (ل:43 ، م:26)

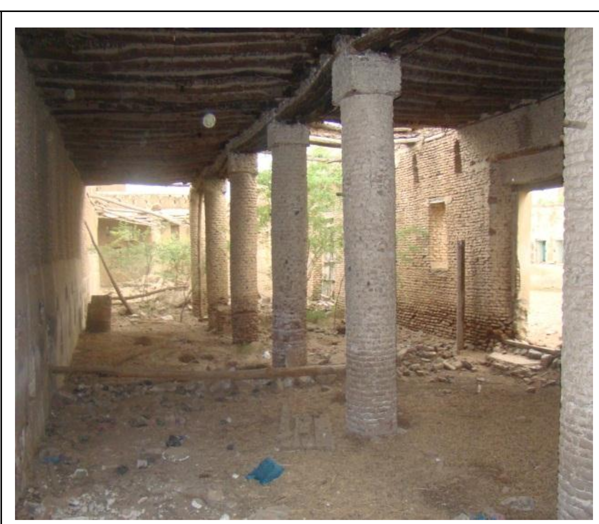
تتألف هذه الحجرة من مساحة شبه مستطيلة مشطوفة من الجهة الغربية، حيث يبلغ امتداد الضلع الشمالي من الداخل نحو (41.17م)، ويقابله الضلع الجنوبي بطول (35.50م). أما الضلع الشرقي فيبلغ امتداده (7.80م)، والغربي يتكون من ضلعين: الأول امتداده (6.87م)، والثاني (90سم). كما يبلغ ارتفاع الحجرة من الأرضية إلى السقف من الداخل (3.50م)، وسمك جدرانها (70سم). ويتم الدخول إلى الحجرة عبر أربعة مداخل تتشابه في قياساتها، حيث يبلغ ارتفاع كل واحد منها نحو (2.25م)، واتساعه (1.15م)، وهي مسقوفة بأعتاب خشبية. والحجرة من الداخل واسعة جداً، يغطيها سقف خشبي مستوٍ غطي سطحه بطبقة من النورة الكدري والرمل، وقد تهدم الجزء الشرقي منه. وهذا الأسلوب في عمل السقف استخدم قبل ذلك في تغطية المنشآت المعمارية اليمنية قبل الإسلام، برغم استخدام طبقة القَضاض بدلاً من مادة النُّورة الكِدري المخلوطة بالرمل[1]، وفي العصر الإسلامي صار هذا الأسلوب الشائع في تسقيف المنشآت المدنية والدينية والدفاعية في منطقة تهامة.

1 – عن أسلوب التسقيف بالأخشاب في اليمن القديم انظر: أحمد حنشور: الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة، ص 111.

ويرتكز سقف حجرة الجند على دعائم بنيت من قطع الآجر، وهي ذات شكل دائري، محيط كل واحدة منها نحو (1.88م)، وهي تمتد على هيئة صف طولي يسير في موازاة الجدارين الشمالي والجنوبي، وقد تهدم بعضها بسبب سقوط السقف عليها خاصة في الجهة الشرقية. أما جدران الحجرة فقد فتح في الشرقي منها والغربي والجنوبي العديد من النوافذ لغرض إدخال الضوء والهواء، بينما يتخلل الجزء السفلي من الجدار الشمالي صفان من المزاغل المزدوجة المائلة، يستطيع من خلالها الجندي التصويب ببندقيته إلى خارج القلعة في اتجاهين متعاكسين بكل سهولة. وقد بلغ عدد الصف الأول من المزاغل (28 مزغلاً)، وهي محصورة بداخل أشكال معقودة ترتد نحو الداخل، يبلغ ارتفاع كل واحد منها نحو (49سم)، واتساعه (45سم)، بينما فتحت مزاغل الصف العلوي في الجدار مباشرةً، وعددها مماثل لتلك التي في الصف الأول (ل:44).



مخطط (26) الحجرة الشمالية لسكن الجند (T)



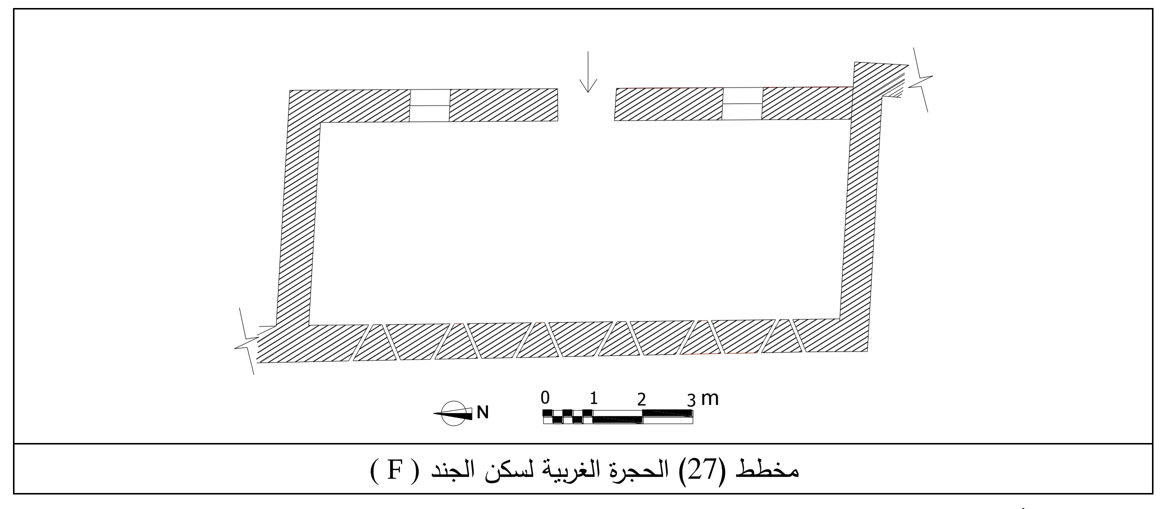
لوحة (43) الحجرة الشمالية لسكن الجند (T)



لوحة (44) أشكال المزاغل وفتحات التهوية في الجدار الشمالي للحجرة (T)

الحجرة (F): (م:27)

تقع حجرة الجند الصغرى بين كتلة البوابة الرئيسية للقلعة من جهته الشمالية وبرج المدفع من الجهة الجنوبية، وهي ذات شكل مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول (11.30م)، وعرض (3.55م) من الشرق إلى الغرب، ويبلغ سمك جدرانها نحو (65سم). ويتم الدخول إلى هذه الحجرة عبر فتحة باب تقع في جدارها الشرقي، يبلغ ارتفاعها (2.10م)، واتساعها (1.18م)، وتقع عن يمينها ويسارها نافذتان، ارتفاع كل منهما (1.15م) واتساعها (80سم). أما الجدار الغربي للحجرة فيوجد به صف مكون من ستة مزاغل مائلة من النوع المزدوج، وهي تشبه تلك في الصف الثاني من الحجرة (T).



مخطط (27) الحجرة الغربية لسكن الجند (F)

الحجرات الملحقة: (L - P)

الحجرة (P): (م:2)

تقع هذه الحجرة في الجهة الشرقية من الفناء بجانب مدخل القلعة الشرقي، وهي عبارة عن قاعة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول (10.9م)، ومن الشرق إلى الغرب بعرض (4.5م)، ويتم الدخول إليها عبر مدخل، يبلغ ارتفاعه نحو (1.90م)، واتساعه (1.30م)، وعن يمينه ويساره توجد نافذتان، اتساع كل منهما (70سم)، وارتفاعها (1.10م). وقد وجدت في أرضية هذه الحجرة قطع حديدية مثبته، يرجح أنها كانت لتثبيت أحد المحركات المستخدمة في القلعة منذ وقت قريب.

الحجرة (L): (م:2)

تقع هذه الحجرة في مكان مقابل للحجرة (P) من الجهة الجنوبية، وهي ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (5.40م X 3.90م)، ولها مدخل يقع في الضلع الشمالي، اتساعه (1.15م) وارتفاعه (2.10 م)، وإلى جانبه نافذة تطل على الفناء، ونافذتان في الضلع الغربي. أما الضلع الشرقي فقد فتح به مدخل يؤدي إلى فناء المسجد، ومدخل آخر يؤدي إلى مطبخ تبدو عليه مظاهر الحداثة.

- **المنطقة الثانية:** (م:2)

تقع المنطقة الثانية من القلعة في الجهة الشرقية، حيث تضم عدداً من المرافق هي: المسجد وملحقاته (بركة الماء وأماكن الوضوء)، ومساحة مكشوفة بها بئر القلعة، والمطبخ.

مسجد القلعة (J): (م:3،2،1)

ترجع عمارة المسجد الراهن في قلعة بيت الفقيه إلى عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وقد أمر بهذه العمارة ولي عهده آنذاك (ابنه أحمد) عندما سكن في القلعة بعد ضم مدينة بيت الفَقيه إلى حكم أبيه، وتم الانتهاء من عمارة المسجد في شهر جمادي الآخر عام (1349هـ/ 1930م)، أي بعد عام واحد من دخوله المدينة.

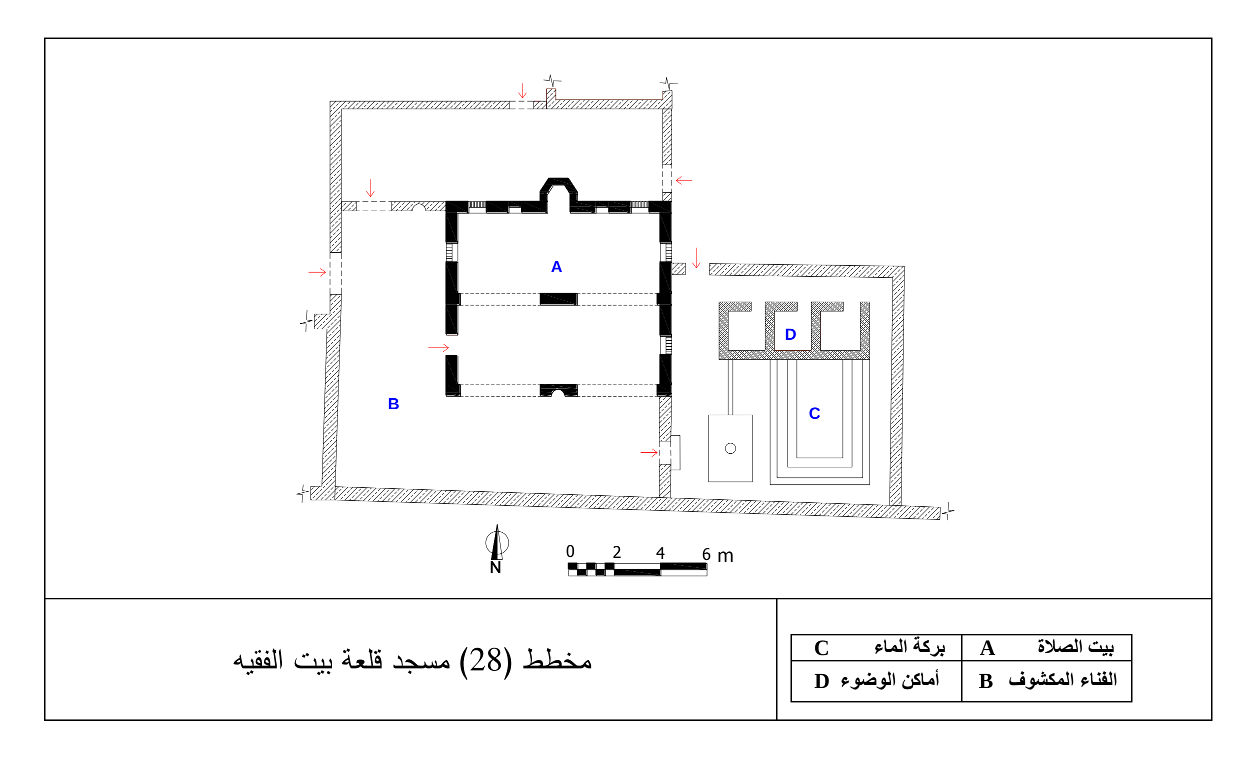
ومن المرجح أن مسجد القلعة وجد منذ تأسيسها، وهذا الأمر ليس بغريب، ذلك لأن معظم القلاع التي ترجع إلى العصر العثماني تحتوي تخطيطاتها على المسجد، سواء في الأناضول أو الولايات التابعة للدولة العثمانية، فمن القلاع التي اشتمل تخطيطها على مسجد في المملكة العربية السعودية، قلعة تَبوك (967هـ/ 1559م)، وقلعتا الوجه (968هـ/ 1560م) والمويلح (968هـ/ 1560م) اللتان تقعان على طريق الحج المصري[1]. أما في القلاع التي تضمنتها الدراسة فقد اقتصر وجوده على القلاع الكبرى التي بنيت في المدن الداخلية، مثل قلعتي الزَيدية والزُهرة.

---

1 – عن وجود المسجد في القلاع العثمانية انظر: هشام محمد علي عجيمي: *"قلعة تبوك"*، مجلة جامعة أم القرى، السنة الأولى، ع 2، مكة 1988، ص 27.

مخطط المسجد: (م:28)

يتكون المسجد من بيت الصلاة، وهو عبارة عن مساحة مغطاة تحيط بها مساحة مكشوفة (فناء) من ثلاث جهات، هي: الجنوبية، والغربية، والشمالية. وللمسجد بركة وأماكن للوضوء تقع في الجهة الشرقية منه.



مخطط (28) مسجد قلعة بيت الفقيه

بيت الصلاة: (م:28)

بيت الصلاة ذو شكل مستطيل، تبلغ أبعاده من الخارج نحو (9.80م X 8.45م)، وسمك جدرانه (80سم)، وارتفاعه من الأرضية حتى القمة (5.50م). وقد بني بيت الصلاة بقطع الآجر، وكسي من الداخل بالجبس وكسيت أرضيته بطبقة من الملاط، وغطي بسقف خشبي مسطح، وفيما يأتي وصف مفصل لبيت الصلاة من الخارج ثم من الداخل.

أولاً: الوصف من الخارج

تعتبر الواجهة الجنوبية لبيت الصلاة هي الرئيسية، وذلك لأنها تطل على الفناء الجنوبي بعقدين واسعين من النوع المدبب اتساع كل منهما (3.47م) (ل:45)، وارتفاعهما (2.70م)، ويرتكزان على دعامة مستطيلة طول ضلعها (1.60م) بها حنية محراب مجوفة، يبلغ اتساعها (58سم)، وارتفاعها (2.30م). وقد

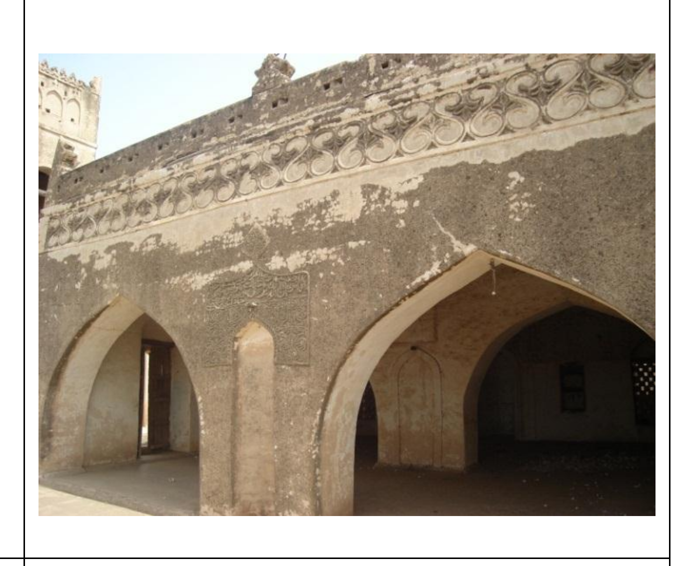
زينت كوشتها[1] بزخارف لأشكال نباتية مؤلفة من فروع وأوراق متداخلة (ل:46، ش:9)، يعلوها نص كتابي كتب بخط غير متقن، لا ينتمي إلى الخطوط المعروفة كالكوفي والنسخي مثلاً. ويشتمل على شطر من آية قرآنية هي: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[2]. وينتهي النص بتاريخ عمارة المسجد "جماد الآخر سنة 1349هـ". أما الواجهة الخارجية الشمالية لبيت الصلاة فيتوسطها بروز كتلة المحراب، بينما تضم الواجهة الخارجية الغربية لبيت الصلاة مدخلاً ذا عقد مدبب، يقع في الطرف الجنوبي من الواجهة، يبلغ اتساعه (90سم) وارتفاعه (1.90م).

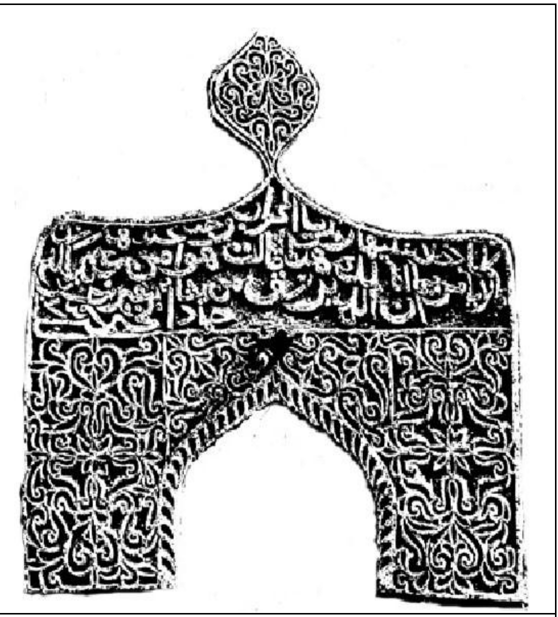
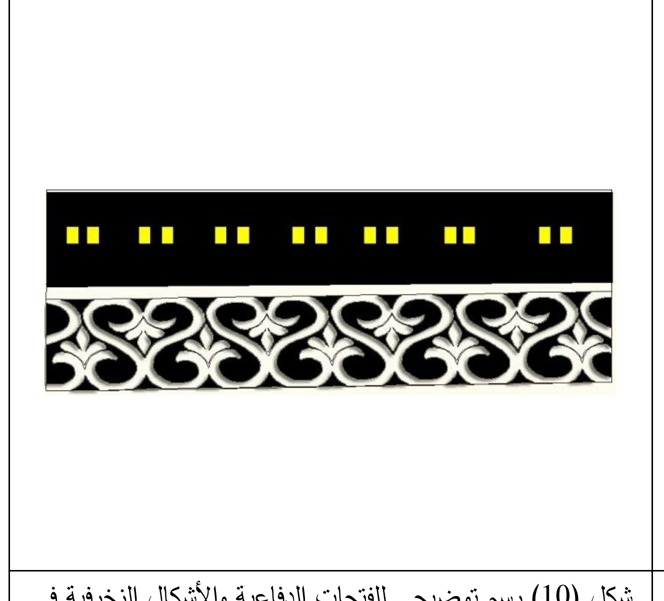
ويكلل الجزء العلوي من الواجهات الخارجية لبيت الصلاة جدار ساتر يزينه من الأسفل شريط زخرفي مكرر لورقة نباتية خماسية بداخل أشكال قلبية تتناوب مع أخرى مشابهة لها وضعت بشكل مقلوب (ش:10). ومثل هذا الشريط الزخرفي وجد في كثير من منشآت تهامة، وخاصة المنازل التي اشتملت واجهاتها على عدة تشكيلات زخرفية مستوحاة من الفنون التقليدية. وينتهي الجدار الساتر من أعلاه بصف من فتحات ضيقة مزدوجة (مزاغل) تستخدم للرماية بالبنادق.

---

1 – الكوشة في المصطلح الأثري المعماري المساحة المثلثة التي تنحصر بين قوس العقد وبين المربع المحيط به من أعلاه، وبذلك يكون لكل عقد محاط بإطار مربع كوشتان مثلثتان على الجانبين كانتا في غالب الأحيان تنقشان بالعديد من العناصر الزخرفية النباتية المتداخلة والمتشابكة التي تعرف اليوم بالأرابسك، وأحيانا ما وجدت فيها بعض الكتابات العربية والزخارف الهندسية أيضاً. انظر: عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، ص 256.

2 – الآية 37 من سورة آل عمران.

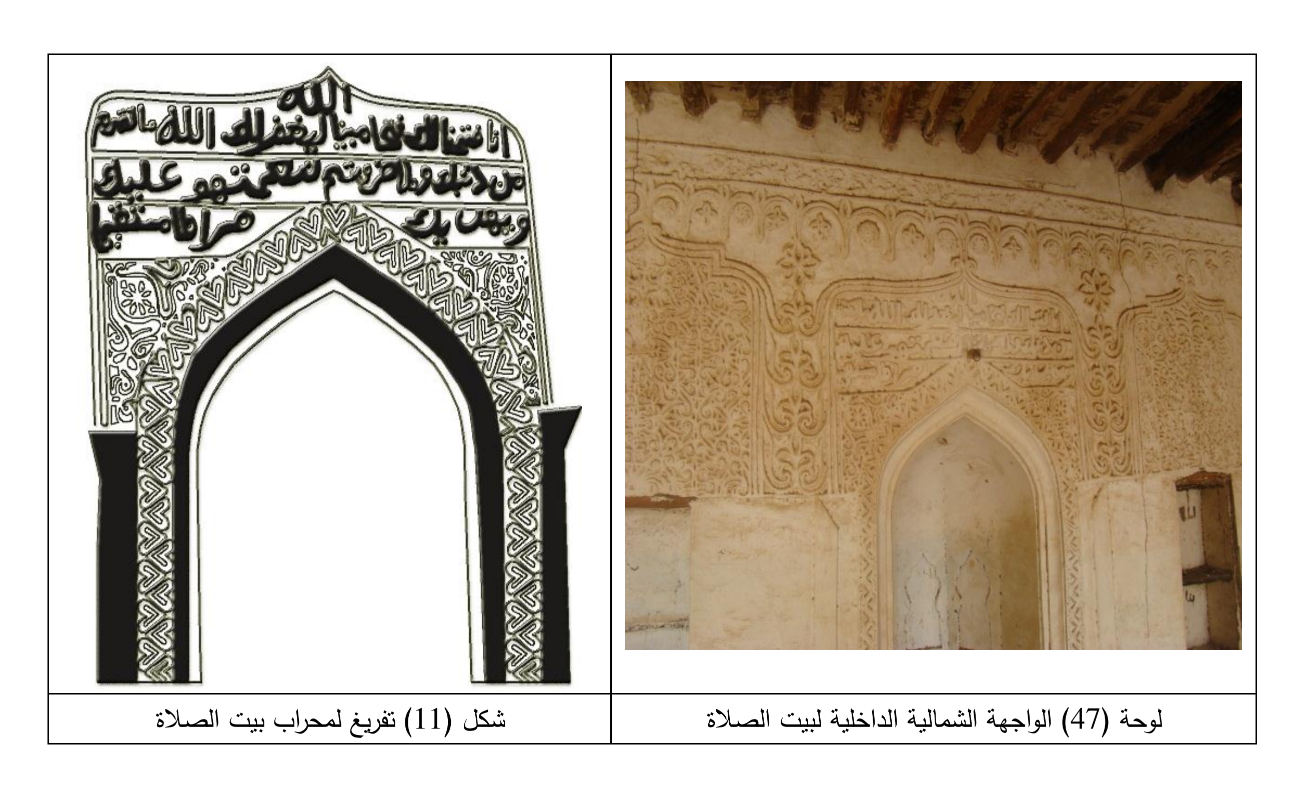
	
لوحة (45) الواجهة الجنوبية الخارجية لبيت الصلاة	لوحة (46) محراب الفناء الجنوبي بمسجد القلعة

	
شكل (9) تفريغ لزخارف كوشة محراب الفناء الجنوبي	شكل (10) رسم توضيحي للفتحات الدفاعية والأشكال الزخرفية في الجدار الساتر لبيت الصلاة

ثانياً: الوصف من الداخل:

يتكون بيت الصلاة من الداخل من رواقين موازيين لجدار القبلة، وذلك بواسطة بائكة مكونة من عقدين شبيهين بعقدي الواجهة الجنوبية، ويرتكزان على دعامة مركزية تتوسط بيت الصلاة، يبلغ اتساعها (1.60م). وتتصدر بيت الصلاة في وسط جداره الشمالي حنية محراب مجوفة، يبلغ اتساعها (1م) وارتفاعها (2.23م) وعمقها (1.20م)، يتوجها عقد مدبب زين بشريط زخرفي هندسي يعلوه شريط كتابي بخط شعبي

يشبه الشريط السابق ذكره، وبه بعض الأخطاء الاملائية، وهو مكون من ثلاثة أسطر نصه: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾[1] . وتكتنف المحراب من جهتيه خزانتان، وهما عبارة عن دخلتين في الجدار مستطيلتي الشكل، اتساع كل واحدة منهما نحو (56سم) كان الغرض من وجودهما وضع المصاحف؛ ويلي كل منهما شباكان بنيا بقطع الآجر تتخللهما العديد من الفتحات الصغيرة، كما فتح شباكان آخران مماثلان لهما في الجدارين الشرقي والغربي من بيت الصلاة. وتزين الجزء العلوي للجدار الشمالي في بيت الصلاة زخارف نباتية نفذت بمادة الجِص (ل:47، ش:11).



لوحة (47) الواجهة الشمالية الداخلية لبيت الصلاة

شكل (11) تفريغ لمحراب بيت الصلاة

فناء المسجد: (م:28)

تغطي أرضية الفناء المكشوف للمسجد طبقة من الملاط (القَضاض) من جهتين فقط، هما الجنوبية والغربية، أما الشمالية فأرضيتها مردومة بطبقة من التراب. وقد فتح في جدران الفناء العديد من المداخل التي تقوم بعملية ربط المسجد بأغلب وحدات القلعة، كما يتخلل الجدار الجنوبي للفناء المطل على خارج القلعة صفان من فتحات الرماية المزدوجة (مزاغل مائلة) (ل:48).

1- الآية 1 و2 من سورة الفتح.

أماكن الوضوء (K): (ل:50)

تقع اماكن الوضوء والمراحيض في الجهة لجنوبية الشرقية من المسجد والقلعة أيضاً، ويتم الدخول إليها عبر فتحة مدخل ذات عقد مدبب تربطها بالفناء الجنوبي للمسجد، ويزين كوشتي هذا العقد زخارف نباتية متشابكة يعلوها نص كتابي كتب بخط شعبي أيضا يتضمن آية قرآنية نصها ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[1]، وينتهي الشريط الكتابي بتاريخ عمارة المسجد وملحقاته عام (1349هـ / 1930م)، (ش:12).

إن اختيار موقع أماكن الوضوء (الميضأة) في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة يهدف إلى عدم نقل الروائح الكريهة إلى بقية وحدات القلعة، وخاصة بيت الصلاة، وقد وجد هذا الأمر في معظم المساجد والمدارس اليمنية[2]، ويدل ذلك على معرفة البنَّاء اليمني بالعوامل البيئية التي تجب مراعاتها أثناء اختيار موقع البناء، وذلك من خلال رصده لاتجاه حركة الرياح.

تتألف هذه المنطقة (k) من ثلاثة أماكن للوضوء مستطيلة الشكل، أبعاد كل واحد منها نحو (2.50م x 2م)، ويضم بداخله حوضاً عميقاً يملأ بالماء. وفي الجهة الجنوبية من هذه المنطقة توجد بركة للماء، عمقها حوالي (1.30م)، وهي ذات شكل مستطيل أبعادها من الأعلى (5.50م x 4 م) (ل:49)، وقد وجدت كتابة تسجيلية تؤرخ لعمارة البركة، وتقع في الجدار الجنوبي المطل على البركة، ونصها في المنطقة العلوية منها: (نصره الله)، وبأسفلها ثلاثة سطور، تضمَّن الأول عبارة: (تمت عمارت بركت الجامع [...][3])، والسطر الثاني: (بفضل [....][4] الله)، والسطر الثالث: (بتاريخه جماد أول سنة 1349)، (ش:13). وهذا النص الكتابي شابته بعض الأخطاء الإملائية وتعرضت بعض كلماته للطمس. وهذه

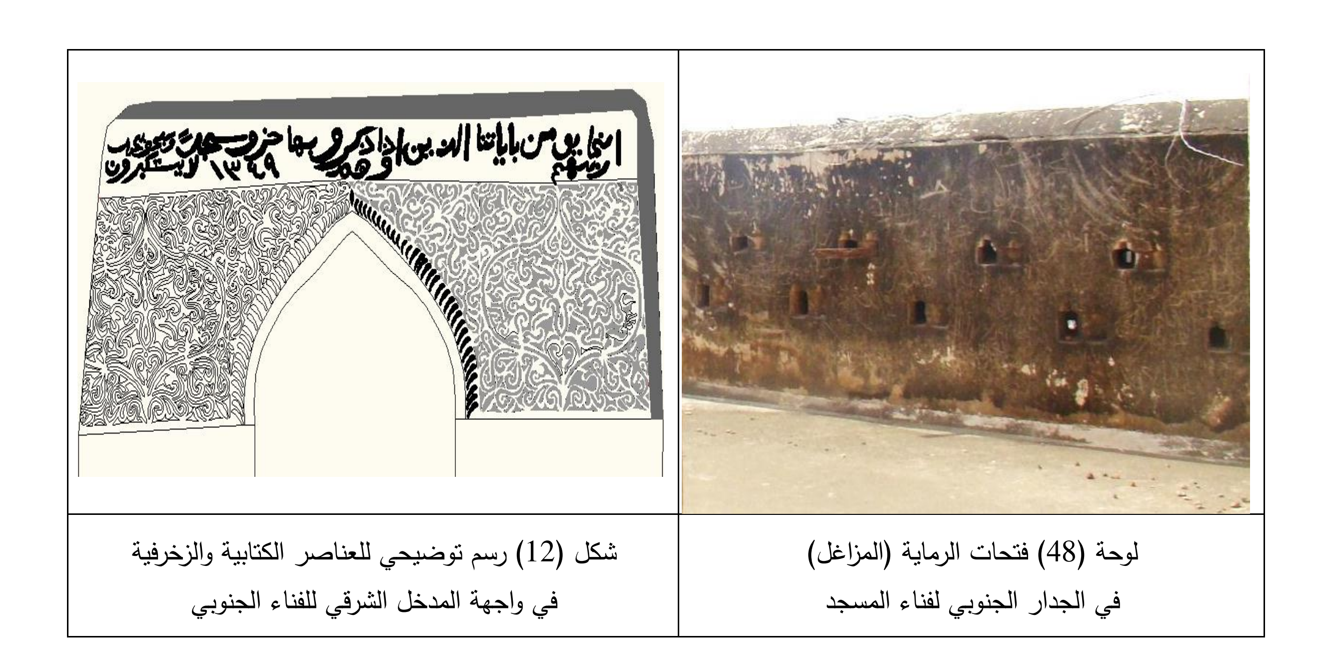
1 - الآية 15 من سورة السجدة.

2 - عبد الله عبد السلام الحداد: مدينة حيس (تاريخها وآثارها الدينية)، دار الأفاق العربية، ط 1، القاهرة 1999، ص 228.

3 - ما بين المعقوفتين مطموس.

4 - نفسه.

الظاهرة وجدت في بعض النصوص الإسلامية باليمن، نتيجة لدوافع مذهبية نعتقد أنها كانت سبب ذلك المحو.



لوحة (48) فتحات الرماية (المزاغل) في الجدار الجنوبي لفناء المسجد

شكل (12) رسم توضيحي للعناصر الكتابية والزخرفية في واجهة المدخل الشرقي للفناء الجنوبي



لوحة (49) بركة المسجد

شكل (13) تفريغ لنص كتابي يؤرخ عمارة بركة المسجد



لوحة (50) أماكن الوضوء والبركة

بئر القلعة (N): (ل:51 ، م:29)

تقع البئر في مكان متوسط من الساحة المكشوفة في الجزء الثاني من القلعة، ويعود أقدم وصف لها في عام (1121هـ/ 1709م) حين قدمت البعثة الفرنسية إلى اليمن، حيث ذكرت بأنها بئر عميقة جداً يستخرج منها الماء بواسطة جمل، وأن ماء البئر حار جداً عند خروجه ولا يمكن شربه إلا بعد أن يبرد طيلة الليل فيصبح من أعذب ما يشرب في المدينة[1].

ويعد وجود الماء من أهم الأمور الواجب توافرها عند الشروع في بناء قلعة أو حصن ما، ولذا نجد أن معظم القلاع والحصون كانت تضم آباراً أو بِركاً تجميعية للماء، وذلك لأنها في معظم الأحايين كانت تتعرض للحصار. وقد وجدت البئر في معظم القلاع الداخلية بتهامة، بسبب وجودها في مواقع منبسطة تسهل فيها عملية الحفر، ومن هذه القلاع: زَبيد، والزَيدية، والضِحي، وباجل (المدينة)، والمَراوعة.

تتكون بئر قلعة بيت الفَقيه من حفرة دائرية يزيد عمقها عن (50م) (ل:52)، وقد بنيت من الأعلى بقطع الآجر وكسي جدارها الداخلي بالملاط (القَضاض)، وهي عند الفوهة ذات شكل مستطيل، يبلغ أبعاده نحو (1.62م X 1.12م)، وفي الأسفل ذات شكل دائري. ويكتنف البئر من الجانبين جداران يحملان

1 – جان دي لاروك: أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة، ص 75.

عارضتين من الخشب، كان يعلق في إحداهما بَكَرة[1] (عَجلة) يتم بواسطتها سحب الدلو الممتلئ بالماء من قاع البئر بواسطة الحيوان. ويصب ماء الدلو في حوض ملتصق بالبئر، تبلغ أبعاده نحو (2.50م X 190م). ويلتصق به من جهة الغرب سقاية[2] للشرب ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها (2.18م X 2م)، وتغطيها قبة صغيرة. وللسقاية فتحة في جدارها الغربي يتم من خلالها الحصول على الماء.

وبئر قلعة بيت الفَقيه تشبه أغلب الآبار التي تتبع المنشآت الدينية بمنطقة تهامة، وذلك من حيث التصميم المكون من حفرة دائرية قطرها عند الفوهة لا يتجاوز المترين، والمكسوة جدارها من الداخل بالقضاض، وكذلك الجداران اللذان يقعان على جانبي الفوهة، بالإضافة إلى وجود الحوض الملتصق بالبئر. أما المنشآت الحربية في تهامة فلم نجد بها أمثلة باقية تشبه بئر قلعة بيت الفقيه، إلا بئرين تقعان في قلعة مدينة زبيد[3] (ل:53). كما وجد هذا التصميم أيضا في الآبار الخاصة بالمنشآت الدينية في بعض مدن المنطقة الجبلية من اليمن كصنعاء وصَعدة وذَمار، ولكنها تختلف عن آبار تهامة في بعض العناصر المعمارية أبرزها: اتساع حفرة البئر، ووجود مدرج منحدر يعرف محلياً باسم (المرنع)[4] يساعد الإنسان أو الحيوان على النزول لرفع الدلو ممتلئاً بالماء من البئر، والصعود لإنزال الدلو في البئر لإعادة ملئه ومن ثم رفعه ثانية[5].

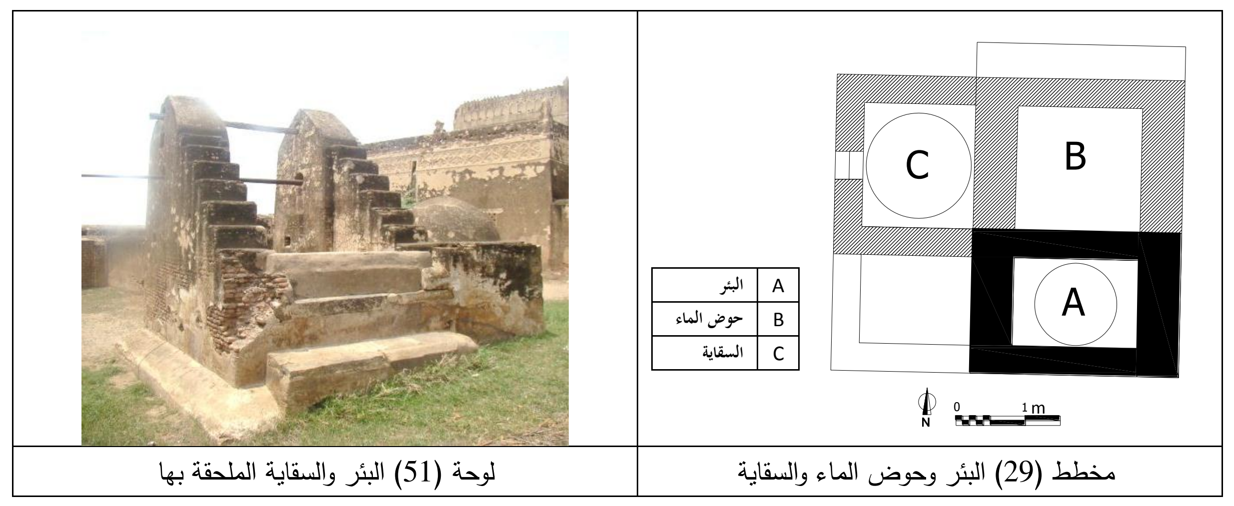
1 – عن هذا المصطلح انظر ملحق الألفاظ والمصطلحات المحلية.

2 – نفسه.

3 – انظر: عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد ...، ص 304.

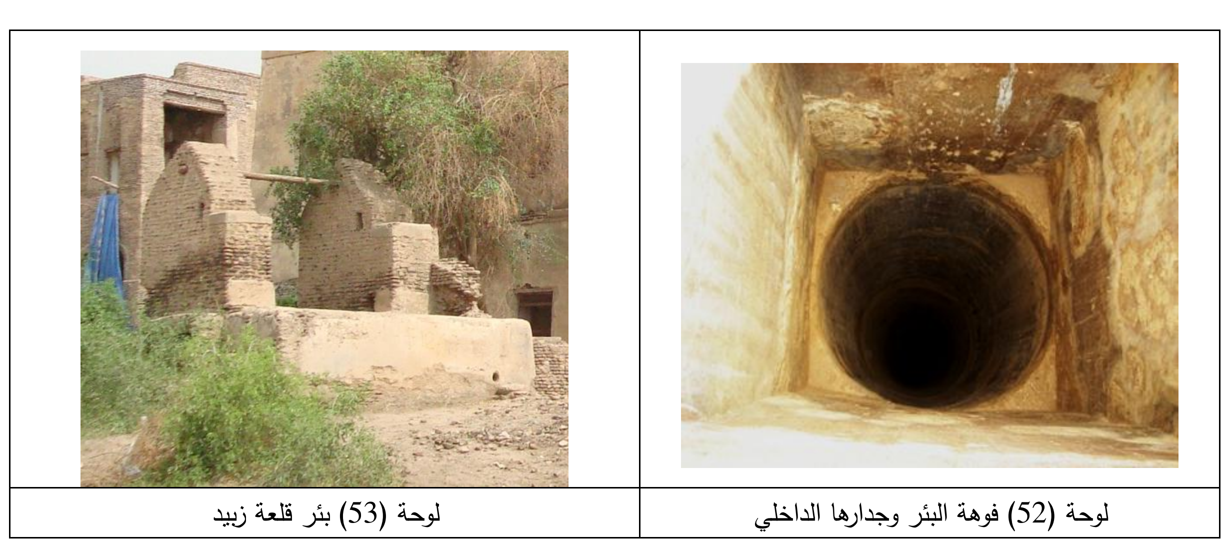
4 – انظر ملحق الألفاظ والمصطلحات المعمارية المحلية.

5 – انظر: إبراهيم أحمد المطاع: جامع الإمام الهادي إلى الحق بمدينة صعدة، رسالة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة جنوب الوادي، مصر 2000، ص 105.



مخطط (29) البئر وحوض الماء والسقاية

لوحة (51) البئر والسقاية الملحقة بها



لوحة (52) فوهة البئر وجدارها الداخلي

لوحة (53) بئر قلعة زبيد

المطبخ (M): (ل:54)

يقع المطبخ في الجهة الشمالية الغربية من الجزء الثاني من القلعة، ويظهر من خلال أسلوب بنائه ومكوناته المعمارية أنه أستحدث في الفترة الأخيرة من استخدام القلعة، وهي فترة العهد الجمهوري التي بدأت منذ عام (1381هـ/ 1962م). وتخطيط المطبخ يتخذ الشكل المستطيل، يبلغ أبعاده نحو (5م X 3.90م)، وسمك جداره (62سم)، ويرتبط مع الحجرة (L) بجداره الغربي الذي فتح به مدخل يوصل بين كليهما، حيث يبلغ اتساع فتحتة (1.13م)، وارتفاعها (2.14م). وقد فتحت أيضاً في جدران المطبخ العديد من النوافذ، تتوزع كالآتي: ثلاث في الجدار الشرقي، وواحدة في الجدار الغربي، واثنتين في الجدار

الشمالي، تقابلهما اثنتان في الجدار الجنوبي، وفي الأسفل من هذه النوافذ توجد أفران الطبخ التي تستند على الجدران.



لوحة (54) مطبخ القلعة

الفصل الثاني: قلعة الضِحي

- **الموقـــــع**

- **نشأة القلعة ودورها الحربي**

- **مراحل عمارة القلعة**

- **الدراسة الوصفية والتحليلية للقلعة**

أولاً: المخطط العام للقلعة

- الواجهات
- القلعة من الداخل

ثانياً: الوحدات الدفاعية

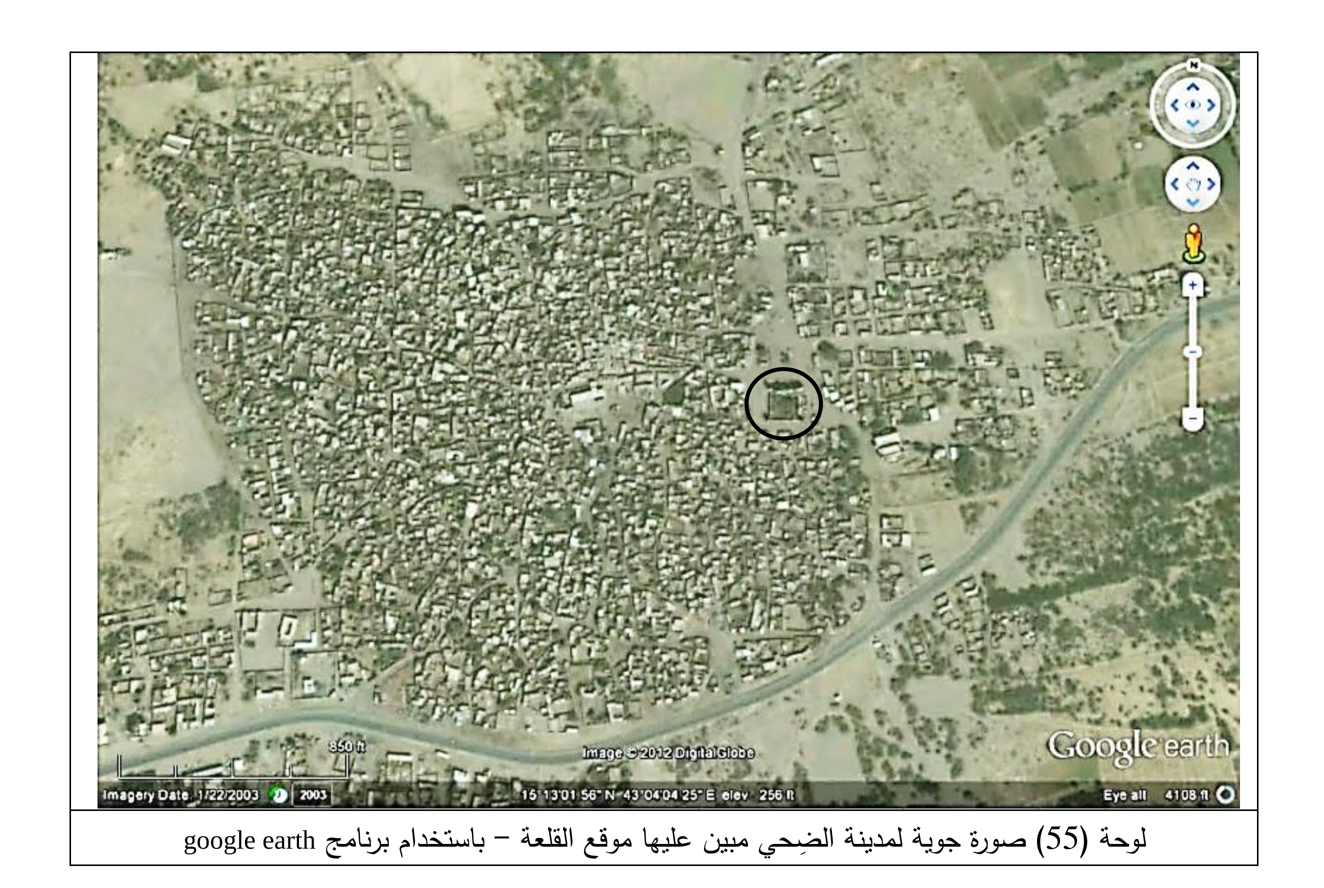
- البوابة الرئيسية
- الأبراج الدفاعية

ثالثاً: الوحدات الإدارية والسكنية

- المرافق الشمالية
- المرافق الجنوبية

الموقع: (ل:55 – 56، خ:10)

تقع قلعة الضِحي في الجهة الشرقية من المدينة التي سميت باسمها (الضِحي)[1]، وقد شيدت على أرض رملية منبسطة كغيرها من منشآت المدينة، وتقع احداثيات القلعة بين دائرتي عرض (N15.21575) شمالاً، وخطي طول (E43.07275) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمسافة (245 قدم).



لوحة (55) صورة جوية لمدينة الضِحي مبين عليها موقع القلعة – باستخدام برنامج google earth

1– تقع مدينة الضِحي في وادي سردُد في الجنوب الشرقي من مدينة الزَيدية على بعد حوالي (20كم)، وعن مدينة الحُديدة من الجهة الشمالية بمسافة تقدر بـ (54 كم) تقريباً. وكانت الضِحي في السابق تتبع مدينة الزَيدية إدارياً، أما في الوقت الراهن فتعتبر مركزاً لمديرية الضِحي التي تتبع إدارياً محافظة الحُديدة. الفريق الوطني اليمني: نتائج المسح السياحي في الفترة (1996– 1999م)، ج 5، محافظات أبين وعَدن والحُديدة، الهيئة العامة للسياحة، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، ط 1، 1999، ص 72. وأيضا ابراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 1، ص 943.



لوحة (56) صورة جوية لقلعة الضِحي – باستخدام برنامج google earth

نشأة القلعة ودورها الحربي

ترجع أقدم إشارة تاريخية ورد فيها ذكر قلعة الضِحي إلى بدايات القرن الثامن عشر، وخلال هذه الفترة كانت أغلب مناطق اليمن ومنها تهامة تحت حكم الدولة القاسمية؛ فعندما احتدم الصراع السياسي والحربي بين الإمامين: المتوكل القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد والمنصور حسين بن القاسم بن المؤيد[1] عام (1028هـ/ 1715م)، دارت الحرب بين جيشيهما في منطقة تهامة[2]. وفي المعركة التي تمت بينهما في مدينة الضحي انتصر جيش المنصور، وبرغم مقتل الكثير منه استطاع أسر حوالي ألف وخمسمائة من جيش المتوكل كانوا متحصنين في قلعة الضحي[3].

وتعد الإشارة التاريخية المذكورة عن القلعة هي أقدم ما عثرنا عليه في ثنايا المصادر التاريخية، في حين ذُكرت بعض الأحداث الحربية التي تتعلق بمدينة الضِحي وساكنتها من قبائل الجَرابح، ومن أبرزها خلال عامي (1803 - 1804م)، أثناء توسع الشريف حمود الخيراتي في تهامة، ونشوب الحرب بينه وبين الفَقيه صالح العلفي أمير مدينة الحُديدة من طرف إمام صنعاء المنصور علي[4]؛ وكذلك محاولة

1 - عن الصراع الذي دار بين الإمامين المذكورين، يراجع الفصل التاريخي في القسم الأول.

2 – محسن بن الحسين: تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، ص 388.

3 – نفسه، ص 389.

4 – انظر: فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 209، 230 – 235.

الجنود العثمانيين لأكثر من مرة إخضاع قبيلة الجرابح في مدينة الضِحي وأسر بعض منهم كرهائن عام (1318هـ/1900م)؛ ولكن هذه القبيلة استطاعت صد تلك الهجمات والسيطرة على الأسلحة العثمانية[1].

وبناء على ما سبق نستخلص أن تأسيس القلعة يرجع إلى ما قبل عام (1028هـ/ 1715م)، ولكن لا تعرف بالضبط سنة التأسيس؛ كما إن الدور الحربي لقلعة الضِحي يشوبه الكثير من الغموض، ولعل صمت المصادر التاريخية ناتج عن عدم وجود أهمية كبيرة للمدينة (الضِحي) من الناحية السياسية أو التجارية، وذلك لأنها كانت تعد إحدى القرى التابعة لمدينة الزَيدية التي كانت تعتبر مركزاً للمدن الشمالية في تهامة.

مراحل عمارة القلعة

لم يتم التعرف على الشكل المعماري والتصميم العام الذي اتخذته قلعة الضِحي عند تأسيسها، وكذا الفترة اللاحقة لمرحلة التأسيس، وقد حاولنا تفسير هذا الغموض في الفقرة السابقة؛ أما المبنى الراهن للقلعة فيرجع إنشاؤه إلى عام (1349هـ/ 1930م)، (ل:57)، وذلك حسب الدراسة الأثرية الوصفية والتحليلية التي أجريت له[2]، وزيادة على ذلك فقد ذكر أحد كبار السن في مدينة الضِحي أن عمارة القلعة كانت على نفقة التاجر أحمد بن علي بن أبكر الضحوي[3]، وأن كبار البنائين الذين قاموا بعملية الإنشاء قدِموا من مدينة بيت الفَقيه، ومنهم مكرم والعيدروس وإسماعيل[4].

وأثناء القيام بالعمل الميداني في قلعة الضِحي لوحظ أن المنشأة بكاملها بحالة جيدة من الناحية المعمارية، وبعد إجراء المقابلات الشخصية مع بعض أبناء مدينة الضِحي تبين أنها تعرضت لعملية ترميم شامله في عام (2006م) على نفقة المجلس المحلي بمديرية الضِحي، كما تم العثور على التاريخ المذكور

1 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 59 – 60.

2 – يراجع ص 182 – 183.

3 – ذكر المؤرخ إسماعيل الوشلي تاريخ وفاة أحمد الضحوي، فقال: "وفي يوم الجعة، الحادي عشر منه [شهر رجب عام 1354هـ/ 1935م]، توفي الرجل الصالح أحمد بن علي بن أبكر بالضِحي وبها دفن". انظر: المؤلف نفسه: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 263.

4 – مقابله شخصية مع إبراهيم قاسم، إمام جامع الشيخ إسماعيل الحضرمي بمدينة الضِحي، بتاريخ 27 – 8 – 2012.

في واجهة الجدار الشمالي المطل على الفناء، وهذه العمارة الشاملة تمثل المرحلة الثانية والأخيرة من عمارة القلعة.



لوحة (57) قلعة الضِحي قبل ترميمها عام (2006م) – عن (إسماعيل الأكوع)[1]

<u>**الدراسة الوصفية والتحليلية للقلعة**</u>

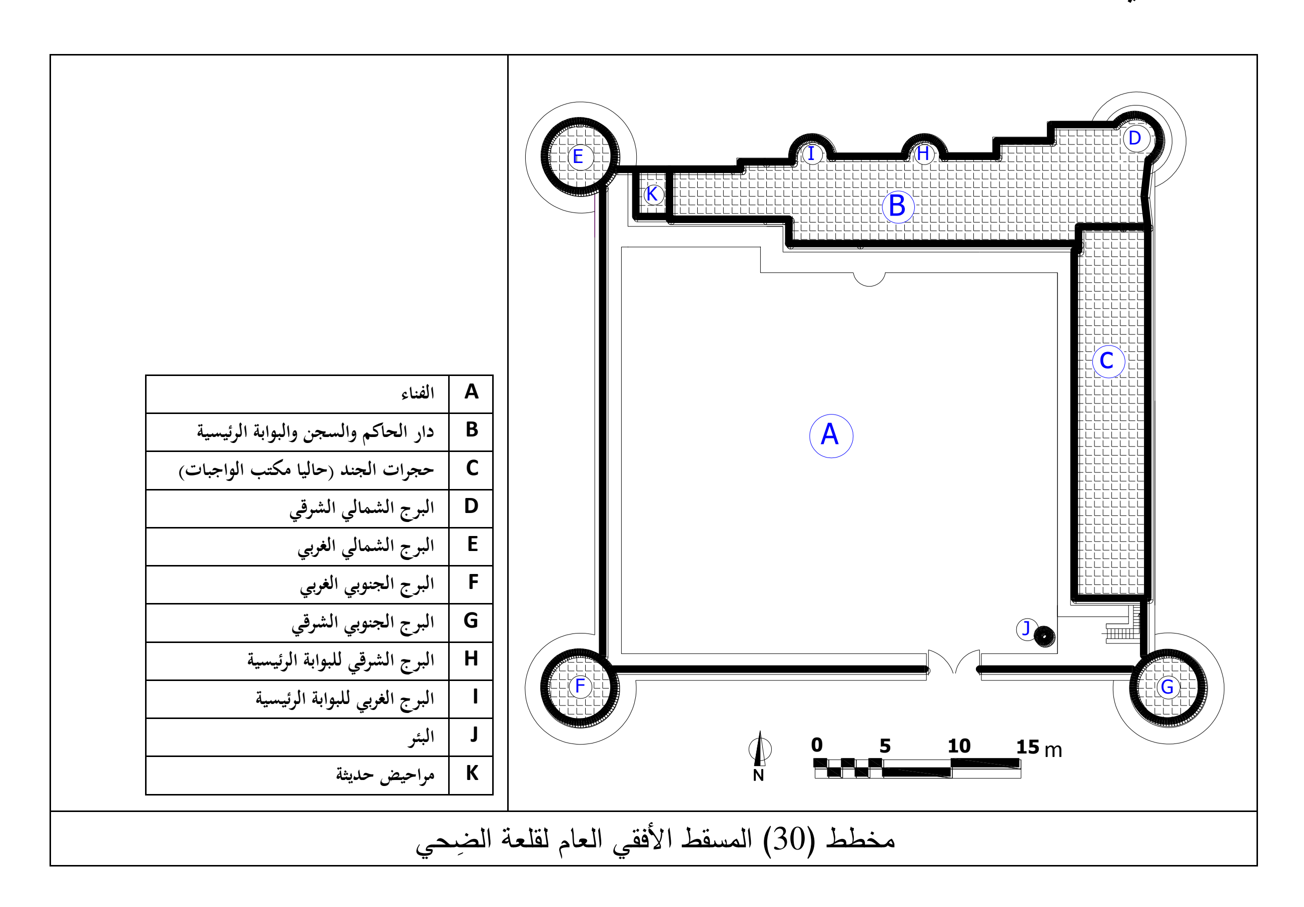
أولاً: المخطط العام للقلعة (م:30)

تتخذ قلعة الضِحي شكل شبه مربع يمتد بمسافة (48م) من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب بمسافة (47.5م). وتتألف من فناء واسع مكشوف تطل عليه المرافق من الجهتين الشمالية والشرقية. ففي الجهة الشمالية تقع كتلة المدخل وحجرات الحراسة التابعة له، وحجرات المكاتب الادارية بالمديرية، وسكن العامل (حاكم المدينة)، وسجن القلعة. أما في الجهة الجنوبية فتوجد حجرات مكتب الواجبات الزكوية، وحجرات أخرى استخدمت للتخزين؛ وتقع بئر القلعة في ساحة الفناء أمام البرج الجنوبي الشرقي، وتكتنف أركان القلعة أربعة أبراج دائرية.

ومخطط القلعة المذكور يشبه مخططات أغلب قلاع تهامة التي أنشئت على الأراضي الرملية المستوية، ويبدو أن العوامل المناخية – ومنها ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة – لعبت دوراً كبيراً في

1 – إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط 1، 1995، ص 1190.

الاعتماد على هذا التخطيط، وقد انطبق هذا الأمر أيضاً على قلعة حَيس، وقلعتي الإدريسي والمنصورة بمدينة مِيدي، والقلعة اليمانية بمدينة الحُديدة، وقلعة الزَيدية.



مخطط (30) المسقط الأفقي العام لقلعة الضِحي

*** الواجهات الخارجية**

تضم قلعة الضِحي أربع واجهات: الرئيسية منها تتجه نحو الشمال وبها كتلة البوابة الرئيسية، أما الواجهة الشرقية فيمثلها جدار خارجي للحجرات الشرقية، بينما الواجهتان الجنوبية والغربية يمثلهما سور يربط بين أبراج القلعة، وفي الفقرات التالية سيتم وصفها ابتداء بالواجهة الشمالية.

– **الواجهة الشمالية** (ل:58)

تمتد هذه الواجهة من الشرق إلى الغرب بطول (48م)، ويبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح الأرض بحوالي (12م)، وهي تمثل جداراً خارجياً لبرجي البوابة الرئيسية وحجرات دار العامل، والمراحيض الملحقة بها، وحجرات المكاتب الإدارية، والبرجين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي.

وتمتاز الواجهة الشمالية بوجود المدخل الرئيسي للقلعة في مكان متوسط منها، وعموماً الجزء السفلي منها كسي بطبقة من الملاط (النُورة الكِدري والرمل)، من أجل حماية الجدار من التآكل الناتج عن

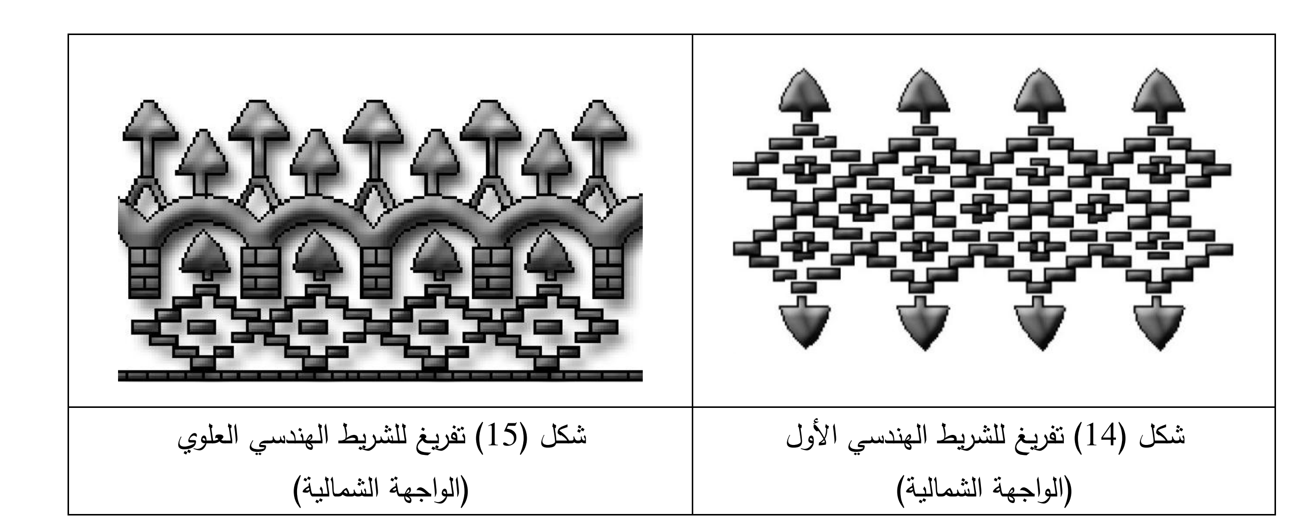
الرطوبة، كما تتخللها في الأسفل العديد من الفتحات الصغيرة التي تستخدم كمزاغل للرماية بالبنادق، أما الفتحات الكبيرة فقد وجدت اثنتان فقط تقعان في الجهة الغربية من الواجهة، وهما مدخل ثانوي لإحدى الحجرات الأرضية وإلى جانبه نافذة واسعة، ومن المحتمل أنهما فُتحتا في مرحلة لاحقة للبناء الأصلي للقلعة، وذلك لكي لا تكون مناطق ضعف يستطيع مهاجمو القلعة الدخول منها.

ويتخلل الجزء العلوي من هذه الواجهة العديد من النوافذ التي بلغ عددها إحدى عشر، جميعها غطت بسواتر زجاجية تتفاوت في أبعادها ما بين (1.20م x 60سم) و(1م x 40سم)، وكذلك فتحات الرماية الضيقة (مزاغل)، التي تبلغ أبعادها نحو (5سم x 7سم).

يزين الواجهة الشمالية شريطان زخرفيان نفذا بقوالب الآجر كل واحد منهما يحدد نهاية أحد الطوابق، فالأول يكلل مساحة كبيرة من نهاية واجهة الطابق الأرضي (ش:14)، والثاني يزين نهاية واجهة الطابق الأول (ش:15)، وهي تتألف من معيَّنات تعلوها أشكال معقودة تتوسطها أخرى سهمية، ثم تعلو العقود أيضاً أشكال سهمية ثانية. والأشرطة الزخرفية المذكورة خاصية تميزت بها فنون العمارة التقليدية في منطقة تهامة، وقد وجد هذا الأسلوب أيضا في الكثير من المدن اليمنية، وخاصة في العمارة المدنية ممثلة بالمنازل التي مادة بنائها الآجر كمدينة صنعاء على سبيل المثال.



لوحة (58) الواجهة الشمالية (الرئيسية) لقلعة الضِحي



شكل (15) تفريغ للشريط الهندسي العلوي (الواجهة الشمالية)	شكل (14) تفريغ للشريط الهندسي الأول (الواجهة الشمالية)

- **الواجهة الشرقية:** (ل:59)

تتألف هذه الواجهة من جدار خارجي لحجرات الجند التي استخدمت مكاتب إدارية لاحقاً، ويربط هذا الجدار بين البرجين الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي. ويبلغ الارتفاع الكلي للواجهة حوالي (7م)، وتتخللها العديد من فتحات الرماية (المزاغل)، وفتح فيها في مكان متوسط تقريباً مدخل يتخذ شكل مستطيل قائم، تبلغ أبعاد فتحته نحو (2.20م x 90سم). ويزين هذه الواجهة من الأعلى شريط زخرفي نفذ بقطع الآجر يتألف من أشكال معينات متداخلة، وهو يشبه الشريط الذي يزين الواجهة الشمالية في القلعة نفسها.



لوحة (59) الواجهة الشرقية وبطرفيها البرجين الدفاعيين

- **الواجهة الجنوبية والغربية:** (ل:60)

يمثل هاتان الواجهتان سور دفاعي وثلاثة أبراج ركنية هي: الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي والشمالي الغربي، ويتخللهما العديد من العناصر الدفاعية والتكوينات الزخرفية التي نفذت بقطع الآجر.

ويمتد السور الجنوبي بمسافة (37م)، ويبلغ ارتفاعه نحو (6م)، وقد استحدث فيه مدخل، يبلغ اتساعه (4م)، ويتخلل جدار هذا السور صف من فتحات الرماية (مزاغل) بلغ عددها (22 فتحة). أما السور الغربي للقلعة من الخارج فيتألف أيضا من جدار مرتفع (سور)، يبلغ امتداده نحو (33.5م)، ويتخلله صف من فتحات الرماية (مزاغل)، بلغ عددها (40 فتحة)، وينتهي من الجهتين الشمالية والجنوبية ببرجين دفاعيين سيتم وصفهما بالتفصيل لاحقاً.

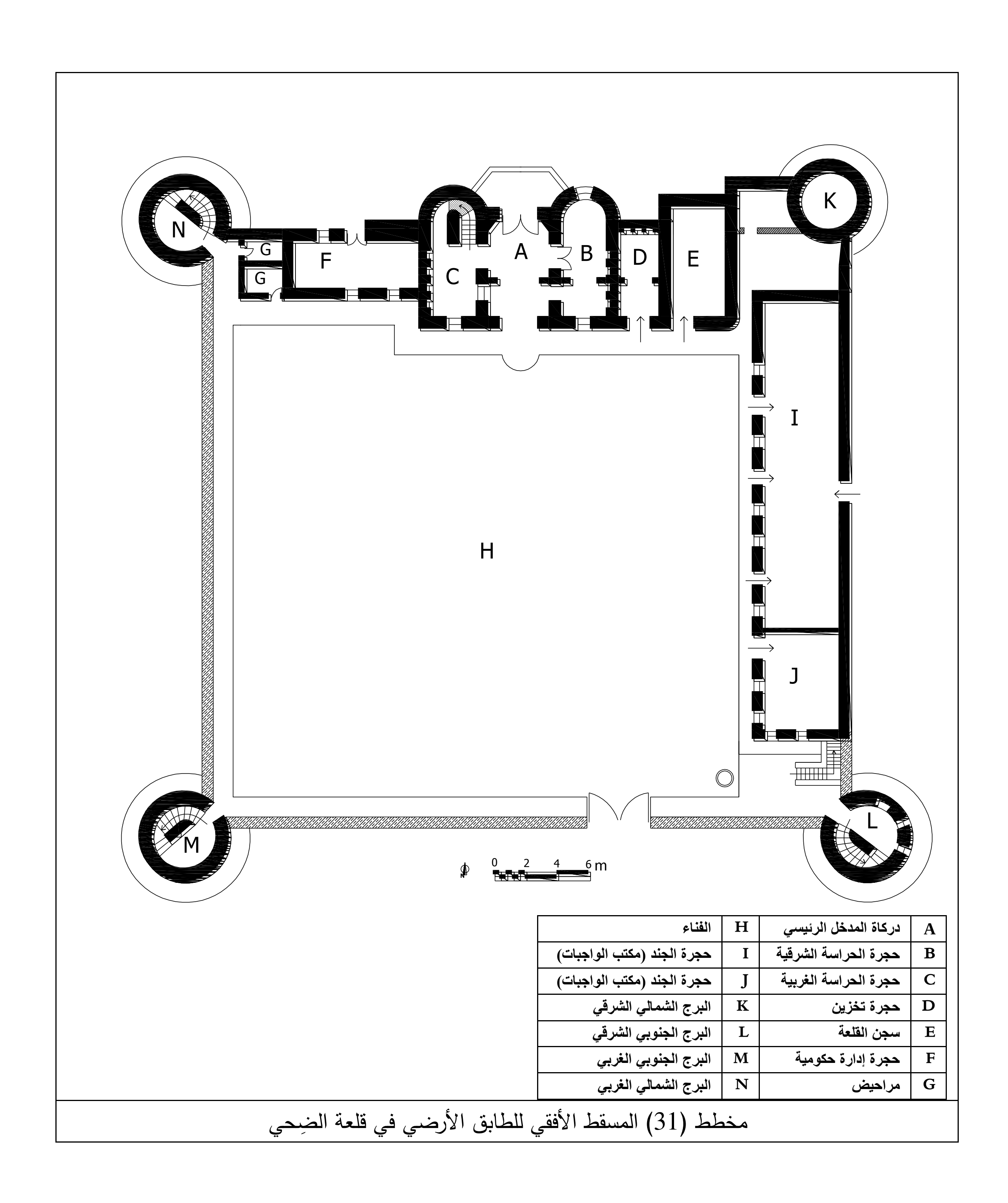


لوحة (60) الواجهة الغربية

- **القلعة من الداخل:** (م:31- 32)

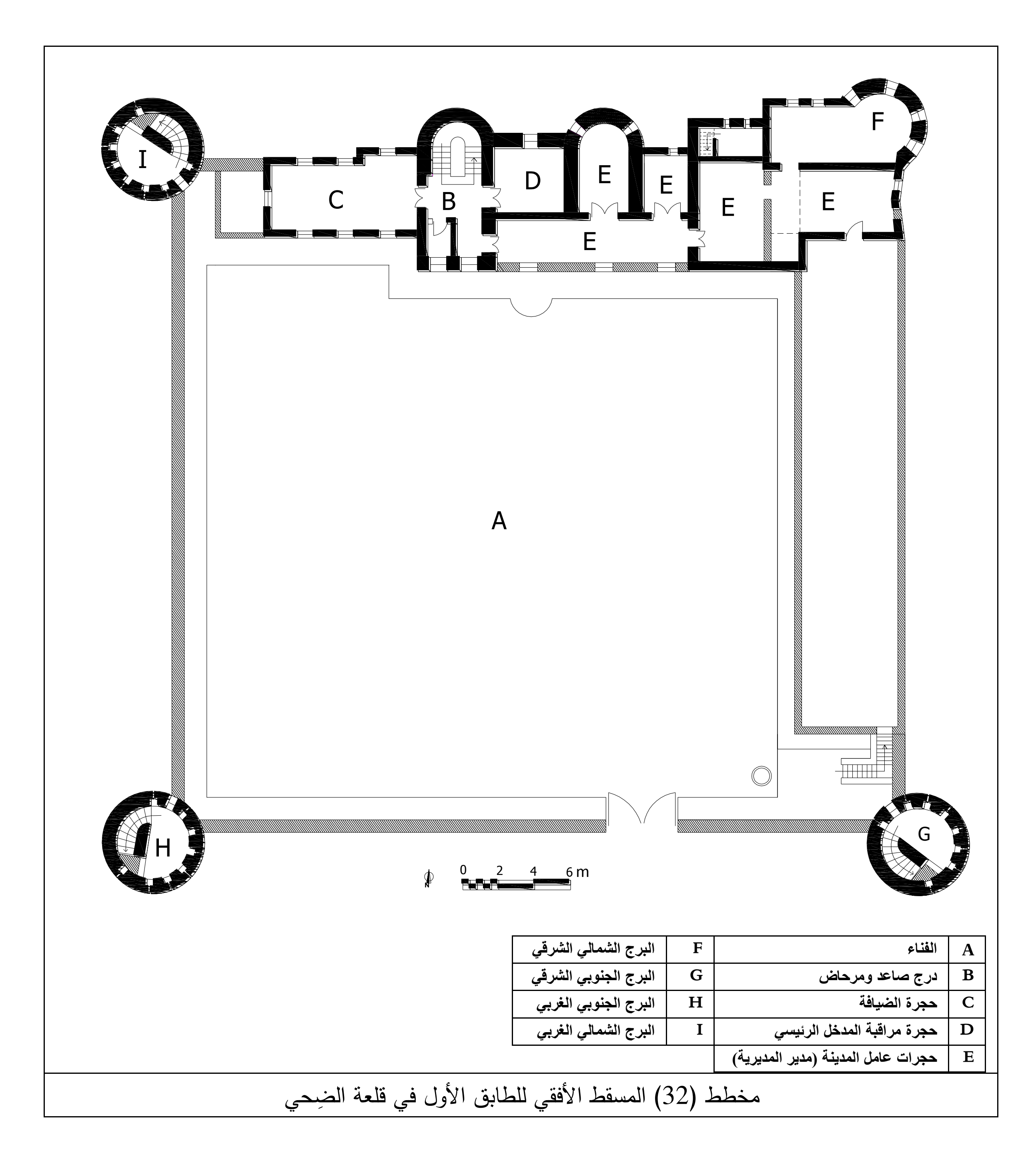
تتألف قلعة الضِحي من الداخل من فناء مكشوف مستطيل الشكل، يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة (39.40م)، ومن الشمال إلى الجنوب بمسافة (36م)، ويكتنفه من الجهتين الجنوبية والغربية سور دفاعي مرتفع، ومن الجهتين الشمالية والشرقية مرافق القلعة، فالجهة الشمالية بها أغلب مرافق القلعة وهي تتألف من طابقين، أما الجهة الشرقية فتتكون من طابق واحد، وتطل حجراتها على الفناء بفتحات المداخل

والنوافذ. وفي الأركان الأربعة للفناء تقع أربعة أبراج يضم كل واحد منها مدخل يطل على الفناء، وللقلعة بئر تقع في ساحة فنائها بالقرب من البرج الجنوبي الشرقي.



A	دركاة المدخل الرئيسي	H	الفناء
B	حجرة الحراسة الشرقية	I	حجرة الجند (مكتب الواجبات)
C	حجرة الحراسة الغربية	J	حجرة الجند (مكتب الواجبات)
D	حجرة تخزين	K	البرج الشمالي الشرقي
E	سجن القلعة	L	البرج الجنوبي الشرقي
F	حجرة إدارة حكومية	M	البرج الجنوبي الغربي
G	مراحيض	N	البرج الشمالي الغربي

مخطط (31) المسقط الأفقي للطابق الأرضي في قلعة الضِحي



A	الفناء	F	البرج الشمالي الشرقي
B	درج صاعد ومرحاض	G	البرج الجنوبي الشرقي
C	حجرة الضيافة	H	البرج الجنوبي الغربي
D	حجرة مراقبة المدخل الرئيسي	I	البرج الشمالي الغربي
E	حجرات عامل المدينة (مدير المديرية)		

مخطط (32) المسقط الأفقي للطابق الأول في قلعة الضِحي

ثانياً: الوحدات الدفاعية

- **البوابة الرئيسية** (ل:61)

تتألف البوابة الرئيسية للقلعة من مدخل ذي عقد نصف دائري، يبلغ اتساعه نحو (2.35م)، وارتفاعه (3.15م)، يشغله مصراعان خشبيان. ويحف بالمدخل من الجهتين برجان أحدهما شرقي والآخر غربي، ويتخذ كل منهما شكل نصف دائري، وقد فتحت في الشرقي نافذة مستحدثة، ويظهر ذلك من خلال الصورة القديمة التي التقطت للقلعة قبل عملية الترميم (ل:57). ويفضي المدخل الرئيسي إلى دركاه

ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها نحو (6م x 3.70م)، تنتهي بفتحة مدخل آخر يؤدي إلى الفناء. وتكتنف دركاة المدخل من الجهتين الشرقية والغربية حجرتان متشابهتان في قياساتهما، أبعاد كل منهما (7.40م x 2.80م)، وهما في الأصل تمثلان امتداداً لبرجي المدخل، كانتا وما زالتا تستخدمان سكنا للجند المكلفين بالحراسة، فالحجرة الشرقية تتخلل جدارها الشرقي أربع دخلات الغرض منها وضع الأمتعة، عمق كل واحدة منها نحو (25سم) وارتفاعها (70سم)، وتشبهها في ذلك الحجرة الغربية؛ وتطل الحجرتان المذكورتان على الفناء بنافذتين بواقع واحدة في كل حجرة، يبلغ اتساعها (70سم)، وارتفاعها (1.20م)، (م:33).

والصعود إلى الطابق الأول لكتلة البوابة الرئيسية، وكذلك الطابق الأول للمرافق الشمالية في القلعة يتم بواسطة درج ملتف يستند على الجدار المستدير للبرج الغربي من داخل الحجرة الغربية نفسها، وينتهي عند الطابق الأول بمساحة مربعة فتح في الجهة الغربية منها مدخل يؤدي إلى حجرة علوية، أما الجهة الشرقية فقد فتح فيها مدخلان، الأول يقع في منتصف الجدار وهو يؤدي إلى حجرة حراسة علوية، حيث فتحت في جدارها الشمالي نافذة تتم من خلالها مراقبة المدخل الرئيسي للقلعة من الأعلى (م:33). والمدخل الثاني يؤدي إلى ممر مكشوف تفتح علية حجرات دار العامل.

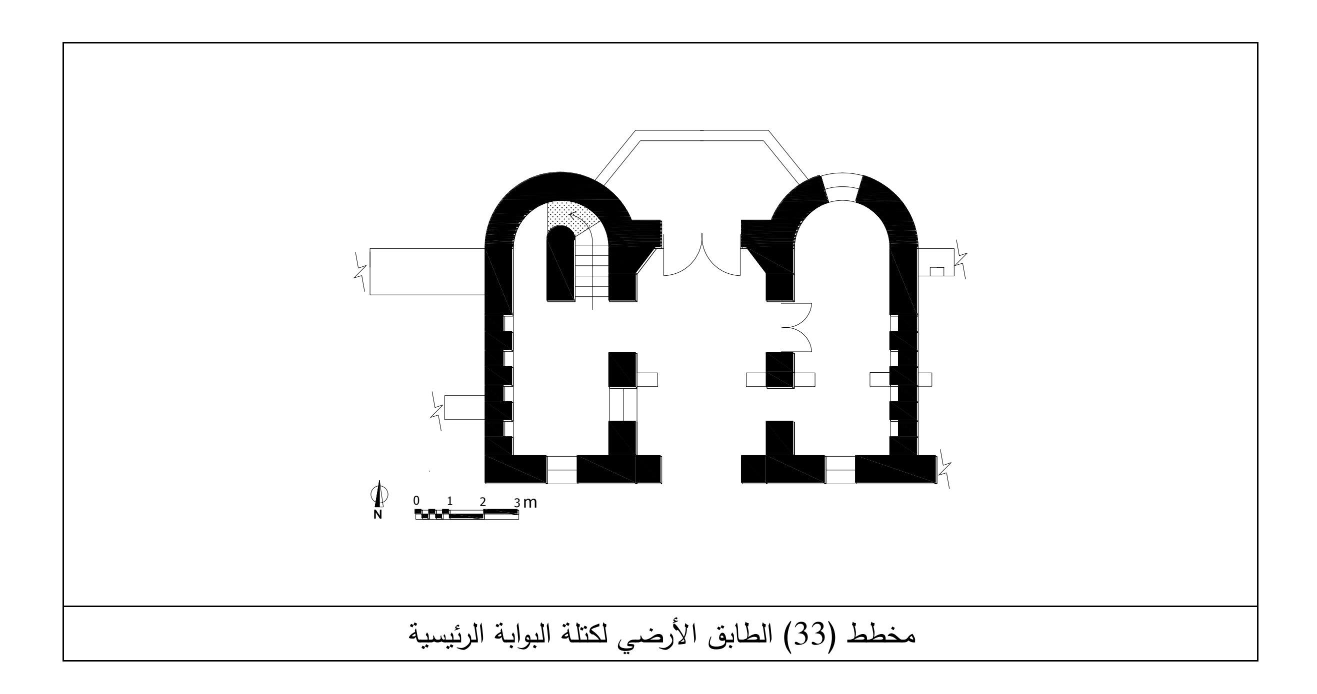
ويصعد إلى الطابق الثاني لكتلة البوابة الرئيسية بواسطة الدرج السابق ذكره، حيث يتألف من جدار ساتر لبرجي المدخل، وقد زين بشريط هندسي وفتحات المزاغل، وهذه العناصر الزخرفية والدفاعية جزء من الجدار الساتر الذي يكلل جميع أجزاء الواجهة الشمالية. ويختلف الجدار الساتر في البرج الشرقي عن نظيره في البرج الغربي بوجود دخلات ذوات عقود منكسرة، وهي ترتد نحو الداخل بمقدار (25سم)، واتساعها (50سم)، وارتفاعها (1م)، فتح في جانبيها مزغلان مائلان للرماية بالبنادق، وفي أرضيتها مزغل مائل إلى الأسفل يؤدي دور السَّقاطة.

ويبدو أن البوابة الرئيسية لقلعة الضِحي بمخططها الذي يضم مدخلاً من النوع المباشر، ويكتنفه من الجهتين برجان مستديران، قد تأثر تماماً بالبوابة المندثرة في قلعة دار الحكومة بمدينة باجل (ل:255)،

باعتبار أن هذه الأخيرة تاريخياً أقدم من قلعة الضِحي، كما يوجد في منطقة تهامة نموذجاً مشابهاً ما يزال قائماً إلى الوقت الراهن، وهو باب مُشْرِف بمدينة الحُديدة القديمة* (ل:62 – 63).



لوحة (61) البوابة الرئيسية لقلعة الضِحي



مخطط (33) الطابق الأرضي لكتلة البوابة الرئيسية

* هو أحد أبواب سور مدينة الحديدة الذي قام بعمارته الشريف حمود الخيراتي. انظر: فؤاد الشامي: " تاريخ المخلاف السليماني" – ص 354.



لوحة (62) صورة قديمة لباب مُشْرِف بمدينة الحُديدة



لوحة (63) باب مُشْرِف بمدينة الحُديدة (صورة حديثة)

– البرج الشمالي الشرقي (D) (ل:64)

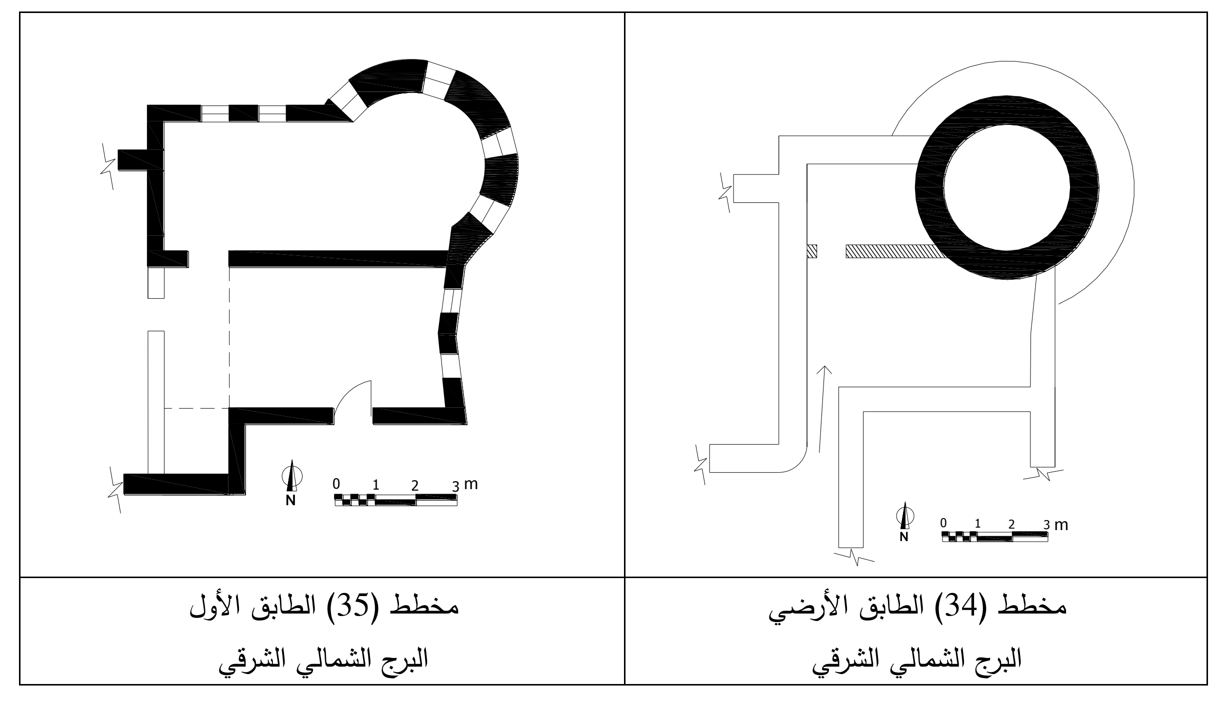
يتخذ هذا البرج شكلاً أسطوانياً قائماً، يبلغ ارتفاعه من الخارج نحو (11م)، ومسقطه الأفقي مستدير، حيث يبلغ امتداد قوسه من الخارج في أسفل البرج نحو (6.30م)، يدعمه من الأسفل جدار ساند كسي بطبقة من الملاط. والطابق الأرضي في هذا البرج لا يوجد له مدخل في الوقت الراهن، لذا لم نستطع وصفه من الداخل (م:34). أما الطابق الأول فيتم الدخول إليه من جهتين: الأولى من سطح الحجرات الشرقية، والثاني من الجهة الغربية، وهو في الوقت الراهن يرتبط بحجرات عامل المدينة (مدير المديرية حالياً).

فتحت في الطابق الأول من البرج الشمالي الشرقي نافذتان، أبعاد كل واحدة منهما نحو (60سم x 1.20سم)، وتماثلهما من جهة الجنوب نافذتان إحداهما أغلقت. وقد زين جدار البرج في أعلاه بشريط زخرفي يعتبر امتداداً للشريط الذي يزين الواجهة الشمالية في القلعة، ثم يعلوه صفان من فتحات البنادق المزدوجة المائلة التي تتخلل جداره الساتر والجدار الشرقي الملاصق له (م:35، ل:65).

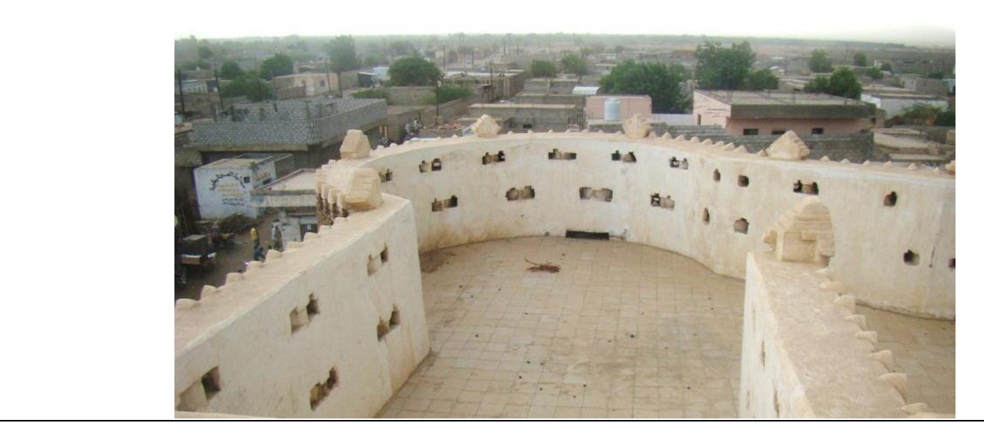
وقد لوحظ على هذا البرج عدم وجود عنصر السقاطة مقارنة ببقية أبراج القلعة، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى ارتفاع جداره وارتباطه بجداري الواجهتين الشمالية والشرقية في القلعة، مما يصعب على مهاجمي القلعة اقتحامها من جهة البرج المذكور، ولذا تم الاستغناء عن عنصر السقاطة.



لوحة (64) الواجهة الشرقية من البرج الشمالي الشرقي والجدار الملاصق له وجزء من جدار حجرة الجند



مخطط (35) الطابق الأول البرج الشمالي الشرقي	مخطط (34) الطابق الأرضي البرج الشمالي الشرقي



لوحة (65) الطابق الثاني للبرج الشمالي الشرقي – الجدار الساتر

- **البرج الجنوبي الشرقي** (G) (ل:66)

يتخذ هذا البرج شكلاً اسطوانياً قائماً، يبلغ ارتفاعه من الخارج نحو (11م)، ودُعِّم في أسفله بجدار ساند مشطوف من أعلاه يبرز عن جدار البرج بنحو (1م)، وتتخلله فتحات صغيرة (مزاغل) تسمح للبنادق بالتصويب إلى خارج البرج. والبرج ذو مسقط دائري يلتصق به جدارا سور القلعة من الجهتين الشرقية والجنوبية، ولذا فهو يطل على خارج القلعة بثلاثة أرباع منه.

يتم الدخول إلى البرج من الفناء عبر مدخل ذي عقد مدبب، يبلغ اتساعه (1م)، وارتفاعه (1.70م)، يؤدي إلى داخل الطابق الأرضي (ل:67، م:36)، الذي يبلغ قطره (4م)، وارتفاعه (2.60م)، وفتح في أسفل جداره صف لفتحات الرماية المفردة وهي مسدودة في الوقت الراهن، ثم تعلوه نافذتان صغيرتان تتجهان نحو الشرق، يبلغ ارتفاع الأولى (45سم)، واتساعها (40سم)، أما الثانية فهي مربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها (40سم). وقد زين هذا الطابق في جداره الخارجي بشريط زخرفي نفذ بقطع الآجر يتألف من خطين يتقاطعان مع بعضهما نتجت عنهما أشكال هندسية مكررة (المعيَّنات) تعلوها أشكال سهمية.

ويتم الصعود إلى الطابق الأول في البرج بواسطة سلم ملتو يستند إلى جدار البرج من جهة، ومن الجهة الأخرى إلى جدار شكَّل دعامة للسلم. ويتخلل الجدار المستدير للطابق الأول صف من الدخلات المعقودة، يبلغ عددها ثمان، وعمق كل واحدة منها نحو (37سم)، واتساعها (40سم) وارتفاعها (58سم)، وفي أرضية كل واحدة منها فتحة مائلة إلى الأسفل تؤدي وظيفتين معاً هما: مزغل مائل، وسقاطة غير بارزة.

ويلي الدخلات المعقودة من الأعلى صف من فتحات الرماية المزدوجة (مزاغل) (م:37– 38، ل:68، ش:16).

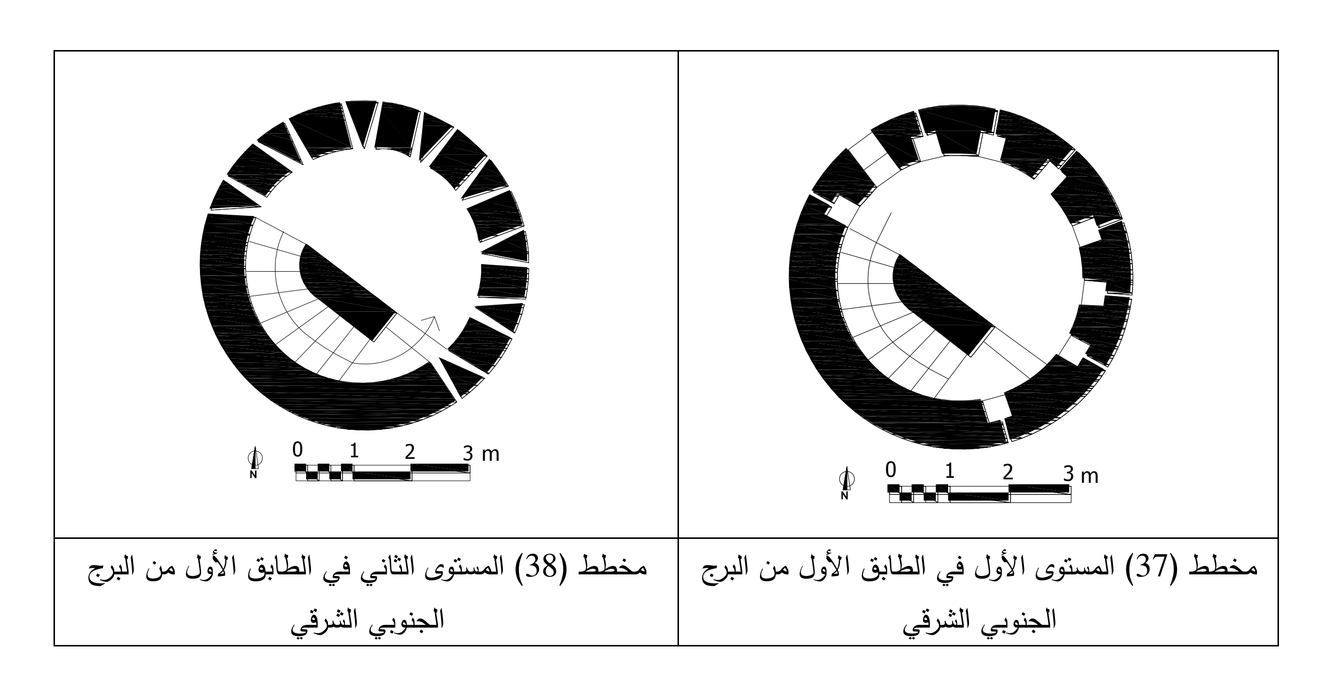
ويزين جدار البرج من الخارج في مكان متوسط تقريباً شريط زخرفي يتألف من كلمة مكررة للفظ الجلالة (الله)، كما زين الجزء العلوي من الجدار نفسه بشريط زخرفي نتج عن تكوينات الآجر، وهو يشبه الشريط الذي سبق ذكره أثناء وصف الواجهة الشمالية للقلعة.

ويستمر الصعود إلى الطابق الثاني بواسطة السلم نفسه، وهذا الطابق مكشوف (ل:69، م:39)، يتألف من جدار ساتر، يبلغ ارتفاعه (2.15م)، وسمكه (80سم)، ويتخلله صف يتألف من ثمان دخلات معقودة، اتساع كل واحدة منها نحو (55سم) وارتفاعها (79سم)، (ش:17)، وهي في الوقت نفسه تمثل سقاطات بارزة إلى الخارج، حيث تبرز عن سمت جدار البرج بمقدار (15سم)، وهي محمولة على كوابيل[1] خشبية (ش:18). وتتألف واجهة السَّقاطة الواحدة من ثلاثة أضلاع، تتخلل الضلعين الجانبيين فتحتان من المزاغل المائلة تسمح للبنادق بالتصويب، كما فتحت في قاعدتها فتحة صغيرة (سقاطة) لإلقاء المواد الحارقة على مهاجمي القلعة من جهة البرج.

وينتهي البرج من أعلاه في جهته الغربية ببناء يستخدم للمراقبة (مرقب) (ل:70)، ومن خلال فتحات النوافذ التي تتخلل جدرانه تتم مراقبة مساحة واسعة داخل القلعة وخارجها. ويتخذ هذا المرقب شكل مربع تغطيه قبة صغيرة، يبلغ طول ضلعة (1.10م)، (م:40)، وفتحت في جداره الشرقي نافذتان صغيرتان، اتساع كل واحدة منهما (35سم)، وارتفاعها (45سم)، وفتحت في الجدار الجنوبي أيضا نافذة وفي الغربي نافذة أخرى.

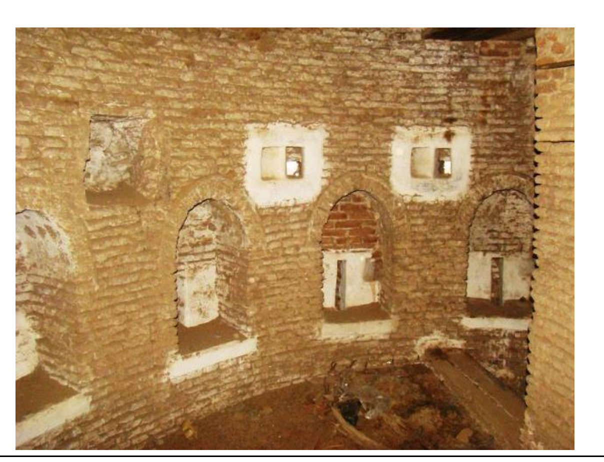
[1] – يأتي الكابولي في المصطلح الأثري المعماري للدلالة على بروز من حجر أو خشب غالباً أو من آجر أو حديد أحياناً، يبنى خارجاً عن سمت الواجهة ليكون بمثابة دعامة تحمل كمرة أو حزاماً لأرضية البناء الذي يعلوه، وقد استخدمت الكوابيل الحجرية والخشبية بشكل خاص لحمل كثير من بروزات الأبنية الأثرية، مثل الشرفات والخارجات والضلات، وأسفل القراميد البارزة فوق المداخل والأبواب والشبابيك العلوية بالواجهات وغيرها. للمزيد انظر: عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، ص 248.

لوحة (66) البرج الجنوبي الشرقي	مخطط (36) الطابق الأرضي للبرج الجنوبي الشرقي
	لوحة (67) الطابق الأرضي في البرج الجنوبي الشرقي

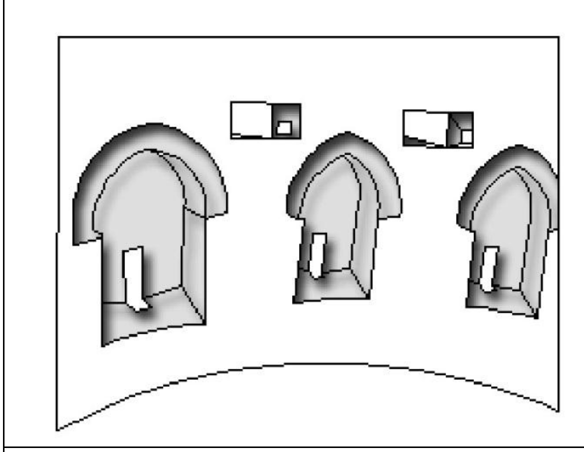


مخطط (37) المستوى الأول في الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي

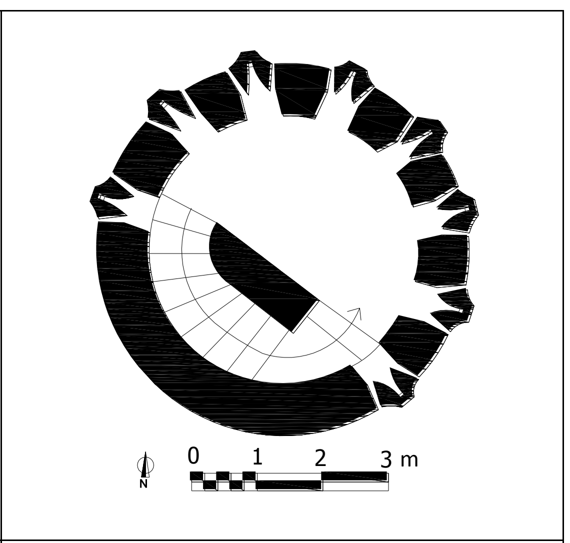
مخطط (38) المستوى الثاني في الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي



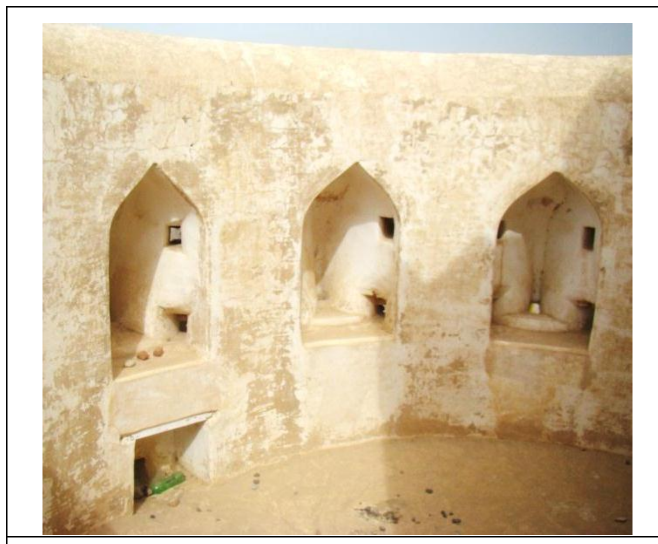
لوحة (68) العناصر الدفاعية في جدار الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي



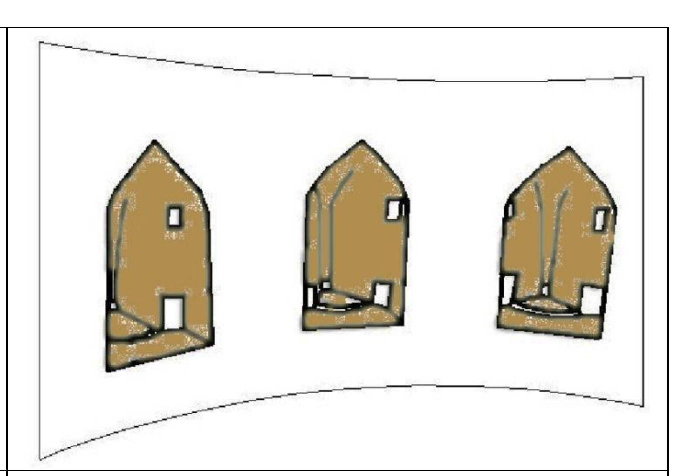
شكل (16) رسم توضيحي للعناصر الدفاعية في جدار الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي



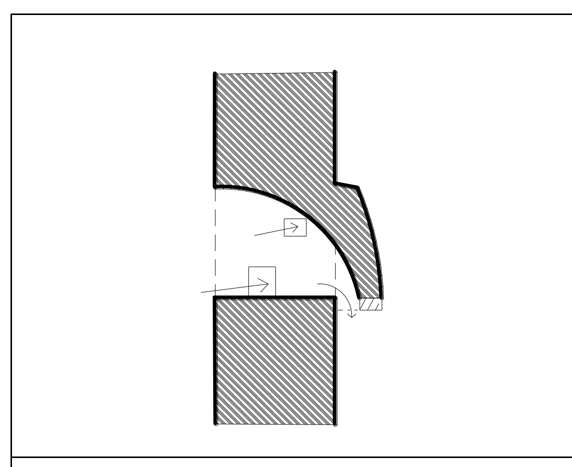
مخطط (39) الطابق الثاني من البرج الجنوبي الشرقي



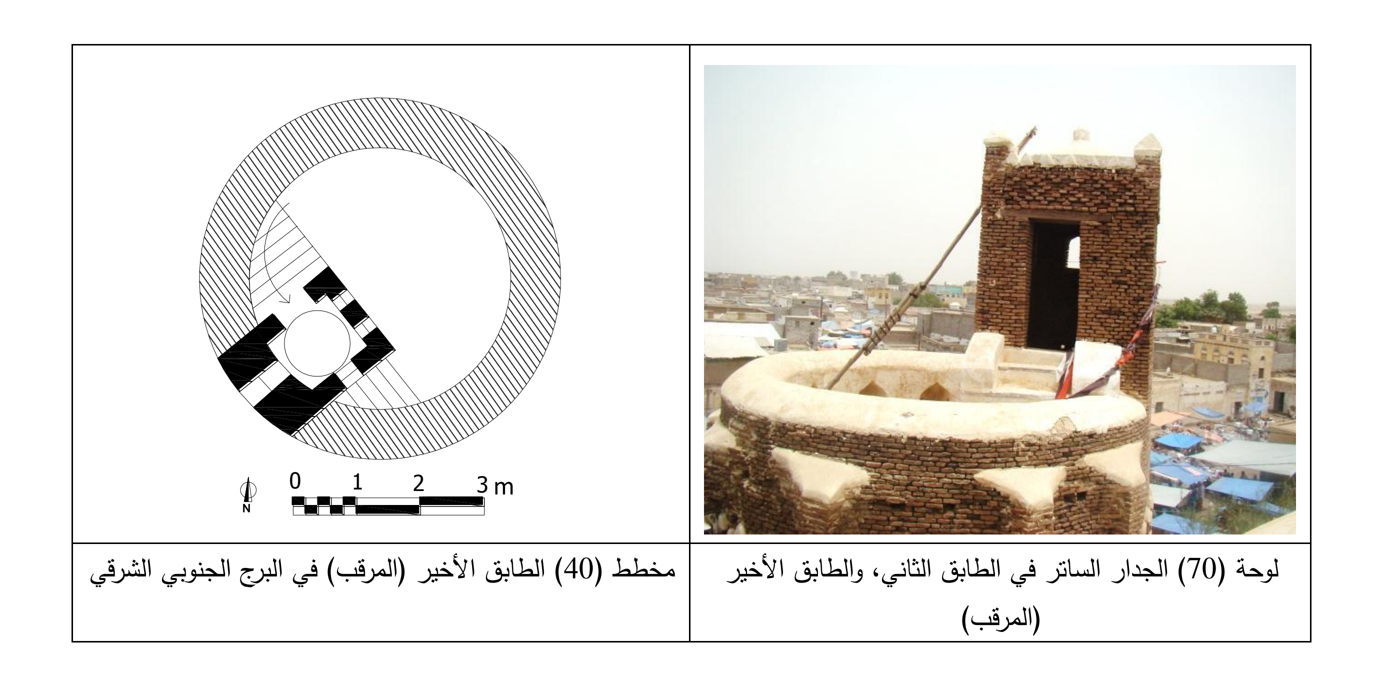
لوحة (69) الجدار الساتر في الطابق الثاني من البرج الجنوبي الشرقي



شكل (17) رسم توضيحي للعناصر الدفاعية في الجدار الساتر من الطابق الثاني – البرج الجنوبي الشرقي



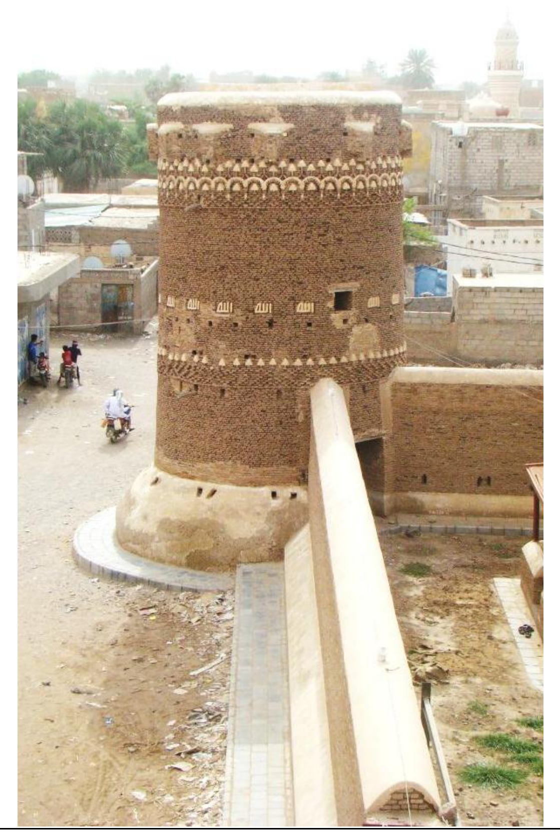
شكل (18) رسم توضيحي – مقطع جانبي للعنصر الدفاعي السَّقاطة



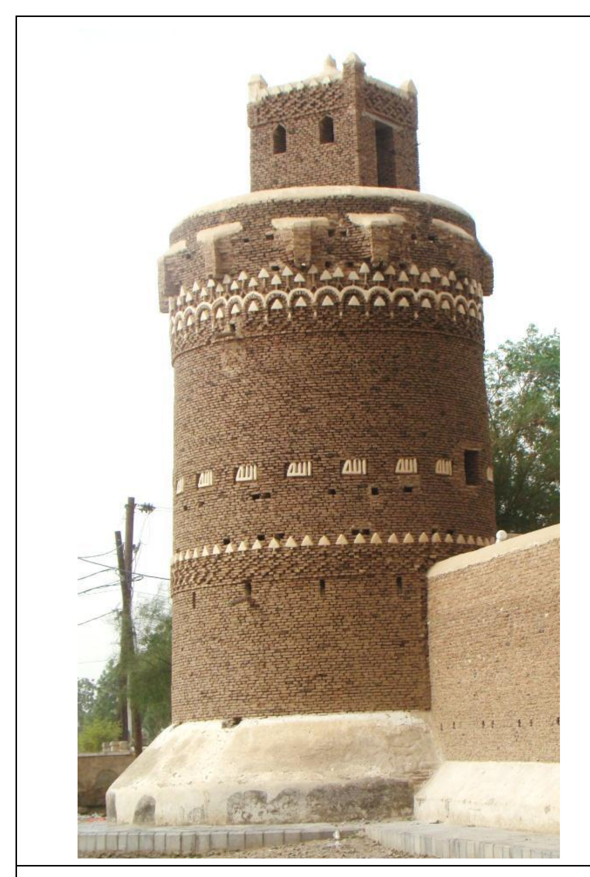
لوحة (70) الجدار الساتر في الطابق الثاني، والطابق الأخير (المرقب)	مخطط (40) الطابق الأخير (المرقب) في البرج الجنوبي الشرقي

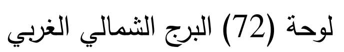
- **البرجان الجنوبي الغربي والشمالي الغربي** (ل:71 – 72)

إن البرجين الدفاعيين الجنوبي الغربي والشمالي الغربي يشبهان البرج الجنوبي الشرقي في القلعة نفسها، سواء في الشكل الخارجي أو العناصر المعمارية والدفاعية من الداخل، ويختلف الأول عن البرجين المذكورين في عدم وجود الطابق الأخير (المرقب) (ل:71)، ولذا فقد بلغ ارتفاعه من الخارج نحو (9.70م). ونظراً للتشابه بين الأبراج الثلاثة المذكورة في جميع التفاصيل المعمارية والدفاعية والأشرطة الزخرفية التي نفذت بقطع الآجر، وكذا عدم وجود أي عناصر معمارية ودفاعية جديدة يمكن ذكرها، فضلنا عدم تكرار وصف البرجين الجنوبي الغربي والشمالي الغربي، والاكتفاء بما تم ذكره عن البرج الجنوبي الشرقي.



لوحة (71) البرج الجنوبي الغربي





لوحة (72) البرج الشمالي الغربي

التحليل الأثري للأبراج الدفاعية:

إن جميع العناصر المعمارية والدفاعية التي يتألف منها التصميم الخارجي والداخلي للأبراج الثلاثة: الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي والشمالي الغربي في قلعة الضِحي متشابهة جداً، غير أن البرج الجنوبي الغربي لا يوجد فيه الطابق الأخير (المرقب)؛ كما تشبه هذه الأبراج أيضاً أبراج قلعة بيت الفَقيه في جميع التفاصيل المعمارية والدفاعية وكذا أسلوب البناء (ل:20، 29، 31)، وهذا الأمر يؤيد المقولة السابق ذكرها بأن البنائين الذين قاموا ببناء قلعة الضِحي قدموا من مدينة بيت الفَقيه التهامية[1]. ولكن الملاحظ أن التكوينات الزخرفية المنفذة بقطع الآجر في أبراج قلعة الضِحي ليست موجودة في أبراج قلعة بيت الفقيه. ويحتمل أن هذا الاختلاف المتمثل في تزيين الواجهات الخارجية لقلعة الضِحي بشكل عام والغلاف الخارجي لأبراجها بشكل خاص ناتج عن الدعم المالي السخي من قبل التاجر أحمد الضحوي

1 - يراجع ص 165.

السابق ذكره؛ ولذا وجدت في هذه القلعة تكوينات زخرفية متقنة بشكل لافت، وبالمقابل ربما كانت طبقة المِلاط التي كسيت بها أبراج قلعة بيت الفَقيه تخفي تحتها تكوينات زخرفية مماثلة.

ومما سبق ذكره يتضح أن عملية بناء قلعة الضحي ترجع إلى الفترة التاريخية نفسها التي تمت فيها العمارة الشاملة لقلعة بيت الفَقيه عام (1349هـ / 1930م)، وإن لم تكن كذلك فمن المؤكد أن البناء الراهن في قلعة الضِحي تم في فترة زمنية ليست ببعيدة جداً عن العمارة الأخيرة التي أجريت لقلعة بيت الفَقيه.

ثالثاً: الوحدات الإدارية والسكنية

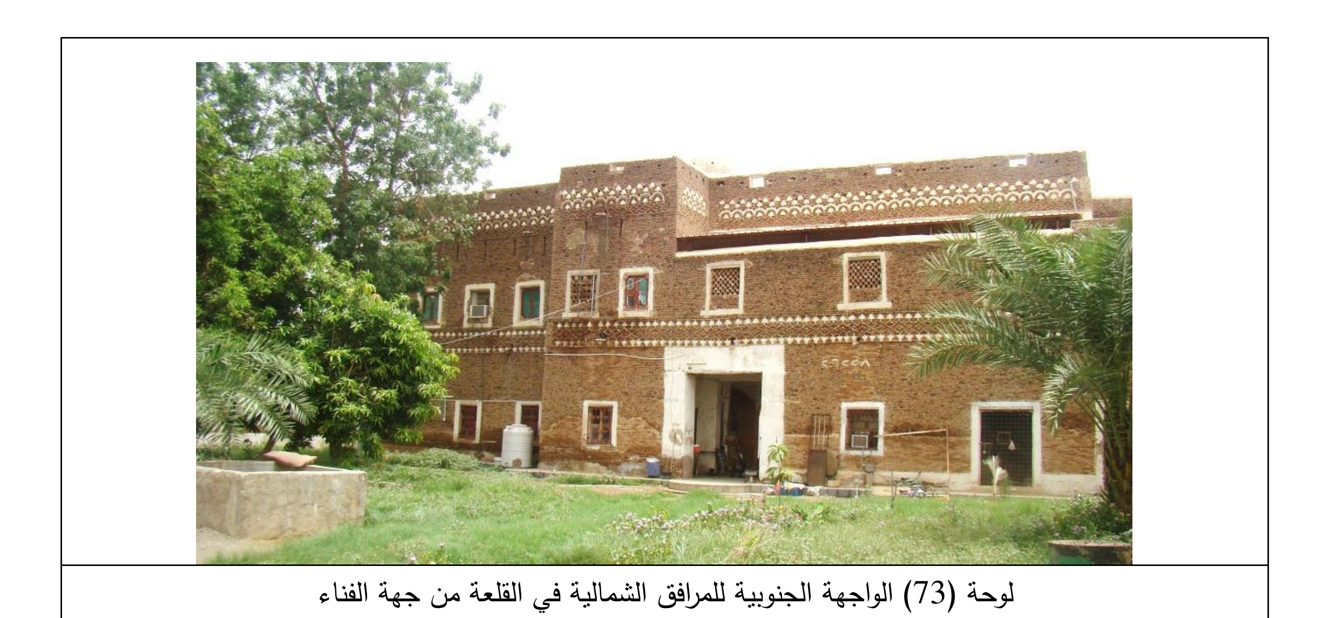
أولا: المرافق الشمالية (ل:73)

تتألف المرافق الشمالية في القلعة من ثلاثة طوابق: الطابق الأرضي تتوزع حجراته في جهتي كتلة البوابة الرئيسية، فمن الجهة الشرقية لحجرة حراسة المدخل الشرقية تقع حجرتان مستطيلتان، الأولى تستخدم حالياً سجناً تابعاً لشرطة مدينة الضِحي، وتبلغ أبعادها نحو (5.25م x 2.50م)، والثانية تستخدم للتخزين، وتبلغ أبعادها (6.90م x 3.40م). ومن الجهة الغربية لحجرة حراسة المدخل الغربية تقع حجرة مستطيلة أيضا، تبلغ أبعادها (7.85م x 2.90م)، تستخدم كمكتب لإحدى الإدارات الحكومية بمديرية الضِحي، ويتم الولوج إليها بواسطة مدخل من خارج القلعة يقع في الضلع الشمالي للحجرة، يبلغ ارتفاعه نحو (2م) واتساعه (1.25م)، وفتحت في جدارها الجنوبي نافذتان تطلان على فناء القلعة، يبلغ ارتفاع كل واحدة منهما (1.30م) واتساعها (75سم)، وتنتهي مرافق هذا الطابق من الجهة الغربية بمراحيض حديثة البناء (م:31).

ويصعد إلى الطابق الأول في المرافق الشمالية بواسطة الدرج الذي يقع في البرج الغربي للبوابة الرئيسية (م:32)، فمن الجهة الغربية له تقع حجرة الضيافة، التي تتخذ شكلاً مستطيلاً، تبلغ أبعادها (8.15م x 4.15م)، وتتخلل جدارها الشمالي ثلاث نوافذ تطل على خارج القلعة، تقابلها ثلاث في الجدار الجنوبي تطل على فناء القلعة، ونافذة تتوسط الجدار الغربي، وجميع هذه النوافذ متشابهة في أبعادها،

حيث بلغ اتساع كل واحدة منها (90سم)، وارتفاعها (1.10م). أما الحجرات الواقعة في الجهة الشرقية من الطابق الأول فجميعها في الوقت الراهن خاصة بسكن عامل المدينة (مدير المديرية)، ومن ضمنها الطابق الأول لكل من البرج الشرقي للبوابة الرئيسية والبرج الشمالي الشرقي. وتتألف حجرات سكن العامل من قسمين: الأول حجرتان فتحت أبوابهما على ممر مكشوف يطل على فناء القلعة بثلاث نوافذ، وفي الطرف الشرقي منه يتم الدخول إلى القسم الثاني، والذي يتألف من ثلاث حجرات ومرحاض.

وتنتهي المرافق الشمالية بطابق ثان مكشوف، عبارة عن جدار ساتر يعلو الجدران الخارجية (ل:74)، ويطل على داخل القلعة وخارجها، حيث يبلغ ارتفاعه نحو (2م)، وتتخلله العديد من العناصر الدفاعية، وهي عبارة عن دخلات معقودة تضم كل واحدة منها في أرضيتها فتحة مائلة إلى الأسفل يمكن أن تؤدي وظيفتين: الأولى مزغل للرماية، والثانية سقَّاطة يتم من خلالها إنزال المواد الحارقة، وعلى جانبي كل دخلة فتح مزغلان مائلان للرماية. ويكلل الجزء العلوي من الجدار الساتر صف من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل مائلة) تبلغ أبعاد كل واحدة منها (5سم x 7سم).



لوحة (73) الواجهة الجنوبية للمرافق الشمالية في القلعة من جهة الفناء



لوحة (74) الطابق الثاني في المرافق الشمالية – الجدار الساتر

ثانيا: المرافق الشرقية

– **حجرتا الجند:** (ل:75، م:41)

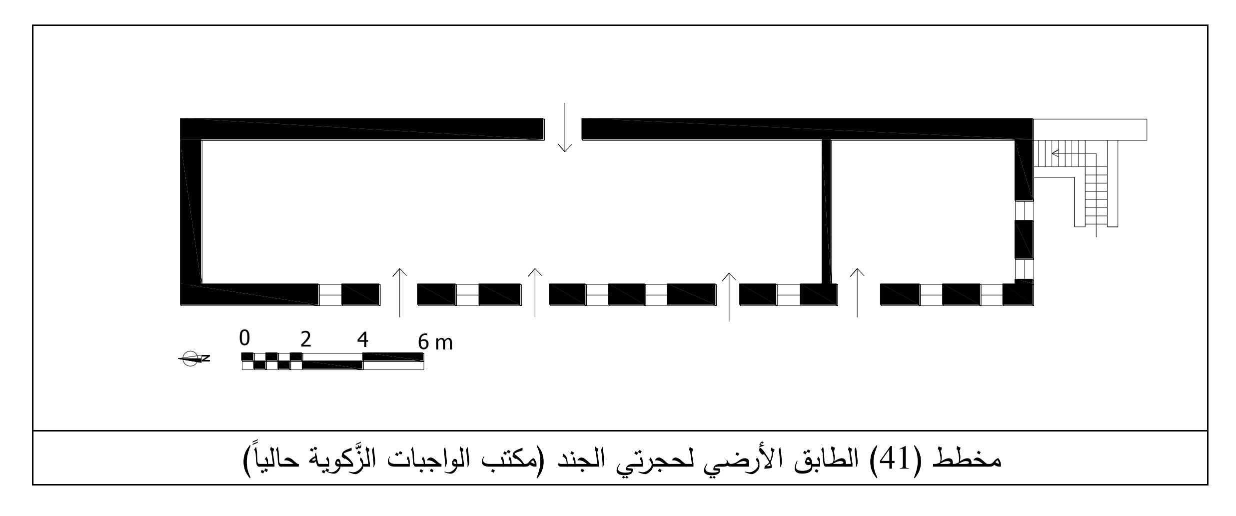
تتألف حجرتا الجند من طابق أرضي، يعلوه طابق علوي يمثل جداراً ساتراً، فالطابق الأرضي يتكون من حجرتين مستطيلتي الشكل يمتد جدارهما من الشمال إلى الجنوب بمسافة (28.15م)، ومن الشرق إلى الغرب بمسافة (6.15م). والحجرتان المذكورتان تطلان على فناء القلعة بعدد من النوافذ، جميعها متشابهة في قياساتها، حيث بلغ اتساع كل واحدة منها نحو (76سم)، وارتفاعها (1.40م)، وقد بلغ عددها في الحجرة الجنوبية أربع، اثنتان منها تتجه نحو الغرب، واثنتان نحو الجنوب؛ بينما فتحت في الجدار الغربي للحجرة الشمالية خمس نوافذ، وثلاثة مداخل، يبلغ اتساع كل واحد منها (1.25م) وارتفاعه (2.25م).

ويصعد إلى الطابق العلوي لحجرات الجند بواسطة درج يستند على السور الشرقي للقلعة، حيث يتألف هذا الطابق من جدار ساتر في الجهتين الشرقية والغربية (ل:76)، يبلغ ارتفاعه (2م)، وتتخلله العديد من فتحات المزاغل التي يستطيع الجند المدافعون عن هذا الجانب في القلعة التصويب بالبنادق وهم متخفون خلفه. وفتحات المزاغل المذكورة في الجهة الشرقية تقع بداخل دخلات معقودة، وهي تشبه الدخلات السابق ذكرها في الجدار الساتر للمرافق الشمالية من القلعة نفسها؛ أما في الجهة الغربية التي

تطل على فناء القلعة فهي تضم صفاً من المزاغل المزدوجة، إضافة إلى خمس فتحات، يبلغ اتساع كل واحدة منها (1م).



لوحة (75) حجرتي سكن الجند (مكتب الواجبات الزَّكوية)



مخطط (41) الطابق الأرضي لحجرتي الجند (مكتب الواجبات الزَّكوية حالياً)



لوحة (76) الطابق الأول لحجرات الجند – الجدارين الساترين

الفصل الثالث: قلعة الزَيدية

- الموقـــــع
- الدور السياسي والحربي للقلعة ومراحل عمارتها
- الوضع المعماري الراهن
- مواد البناء وأسلوبه
- الدراسة الوصفية والتحليلية

أولاً: المخطط العام

ثانياً: الواجهات الخارجية

ثالثاً: الوحدات الدفاعية

- كتلة البوابة الرئيسية
- الأبراج

رابعاً: منشآت القلعة (الإدارية والمعيشية)

- الوحدات المعمارية الشمالية
- الوحدات المعمارية الجنوبية
- مسجد القلعة وبئرها

الموقع: (ل:77– 78، خ:10)

تقع قلعة الزَيدية في الوقت الراهن في مكان يتوسط مدينة الزَيدية على وجه التقريب، وهي بجانب السوق الشعبي الذي يبعد عنها بضعة أمتار من الجهة الشمالية الغربية. وقد بنيت القلعة في مكان رملي منبسط، وتقع إحداثياتها بين دائرتي عرض (N15.331183) شمالاً، وخطي طول (E43.007428) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمسافة (60 قدم).



لوحة (77) صورة جوية لقلعة الزَيدية – باستخدام برنامج google earth



لوحة (78) صورة عامة لجميع الوحدات المعمارية في قلعة الزَيدية

الدور السياسي والحربي للقلعـة ومراحل عمارتها:

تكمن أهمية وجود القلعة بمدينة الزيدية، من الناحية السياسية، في أنها كانت تمثل مركزاً لحكم المنطقة الجنوبية من المخلاف السليماني (شمال تهامة اليمن)، بالإضافة إلى أنها كانت تمثل حلقة وصل بين شمال سهل تهامة اليمن ووسطه.

ويعود أقدم ذكر تاريخي لقلعة الزَيدية إلى عهد الشريف حمود بن محمد آل خيرات، وذلك عندما توسع نفوذه في تهامة ومكث بوادي مُور عام (1217هـ/ 1802م). وحينما علمت قبائل تهامة بقدومه توافدت إليه معلنة ولاءها، ومنهم مشايخ بلاد الزَيدية الذين سلموا قلعتهم طوعاً؛ فأمَّر الشريف حمود على مدينة الزَيدية السيد حسن علوي، وهو أحد أهالي المدينة[1]. وعندما بلغ إلى مسامع إمام صنعاء المنصور علي تَوسُّع الشريف حمود في المناطق التابعة له في تهامة، أصدر أوامره إلى أمير مدينة الحُديدة صالح بن يحيى العلفي باسترجاع مدينة الزَيدية؛ فقام هذا الأخير عام (1217هـ/ 1803م) بإرسال ابن أخيه حسن بن حسين بن يحيى – الذي اصطحب معه ثلاثمائة جندي واثني عشر فارساً – إلى مدينة الزَيدية؛ لغرض السيطرة عليها، وبعد دخولهم المدينة حاصروا قلعتها، فاضطر أصحاب الشريف حمود إلى الخروج منها وتسليمها[2].

ظلت مدينة الزَيدية وقلعتها مكاناً للصراع والمعارك الحربية بين عامل مدينة الحُديدة الأمير صالح العلفي والشريف حمود آل خيرات؛ بسبب الأهمية السياسية الكبيرة التي كانت تتمتع بها. ويتضح ذلك الأمر من خلال المعارك التي جرت بين الطرفين، ومنها في عام (1217هـ/ 1803م) حينما لم يفلح – قائد جيش الشريف حمود – علي بن حيدر في دخول قلعة الزَيدية بعدما ضرب الحصار عليها لمدة

1 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 208.

2 – نفسه. وأيضا: لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين ...، ص 827.

شهر[1]، وكذلك قيام الشريف حمود بنفسه باسترجاع القلعة عام (1220هـ/ 1806م) بعد استسلام صالح العلفي الذي حوصر، أيضاً، في القلعة لمدة أسبوع[2].

وقد ظلت هذه القلعة حصناً منيعاً للأشراف آل خيرات أمراء المخلاف السليماني، حيث كان الشريف الحسين بن علي بن حيدر آل خيرات أثناء فترة حكمه لمنطقة لتهامة (1838- 1848م) يكثر من المكوث فيها[3].

وأثناء فترة الحكم العثماني الثاني لتهامة تكرر هجوم القبائل على الحامية العسكرية العثمانية المتواجدة في مدينة الزَيدية وقلعتها؛ ففي بداية ولاية محمود باشا الكردي[4] على اليمن قام زعماء قبيلة يام النجرانية في يوم الخميس التاسع من ربيع الآخر عام (1269هـ/ 1852م) بمحاولة السيطرة على تهامة[5]. وعندما علم محمود باشا بتحركاتهم جهَّز فوجين من العساكر النظامية مع أربعة مدافع وحوالي ستمائة جندي من المشاة والخيالة، ثم توجه بهم في يوم الثلاثاء الواحد والعشرين من الشهر نفسه إلى مدينة الزَيدية. وبعد مواجهات عدة بين الطرفين حاول اليامييين اقتحام قلعة الزَيدية، لكن العثمانيون أدركوا بنيَّتهم فأسرعوا بالسيطرة عليها؛ وعند وصول الطرف الأول إلى المنطقة القريبة من القلعة لجأ الطرف الثاني إلى استخدام المدفعية، فانسحب اليامييين نحو مدينة الضِحي وتحصنوا فيها[6]. وبالأسلوب نفسه قامت الحامية العثمانية بالدفاع عن قلعة الزَيدية أثناء الهجوم الذي تعرضت له من قبل قبائل بني قيس والزَعليَّة والواعظات وصليل عام (1289هـ/ 1872م)[7].

1 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 229.

2 – نفسه، ص 232. وأيضا: نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة اليمن، ص 52.

3 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 4، ص 184.

4 – لم أجد ترجمة لهذه الشخصية في المصادر والمراجع المتوافرة.

5 – محمد بن لطف الباري قاضي الحيمي: الروض البسام فيما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام، تحقيق محمد عبد الله، مكتبة الارشاد، ط 2، صنعاء 2007، ص 121. وأيضا: يعقوب دوبلة: تهامة (1832– 1872م) دراسة سياسية تاريخية، ص 118.

6 – محمد الحيمي، نفسه، ص 119.

7 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 84.

وقد كانت قلعة مدينة الزَيدية خلال فترة الحكم العثماني الثاني في تهامة تمثل معتقلاً للرهائن[1] الذين ينتمون إلى القبائل الثائرة في مدينة الزَيدية والمناطق المجاورة لها، فعلى سبيل المثال في عام (1328هـ/ 1909م) اقتاد الوالي عبد الله بوني باشا[2] رهائن من قبائل بني قيس إلى سجن القلعة[3].

وأثناء توغل محمد بن علي الإدريسي في تهامة اليمن أسند حكم مدينة الزَيدية إلى عامله الشريف محمد بن زيد بن الحسين الحسني[4]، والذي دخلها بجنوده في شهر جمادي الثانية عام (1337هـ/ 1918م)، واستقر فيها ورتب أمورها[5]. وبعد خروج العثمانيين من اليمن في نهاية عام (1337هـ/ 1918م)، قرر عمر أفندي البراني***[6] الانضمام إلى السيد محمد بن علي الإدريسي، فولاه نظارة[7] الجمارك الإدريسية في اليمن اليمن وتشكيل الدوائر العسكرية والبلديات وغيرها، وكانت مرافق القلعة آنذاك غير آمنة بسبب تهدم جدرانها. وخوفا على بيت المال والمسجونين وغير ذلك مما تشتمل عليه القلعة، قام عمر أفندي بعمارة القلعة وتقوية جدرانها على نفقة بيت المال فصارت حصينة، وجلب إليها معلمين لتعليم الرهائن

---

1 – الرهينة: تسمية تطلق على شخص يقدمه المغلوب للغالب ليبقى محبوساً عنده ضماناً لولاء المغلوب وطاعته للغالب، وبمعنى آخر هو الشخص الذي تأخذه السلطة قسراً من أجل الولاء والطاعة وعدم التمرد من زعيم القبيلة أو أمير المنطقة أو من عامة الشعب أثناء الحرب والسلم. أمين محمد علي الجبر: نظام الرهائن في اليمن في عهد المملكة المتوكلية اليمانية (1918– 1962)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2005، ص 10.

2 – تولى المشير عبد الله باشا اليمن عام (1318هـ/ 1900م)، وعرف عهده بالظلم وكثرة الفساد والجدب، وكان فيه حب العظمة والتكبر لا يمر وقت إلا وقد مر أمامه ثُلة من الخيَّالة الترك، ويأمر الجند بمنع المارة من الطريق حين يخرج من بيته في حي بير العزب إلى أن يصل إلى مبنى الحكومة بأعلى صنعاء، وقد اهتم هذا الوالي بتعمير وترميم المراكز الحكومية والحاميات والقلاع، كما اهتم بشكل خاص بالتلغراف ومد أسلاك البرق. للمزيد انظر: عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم...، ص 179 – 183.

3 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 90.

4 – يرجع نسبه إلى الحسين بن علي بن حيدر آل خيرات.

5 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2،ج 4، ص 184.

6 – أصله من بنغازي في ليبيا، خرج مجاهداً الطليان مع القبائل السنوسية، ثم توجه إلى استانبول ومنها إلى اليمن ضمن الوفد العثماني الذي أرسل للحوار مع السيد محمد بن علي الإدريسي، فوصل إلى تهامة وأصبح مسئولاً على موقع استخراج الملح المسمى بالكشعة، الذي يقع بالقرب من مدينة الزُهرة، وقبل أن يبدأ الوفد حواره مع الإدريسي اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى. وبخروج العثمانيين من اليمن اختار عمر أفندي الانضمام إلى السيد الإدريسي وذهب إليه، فقابله بالإعزاز والإكرام بعد أن تأكد له أنه من المنتسبين إلى الطائفة الإدريسية في بلاد المغرب. للمزيد انظر: إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 222 – 223.

7 – معنى نظارة الجمارك أي وزارة الجمارك، وعن لقب نظارة انظر ملحق المصطلحات والألفاظ العثمانية.

المسجونين في القلعة الكتابة والقرآن والفقه، وصرف لهم مرتبات شهرية من بيت المال[1]. واستمر سجن القلعة يؤدي دوره في استقبال المأسورين من الرهائن، فعندما دخلت جيوش محمد بن علي الإدريسي إلى مناطق ريمة وأبها والسراة ومعظم مناطق تهامة كانت تأخذ الرهائن من أبناء هذه المناطق وترسلهم إلى هذه القلعة، ثم يرحلون إلى مدينة (جيزان) للاحتفاظ بهم كرمز لدخول هذه القبائل تحت سيطرة الإدريسي[2].

تعرضت قلعة الزَيدية لتدمير جزئي في يوم عيد الأضحى عام (1341هـ/ 1922م)؛ وذلك بسبب نشوب حريق في مخزن السلاح الذي كان يشتمل على الكثير من المواد المشتعلة كالبارود والدنميت وقطع عديدة من المدافع والبنادق؛ ولأن جدران المخزن كانت من مادتي الطين والآجر فقد خففت من وصول الحريق إلى بقية مرافق القلعة[3]. وبعد عامين من هذه الحادثة نشب خلاف بين علي بن محمد بن علي الإدريسي[4] وابن عمه مصطفى عبد العال الإدريسي عام (1343هـ/ 1924م). وعلى إثر ذلك استولى جيش مصطفى على القلعة، مما جعل الإمام علي الإدريسي يزحف بجيشه نحو الزَيدية لإخراجهم منها، وقبل وصوله إلى المدينة أرسل إلى جيش الأول بأن يسلموه القلعة بما فيها من عدة وعتاد، فاستجابوا وقرروا الخروج منها ليلاً، ولم يتبق فيها سوى المأسورين في السجن[5]. وكان سبب انسحابهم منها هو إدراكهم أن لا قبل لهم بجيش علي الإدريسي، وفي أول النهار دخل هذا الأخير مدينة الزَيدية ومكث في قلعتها يومين فقط، ثم توجه إلى مدينة الحُديدة[6].

---

1 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2،ج 2، ص 223.

2 – أمين الجبر: نظام الرهائن في عهد المملكة المتوكلية اليمانية، ص 34.

3 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 4، ص 213.

4 – ولد علي بن محمد الإدريسي في دنقلة بالسودان عام (1324هـ/ 1905) من أم حبشية وهي بنت هارون الطويل شيخ الطريقة الإدريسية في السودان. وقد ظل علي بن محمد في السودان عند جده لأمه سبع سنوات ثم بعث والده السيد مصطفى الإدريسي ليأتي به إلى صبيا ورباه في كنفه. للمزيد انظر: أمين الريحاني: ملوك العرب، ج 1، ص 319.

5 – انظر: إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 230.

6 – نفسه.

وتلى خلاف العائلة الإدريسية على الحكم نزل جيش إمام صنعاء يحيى بن محمد حميد الدين إلى تهامة لإخراج قوات علي الإدريسي منها؛ فكانت مدينة الزَيدية وقلعتها من ضمن المدن التي سيطر عليها جنود الإمام يحيى عام (1342هـ/ 1923م)[1]. وفي العام نفسه أصدر قائد جيش الإمام يحيى، عبد الله بن أحمد الوزير أمره إلى عامل مدينة الزَيدية بإصلاح ما في قلعتها من خراب، وإضافة مبان سفلية وعلوية[2]. وبعد ثلاث سنوات من إحكام الإمام المذكور قبضته على منطقة تهامة، قامت قبائل الزَيدية برئاسة الشيخ إبراهيم بن عبد الله قوزي بمهاجمة القلعة في ليلة السبت الواحد والعشرون من شعبان عام (1346هـ /1927م). وكان بها عامل المدينة السيد يحيى بن أحمد الكبسي والحامية العسكرية المكلفة من قبل الإمام يحيى؛ فطلبت القبائل من العامل تسليم القلعة والخروج منها وترك جميع الأسلحة والأموال الموجودة فيها، وحينما رفض ذلك التهديد اقتحموا القلعة ونهبوا الأموال وقطعوا خطوط التلغراف[3]. ولما بلغت الأخبار بما حصل إلى مسامع أمير مدينة الحُديدة – سيف الإسلام محمد بن الإمام يحيى – أرسل جيشه إلى مدينة الزَيدية في الثالث والعشرين من شعبان في العام نفسه (1346هـ/1927م)، وحينما شعرت هذه القبائل بوصولهم خرجوا فارين من المدينة وقلعتها[4].

استمرت قلعة الزَيدية مركزاً لحكم منطقة الزَيدية خلال فترة حكم المملكة المتوكلية اليمنية[5]، ففي (25/ 6/ 1957م) وصلت البعثة العسكرية المصرية[6] إلى مدينة الزَيدية واستقرت في قلعتها. وذكر لنا أحد

---

1 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 234.

2 – نفسه – ص 235.

3 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 4، ص 242.

4 – نفسه: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 245 – 246.

5 – المملكة المتوكلية: نسبة إلى الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين، وقد كانت البداية الفعلية لهذه المملكة بعد خروج الأتراك من اليمن عام (1918م)، وانتهى حكمها بقيام الثورة اليمنية وقيام العهد الجمهوري عام (1962م).

6 – هي إحدى البعثات العسكرية التي جاءت إلى اليمن في عهد الإمام أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين (1367– 1382هـ/ 1948– 1962م)، وذلك لتدريب وإعداد الجيش اليمني، حيث غادرت البعثة مطار القاهرة يوم (2 / 6/ 1957م)، في طريقها إلى اليمن عن طريق مدينة جده السعودية، ووصلت البعثة إلى مطار مدينة الحُديدة يوم (21/ 6/ 1957م)، وكانت البعثة مكونة من خمسة ضباط، واثنين صف ضباط (معلمين)، ويرأسها العقيد حسن فكري الحسيني. وقد استقرت البعثة في قلعة مدينة الزَيدية لمدة شهرين وستة أيام، ثم غادرت إلى مدينة صنعاء في (1957/9/2م). للمزيد عن هذه البعثة انظر: صلاح الدين المحرزي: الصمت الحائر وثورة اليمن، القاهرة، ب. د، ص 23 و25.

أعضائها (صلاح الدين المحرزي) وصفاً عاماً لمكونات القلعة، حيث ذكر بأنها من بقايا قلاع الأتراك المبنية بالطوب اللَّبِن، وهي عبارة عن سور مرتفع من كتل الطين الجاف، ولها بوابة خشنة ضخمة تفتح عن برج تقطنه حفنة من الحراس، إلى جانب بعض أبراج المراقبة فوق السور[1]. كما ذكر أن فناء القلعة واسع، وفي ركن منه على مساحة كبيرة عنبر [إسطبل] لإيواء الثيران والخيول ومخزن للشعير، كان يستخدم من قبل لاستقبال جنود الحامية عند الطوارئ، وفوقه دور علوي نصفه مكشوف والنصف الآخر مغطى بجريد النخيل والخشب، وهذا الطابق واسع يمتد طوله حوالي (20م). أما عن دار العامل فقد بين أن مادة بنائه الحجارة، وكان يؤدي وظيفتين: الأولى سكن عامل مدينة الزَيدية محمد بن عباس وزوجاته الأربع وحريمه وأولاده، والثانية مقر إداري خاص بالعامل[2]. وتعتبر المعلومات الواردة في الوصف المذكور للقلعة متوافقة إلى حد كبير ومكوناتها المعمارية الراهنة، عدا مادة الطين الجاف التي لم يتضمنها البناء الراهن للقلعة، وربما كان صلاح المحرزي يقصد بها الطوب الآجر. أما عن ذِكره بأن القلعة من بقايا قلاع الأتراك، فربما يقصد أن آخر استخدام للقلعة، قبل قيام المملكة المتوكلية اليمنية (1918- 1962م)، كان من قِبل العثمانيين أثناء تواجدهم الثاني في تهامة.

وبعد قيام الثورة اليمنية عام (1381هـ/ 1962م) ظلت القلعة تؤدي وظيفتها كمجمع حكومي يضم العديد من المرافق الإدارية والعسكرية، ومنها: مكتب تحصيل الواجبات الزكوية، وإدارة القضاء، والسجن، وسكن حاكم المنطقة، وحجرات لسكن الجند، والوحدات الدفاعية ومنها الأبراج، بالإضافة إلى مخازن الغذاء والحبوب، ودار الضيافة، وغيرها من الإدارات. وإلى وقت قريب كانت جميع هذه المرافق والإدارات تمارس أعمالها في القلعة، أما في الوقت الراهن فقد انتقلت جميعها إلى المجمع الحكومي الجديد، عدا مكتب الواجبات الذي ما يزال يمارس أعماله في حجرتين من حجرات الجهة الشمالية في القلعة.

---

1 – صلاح الدين المحرزي: الصمت الحائر وثورة اليمن، ص 37.

2 – نفسه.

الوضع المعماري الراهن:

إن استمرارية استخدام مرافق القلعة منذ نشأتها حتى فترة زمنية قريبة هو العامل الرئيسي الذي حافظ على بقائها ماثلة للعيان، ومن الطبيعي أن تتعرض منشآتها للتصدعات والانهيارات، ولذلك كانت تتم عمليات ترميم جزئية لبعض الجدران المتهدمة، ولكن بمواد حديثة. ومن خلال المعاينة الميدانية لمرافق القلعة وجد بأن البعض منها أجريت عليها تعديلات معمارية، وذلك لكي تتوافق والاستخدام الجديد، وهذا بدوره أدى إلى فقدان الكثير من العناصر الدفاعية والمعمارية الأصلية التي كانت توجد في القلعة. كما إن هناك بعض المرافق أستبدل بناؤها الأصلي بآخر حديث، ومنها مسجد القلعة الذي بني بكامله بمواد إسمنتية. وكانت عمليات الإضافة الحديثة لبعض المرافق أيضاً كالسجن هدفت بالدرجة الأولى إلى التحكم والسيطرة على المسجونين.

وعموما الوضع المعماري الراهن للقلعة في حالة سيئة، حيث تتعرض أغلب مرافقها يوماً بعد يوم للتهدم بشكل متسارع وخاصة في الفترة الأخيرة، فبسبب انتقال المكاتب الإدارية الحكومية إلى المجمع الحكومي الجديد، أهملت القلعة. وكان للعامل البشري المتمثل في ساكنة المدينة الدور الكبير في تدهورها، وذلك عندما يقوم البعض منهم بنزع أخشاب النوافذ والأبواب وتهديم الجدران، مما أحدث في جدرانها العديد من الفتحات، ولذا فقد صارت ساحة القلعة طريقاً عاماً للمارة.

مواد البناء وأسلوبه:

استخدم في بناء قلعة الزَيدية العديد من مواد البناء، حيث يعد كل من الحجر الجيري الأبيض وقطع الآجر مادتان رئيسيتان في بنائها، فالمادة الأولى وهي قطع الحجارة مختلفة في قياساتها، وبلغ متوسط أبعاد الوجه الخارجي لها (30سم x 25سم)، ويلاحظ أنها استخدمت في أماكن محدودة وهي كتلة المدخل الرئيسي ودار العامل، وتركز وجودها في أسفل البناء كأساسات. أما قطع الآجر فهي صغيرة

الحجم ذات قياس ثابت، وذلك لأنها تصنع بواسطة القالب، وبلغ أبعاد الواحدة منها نحو (20سم X 10سم)، ومن المواد المستخدمة في بناء القلعة، أيضاً، الأخشاب والجِص وعجينة الطين والنُورة الكِدري[1].

وأما أسلوب البناء الذي تم في عمارة القلعة فهو لا يختلف عن الطريقة التقليدية المتبعة في البناء بسهل تهامة، فكتل الحجارة وضعت بشكل متراص على هيئة صفوف أفقية، وكل قطعة من الحجارة في الصف العلوي تتوسط قطعتين من الحجارة في الصف السفلي، وبذلك تحقق الغرض المطلوب في عملية البناء وهو ترابط الجدار. وهذا الأمر ينطبق على الوجه الخارجي للجدار، أما الوجه الداخلي فلم نستطع الكشف عنه، وذلك لأنه يقع إلى داخل البناء، ولذا فهو غير مرئي. وكانت الطريقة التي أتبعت في بناء الجدران بقطع الآجر هي نفسها التي استخدمت في بناء جميع القلاع التي تقع في السهل الداخلي من تهامة، والتي يطلق عليها محلياً بالمثنى والقفل، وتجنبا للتكرار نكتفي بما ذكر سابقاً عن هذا الطريقة أثناء الحديث عن أسلوب البناء بالآجر في قلعة بيت الفَقيه[2].

<u>الدراسة الوصفية والتحليلية</u>

أولاً: المخطط العام: (ل: 78، م:42)

يتخذ المسقط الأفقي لقلعة الزَيدية شكلاً مستطيلاً يمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة (92م)، ومن الشرق إلى الغرب بمسافة (85م)، وهي تتألف من فناء واسع مكشوف تطل عليه المرافق من الجهتين الشمالية والجنوبية. وقد جاء المخطط الهندسي بجميع مكوناته استجابة للوظائف السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية التي كانت تؤديها القلعة، حيث كانت بمثابة مركز للحكومة؛ ففيها دار العامل (حاكم مدينة الزَيدية) الذي كان يقوم بالفصل في قضايا الساكنة، وفيها أيضاً سجن وظيفته احتجاز وتأديب الخارجين عن النظام، ولتنفيذ الأحكام المتعلقة بالسجن. ولأن القلعة تعتبر المكان الآمن في

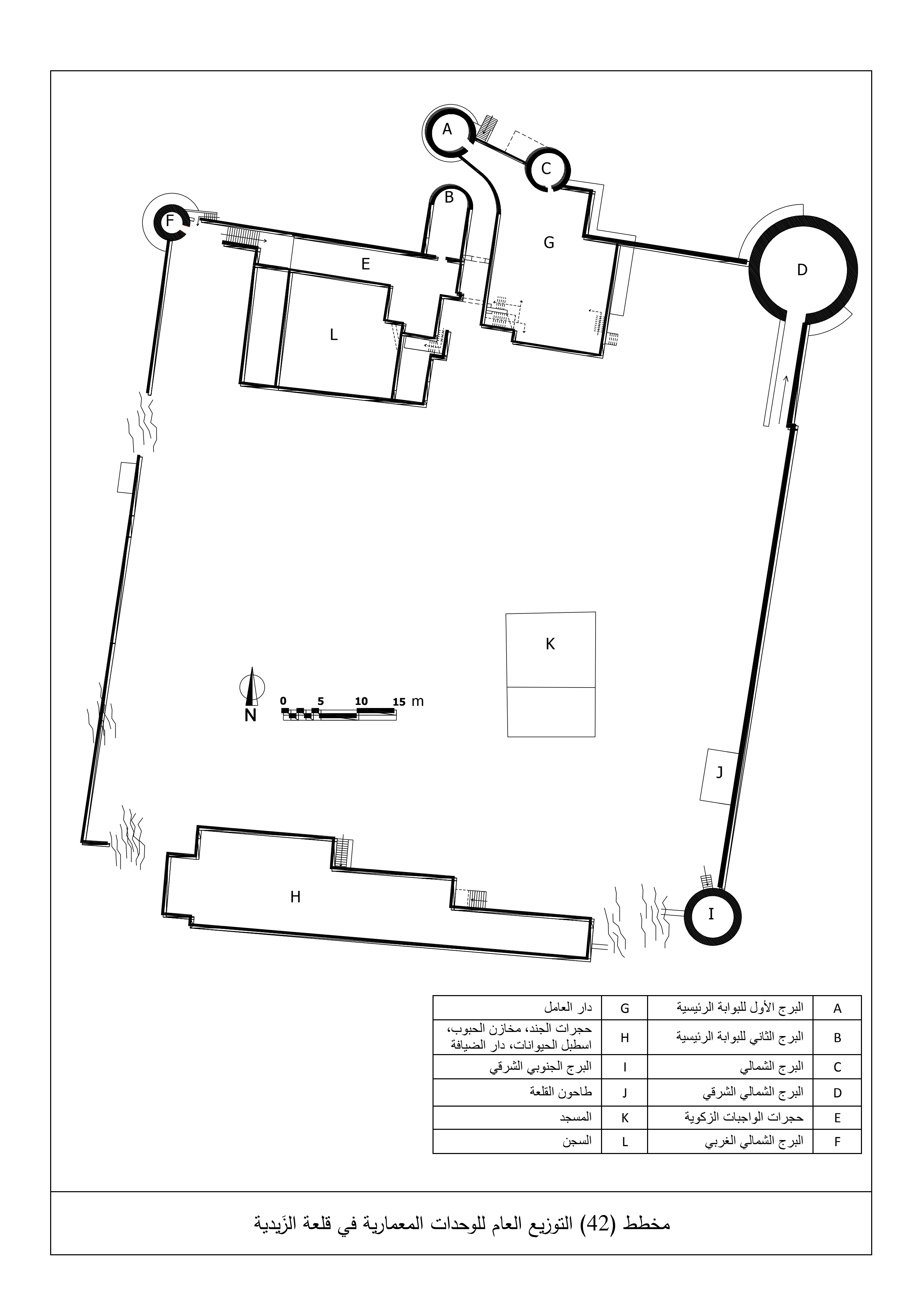
---

1 – سبق الحديث عن مادة الجِص أثناء وصف قلعة بيت الفَقيه، أما عن مادة النُورة الكِدري انظر ملحق المصطلحات المحلية، وبالنسبة لأنواع الأخشاب المستخدمة في مجال العمارة بتهامة اليمن يراجع الفصل الجغرافي.

2 – يراجع أسلوب البناء في قلعة بيت الفَقيه. ص 108 – 109.

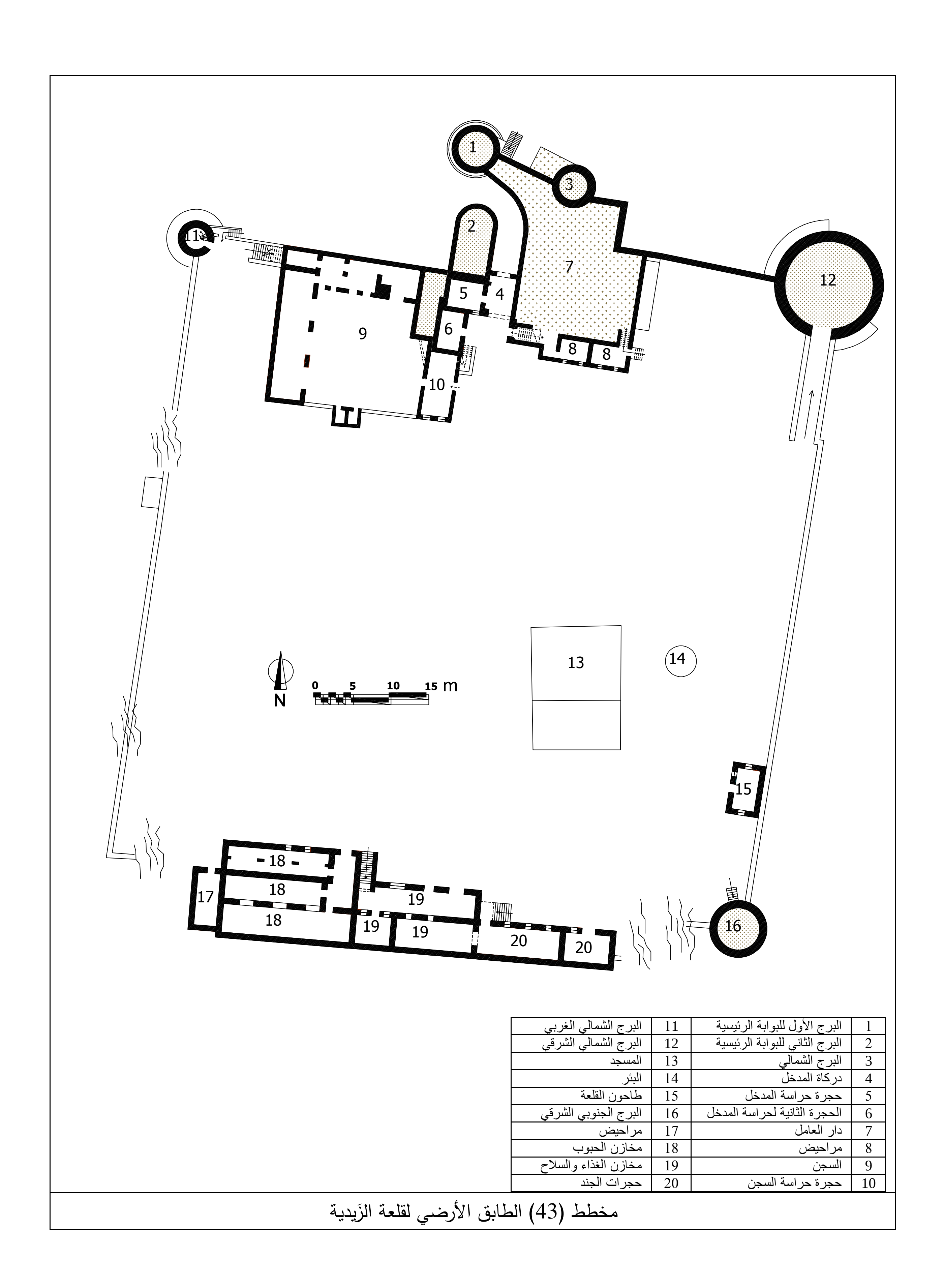
المدينة فقد كانت تضم بيت المال وحجرات حفظ وتخزين جميع أنواع الحبوب، والتي كان يتم تحصيلها بعد جمع الزكاة السنوية المفروضة على ساكنة منطقة الزَيدية.

ولما كانت جميع الوحدات المعمارية المذكورة في مخطط القلعة ذات أهمية كبيرة، كان لابد من وجود حامية عسكرية تقوم بالدفاع عنها، ولذا تضمنت القلعة مرافق سكنية لمبيت الجند، وكذا وحدات دفاعية متعددة – كالأبراج والأسوار – تقوم بعملية الحماية ومنع أي هجوم عسكري قد تتعرض لها. وكانت أبرز وحدة معمارية دفاعية تميزت بها القلعة عن غيرها من القلاع التي تضمنتها الدراسة هي البوابة الضخمة، والتي زادت من أهميتها من الناحية المعمارية، بالإضافة إلى برج المدافع الذي ما يزال يضم عناصر دفاعية أصلية، ومن المؤكد أن هاتين الوحدتين لعبتا دوراً بارزاً في التاريخ الحربي للقلعة.



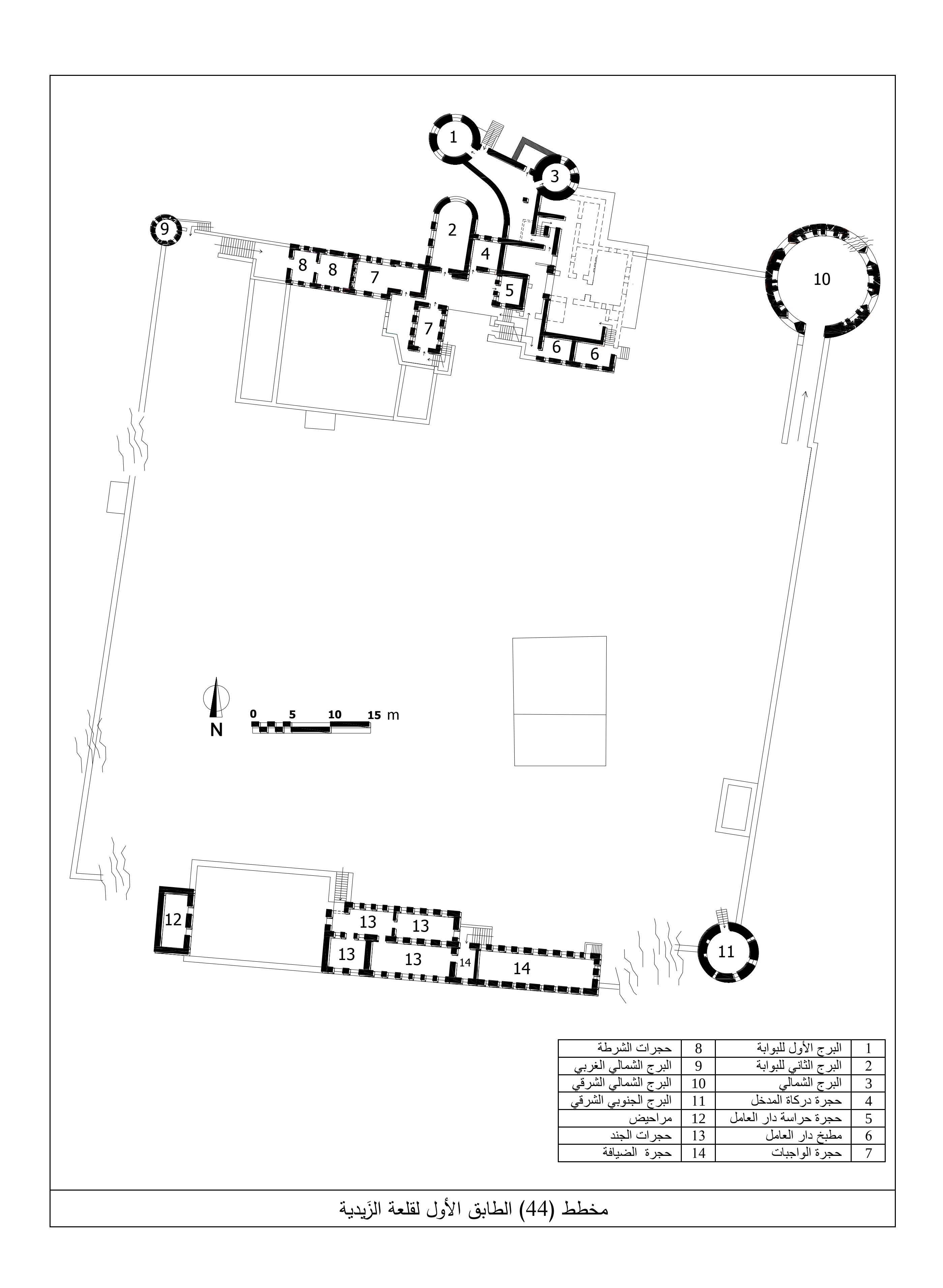
A	البرج الأول للبوابة الرئيسية	G	دار العامل
B	البرج الثاني للبوابة الرئيسية	H	حجرات الجند، مخازن الحبوب، اسطبل الحيوانات، دار الضيافة
C	البرج الشمالي	I	البرج الجنوبي الشرقي
D	البرج الشمالي الشرقي	J	طاحون القلعة
E	حجرات الواجبات الزكوية	K	المسجد
F	البرج الشمالي الغربي	L	السجن

مخطط (42) التوزيع العام للوحدات المعمارية في قلعة الزَيدية



1	البرج الأول للبوابة الرئيسية	11	البرج الشمالي الغربي
2	البرج الثاني للبوابة الرئيسية	12	البرج الشمالي الشرقي
3	البرج الشمالي	13	المسجد
4	دركاة المدخل	14	البئر
5	حجرة حراسة المدخل	15	طاحون القلعة
6	الحجرة الثانية لحراسة المدخل	16	البرج الجنوبي الشرقي
7	دار العامل	17	مراحيض
8	مراحيض	18	مخازن الحبوب
9	السجن	19	مخازن الغذاء والسلاح
10	حجرة حراسة السجن	20	حجرات الجند

مخطط (43) الطابق الأرضي لقلعة الزَيدية



1	البرج الأول للبوابة	8	حجرات الشرطة
2	البرج الثاني للبوابة	9	البرج الشمالي الغربي
3	البرج الشمالي	10	البرج الشمالي الشرقي
4	حجرة دركاة المدخل	11	البرج الجنوبي الشرقي
5	حجرة حراسة دار العامل	12	مراحيض
6	مطبخ دار العامل	13	حجرات الجند
7	حجرة الواجبات	14	حجرة الضيافة

مخطط (44) الطابق الأول لقلعة الزَيدية

إن التصميم الهندسي العام الذي تتألف منه قلعة الزَيدية يشبه نظرائه في قلاع منطقة تهامة، وخاصة التي أنشئت في الأراضي المستوية سواء الداخلية أو الساحلية، ومنها: قلعة حَيس، وقلعتا الإدريسي والمنصورة بمدينة مِيدي، والقلعة اليمانية بمدينة الحُديدة، وقلعة الضِحي. أما من حيث اتساع مساحة قلعة الزيدية، فنجد أن قلعة مدينة زبيد تشبهها في ذلك (م:45)، ذلك لأن كلتيهما اتخذتا مراكز إدارية وعسكرية.

ولم يقتصر شيوع التصميم المذكور على منطقة تهامة اليمنية فحسب، وإنما وجد في العديد من القلاع في مختلف المناطق التي خضعت للسيطرة العثمانية في المشرق العربي وإفريقيا وكذلك أوربا[1]. وهذا التصميم عرف في عصور إسلامية مبكرة[2]، ولكن مع وجود بعض الاختلافات وأهمها الأبراج النصف دائرية، والتي تتوسط الجدران الأربعة الخارجية لبعض القصور الأموية في بلاد الشام[3]، وخان عطشان في العراق[4]، ورباط سوسة المحصن في تونس (206هـ/ 821م)[5].

وهناك العديد من الأمثلة التي تنتمي إلى تصميم قلعة الزَيدية ولكن خارج اليمن، فقد كانت جميع القلاع والحصون المندثرة بدولة قَطر التي أنشئت في مواقع رملية منبسطة، تتألف من فناء أوسط مكشوف

---

1 – انظر: سعد إبراهيم الدراجي: *"القلاع العثمانية في برقة (1638 – 1912م)"* – بحث ضمن كتاب: القلاع والتحصينات العسكرية والتأثيرات الفنية العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 2003، ص 55.

2 – نفسه – ص 56.

3– عن القصور الأموية في بلاد الشام انظر مثلاً: ك. كرزويل: **الآثار الإسلامية الأولى**، ترجمة: عبد الهدي عبلة، تعليق: أحمد عنان سبانو، دار قتيبه، ط 1، دمشق 1984، 156 و171 و184. وأيضا: شريف يوسف: *"القصور الأموية في بادية الشام"* – مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 27، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1967، ص247.

4– يقع خان عطشان في السهل الرملي الممتد من قناة الهندية في منتصف الطريق بين قصر الأخيضر والكوفة، ويرجح كمال الدين سامح أن تاريخه يرجع إلى الفترة التي بني فيها قصر الأخيضر في عهد عيسى بن موسى بن عبد الله العباسي (161هـ – 778م). وتخطيط الخان مستطيل الشكل أبعاده (25.57م x 24.90م)، ويدعم حوائطه الخارجية أربعة أبراج ركنية وأربعة أخرى تتوسط جوانبه الأربعة، ويؤدي المدخل إلى دهليز ثم إلى الفناء. انظر: كمال الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ص 79. وأيضا: حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996، ص 152.

5– يقع رباط سوسة على خليج غابس، ويعرف حالياً باسم قصر الرباط، وينسب بناءه إلى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ثالث حكام الدولة الأغلبية (206هـ– 821 / 822م). وتخطيط الرباط عبارة عن بناء مربع التخطيط يبلغ طول ضلعه حوالي 39 متراً، وبحوائطه الخارجية ثمانية أبراج أربعة منها في الأركان وأربعة في منتصف الجوانب، وجميعها دائرية التخطيط باستثناء برج المدخل في منتصف الجدار الجنوبي وكذلك برج الركن الجنوبي الشرقي الذي استخدم كقاعدة للمنارة، وكان ارتفاع الرباط من الخارج حوالي عشرة أمتار. انظر: كمال الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام، ص 138.

تدعمه في زواياه الأربع أبراج مستديرة، ومنها: حصن الحويلة (968- 971هـ/ 1560- 1563م) (م:46)، وحصن أم الماء (1285- 1286هـ/ 1868- 186م)، وقلعة الرويضة (1109- 1187هـ/ 1698- 1774م)[1]. وتشابهها في التصميم أيضاً بعض القلاع في سلطنة عُمان كقلعتي بركة والحد[2]، وكذلك قلعتي الأزنم المملوكية والوجه وضبا العثمانيتين في شمال غرب المملكة العربية السعودية[3] (م:47). أما في الغرب الإسلامي فمن أمثلة التصميم المذكور في إقليم برقة الليبي (1638- 1912م)، قلعة القيقب الباقية (م:48)، وقلعة المرج المندثرة[4].

ونجد تصميماً آخر للقلاع في بعض دول الخليج العربي، ففي الإمارات العربية المتحدة اشتملت معظم قلاعها على ثلاثة أبراج، مثل قلعة الفجيرة (ق17م)، وقلعة الشارقة (1235هـ/ 1820م)[5]. وفي المقابل تضمنت قلعة الجاهلي الإماراتية (1315هـ/ 1898م) أربعة أبراج أحدها مربع[6] (م:49)، ويشبهها في هذا التصميم بعض القلاع في دولة قَطر، ومنها: قلعة اليوسفية (1175هـ/ 1761م)، وقلعة الثغب (1231هـ/1815م)[7]. ويرجع السبب في وجود البرج المربع أو المستطيل في القلاع المذكورة إلى أنه كان مخصصاً كمجلس لحاكم أو شيخ المنطقة التي تقع فيها القلعة[8].

ومن خلال ما سبق يتضح، على ما يبدو، أن السبب في انتشار تصميم القلاع المعتمدة على الفناء المكشوف والأبراج الركنية سواء بثلاثة أبراج أو أربعة كانت مستديرة أو مربعة، وكذا استمرارية البناء بالتصميم نفسه منذ العصور الإسلامية المبكرة وحتى العصور المتأخرة، يعود إلى بساطة التخطيط

1- عن هذه القلاع انظر: محمود رمضان خضراوي: القلاع والحصون في قطر، ب. د، ط 1، الدوحة، 2010، ص 64 و 74 و 77 و 79.

2 – سعاد ماهر محمد: *"الاستحكامات الحربية بسلطنة عمان"*، مجلة الدارة، ع 3، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1981، ص 206 – 217.

3 – هشام محمد علي عجيمي: قلاع الأزنم والوجه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة معمارية حضارية)، رسالة دكتوراه، (غير منشورة)، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة 1986، ص 416 و427.

4 – سعد الدراجي: *"القلاع العثمانية في برقة (1638 – 1912م)"*، ص 44 و48.

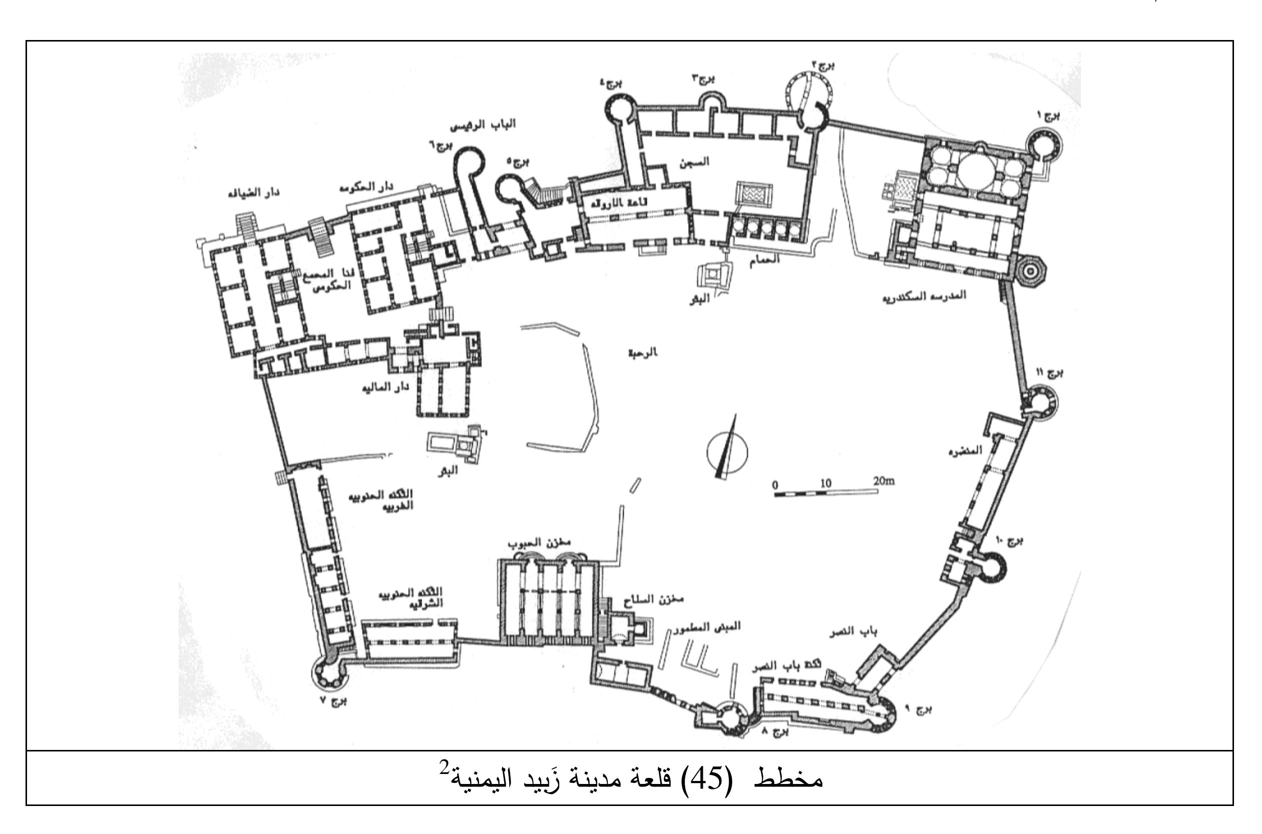
5 – أحمد رجب محمد علي: *"طراز العمائر الحربية في منطقة الإمارات من القرن 17 – 19م"*، حوليات مركز البحوث التاريخية، كلية الآداب بجامعة القاهرة، الحولية الثانية، الرسالة الخامسة، 2003، ص 13 و19 و33.

6 – نفسه، ص 21.

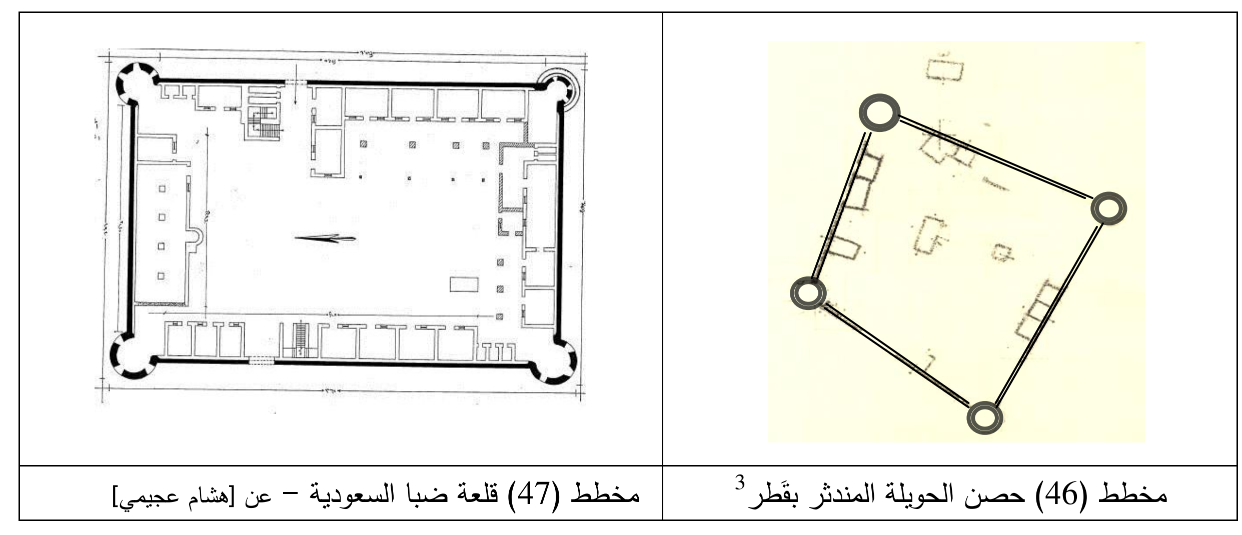
7 – محمود خضراوي: القلاع والحصون في قطر، ص 80 – 86.

8 – أحمد رجب: *"طراز العمائر الحربية في منطقة الإمارات من القرن 17 – 19م"*، ص 33.

وسهولة بنائه، فضلاً عن كفاءته من الناحية العسكرية؛ إذ يحقق السيطرة في حالتي الدفاع والمراقبة. وهذا التصميم بلا شك يتناسب مع الممارسات اليومية للجند المقيمين في القلاع والحصون ويلبي متطلباتهم وراحتهم[1].



مخطط (45) قلعة مدينة زَبيد اليمنية[2]



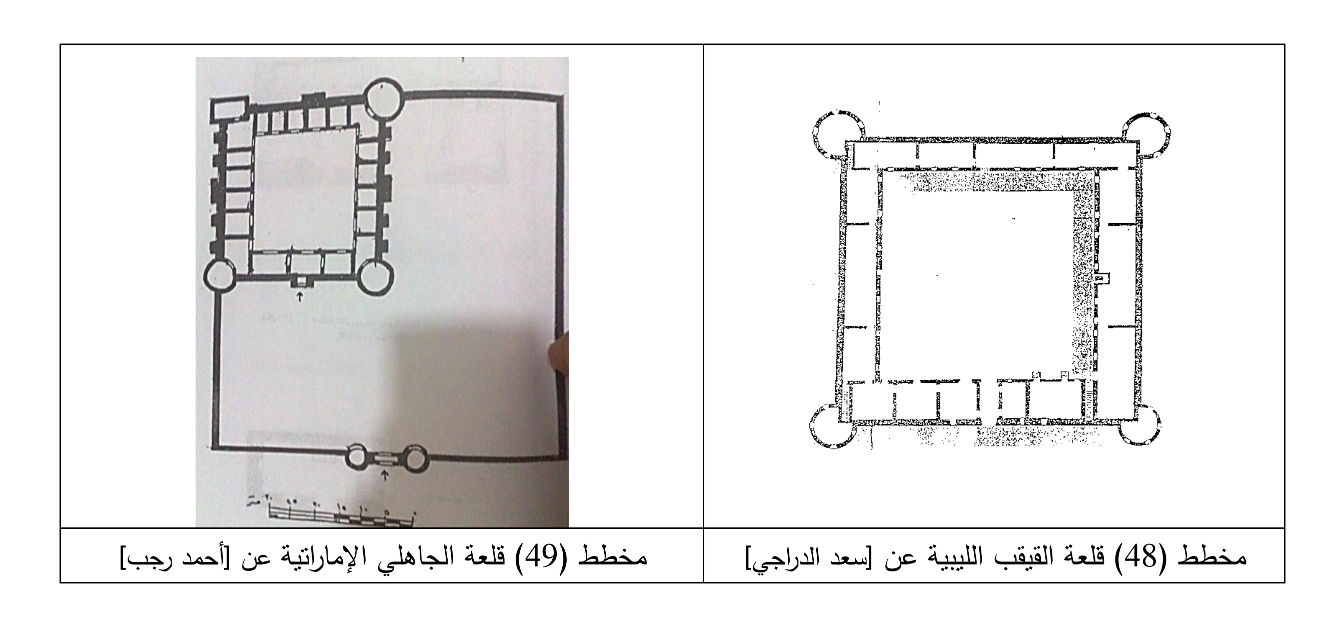
مخطط (46) حصن الحويلة المندثر بقَطر[3]

مخطط (47) قلعة ضبا السعودية – عن [هشام عجيمي]

1 – انظر: سعد الدراجي: *"القلاع العثمانية في برقة (1638 – 1912م)"*، ص 55.

2 – المخطط عن عبد الله الحداد نقلا عن البعثة الكندية.

3 – مخطط حصن الحويلة عن محمود خضراوي نقلا عن وزارة الإعلام والسياحة القَطرية والبعثة الفرنسية للآثار في قَطر.



مخطط (48) قلعة القيقب الليبية عن [سعد الدراجي]

مخطط (49) قلعة الجاهلي الإماراتية عن [أحمد رجب]

ثانياً: الواجهات الخارجية

تضم قلعة الزَيدية أربع واجهات، وذلك لأن مخططها يتخذ الشكل المستطيل، والواجهة الرئيسية فيها هي التي تطل على الجهة الشمالية، وفي الفقرات التالية سيتم وصف هذه الواجهات بشكل عام، لأننا سنقوم بوصف الواجهتين الشمالية والجنوبية وتحليل عناصرهما المعمارية والدفاعية بالتفصيل أثناء وصف الوحدات المعمارية.

الواجهة الشمالية: (ل:92)

تمتد هذه الواجهة بمسافة (95م)، ويبلغ أقصى ارتفاع لها في الجانب الشرقي حوالي (14م)، وهي تمثل جداراً خارجياً للبرجين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي، والسجن، وحجرات الشرطة والواجبات الزَّكوية، وكتلة البوابة الرئيسية، والبرج الشمالي، ودار العامل. وتلاحظ على هذه الواجهة قلة وجود الفتحات في الأجزاء السفلية منها، والعكس صحيح في الأجزاء العلوية التي فتحت فيها العديد من النوافذ. كما أن كثرة ارتدادات جدران هذه الواجهة، وخاصة في الجانب الشرقي منها، تزيد من حصانتها وتعمل على عرقلة مهاجمي القلعة من هذه الجهة.

الواجهة الشرقية: (ل:79)

تتكون هذه الواجهة من جدار لسور يربط بين البرج الجنوبي الشرقي والبرج الشمالي الشرقي (برج المدافع)، حيث يبلغ امتدادها نحو (97.50م)، أما جدار السور فقط فيمتد بمسافة (76م)، ويبلغ ارتفاعه من

سطح الأرض حتى قمته نحو (4.10م)، وسمكه (70سم)، وقد كسي في الجزء السفلي بمادة الجص. ويتخلل هذا السور صفان من المزاغل تستخدم للرمي بالبنادق، وهي فتحات ضيقة مستطيلة أبعاد كل واحدة منها نحو (15سم x 8سم).



لوحة (79) الواجهة الخارجية للجدار الشرقي من سور القلعة

الواجهة الجنوبية: (ل:105)

تمتد هذه الواجهة بمسافة (88م)، ولم يتبق منها في الوقت الراهن سوى (56م)، بسبب تهدم بعض جدرانها؛ والجدران الباقية منها تمثل جداراً خارجياً لمبنى دار الضيافة، ومخازن للحبوب، وثكنات للجند. ويبلغ ارتفاع هذه الواجهة نحو (12م)، وهي تضم مدخلاً يقع في مكان متوسط من جدارها يؤدي إلى الطابق الأرضي، وفتح في الجزء السفلي منها صف من الفتحات الطولية الضيقة (مزاغل)، بينما فتحت في الجزء العلوي العديد من النوافذ التي تسمح بدخول الهواء والضوء إلى داخل الوحدات الجنوبية.

الواجهة الغربية: (ل:80)

تمثل الواجهة الغربية لقلعة الزَيدية جداراً لسور يبلغ امتداده نحو (81م) وارتفاعه (4.60م)، وقد تهدمت بعض أجزائه، وهي الجزء الملاصق للبرج الشمالي الغربي، والجزء الجنوبي الغربي؛ كما استحدث به في مكان متوسط تقريباً مدخل ثانوي واسع يؤدي إلى فناء القلعة، وما زالت تتخلل هذا السور فتحات الرماية المزدوجة (مزاغل).



لوحة (80) الواجهة الخارجية للجدار الغربي من سور القلعة

ثالثاً: الوحدات الدفاعية

تضم قلعة الزَيدية العديد من العناصر الدفاعية في أغلب منشآتها، وقد تركزت هذه العناصر بشكل كبير في ثلاث وحدات دفاعية رئيسية ترتبط مع بعضها البعض، وهي: البوابة الرئيسية، والسور والأبراج الدفاعية، وسيتم وصفها كالآتي:

• **كتلة البوابة الرئيسية:** (ل:81، م:50–51)

يتقدم البوابة الرئيسية في قلعة الزَيدية برجان مستديران أحدهما أمام الآخر، نتج عن هذا البروز نطاق مكشوف على هيئة قوس. وقد صُنِّف هذا النوع من الأبواب بأنه حلقة الوصل بين الباب المباشر والباب المنكسر وأطلق عليه الباب الموروب، حيث يضطر المهاجم أو الداخل إلى النطاق الذي يتقدم المدخل إلى أن يميل بجسده يميناً ثم يساراً، وهذا الانحراف أعطى لهذا النوع من البوابات درجة دفاعية كبيرة[1].

ويطل البرج الأول (A) من كتلة البوابة على الشارع العام، ويتخذ شكلاً دائرياً جداره الخارجي على هيئة ثلاث حلقات فوق بعض العليا أصغرها، ويبلغ محيطه من الأسفل نحو (16.90م) وارتفاعه حتى قمته نحو (10.5م). وعند مشاهدة هذا البرج من الخارج يظهر بأنه يتألف من ثلاثة طوابق بينما هو

1– للمزيد عن هذا النوع من البوابات انظر: عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 333 – 334.

في الأصل يتكون من طابقين فقط، وذلك لأن الدور الأرضي منه ردم من الداخل بالتراب فشكل قاعدة للبرج. ويعلو الطابق الأرضي طابق أول فتح في جداره ثلاث نوافذ واسعة، بينما يتكون الطابق الثاني من جدار ساتر يبلغ ارتفاعه نحو (2م)، ويضم صفين من فتحات الرماية الزوجية والفردية (مزاغل).

وقد ظهرت لنا بعض الملاحظات أثناء المعاينة الميدانية للتركيب المعماري الراهن لهذا البرج، وأهمها أن الطابق الأرضي منه ما زال بحالته الأصلية، بينما الطابق الأول لا يشتمل على عناصر دفاعية، بل يضم كما سبق الذكر نوافذ واسعة، ولذا فمن المحتمل أنها كانت تستخدم لغرض إطلاق قذائف المدفعية؛ وفي مرحلة لاحقة من عمارة القلعة تمت توسعتها حتى أصبحت على شكلها الراهن، كما أن أرضية البرج ردمت بالتراب وهي بذلك تستطيع أن تتحمل ثقل المدافع والاهتزاز الناتج عن إطلاق قذائفها.

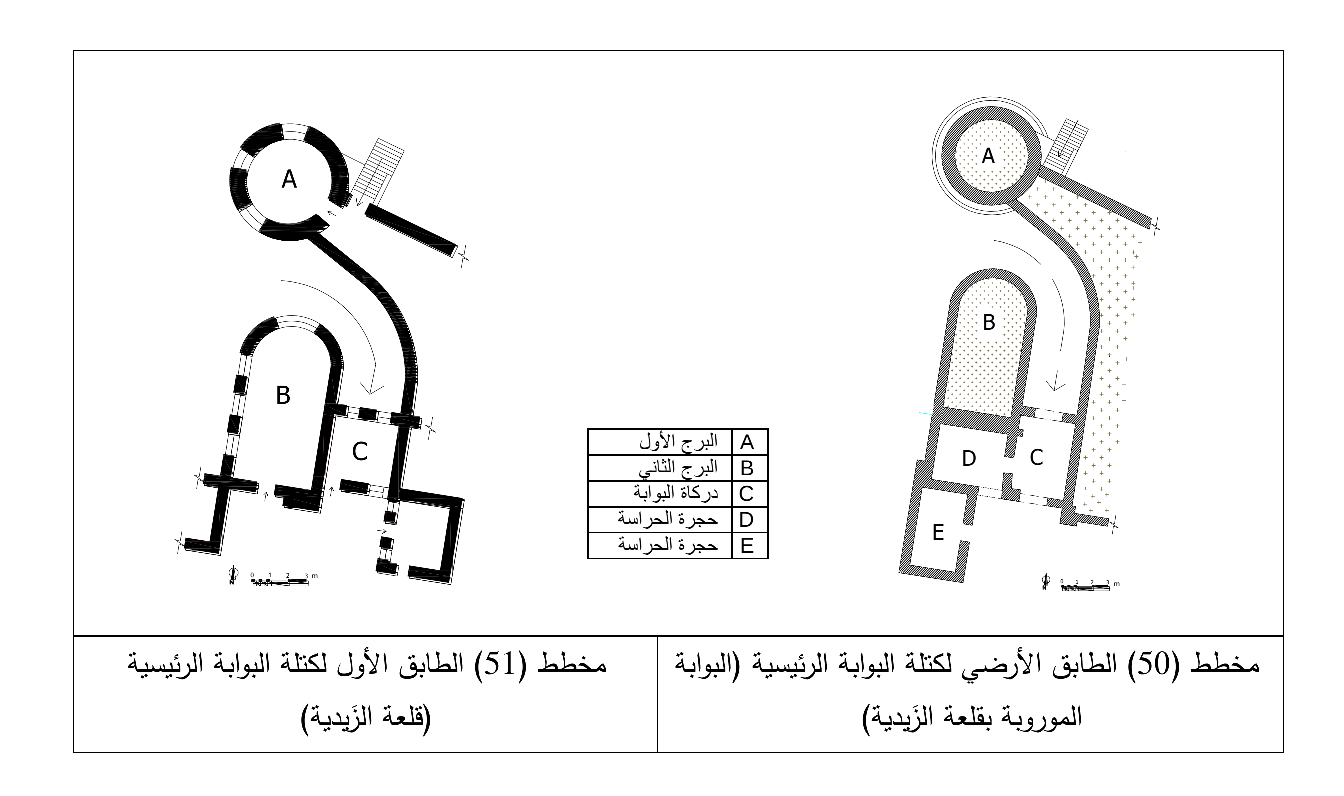
ويلتصق بهذا البرج أثناء الولوج إلى المدخل جدار على شكل قوس، يبلغ امتداده نحو (15.40م) وارتفاعه (7م)، فتحت في الجزء العلوي منه ثلاثة صفوف من المزاغل الفردية، منها صفان لمزاغل ذات فتحات أمامية، والصف العلوي فتحاته مائلة إلى الأسفل (ل:82). أما الجدار الخارجي الملتصق بالبرج فيطل على الشارع ويمتد بمسافة (7.90م) إلى أن يلتصق بالبرج الشمالي للقلعة.

ويتكون البرج الثاني (B) للبوابة الرئيسية في القلعة من طابق واحد يربض على قاعدة مرتفعة مردومة بالتراب، تتساوي معه في الارتفاع تقريباً، حيث يبلغ الارتفاع الكلي للبرج نحو (6.70م)، ويتخذ شكل نصف دائري في مقدمته، ومستطيلاً في الجزء الخلفي، حيث يبلغ امتداده نحو (9.50م). وقد بنيت أساسات جدار هذا البرج بالحجارة والبقية بقطع الآجر، وفتحت في الجزء العلوي منه أربع فتحات، ثلاث منها تطل على خارج القلعة من الجهة الغربية، يبلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (1.30م) واتساعها (1م)،

وهي تشبه تلك التي في البرج الأول (A)، أما الفتحة الرابعة فتقع في منتصف قوس البرج وتطل على نطاق البوابة، يبلغ ارتفاعها نحو (1.30م) واتساعها (1.50م).

وبعد المرور عبر النطاق المكشوف لكتلة البوابة يقابلنا مدخل القلعة (ل:83، 84)، والذي يتكون من فتحة مستطيلة الشكل، ارتفاعها نحو (2.65م)، واتساعها (1.80م)، وهي مسقوفة بعتب خشبي نقشت عليه كتابات تسجيلية لكنها مع الأسف مطموسة في الوقت الراهن. وتعلو عتبة المدخل فتحة يمكن أن تؤدي وظيفتين دفاعيتين معاً: الأولى سقاطة لسكب المواد الحارقة على مهاجمي القلعة عبر المدخل، والثانية لإنزال عوارض خشبية تزيد من تدعيم مصراعي المدخل.

وتلي المدخل الخارجي للبوابة الرئيسية دركاة (C) تتخذ شكلاً مستطيلاً، تبلغ أبعادها نحو (4.55م x 3م)، وتكتنفها ثلاث حجرات كانت تستخدم سكناً للجند المكلفين بحراسة البوابة الرئيسية؛ فالحجرة الأولى تقع فوق الدركاة المذكورة، وهي تطل على النطاق المكشوف بواسطة نافذتين الغرض منهما مراقبة نطاق المدخل والدفاع عنه، أما الحجرة الثانية (D) وهي ذي شكل مستطيل، تبلغ أبعادها نحو (4.40م x 3.60م)، ويتم الدخول إليها عبر فتحة مدخل تقع في الجدار الغربي من الدركاة، وكانت تطل على الفناء بفتحة واسعة معقودة استحدث فيها جدار من الطوب المسلح. ويتم الخروج من دركاة البوابة إلى فناء القلعة عبر فتحة مدخل تنتهي من أعلاها بعقد مدبب، يبلغ اتساعها (1.80م) وارتفاعها (2.75م)، وفي الجهة الغربية منها تقع الحجرة الثالثة (E) والتي تبلغ أبعادها نحو (5.10م x 2.95م) (ل:85).



مخطط (50) الطابق الأرضي لكتلة البوابة الرئيسية (البوابة الموروبة بقلعة الزَيدية)

مخطط (51) الطابق الأول لكتلة البوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)



لوحة (81) برجا البوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)



لوحة (82) النطاق المكشوف في كتلة البوابة



لوحة (83) المدخل الرئيسي للقلعة وحجرة دركاة البوابة الرئيسية

لوحة (84) الباب الخارجي لدركاة البوابة الرئيسية وتعلوه فتحتا السقاطة



لوحة (85) مدخل البوابة الرئيسية المطل على الفناء

شَكَّلت البوابة الرئيسية في قلعة الزَيدية بتخطيطها الموروب منطقة محصنة ليس لحماية المدخل فحسب بل لتحصين وحماية الواجهة الشمالية للقلعة، وقد ظهر هذا النوع من البوابات في اليمن منذ العصر الأيوبي؛ ففي مدينة زَبيد التهامية ما زال باب الشَبَارق والباب الرئيسي لقلعة زَبيد ماثلين للعيان (ل:86، م:52)[1]. وفي مدينة صنعاء كان باب سِتران وباب اليمن القديم من النوع المورو ب، ويرجع تاريخ بنائهما إلى عهد طغتكين الأيوبي فيما بين (589- 593هـ/ 1193-1197م)، واستمر هذا النوع من البوابات إلى ما بعد العصر الأيوبي كأبواب مدينة صَعدة: اليمن، ونجران، وجعران، والمنصورة، والتي بناها الإمام شرف الدين عام (920هـ/1514م)[2].

ولم يقتصر وجود البوابات المورو بة في المدن الرئيسية، بل وجدت العديد منها في مدن وقرى المرتفعات الجبلية، ومنها أبواب سور مدينة ثُلا: الهادي، والمَحاميت (المياح) (ل:87)، والتي بناها الإمام شرف الدين فيما بين (912- 965هـ/ 1506- 1558م)[3]، بالإضافة إلى البوابة الرئيسية لحصن الكِبريت،

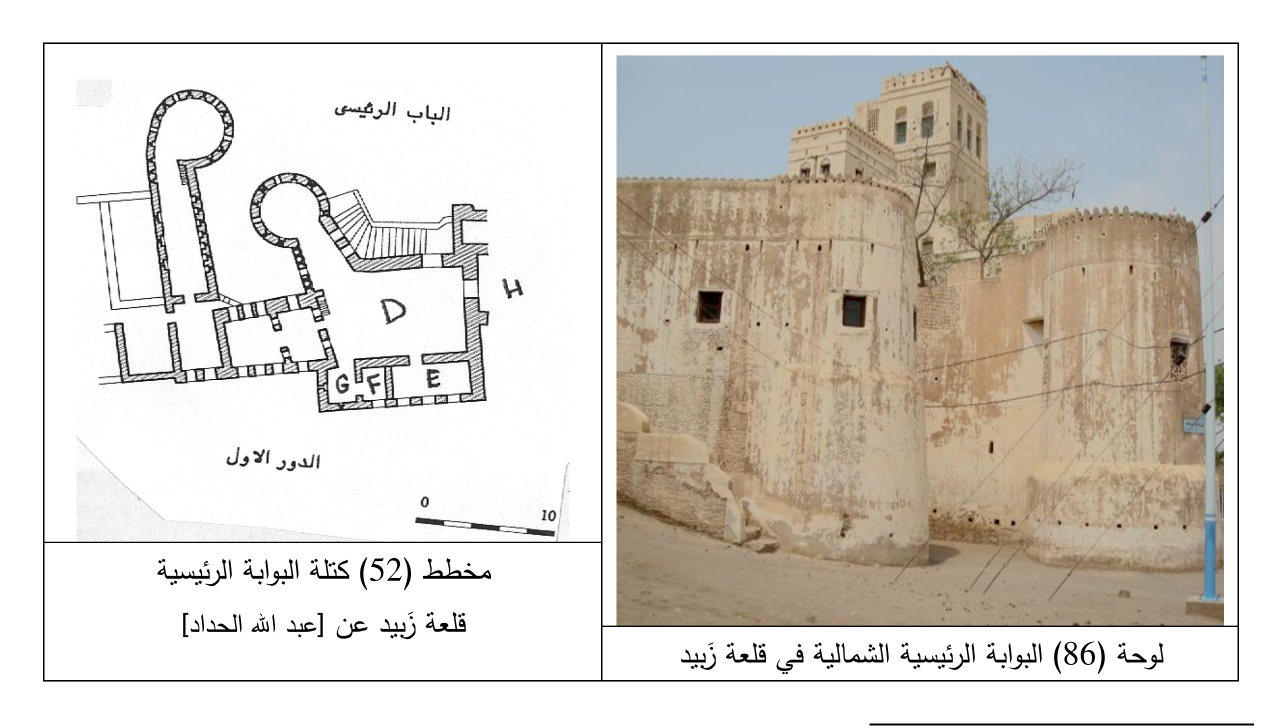
1 – عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 334.

2 – نفسه.

3 – عبد الرحمن جار الله: ثلا إحدى حواضر اليمن في العصر الإسلامي (تاريخها وآثارها)، ص 18 – 19.

والذي يقع فوق جبل اللِّسي بالقرب من مدينة ذَمار، وكان قد أمر ببنائه الوالي العثماني محمد باشا عام (1026هـ/ 1616م)[1]. كما إن هناك بوابات مورّوبة أيضا ترجع إلى فترة تاريخية متأخرة، وتقع في بعض القرى الإسلامية المحصنة بمحافظة ذَمار، ومنها: المدخل الشمالي لقرية ذي سَحْر، والمدخل الشمالي لقرية عَيشان (ل:88).

وبمقارنة تخطيط البوابة المورّوبة في قلعة مدينة الزَيدية مع البوابات المورّوبة المذكورة لوحظ بأنه يشابهها جميعاً من حيث التخطيط العام، ولكنه اختلف عنها في جانب واحد فقط، وهو أن الجدار الذي يتخذ شكل القوس ذو امتداد كبير بلغ نحو (15.40م)، مما أتاح للبرج الأول (A) أن يقابل البرج الثاني (B) تماماً من الجهة الجنوبية، وبذلك تحقق الجانب الدفاعي للمدخل بشكل كبير، وزاد من حصانة البوابة، وكذا صعوبة اقتحامها من هذا الجانب. وبما أن مدينة زَبيد التهامية هي الأقرب جغرافياً لمدينة الزَيدية، وتعتبر قلعتها من الناحية التاريخية أقدم من قلعة مدينة الزَيدية، فمن المرجح أن البوابة المورّوبة في قلعة الزَيدية بنيت على غرار البوابة الرئيسية لقلعة زَبيد، وتأثرت بها بشكل كبير من حيث الشكل والتخطيط.



لوحة (86) البوابة الرئيسية الشمالية في قلعة زَبيد

مخطط (52) كتلة البوابة الرئيسية
قلعة زَبيد عن [عبد الله الحداد]

1 – عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، ص 32.

	
لوحة (87) البوابة الجنوبية الشرقية في سور مدينة ثُلا	 لوحة (88) البوابة الشمالية لقرية عَيشان المحصَّنة

– **الأبراج** (I – F – C - D)

تشتمل قلعة الزَيدية على سبعة أبراج، اثنان منها يكتنفان البوابة الرئيسية في القلعة، وقد سبق الحديث عنهما، وبرج يقع في الجهة الشمالية يرتبط بدار العامل، وأربعة أبراج تقع في أركان القلعة أحدها مندثر، ولذا سيتم إجراء الوصف المعماري التفصيلي والتحليل الأثري للأربعة الأبراج الباقية ابتداءً من البرج الشمالي الشرقي (برج المدافع).

– **البرج الشمالي الشرقي** (D) (برج المدافع)[1]: (ل:89، ش:19)

يقع هذا البرج في الزاوية الشمالية الشرقية من القلعة، ويتخذ الشكل الأسطواني القائم، ثلاثة أرباع منه تطل على خارج القلعة، ويبلغ محيطه من الخارج عند قاعدته نحو (37م)، وارتفاعه حوالي (8.20م)، وقد بني بقطع الآجر، وكان يدعمه جدار ساند في أسفله لم يتبق منه سوى بعض الأجزاء.

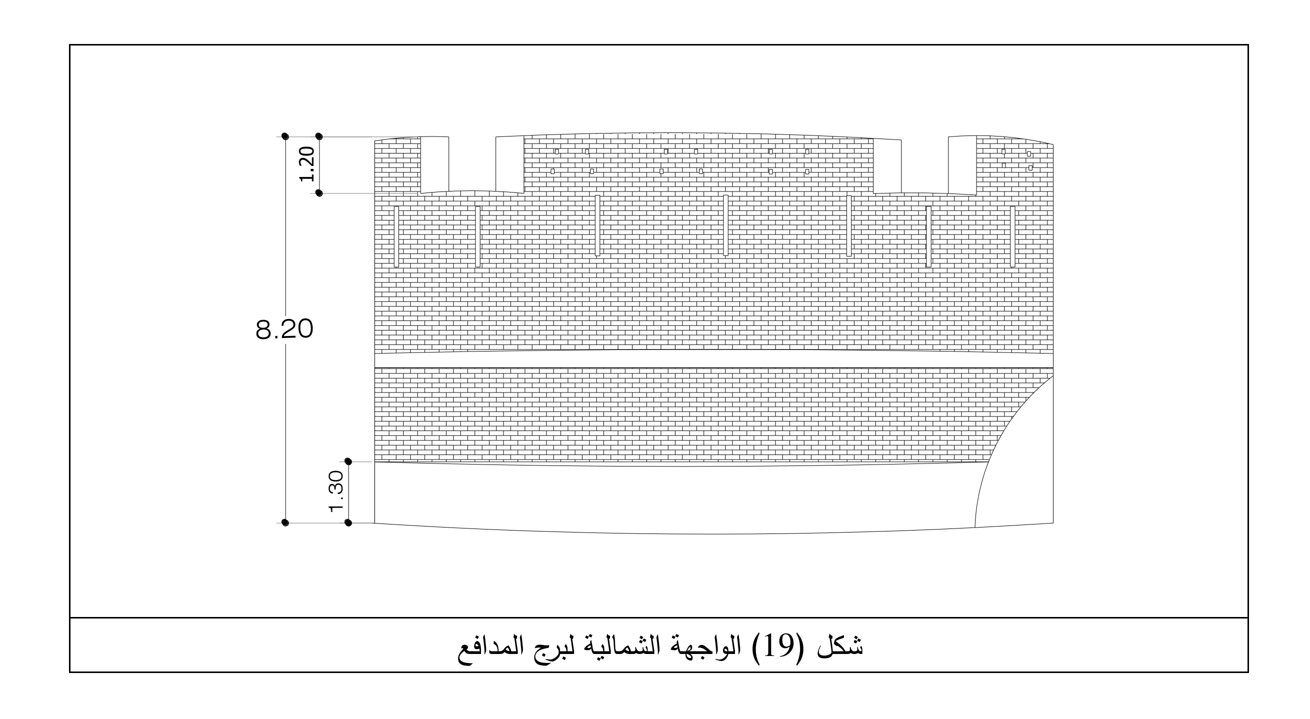
ويضم الجزء العلوي من جدار البرج الشمالي الشرقي (D) عدداً من العناصر الدفاعية، وهي صف من السقاطات البارزة التي تهدمت، ولكن آثارها ما تزال ظاهرة للعيان (ش:20 – 21)، حيث كان الغرض الدفاعي منها هو منع المهاجمين من الاقتراب من جدار البرج أو اقتحام القلعة من هذه الجهة. كما تتخلل جدار البرج من أعلاه أربع فتحات كبيرة تختلف في اتساعها من واحدة إلى أخرى، والغرض الوظيفي من

1 – يُذكر أن آخر استخدام للمدافع في البرج الشمالي الشرقي كان بعد قيام الثورة اليمنية عام (1962م) في عهد عامل مدينة الزَيدية صالح مرشد المقالح، حيث كان يستخدم أحدها لإعلان وقت أذان المغرب في شهر رمضان، وكان يسمع صوته إلى القرى المحيطة والقريبة من مدينة الزَيدية كالقناوص والضِحي والمِغلاف والمُنيرة. مقابله شخصية مع أحد كبار السن بمدينة الزَيدية الأستاذ/ محمد غالب المداني، بتاريخ 29– 9– 2011.

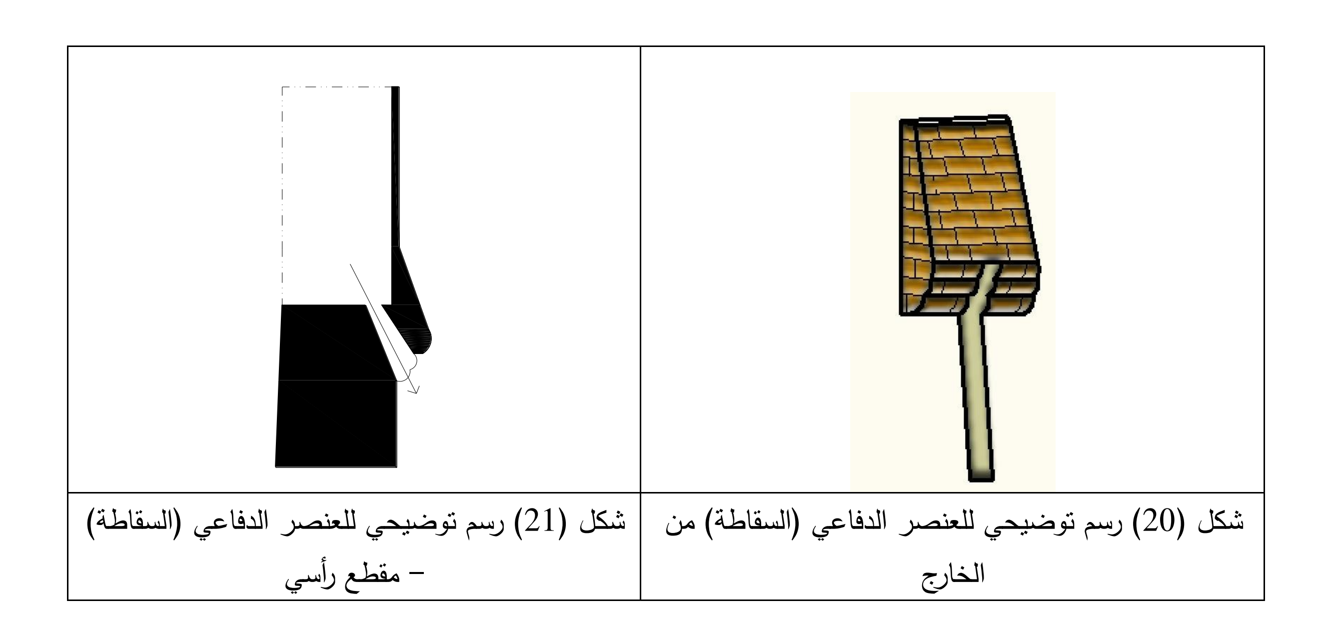
وجودها هو السماح بإطلاق قذائف المدفعية، وتتخلل الجدار الذي يقع بين فتحات المدافع المذكورة العديد من المزاغل، وهي عبارة عن فتحات ضيقة تستخدم للرمي بالبنادق.



لوحة (89) البرج الشمالي الشرقي (D) برج المدافع



شكل (19) الواجهة الشمالية لبرج المدافع



شكل (20) رسم توضيحي للعنصر الدفاعي (السقاطة) من الخارج	شكل (21) رسم توضيحي للعنصر الدفاعي (السقاطة) – مقطع رأسي

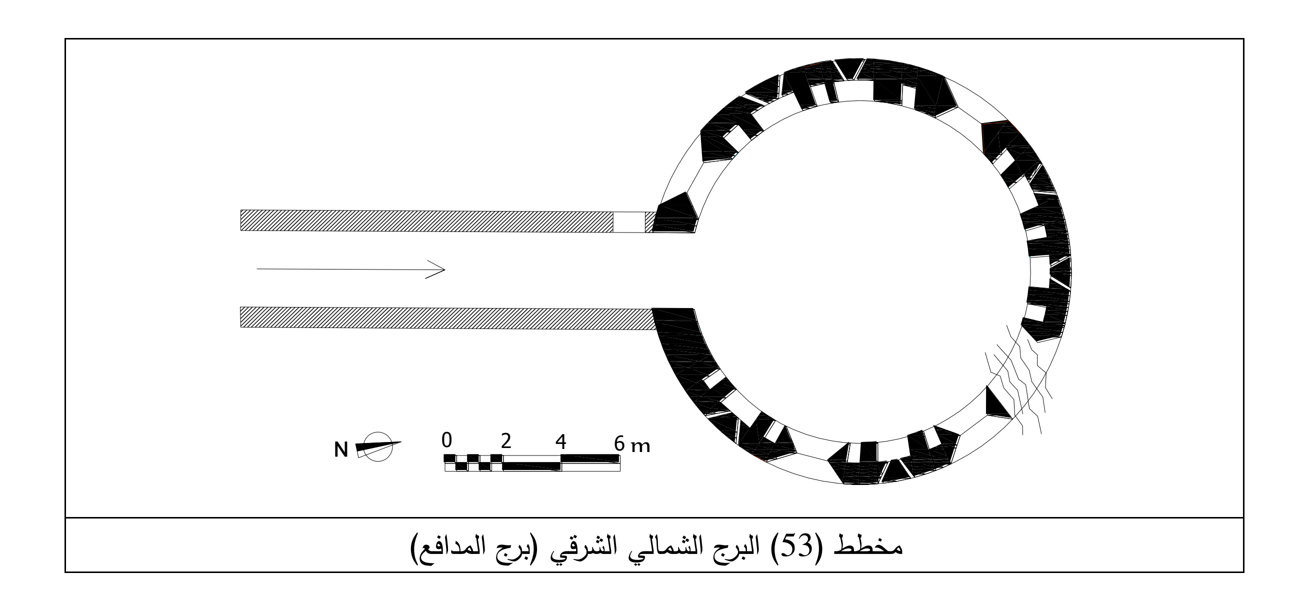
والدخول إلى البرج الشمالي الشرقي (D) يتم من الفناء عبر طريق صاعد (زلاقة) ردم بالتراب، يبلغ امتداده نحو (14م)، واتساعه (2.60م)، ويستند هذا الطريق على جدار سور القلعة الشرقي من جانب، ومن الجانب الآخر على جدار مرتفع، وينتهي بفتحة مدخل تؤدي إلى ساحة البرج المردومة بالتراب (ل:90).

والبرج من الداخل ذو شكل دائري قطره نحو (11.65م)، وهذه المساحة الواسعة تسمح بوجود عدد كثير من المدافع، ويلتف حولها جدار ساتر تعرضت بعض أجزائه للتهدم، وخاصة في المنطقة المقابلة لمدخل البرج، حيث يبلغ اتساع الجزء المتهدم (4.60م). وعند النظر إلى الجدار الساتر للبرج من الداخل تظهر جميع العناصر الحربية الدفاعية بشكل واضح؛ حيث تتخلله أربع فتحات واسعة تسمح للمدافع بإطلاق قذائفها، أما الأجزاء المتبقية منه ففيها العديد من الدخلات الطولية، تضم كل واحدة منها عنصراً دفاعياً؛ إما لفتحتي مزغلين مائلين، أو ثلاثة مزاغل: الجانبيان مائلان إلى اليمين واليسار، والأوسط إما لمزغل أمامي أو لفتحة سقَّاطة مائلة إلى الأسفل (ل:91، م:53، ش22).

إن برج المدافع في قلعة الزَيدية يشبه برجي المدافع في قلعتي بيت الفَقيه والزُهرة، وذلك من حيث الغرض الوظيفي والتصميم المعماري العام، وكذا وجود بعض العناصر المعمارية والدفاعية، مثل: الطريق

الصاعد (الزَّلاقة)، والساحة المردومة بالتراب، وفتحات المدافع؛ ولكن برج المدافع في قلعة الزَيدية يختلف عنهما من حيث مساحته الواسعة، ولون قطع الآجر المستخدمة في بنائه التي توحي بقدمها، إضافة إلى وجود عناصر دفاعية ما تزال باقية إلى الوقت الراهن كعنصري السَّقاطة وفتحات المزاغل المائلة.

ويستخلص مما سبق ذكره أن برج المدافع في قلعة الزَيدية بوضعه الراهن ما يزال بحالته الأولى، ولم يتعرض لإعادة بناء أو تجديدات تفقده هيئته الأصلية.



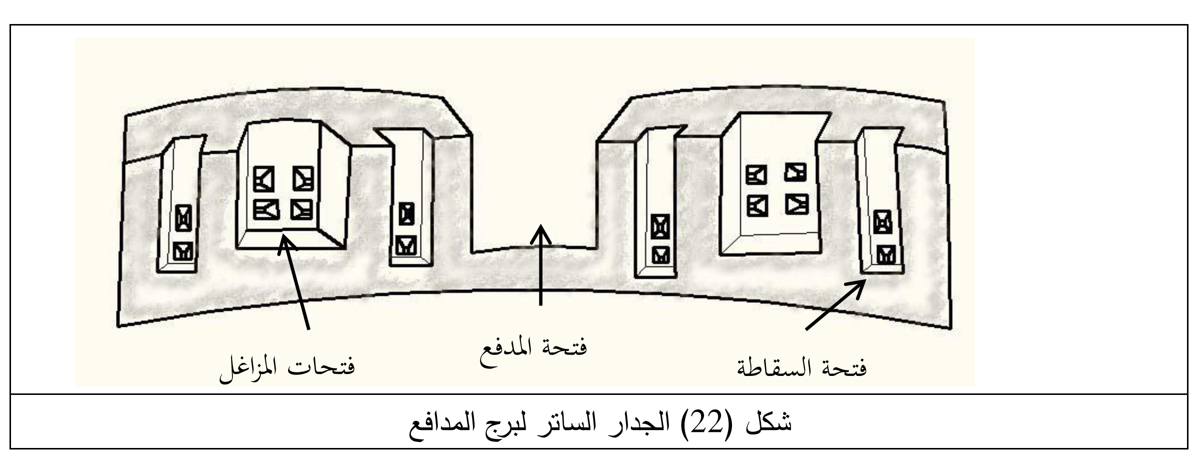
مخطط (53) البرج الشمالي الشرقي (برج المدافع)



لوحة (90) الطريق الصاعد إلى برج المدافع



لوحة (91) الساحة الداخلية لبرج المدافع



شكل (22) الجدار الساتر لبرج المدافع

البرج الشمالي (C): (ل:92 - 93)

تكمن أهمية هذا البرج في موقعه القريب من البرج الأول للبوابة الرئيسية، وكذلك وقوعه في مكان متوسط من الواجهة الشمالية لدار العامل، وبذلك فهو يؤدي وظيفة دفاعية تتمثل في حماية منطقة واسعة من الواجهة الشمالية للقلعة بشكل عام، ودار العامل بشكل خاص.

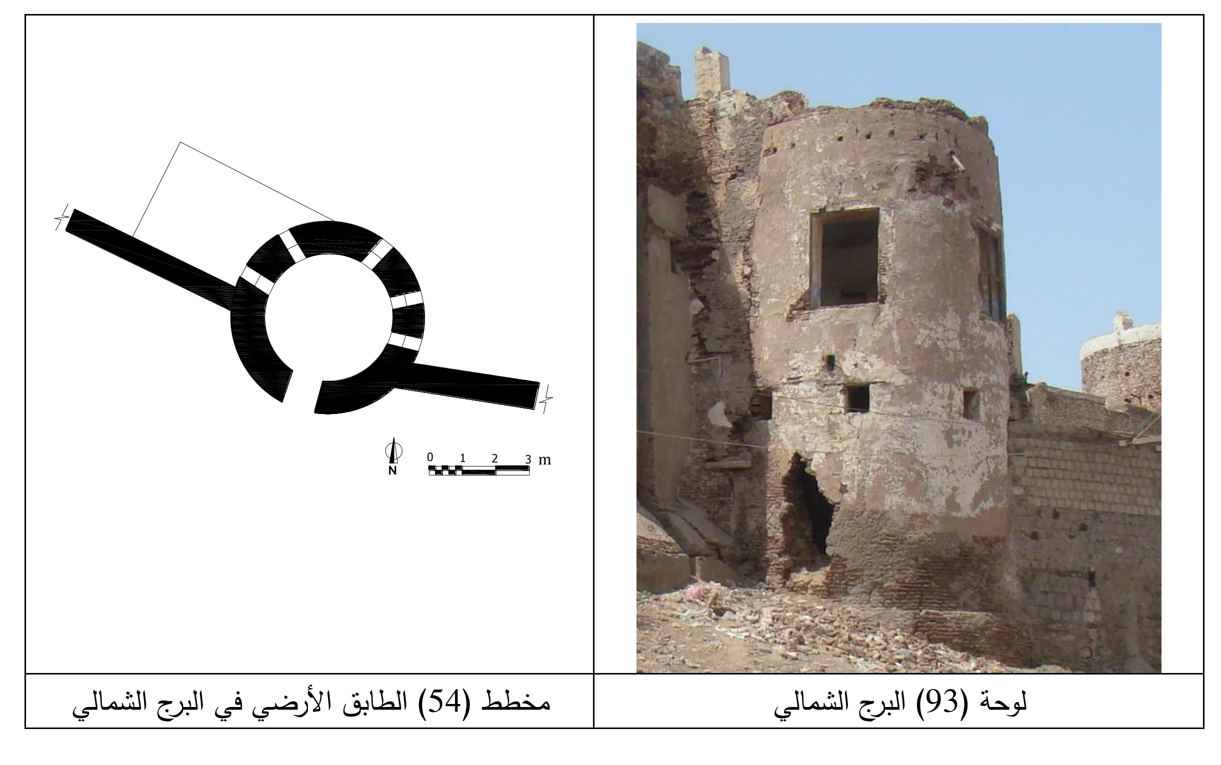
ويتخذ البرج الشمالي (C) في القلعة شكلاً اسطوانياً قائماً مسقطه الأفقي ذو شكل دائري، ويبلغ محيطه من الخارج نحو (12.40م)، وهو يتألف من ثلاثة طوابق: الأرضي فتحت في أعلاه ثلاث فتحات طولية صغيرة الغرض منها الإضاءة والتهوية (ل:93، م:54)، أما الأوسط فيبلغ سمك جداره (75سم)، وفتحت فيه ثلاث نوافذ واسعة، يبلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (1.55م) واتساعها (1م) (م:55). وينتهي

هذا البرج من الأعلى بطابق مكشوف، وهو عبارة عن جدار ساتر في أسفله صف من فتحات المزاغل الفردية الضيقة (م:56).

والملاحظ على هذا البرج اختلاف البناء من طابق إلى آخر، وكذلك عدم وجود العنصر الدفاعي (السَّقاطة)، ويبدو أنه تم الاستغناء عن هذا العنصر في الفترة الحديثة، وهو بذلك يشبه أبراج المدخل الرئيسي في القلعة نفسها من حيث تصميم الغلاف الخارجي، وهذا الأمر يؤكد بأن البرج تعرض لعمليات تجديد لمرات عدة.

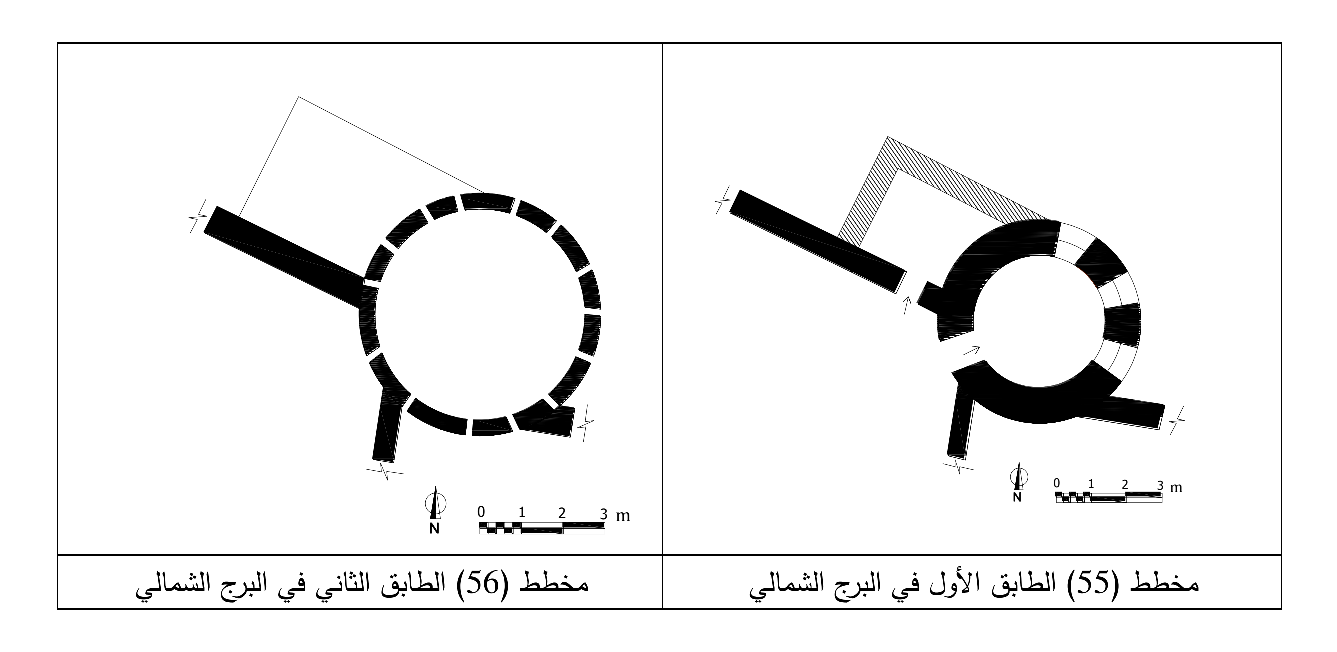


لوحة (92) البرج الشمالي والواجهة الشمالية للقلعة



لوحة (93) البرج الشمالي

مخطط (54) الطابق الأرضي في البرج الشمالي



مخطط (56) الطابق الثاني في البرج الشمالي	مخطط (55) الطابق الأول في البرج الشمالي

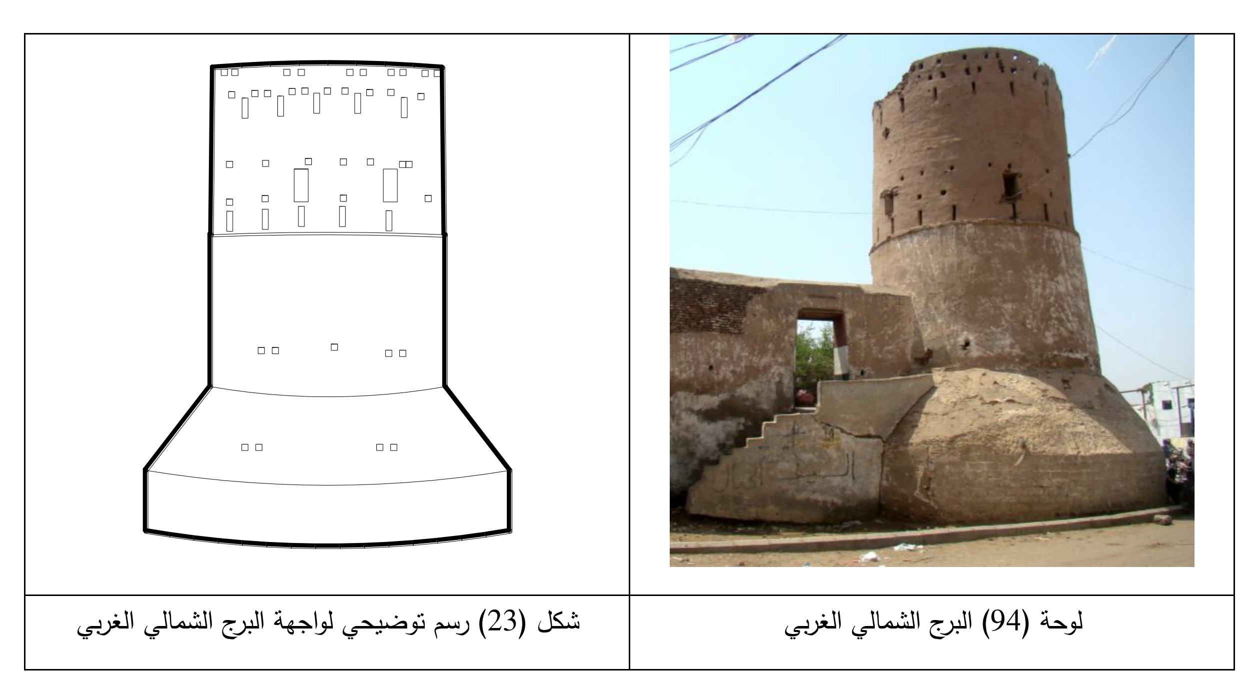
البرج الشمالي الغربي (F): (ل:94، ش:23)

يتخذ هذا البرج شكلاً اسطوانياً قائماً دُعِّم في أسفله بجدار ساند مشطوف من أعلاه يبرز عن جدار البرج بنحو (1.70م)، وهذا البرج ذو مسقط دائري يلتصق به جدارا سور القلعة من الجهتين الشمالية والغربية، لذا فهو يطل على خارج القلعة بثلاثة أرباع منه، وتبلغ استدارته من الخارج عند القاعدة نحو (18.50م).

بني البرج الشمالي الغربي (F) بقطع الآجر وكسي بطبقة من الطين، ويتم الدخول إليه عبر فتحة مدخل ذي شكل مستطيل رأسي، يبلغ ارتفاعها نحو (2م) واتساعها (1.5م). والبرج من الداخل يتألف من ثلاثة طوابق تهدمت سقوفها: فالطابق الأرضي، يبلغ قطره من الداخل نحو (2.90م)، وسمك جداره من الأسفل (95سم)، وارتفاعه من أرضيته حتى سقفه الخشبي المسطح (2.80م)، ويتخلل الجزء السفلي من جداره صف من فتحات المزاغل الفردية المائلة (ل:95، م:57). أما الطابق الأول فهو متهدم، وكان يصعد إليه بدرج يستند على جدار البرج، وينتهي أعلاه بفتحة تؤدي إلى الأعلى، وتشاهد في جداره أربع نوافذ صغيرة، وثلاثة صفوف من المزاغل: الأول من الأسفل لفتحات طولية، والثاني والثالث يضمان فتحات

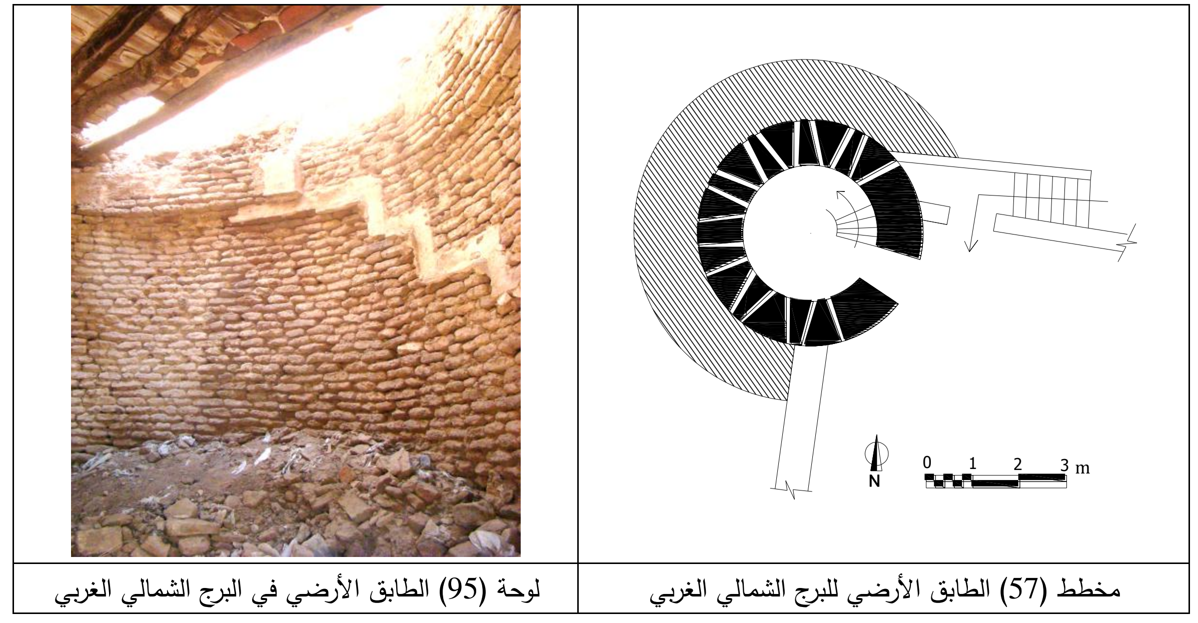
مربعة ضيقة (ل:96، م:58). وينتهي هذا البرج بطابق ثانٍ مكشوف يضم جداراً ساتراً، يبلغ ارتفاعه نحو (1.50م)، وتتخلله فتحات لمزاغل تشبه الفتحات الموجودة في الطابق الذي بأسفله.

ويلاحظ على هذا البرج أن الجزء السفلي منه هو الأقدم، نظراً لاشتراك جداره الساند مع جداره الخارجي، إضافة إلى وجود فتحات المزاغل الزوجية في الطابق السفلي منه، والتي تشبه تلك الموجودة في البرج الجنوبي الغربي من قلعة بيت الفَقيه. أما الجزء العلوي من البرج فمن المؤكد أنه تهدم وتم بناؤه بشكل مختلف عن السابق، ويظهر ذلك بوضوح عند مشاهدة أسلوب البناء.



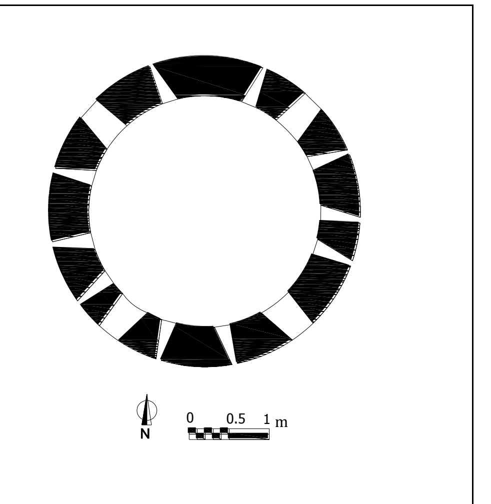
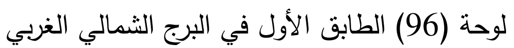
لوحة (94) البرج الشمالي الغربي

شكل (23) رسم توضيحي لواجهة البرج الشمالي الغربي



مخطط (57) الطابق الأرضي للبرج الشمالي الغربي

لوحة (95) الطابق الأرضي في البرج الشمالي الغربي

	
مخطط (58) الطابق الأول البرج الشمالي الغربي	لوحة (96) الطابق الأول في البرج الشمالي الغربي

- **البرج الجنوبي الغربي:**

تعرض البرج الجنوبي الغربي للتهدم وكذلك الجداران المتصلان به من الجهتين الغربية والجنوبية، وتدل الآثار المتبقية في الموقع على وجود برج، يرجح أنه كان يتخذ شكلاً دائرياً كبقية أبراج القلعة.

- **البرج الجنوبي الشرقي (J):** (ل:97، ش:25)

يتخذ هذا البرج شكلاً اسطوانياً قائماً، مسقطه الأفقي دائري ومحيطه من الخارج يبلغ نحو (12م)، وقد بني بقطع الآجر وكسي في الجزء الأوسط بالطين، وتتخلل جداره بعض القطع الخشبية، الغرض الإنشائي من وجودها بين مداميك البناء هو تقوية الجدار ومنع التشققات. ويتم الدخول إلى هذا البرج بعد صعود درج – تقع في الجهة الشمالية من البرج – تنتهي عند فتحة مدخل ذات شكل مستطيل رأسي، يبلغ ارتفاعها (2.10م) واتساعها (1.20م)، (ل:98).

ويتألف البرج من ثلاثة أقسام فوق بعضها: القسم الأول، يمثل قاعدة البرج وهي مردومة بالتراب، يعلوها القسم الثاني، وهو الطابق الأرضي (م:59، ش:24–25)، حيث يبلغ قطره من الداخل نحو (5.60م)، وتتخلل جداره أربع فتحات مستطيلة رأسية تسمح بالرؤية إلى خارج القلعة، وكذلك التصويب من خلالها بالبندقية بحرية تامة، وكذا بالمدفعية الصغيرة؛ لأن هذه الفتحات ليست واسعة جداً، حيث بلغ ارتفاع كل

واحدة منها نحو (80سم) واتساعها (55سم). وقد غطي هذا الطابق بسقف خشبي مسطح به فتحة يستطيع من خلالها الجند المرابطون في البرج الصعود إلى القسم الثالث (ل:99)، ولكن بواسطة وضع سلم، لأنه لا يوجد بداخل البرج درج صاعد. وينتهي البرج من الأعلى بالقسم الثالث الذي يمثل طابقاً ثانياً، وهذا الطابق مكشوف يحيط به جدار ساتر، يبلغ ارتفاعه نحو (1م)، ويضم العديد من فتحات الرماية الضيقة (مزاغل)، منها المائلة نحو اليمين أو اليسار وأخرى مائلة إلى الأسفل يمكن أن تستخدم كسقاطات.

وتم العثور بداخل هذا البرج على نص كتابي يؤرخ عمارته على مادة الجِص، وبعض كلماته غير مقروءة، وهي محصورة بداخل منطقة معقودة مقسمة إلى ثلاثة مستطيلات، ويقرأ منه في المستطيل الأول: "بسم الله المتوكل على الله"، وفي الثاني: "نوبة الطوبجية بنظر [...][1]علي بن اسماعيل سنة [...][2]"، وفي الثالث: "بعناية عامل القضا العلامة السيد علي بن أحمد بن اسماعيل [...][3]" (ل:99).

ومن خلال الكتابة التسجيلية المذكورة التي دونت على جدار البرج ورد في السطر الأول لقب المتوكل على الله، وهو أحد الألقاب التي تلقب بها بعض الأئمة الزَّيديين في اليمن، ولأن سنة العمارة المدونة في النص غير واضحة، فانه يرجح أن تاريخ النص الكتابي يرجع إلى عهد المملكة المتوكلية، وبالأخص فترة حكم الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين (1336– 1368م/ 1918–1949م)، وذلك بالاعتماد على طريقة الكتابة الغير متقنة التي لا تنتمي إلى الخطوط العربية المعروفة كالكوفي والنسخي، وهذا الأسلوب يشاهد على الأشرطة الجصية في بعض المساجد باليمن التي شيدت أو أعيدت عمارتها خلال عهد المملكة المتوكلية اليمنية؛ كما أن قطع الآجر المستخدمة في بناء البرج الجنوبي الشرقي تختلف عن تلك في البرج الشمالي الشرقي (برج المدافع)، سواء من حيث حجمها أو

1 – ما بين المعقوفتين غير مقروء بسبب أعمال الطلاء المستمر بمادة الجير (النورة).
2 – نفسه.
3 – نفسه.

لونها اللذين يوحيا بحداثتها، وهذا الأمر يدل أيضا على أن العمارة الراهنة للبرج الجنوبي الشرقي تعود إلى فترة حكم الإمام المتوكل على الله يحيى السابق ذكره.

وتضمنت الكتابة التسجيلية في السطر الثاني كلمتي: نوبة[1] والطوبجية، فالكلمة الأولى مصطلح معماري محلي يطلق على البرج، أما الثانية فهي تسمية تطلق على الجند المكلفين بالرماية على سلاح المدفعية[2]، كما وردت كلمة بنظر، وتعني المشرف على البناء، وهو علي بن إسماعيل[3]. وكان السطر الثالث قد اشتمل على كلمة بعناية، ومعناها المدبر أو الراعي لهذا العمل، وهو رجل الدين (العَلاَّمة) المكلف بوظيفة القضاء في مدينة الزَيدية علي بن أحمد بن إسماعيل[4].



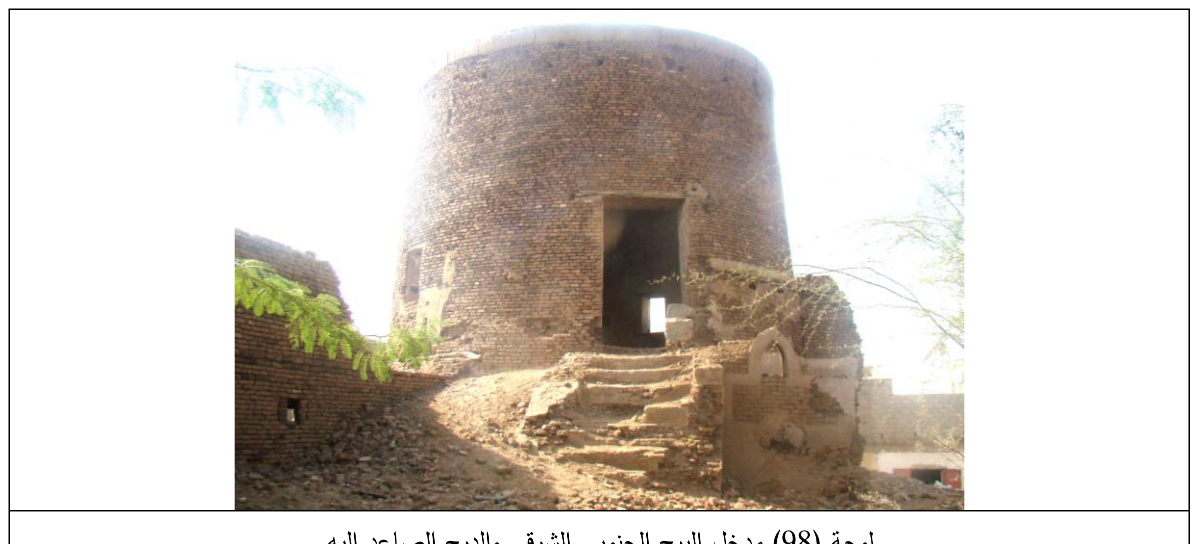
لوحة (97) البرج الجنوبي الشرقي والسور الشرقي للقلعة	شكل (24) الواجهة الجنوبية للبرج الجنوبي الشرقي

1 – انظر ملحق المصطلحات المعمارية المحلية.

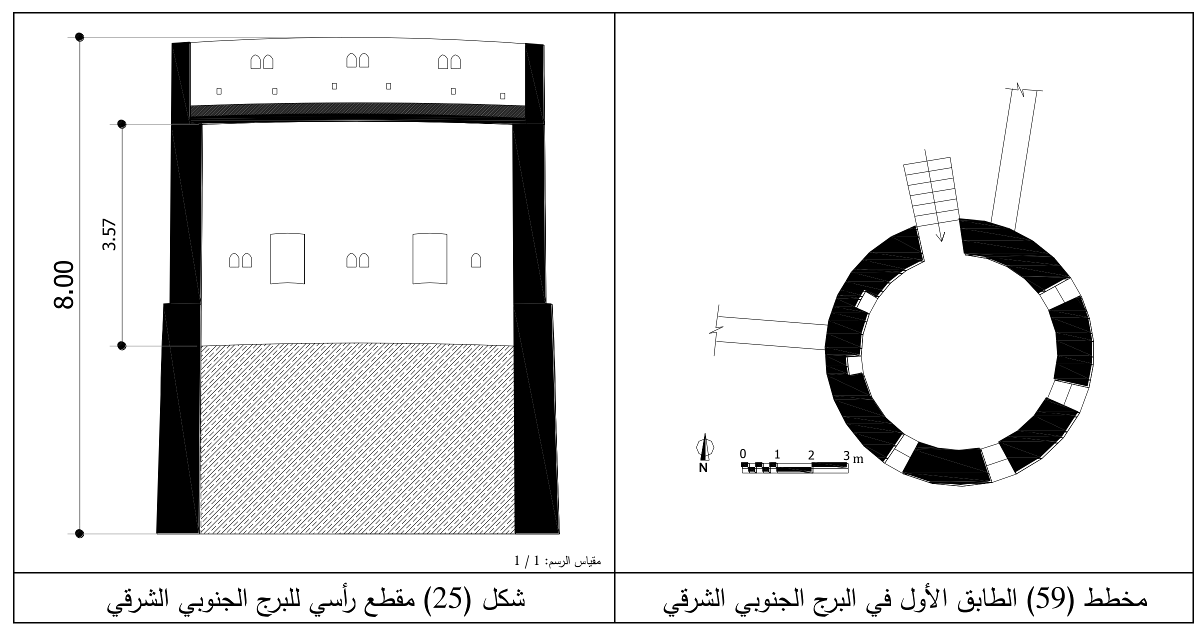
2 – الطوبجية من أحد المصطلحات العثمانية التي ظلت مستخدمة في اليمن بعد خروج العثمانيين منها. للمزيد انظر ملحق المصطلحات والألفاظ العثمانية.

3 – لم أجد ترجمة له في المصادر والمراجع المتوافرة.

4 – نفسه.



لوحة (98) مدخل البرج الجنوبي الشرقي والدرج الصاعد إليه



مخطط (59) الطابق الأول في البرج الجنوبي الشرقي

شكل (25) مقطع رأسي للبرج الجنوبي الشرقي



لوحة (99) سقف الطابق الأرضي وفتحة الصعود إلى الطابق العلوي



لوحة (100) النص الكتابي المدون في جدار الطابق الأول في البرج الجنوبي الشرقي

رابعاً: منشآت القلعة (الإدارية والمعيشية)

- **الوحدات المعمارية الشمالية**

- **دار العامل:** (ل:101)

تقع دار العامل في الجهة الشرقية من كتلة البوابة الرئيسية، وتشكل بمكوناتها المعمارية منطقة محصَّنة، فمن الخارج يستند عليها البرج الشمالي، ومن الداخل تضم حجرات عديدة لحراسته. وتتكون هذه الدار من مساحة شبه مستطيلة متعددة الأضلاع، يبلغ أقصى طول لها من الشمال إلى الجنوب نحو (21.70م)، وأقصى عرض من الشرق إلى الغرب نحو (16.55م). ويضم المبنى بكامله ثلاثة طوابق: الأرضي ردمت معظم وحداته بالتراب عدا مرحاضين ألحقا به من الجهة الجنوبية، ويبلغ أبعاد كل واحد منهما (3.70م x 2.64م)، وهما يطلان على الفناء بأربع نوافذ ضيقه (م:60).

وقد مثل الطابق الأرضي لدار العامل قاعدة للطابق الأول (م:61)، الذي يصعد إليه عبر سلَّمين: الأول يستند على الجدار الغربي للطابق الأرضي، والثاني يقع في الجهة الشرقية من الدار. ويتكون الطابق الأول من قسمين، كل واحد منهما يضم فناء مكشوف؛ فالقسم الأول من الجهة الجنوبية يمثل مطبخاً لدار العامل، وأرضيته منخفضة عن القسم الثاني، وهو يتألف من حجرتين أبعاد الأولى الشرقية نحو (4.60م x 2م)، والثانية الغربية نحو (3.70م x 2.65م). أما القسم الثاني فأرضيته مرتفعة، ولذا يمكن أن يشكل طابقاً ثانياً لدار العامل، حيث يتألف من ممر متعرج على شكل يشبه حرف (Z) تفتح عليه أبواب لثلاث حجرات، ومرحاض يلاصق الطابق الأول من البرج الشرقي؛ فالحجرة الأولى الشرقية (E) تبلغ أبعادها نحو (6.50م x 3.40م)، والثانية الوسطى (D) (4.58م x 2.40م)، والثالثة الشمالية الشرقية (C) (5.30م x 2م).

ويقع الطابق الثالث لدار العامل فوق حجرات القسم الثاني من الطابق الثاني (م:62)، حيث يضم حجرات تشبه الحجرات التي بأسفلها، وقد تعرضت الكثير من جدران هذا الطابق وسقوفه للتهدم. وكان يوجد طابق علوي أخير مكون من حجرتين إلا أنهما تهدمتا.

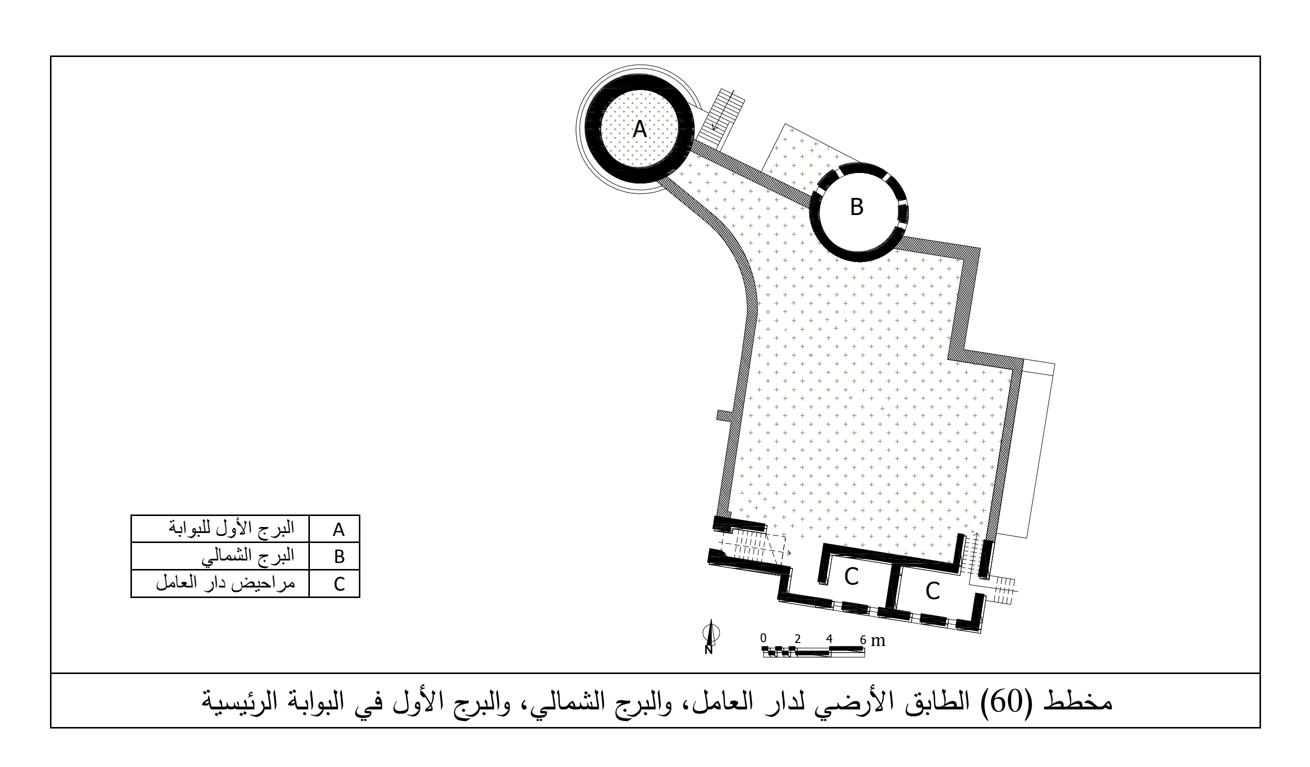
بما أن القلعة كانت تضم جميع المرافق الحكومية لمنطقة الزَيدية إلى عهد قريب، فمن الطبيعي وجود سكن خاص بعامل (حاكم) المدينة كغيره من عمال المدن الأخرى في سهل تهامة، مثل: زَبيد وبيت الفَقيه والمَراوعة وباجل، والتي كان لعمالها دُور خاصة بهم تقع في قلعة المدينة نفسها. وقد جاء تصميم دار العامل في قلعة الزَيدية مشابها لما تبقى من تلك الدور كداري قلعتي زَبيد وبيت الفَقيه، وذلك من حيث التصميم العام الذي أعتمد على الفناء المكشوف وتعدد الطوابق وكثرة النوافذ، وهذا الأمر فرضته طبيعة منطقة تهامة الحارة.

إن أبرز ما يلاحظ على دار العامل في قلعة الزَيدية هو اختلاف بناء الجدران، مما يصعب علينا تتبع مراحل عمارتها؛ ولكن يمكن القول أن الدار تعرضت للتهدم أكثر من مرة، حيث كانت إعادة البناء تتم على الأنقاض السابقة، مما شكل رديمة مرتفعة مثلت قاعدة للدار الحالية. كما يلاحظ أيضاً وجود جدران ساندة للدار، البعض منها استخدمت مادة الحجارة في بنائها، كتلك المطلة على منطقة دركاة مدخل القلعة؛ ولذا فمن المرجح أن الطابق الأرضي المردوم حالياً، كان يضم حجرات مادة بنائها الحجارة، ويعتبر أقدم جزء في الدار. أما المبنى الراهن لهذا الدار فيرجع إنشاؤه إلى عهد الإمام يحيى بن محمد يحيى حميد الدين، عندما قام قائد جيشه عبد الله بن أحمد الوزير بإصدار أمره إلى عامل مدينة الزَيدية بإجراء عمارة في القلعة عام (1342هـ/1923م)[1]. ونظراً لاستمرارية استخدام هذه الدار بعد العمارة المذكورة التي أجريت لها، تعرضت لعدة تجديدات، ولكنها أهملت في فترة لاحقة وخاصة بعد انتقال عامل المدينة وأسرته منها.

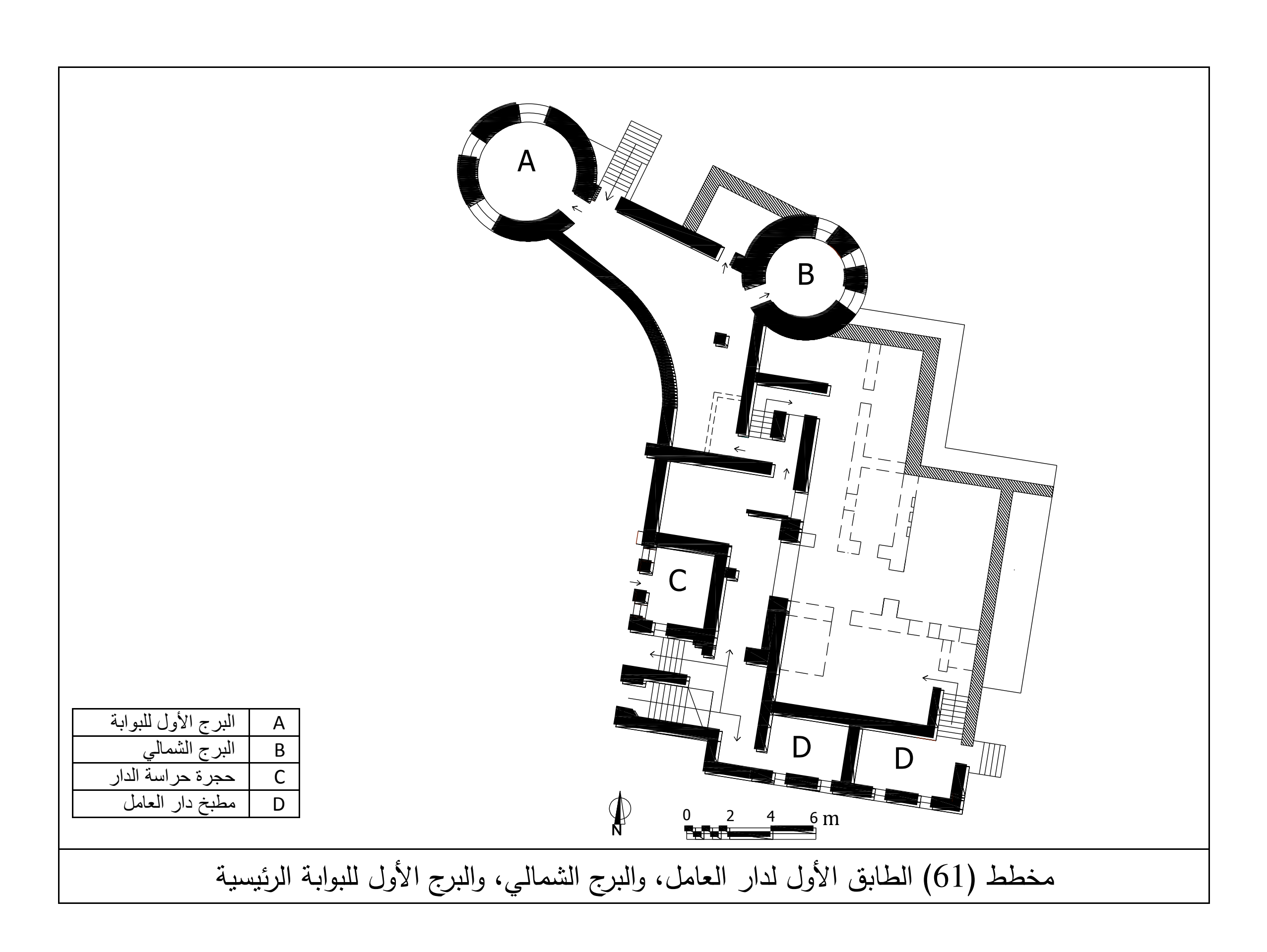
1 - سبق الحديث عن العمارة التي أمر بها عبد الله الوزير قائد جيش الإمام يحيى عام (1923م)، ولكن المراجع التاريخية لم تتحدث بالتفصيل عن ماهية تلك العمارة، واكتفت بذكر عبارة ((إصلاح ما خرب وإضافة مبان سفلية وعلوية)). للمزيد: انظر: إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 234 - 235.



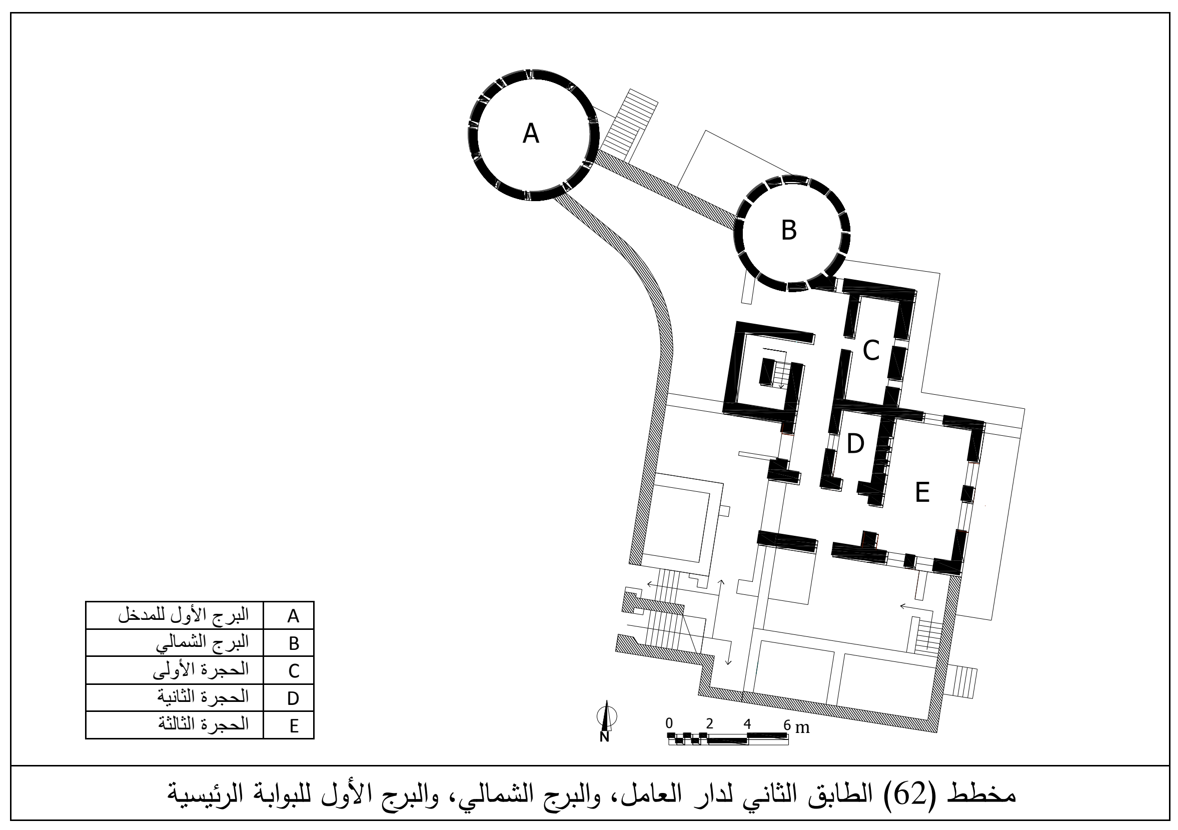
لوحة (101) دار العامل



مخطط (60) الطابق الأرضي لدار العامل، والبرج الشمالي، والبرج الأول في البوابة الرئيسية



مخطط (61) الطابق الأول لدار العامل، والبرج الشمالي، والبرج الأول للبوابة الرئيسية



مخطط (62) الطابق الثاني لدار العامل، والبرج الشمالي، والبرج الأول للبوابة الرئيسية

- **حجرتا مكتب الواجبات الزَّكوية:** (م:43- 44، 64)

تقع حجرتا مكتب الواجبات في الجهة الجنوبية الغربية من البرج الغربي للبوابة الرئيسية، وما تزال هاتان الحجرتان تؤديان وظيفتهما، والمتمثلة في جمع الزكاة السنوية المفروضة على ساكنة مديرية الزَيدية حتى وقت إجراء الدراسة الميدانية للقلعة. ويصعد إلى هاتين الحجرتين عبر سلم صاعد يستند على إحدى الحجرات المجاورة للبوابة الرئيسية، وبما أنهما لا تشتملان على عناصر دفاعية يمكن ذكرها سيتم الاكتفاء بتوضيح الأبعاد والقياسات المعمارية لهما في الجدول الآتي:

الحجرة	الأبعاد الداخلية للحجرة	عدد النوافذ	
		الشمالية	الجنوبية
C	(9.20م X 3.80م)	5 نوافذ، اتساع كل واحدة منها (1.15م)، وارتفاعها (1.40م)	نافذتين، اتساع كل واحدة منهما (1.10م)، وارتفاعها (1.20م).
		الشرقية	الغربية
D	(5م X 2.80م)	3 نوافذ، اتساع كل واحدة منها (65سم) وارتفاعها (95سم)	3 نوافذ، اتساع كل واحدة منها (65سم) وارتفاعها (95سم)

- **السجن وحجرات الشُرطة:** (ل:102)

يشترك كل من سجن القلعة وحجرات الشرطة في مبنى واحد، فالطابق الأرضي منه أستخدم كسجن والعلوي للشرطة. ومن خلال المعاينة الميدانية لحجرات السجن ومكوناته المعمارية لوحظ بأن جدرانه الخارجية مرتفعة، وأضيف لها من الجهة الجنوبية جدار به في أعلاه مداميك من مادة الطوب الحديثة، وهذا يدل على أن السجن ظل يؤدي وظيفته الإدارية المتمثلة في حجز وإيواء المساجين حتى فترة زمنية قريبة.

ومن الناحية المعمارية يتكون السجن من مساحة مستطيلة (م:63)، يبلغ أبعادها من الداخل نحو (21.70م X 17.70م)، وتتألف من فناء مكشوف تبلغ أبعاده نحو (16م X 12.10م)، تحيط به من الجهتين الشمالية والغربية حجرات واسعة؛ فالحجرات الشمالية ذات مساحة مستطيلة، أبعادها من الداخل نحو

(14.20م x 3.90م)، وهي على هيئة رواق يطل على الفناء بثلاث فتحات واسعة، الأولى والثانية من الجهة الغربية دعمت كل منهما بدعامة مربعة الشكل، الغرض الوظيفي منها تخفيف الحمل على العتبات الخشبية التي تعلو هاتين الفتحتين. أما الجزء الغربي من السجن فهو عبارة عن حجرة واسعة تتخذ الشكل المستطيل أيضاً، تبلغ أبعادها نحو (17.60م x 4م)، وقد فتحت في جدارها الشرقي ثلاث فتحات واسعة، اتساع كل واحدة منها نحو (3.70م).

وتلتصق بجدار السجن من الجهة الشرقية حجرة مستطيلة، تبلغ أبعادها نحو (8.25م x 3.10م)، ومن المحتمل أنها كانت خاصة بالجند المكلفين بحراسة السجن نظراً لاشتمالها على مدخلين: الأول فتح في جدارها الغربي ويطل على فناء السجن، والثاني يقع في الجدار الشرقي المطل على فناء القلعة.

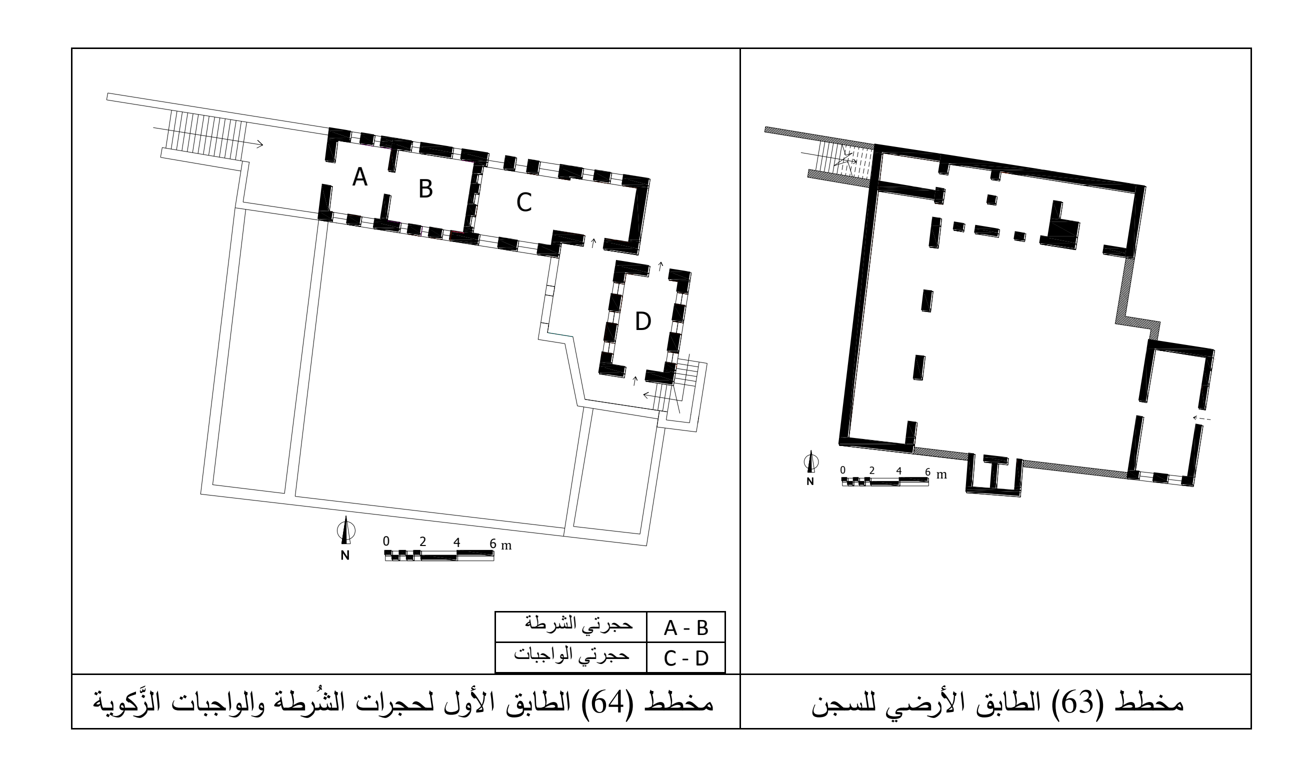
والتخطيط المذكور الذي يتألف منه السجن يتناسب مع وظيفته، ويحقق الهدف الذي أنشئ من أجله؛ فالفناء المكشوف يسمح بدخول أشعة الشمس إلى الفناء، والضوء والهواء البارد إلى الحجرات المحيطة به في أوقات النهار، ويسمح أيضاً للمسجونين بالحركة داخل الفناء، كما أن ارتفاع جدران السجن تهدف بدرجة رئيسية إلى إحكام السيطرة عليهم.

ويعلو السجن في القسم الشمالي طابق علوي استخدم في الفترة الأخيرة كحجرات لمركز الشُرطة (م:64)، وهو بإطلالته على فناء السجن بفتحات النوافذ يسهل للجند الذين كانوا يتواجدون فيه مراقبة السجن والسيطرة عليه. ومن الجدير ذكره أن مراكز الشرطة لم تظهر إلا مؤخراً منذ بداية العهد الجمهوري عام (1962م). ويرجح أن هذا الطابق أضيف في المرحلة الأخيرة من عمارة القلعة، ويدل على ذلك تدعيم فتحات الرواق السفلي للسجن بدعامتين، كما سبق الذكر، من أجل تخفيف الحمل الناتج عن ثقل الجدار العلوي لحجرتي الشُرطة، إضافة إلى اختلاف أسلوب البناء وكذا عدم ترابط جدار الواجهة الجنوبية المطلة على فناء السجن، والتي تتألف من جداري حجرتي الشُرطة وحجرة الواجبات الزَّكوية (ل:102).

يصعد إلى حجرات الشرطة بواسطة سلم مكون من أربعة عشر درجة، يقع في الجانب الغربي من المبنى بالقرب من البرج الشمالي الغربي، ويؤدي هذا السلم إلى سطح إحدى حجرات السجن ومنه إلى حجرة أخرى (A) مستطيلة الشكل، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (4.12م x 2.95م)، وفتحت بها في الجدار الجنوبي نافذتان تطلان على فناء السجن. كما تضم هذه الحجرة في جدارها الشرقي فتحة مدخل تؤدي إلى الحجرة الثانية (B)، التي تتخذ شكلاً مستطيلاً، أبعادها من الداخل نحو (4.40م x 4م)، وتطل على فناء السجن بثلاث نوافذ، اتساع كل واحدة منها نحو (45سم) وارتفاعها (1م)، وتقابلها نافذتان في الجدار الشمالي (م:64).



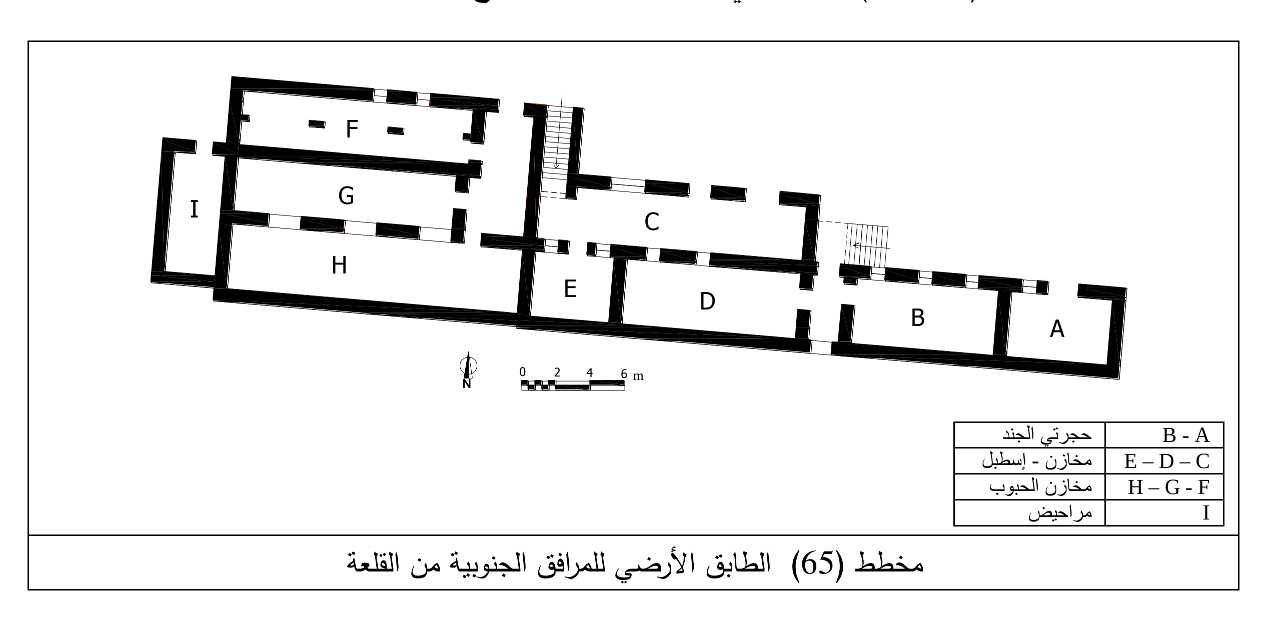
لوحة (102) فناء السجن وحجراته الشمالية، وحجرتا الشُرطة وحجرة الواجبات الزَّكوية



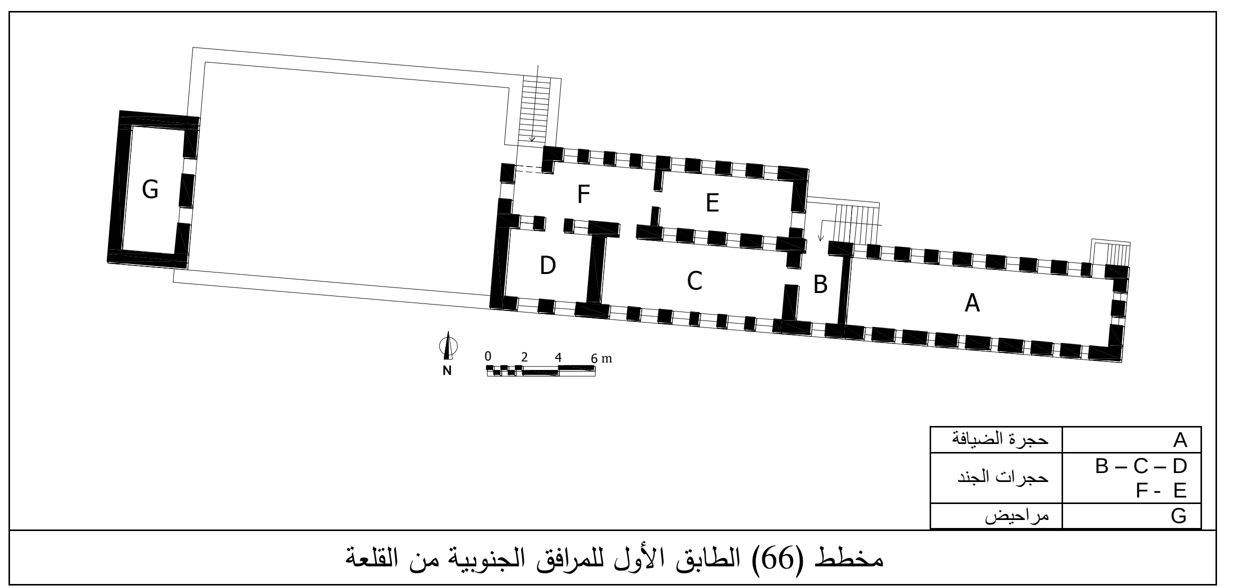
مخطط (64) الطابق الأول لحجرات الشُرطة والواجبات الزَّكوية	مخطط (63) الطابق الأرضي للسجن

*** الوحدات المعمارية الجنوبية:** (م:65 – 66)

تنقسم الوحدات المعمارية في الجهة الجنوبية من القلعة إلى أربعة أقسام: الأول دار الضيافة وتقع في الجهة الشرقية، يليه القسم الثاني من الجهة الغربية ويضم حجرات التخزين وسكن الجند، ثم القسم الثالث في الجهة الغربية ويضم حجرات تخزين الحبوب، أما القسم الرابع فيقع في أقصى الغرب، وهو خاص بقضاء الحاجة (مراحيض)، وفيما يلي وصف مفصل لجميع هذه الوحدات.



مخطط (65) الطابق الأرضي للمرافق الجنوبية من القلعة



مخطط (66) الطابق الأول للمرافق الجنوبية من القلعة

– **دار الضيافة**: (ل:103)

يطلق على الحجرات التي تقع في الجهة الشرقية من المرافق الجنوبية في القلعة بدار الضيافة[1]، ويبدو أن بعضها كان يستخدم كمضافة لاستقبال القادمين إلى مدينة الزَبيدية، وخاصة الذين يعملون في الجانب الإداري.

وتتألف هذه الحجرات من طابقين: الأرضي (م:65)، ويتكون من حجرتين، الأولى: صغيرة المساحة (A)، وتخطيطها ذات شكل مستطيل أبعادها نحو (5.90م X 3.75م)، وسمك جدرانها (75سم)، وفتحت بها في جدار واجهتها الشمالية (الرئيسية) فتحتان، تمثل الأولى مدخلاً لهذه الحجرة، والثانية نافذة واسعة. أما الحجرة الثانية (B) فهي مستطيلة الشكل أيضا، وتبلغ أبعادها نحو (10.80م X 3.90م)، ويتم الدخول إليها عبر فتحة باب تقع في الطرف الغربي من جدارها الشمالي، وقد فتحت في الجدار نفسه ثلاث فتحات معقودة، يبلغ اتساع كل واحدة منها (1م)، ولكنها مسدودة في الوقت الراهن. ويتخلل هذه الحجرة في جدارها الجنوبي – المطل على خارج القلعة – صف من الفتحات الطولية الضيقة (مزاغل)،

1 – مقابلة شخصية مع الأستاذ: محمد المداني، بتاريخ 29 – 9 – 2011.

والتي تؤدي غرضين معاً دفاعي ووظيفي؛ فمن خلفها يستطيع الجند التصويب والاحتماء دون أن يشاهدهم المهاجمين من خارج القلعة، ومن خلالها ينفذ الضوء والهواء إلى الداخل.

وعن الوظيفة التي كانت تؤديها هذه الحجرة لوحظ بأنها تضم مصطبتين تمتدان بطول جهتي الحجرة، ويفصل بينهما ممر ينخفض عن أرضية الحجرة، يبلغ عمقه (30سم) واتساعه (1.20م)؛ وهذا الأمر يجعلنا نرجح بأن هذه الحجرة كانت خاصة بسكن الجند، ويدعم هذا الترجيح وجود الفتحات المعقودة المذكورة، التي تسمح بدخول وخروج الجند من وإلى الحجرة بكل سهولة خاصة عند الطوارئ، وكذا إدخال الضوء اللازم والهواء البارد من فناء القلعة إلى الحجرة.

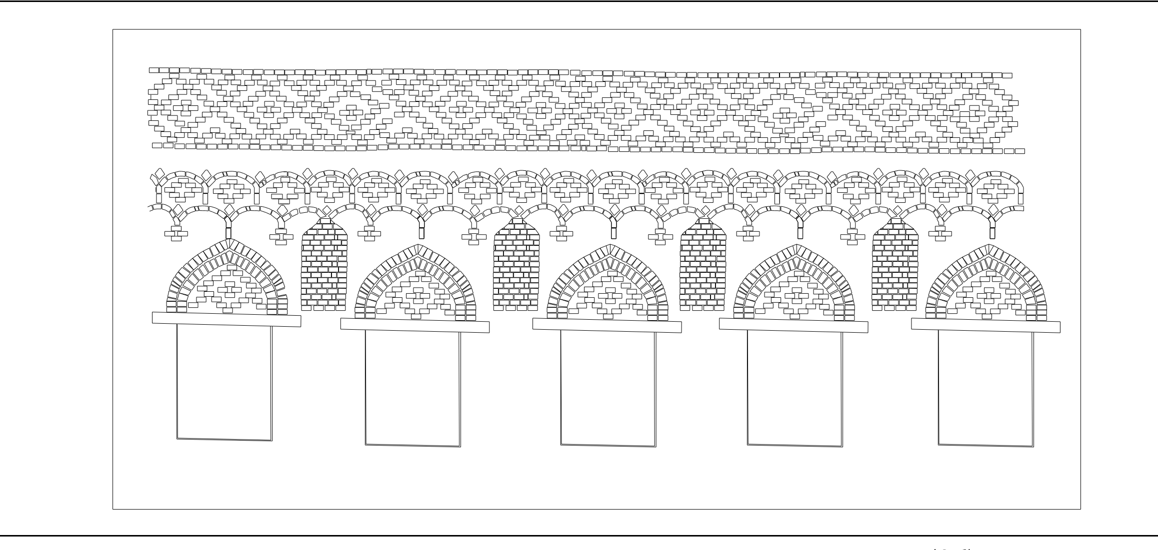
ويضم الطابق العلوي من دار الضيافة حجرتين مستطيلتي الشكل، الأولى (A) تقع في الجهة الشرقية وهي كبيرة المساحة، تبلغ أبعادها نحو (14.65م X 3.80م)، ولذا فمن المحتمل أنها كانت تستخدم لاستقبال الضيوف (م:66)؛ أما الثانية فتقع في الجهة الغربية (B)، وتبلغ أبعادها نحو (3.80م X 2.35م)، وهي بمثابة دركاة تربط بين حجرات الجند واستقبال الضيوف.

وتطل الحجرتان المذكورتان (B – A) بواجهتهما الشمالية على الفناء، حيث تتخللها ثمان نوافذ، تعلوها أشكال معقودة مصمتة، وقد نفذت عليها من الخارج عناصر زخرفيه هندسية تم عملها بقطع الآجر؛ ويكلل هذه الواجهة جدار ساتر نفذ عليه أيضا بقطع الآجر شريط زخرفي هندسي، يتألف من خطين يسيران بشكل متقاطع نحو الأعلى ثم الأسفل، وقد نتجت عنهما أشكال معينات وعلامة الجمع (+)، (ل:103، ش:26).

وهذه التكوينات المعمارية التي نفذت بقطع الآجر المتمثلة بالأشكال المعقودة المصمتة والأشرطة الهندسية المذكورة تعتبر سمة زخرفية أيضاً، حيث وجدت في الكثير من المنشآت الأثرية في اليمن، سواء الدينية أو المدنية أو الحربية، ومازال هناك أمثلة عديدة باقية إلي الوقت الراهن، ومنها في المنازل التراثية وخاصة التي مادة بنائها الآجر.



لوحة (103) الواجهة الشمالية لحجرات الضيافة وحجرات سكن الجند



شكل (26) تفريغ للتكوينات الزخرفية في الواجهة الشمالية لحجرات الضيافة وحجرات سكن الجند



لوحة (104) حجرة الضيافة الواسعة في الطابق العلوي

- **حجرات التخزين وسكن الجند:** (م:65 – 66)

تقع حجرات سكن الجند في الجهة الغربية من دار الضيافة، والطابق الأرضي منها ذو شكل مستطيل يضم ثلاث حجرات تشترك في جدار أوسط به خمس فتحات، ويتم الولوج إلى الحجرة الأولى (C) التي تبلغ أبعادها نحو (16م X 3.15م)، بواسطة ثلاث فتحات تمت توسعتها في مرحلة لاحقة للبناء الأصلي؛ أما الحجرتان الثانية (D) والثالثة (E) فتشتركان أيضا بجدار أوسط، وتعتبر الحجرة (D) أكبر مساحة من الحجرة (E)، والدخول إليهما يتم عبر فتحات معقودة قليلة الارتفاع.

ويلاحظ على الحجرات الثلاث المذكورة عدم وجود فتحات للنوافذ في جدرانها، بل تضم في الجدار الجنوبي المطل على خارج القلعة فتحات صغيرة للرماية بالبنادق (مزاغل)؛ ولذا فمن المنطقي أن هذه الحجرات لا تصلح سكناً للجند، بسبب عدم وجود التهوية والضوء اللازمين؛ وبناءً على ذلك يرجح أنها استخدمت كمخازن للأسلحة أو حضائر للحيوانات.

ويصعد إلى الطابق الأول من هذا القسم – في المرافق الجنوبية للقلعة – بواسطة سلمين يستندان على الجدار الشمالي للطابق الأرضي، حيث يقع السلم الأول في الجهة الغربية، والثاني في الجهة الشرقية، ويبدو أن هذا الطابق كان خاصاً بسكن الحامية العسكرية المرابطة في القلعة، نظراً لتخطيطه المؤلف من حجرتين مغطاتين وحجرتين مكشوفتين، واشتمالها على العديد من النوافذ.

وقد فتحت في الجدار الجنوبي لحجرات الطابق الأول المذكور ثمان نوافذ، ست منها في جدار الحجرة (C)، واثنتان في جدار الحجرة (D)، ويظهر أن جميعها استحدثت، ويدل على ذلك وجود فتحات صغيرة لنوافذ معقودة تتوسط كل نافذتين كبيرتين، وكذا استخدام مادة الاسمنت التي تحيط بالنوافذ (ل:105).

كما تبرز كتلة معمارية تتخذ الشكل المستطيل على وجه التقريب تقع في الركن الغربي من ذروة جدار الواجهة الجنوبية لحجرات الجند، وقد أنشئت بمادة الآجر التي استندت على كوابيل خشبية. وتتخلل

جدار هذه الكتلة فتحات ضيقة تسمح بالرماية، وفتحات ضيقة أخرى في أرضيتها يمكن أن تستخدم للرماية (مزاغل) وسَّقاطة في الوقت نفسه (ل:106).



لوحة (105) الواجهة الخارجية الجنوبية للمرافق الجنوبية



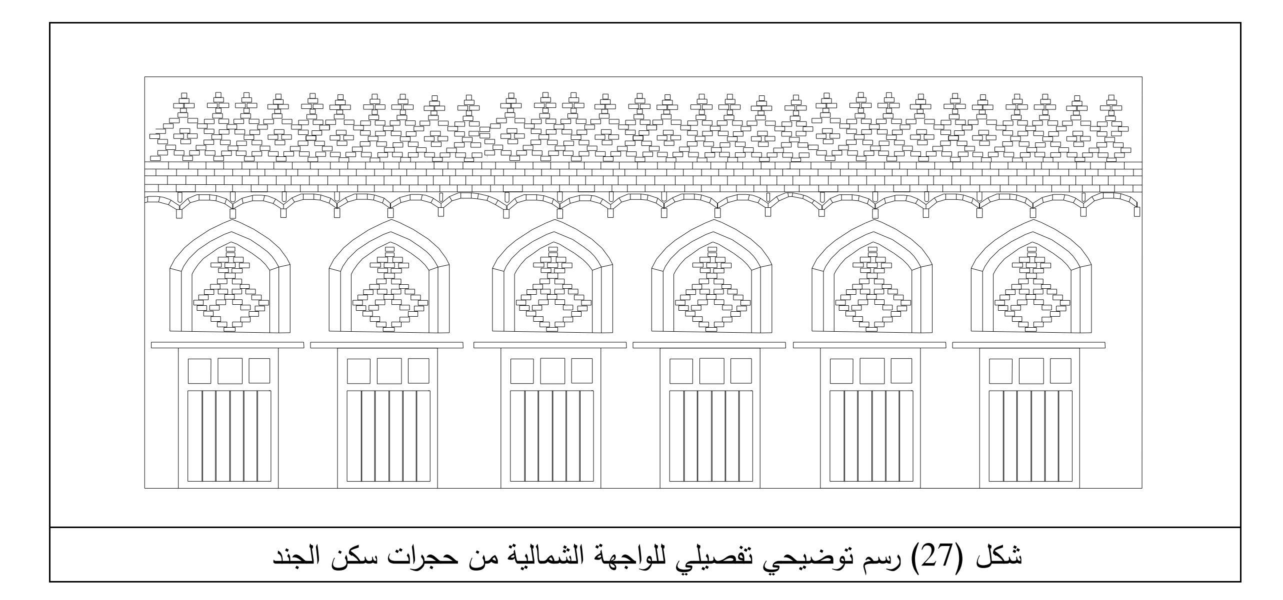
لوحة (106) الكتلة البارزة

وتزين الواجهة الخارجية للجدار الشمالي المطل على فناء القلعة تكوينات معمارية نفذت بقطع الآجر (ل:107، ش:27)، وهي عبارة عن شريط زخرفي يشبه الشريط السابق ذكره عند وصف الواجهة الشمالية للطابق الأول في حجرات الضيافة. وبسبب تشابه الأشرطة الهندسية المذكورة وأسلوب البناء في جميع حجرات الطابق العلوي للمرافق الجنوبية، فمن المرجح أنها أنشئت في مرحلة بنائية واحدة، وربما

كانت في عام (1342هـ/ 1923م)، عندما قام عامل مدينة الزَيدية بإضافة مبانٍ علوية في القلعة، وذلك بعد تلقيه الأمر من عبد الله بن أحمد الوزير قائد جيش الإمام يحيى بن محمد حميد الدين[1].



لوحة (107) الواجهة الشمالية لحجرات التخزين وحجرات سكن الجند



شكل (27) رسم توضيحي تفصيلي للواجهة الشمالية من حجرات سكن الجند

والطابق الأول في حجرات سكن الجند يتألف من أربع حجرات مستطيلة الشكل، تبلغ أبعاد الحجرة الأولى (C) من الداخل نحو (10.15م X 3.80م)، (ل:108)، والثانية (D) نحو (4.60م X 3.80م)،

1 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 234 – 235.

وهما مغطاتان بسقف خشبي مسطح، فتحت أبوابهما ونوافذهما إلى الحجرتين المكشوفتين (F - E) اللتين تقعان في الجهة الشمالية منهما.

ومن خلال تخطيط الطابق الأول ومكوناته المعمارية يتضح أن المعمار استطاع التغلب على درجة الحرارة المرتفعة التي تتميز بها منطقة تهامة، وذلك في سبيل توفير المكان المناسب لسكن الجند، كما حقق لهم الراحة اللازمة بواسطة دخول الهواء البارد من الحجرتين المكشوفتين، وكذا النوافذ المفتوحة في جداريهما وجداري الحجرتين المسقوفتين.



لوحة (108) الحجرة الثانية (C) من حجرات سكن الجند

- **حجرات تخزين الحبوب:** (م:43 – 44، 65 – 66)

وهي عبارة عن ثلاث حجرات تتألف من طابق واحد، تفتح أبوابها على دركاة تقع في الجهة الشرقية منها، وقد كانت هذه الحجرات تستخدم لخزن جميع أنواع الحبوب بعد جباية الزكاة السنوية المفروضة على ساكنة مدينة الزَيدية والقرى التابعة لها. وتتخذ الحجرات المذكورة الشكل المستطيل، وهي تتفاوت في أبعادها من واحدة إلى أخرى، فالأولى (F) تبلغ أبعادها نحو (12.90م X 3.75م)، وكانت تطل على فناء القلعة بفتحات أغلقت في وقت لاحق، ويبدو أن السبب هو تلبية للغرض الوظيفي الجديد لهذه الحجرة، والمتمثل في خزن الحبوب. وبسبب اتساع مساحة الحجرة الأولى تم بناء صف يتوسطها يتكون

من أربع دعامات لكي يرتكز عليها وعلى الجدران سقف خشبي مسطح إلا أن جزءً كبيراً منه تهدم. أما الحجرة الثانية (G) فتبلغ أبعادها من الداخل نحو (12.50م x 3.10م)، (ل:109)، والحجرة الثالثة (H) (16.95م x 3.55م). وهاتان الحجرتان كانتا مرتبطتين مع بعضهما بواسطة ثلاث فتحات تتخلل جدارهما الأوسط، ولكن هذه الفتحات أغلقت في وقت لاحق لتصبح كل حجرة منفصلة عن الأخرى.

أما سقفا الحجرتين المذكورتين (G - H) فقد تعرضا للتهدم (ل:110)، ومن المرجح أنه كان يتضمن فتحات مربعة أسوة بالحجرة الأولى (F)، وربما أنه كان يتم سكب الحبوب من خلالها، أو أنها كانت تمثل ملاقف للهواء[1]، كتلك الموجودة على سطح مخزن الحبوب في قلعة مدينة زَبيد (ل:111)، والتي ما تزال بحالة جيدة من الناحية المعمارية[2].



لوحة (109) الحجرة الثانية لخزن الحبوب (G)

1– يُذكر أن الهواء يعد أحد الأسباب التي تؤدي إلى تلف الحبوب عند تخزينها، ولذا يجب مراعاة درجة الحرارة والرطوبة عند حفظها، وربما كانت الملاقف الهوائية تعمل على إدخال كمية محدودة من الهواء إلى الحجرات، وذلك لأن درجة الحرارة والرطوبة مرتفعة في منطقة تهامة خلال أيام السنة، والعكس صحيح في المناطق الجبلية من اليمن، التي يراعى عند تخزين الحبوب فيها العمل على عدم دخول الهواء إلى أماكن حفظها.

2 – انظر: عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 307.



لوحة (110) سطح حجرات مخازن الحبوب والمراحيض المطلة عليها من الجهة الغربية بقلعة الزَيدية



لوحة (111) ملاقف الهواء في سطح مخازن الحبوب بقلعة زَبيد [عن عبد الله الحداد]

المراحيض: (ل:44 – 45، م:65 – 66)

تلتصق أماكن قضاء الحاجة (المراحيض) بجدار حجرات تخزين الحبوب، وهي تعتبر آخر مرافق المنشآت الجنوبية في القلعة، ويعد اختيار موقعا في هذا الجانب من القلعة مناسباً جداً، ذلك لأنه يمنع وصول الرائحة الكريهة إلى بقية مرافق القلعة، ويتوافق مع حركة الرياح التي تتجه نحو الجنوب.

ومن الناحية المعمارية تتكون المراحيض من بناء مستطيل الشكل يتألف من طابقين، أبعاده من الداخل نحو (7.20م x 2.95م). ويتم الدخول إلى الطابق الأرضي من جهة الفناء، بينما يتم الدخول إلى

الطابق الأول عبر مدخلين يطلان على سطح مخازن الحبوب (ل:110). ويظهر على الجدار الجنوبي للمراحيض أنه استبدل بكاملة، حيث استخدم في بنائه الطوب الإسمنتي الحديث بدلاً من المادة الأصلية (الآجر)، إضافة إلى تهدم إحدى نوافذ الجدار الغربي، فنتج عن ذلك وجود فتحة واسعة.



لوحة (112) موقع البرج الجنوبي الغربي



لوحة (113) الجانب الغربي من الواجهة الجنوبية

- **مسجد القلعة وبئرها:**

يقع مسجد قلعة الزَيدية في الجانب الشرقي من الفناء، ومن المحتمل أن وجوده كان منذ مرحلة تأسيس القلعة كغيره من مساجد القلاع الكبرى التي تقع في المنطقة السهلية من تهامة، ومنها مسجد قلعة بيت الفَقيه[1]، ومسجد قلعة الزُهرة.

والمسجد الراهن في قلعة الزَيدية حديث البناء (ل:114)، يتألف من جزأين رئيسيين هما، بيت الصلاة وهو مغطى بسقف مسطح، والفناء المكشوف؛ ولأنه أنشئ بكامله بمواد إسمنتية حديثة، فضَّلنا عدم وصفه معمارياً والاكتفاء بما ذكر عن مكوناته الرئيسية.

وتقع بئر القلعة بجانب المسجد من الجهة الشرقية، وقد سبق الذكر عن أهمية وجود مصدر للماء في الاستحكامات الحربية، وخاصة القلاع والحصون، وذلك لأنها كانت تتعرض للحصار وهجوم القبائل لمرات عدة. وهذه البئر حال إجراء الدراسة مغطاة بالأشجار الكثيفة، والتي حالت دون إجراء الوصف الأثري ومعرفة مكوناتها كغيرها من منشآت القلعة.



لوحة (114) المسجد الحديث في قلعة الزَيدية

1 – عن وجود المسجد في القلاع وخاصة العثمانية منها يراجع ما سبق. ص 152.

الفصل الرابع: قلعة الزَيلعي

- الموقـــع
- تسمية القلعة
- نشأة القلعة ودورها الحربي
- الوضع المعماري الراهن
- مواد البناء وأسلوبه
- نـــظام التغطيـــة
- الدراسة الوصفية والتحليلية

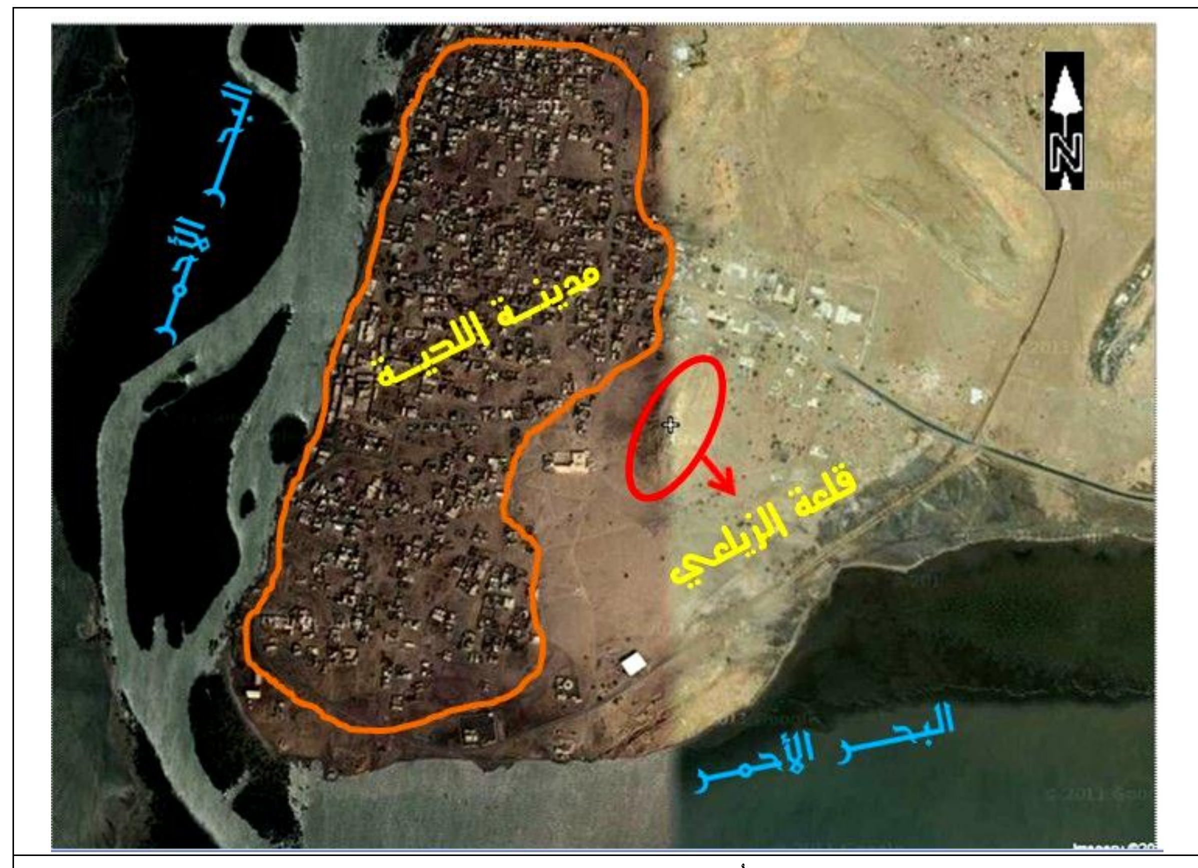
أولاً: المخطط العام للقلعة

ثانياً: الوحدات الدفاعية

ثالثاً: مرافق القلعة (الوحدات الادارية والسكنية)

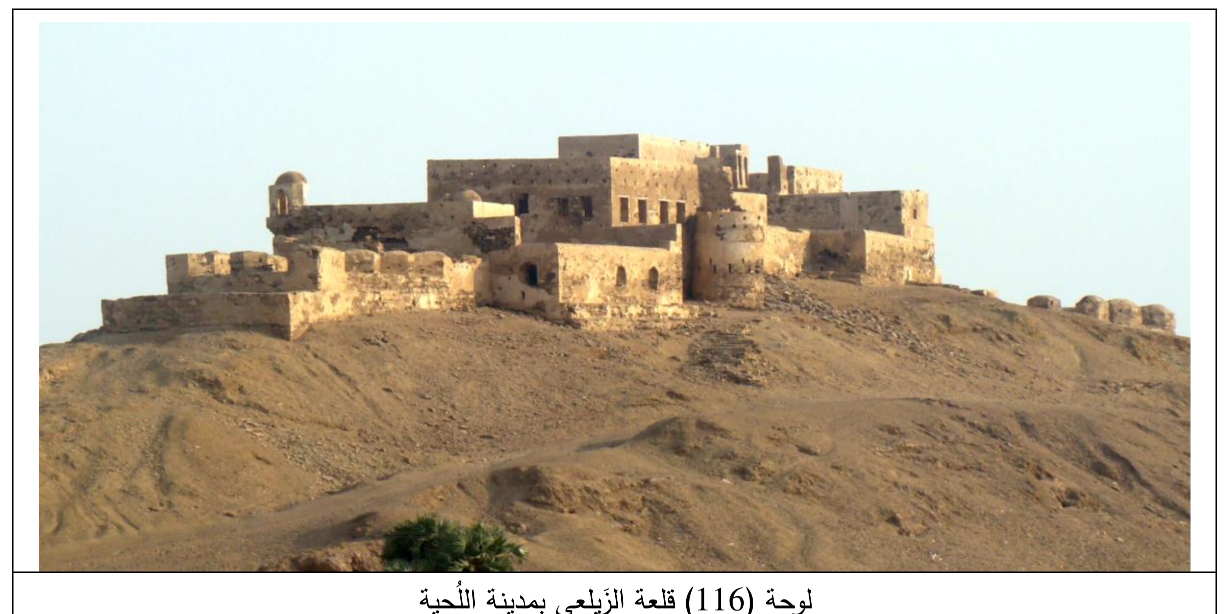
الموقع: (ل:115 – 116، خ:10)

تقع قلعة الزَيلعي فوق تل رملي تخالطه بعض الحجارة يعرف بجبل الزَّيعلي، والذي يقع أيضاً في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة اللُحية[1]. ويعد هذا الموقع من أبرز الأماكن الاستراتيجية في منطقة اللُحية؛ حيث شكل بإطلالته على المدينة وساحلها مركزاً دفاعياً هاماً، يتم من خلاله حماية المدينة وميناءها معاً، كما مَثَّل موقعها أيضاً نقطة مراقبة متقدمة على ساحل منطقة تهامة. وتقع إحداثيات القلعة بين دائرتي عرض (N15.701221) شمالاً، وخطي طول (E42.694101) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمسافة (34 قدم).



لوحة (115) موقع مدينة اللُحية وقلعة الزَيلعي – باستخدام برنامج google earth

1 – عبد الله خادم العُمري: اللُحية الأرض والإنسان، منتدى العُمري للآداب وإحياء التراث، بيت الفَقيه، 2010، نسخة إلكترونية مقدمة للطبع، ص 36.



لوحة (116) قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية

تسمية القلعة:

تعرف القلعة والجبل الذي تربض فوقه عند ساكنة منطقة تهامة باسم الزَيلعي، وهي نسبة إلى الفقيه أحمد بن عمر الزَيلعي مؤسس مدينة اللُحية[1]، والذي ينسب إليه أيضاً المسجد الجامع الواقع أسفل الجبل المذكور من الجهة الغربية. وفي المصادر التاريخية أطلق المؤرخ لطف الله جحاف[2] (ت:1243هـ/ 1827م) على القلعة حصن اللُحية، والتسمية نفسها وردت أيضا عند المؤلف الإنجليزي جون بولدري (John Baldry)، بينما نجد أن المؤرخ التهامي إسماعيل الوشلي (ت: 1356هـ/1937م) أطلق عليها قلعة جبل الزَيلعي في مواضع عدة من مؤلفه نشر الثناء الحسن، أما الضابط العثماني أحمد راشد فقد سماها بقلعة اللُّحية.

1 – تجمع المصادر والمراجع المتاحة على أن عمران مدينة اللُحية يرجع إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حينما استوطنها الفقيه الشيخ أحمد بن عمر الزَيلعي العقيلي، الذي شهدت المدينة في زمانه إقبالاً كبيراً من تلامذته ومريديه، خاصة أنه أنشأ بها زاوية صوفية، وأصبحت من أكثر المدن ازدهاراً في وادي مُور، ومن أفضلها اتساعاً حتى وفاته في عام (704هـ / 1304 – 1305م). انظر المصادر التالية: أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية، ط 1، صنعاء، 1986، ص74. الحسين بن عبد الرحمن الأهدل: تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ج 2، تحقيق عبد الله الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004، ص 77– 79. وأيضا: أحمد بن عمر الزَيلعي: *"بنو الزَيلعي العقيليون (أصحاب اللُحية) وانتشارهم في تهامة اليمن وجنوب غرب المملكة العربية السعودية*، نسخة إلكترونية مقدمة لمجلة المؤرخ العربي، ع 12، مج 1، القاهرة، 2004، ص 5.

2 – هو الفقيه الحافظ لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد بن هادي ...، والذي ينتهي نسبه إلى جحاف بن مرهبة ابن بكيل، وهو صنعاني المولد والمنشأ، وولد في منتصف شعبان سنة (1189هـ/ 1775م). لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين، ص 16.

ومما سبق يتضح بأن هناك ثلاث تسميات للقلعة، ويبدو أن إسم (قلعة الزَيلعي) هو الأنسب، وذلك لأنها أطلقت من قِبل أهل مدينة اللُحية والمؤرخ التهامي إسماعيل الوشلي. وقد فضلنا استخدام هذه التسمية لأنها ما تزال تستخدم إلى الوقت الحاضر، ومن أجل تمييزها عن القلاع الأخرى الصغرى التي توجد في بعض الهضاب المجاورة لمدينة اللُحية.

نشأة القلعة ودورها الحربي:

يعود أقدم ذكر للتحصينات الدفاعية في مدينة اللُحية إلى عام (1763م) حين قدمت البعثة الدنماركية إلى اليمن، حيث ذكر أحد أعضائها (نيبور – Carsten Niebuhr) بأنه شاهد حول المدينة اثني عشر برجا[1]. وبناء على ذلك فإن قلعة الزَيلعي لم تكن موجودة في ذلك الحين، وذلك لأن موقعها غير موجود في الخريطة التي رسمها نيبور لمدينة اللُحية، كما إنها ليست ضمن اللوحة الفنية التي رسمها بورنفانيد (Bauernfeind)[2] للجانب الغربي للمدينة المطل على الساحل[3]. ونظراً للأهمية الاستراتيجية التي يتمتع بها موقع قلعة الزَيلعي، فمن المحتمل أن أحد تلك الأبراج التي تحدث عنها (نيبور) كان يقع فوق جبل الزَيلعي.

لم تظهر قلعة الزَيلعي على مسرح الأحداث التاريخية الحربية إلا في عام (1225هـ/ 1810م)، حين تعرضت مدينة اللُحية لهجوم عنيف شنته قوات سعود بن عبد العزيز بهدف إخضاع الشريف حمود الخيراتي؛ فاستولت على المدينة ونهبتها ثم قامت بقتل العمال الذين كانوا يعملون في عمارة قلعة

1 – يذكر نيبور عام (1963م) عن مدينة اللُحية أنه شاهد حولها أثني عشر برجاً تشبه المراصد في ألمانيا إلى حد كبير، حيث يقف الحراس في أعلاها ولها أبواب عالية لا يمكن الوصول إليها إلا باستخدام السلم المتحرك، ومعظم هذه الأبراج لا تصلح إلا للدفاع ضد البنادق فقط، وهي غير مزودة بمدافع، باستثناء برجين منها، وأمام أثنين من أبراجها حفر خندق صغير لا أهمية له، وهذا النظام الدفاعي حول مدينة اللُحية نظام (في رأي نيبور) ضعيف إلى درجة أن مقاتلي قبائل حاشد وبكيل قد تمكنوا قبل سنوات من اقتحامه بسهولة. انظر: الصايدي: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص 126.

2 – هو أحد أعضاء البعثة الدانمركية التي وصلت إلى اليمن عام (1763م).

3 – توركيل هانس: من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص 263 و283.

الزَيلعي[1]. ومن خلال هذه الإشارة التاريخية يتبين أن قلعة الزَيلعي أجريت لها عملية بناء في عهد الشريف حمود الخيراتي، لكنها لم توضح لنا بشكل صريح ما نوع تلك الأعمال (العمارة) التي كان يقوم بها العمال، هل هي تأسيس؟ أم تجديد؟ أم إضافة؟ ولكن يرجح أن العمارة المذكورة كانت بداية لتأسيس القلعة، وذلك لأن المصادر والمراجع التاريخية المتوافرة لم تذكر أي أعمال معمارية تمت في القلعة قبل عام (1225هـ / 1810م).

وبناء على ما سبق يتبين أنه كان يوجد تحصين دفاعي ليس ذا أهمية كبيرة يقع فوق الجبل الذي توجد فيه القلعة الراهنة؛ وتصميمه المعماري كان على هيئة برج أو مبنى دفاعي صغير المساحة استمر خلال ثمانية وأربعين عاماً، حتى تم البدء بإنشاء قلعة في عهد الشريف حمود الخيراتي، ولكنها ليست القلعة التي تتخذ التخطيط الراهن[2].

وبالعودة إلى المرحلة التي أعقبت خروج جيش ابن سعود من مدينة اللُحية، أمر الشريف حمود بن محمد آل خيرات بعمارة ما خرب من معاقل منطقة اللُحية[3]، ومن المرجح أن قلعة الزَيلعي كانت إحداها، نظراً لأهمية موقعها الاستراتيجي.

وبعد عام واحد من دخول العثمانيين الثاني إلى تهامة اليمن عام (1265هـ/1849م)، قام الشريف الحسن بن محمد آل خيرات باستدعاء قبائل يام النجرانية، كعادة أسلافه من آل خيرات، وذلك لمحاربة العثمانيين؛ فتوجهوا نحو مدينة اللُحية في شهر رمضان عام (1267هـ / 1850م)، وفي أول مواجهة بين الطرفين خارج المدينة هزم العثمانيين؛ فتعقبهم الشريف الحسن وقبائل يام بالقتل والأسر، ثم تبعوهم حتى دخلوا اللُحية فحاصروهم عدة أيام في قلعتها[4]. ولم يشعر الشريف الحسن وقبائل يام إلاَّ وقد أقبل الآغا

---

1 – نجوى المطهر: صراع القوى حول تهامة، ص 62.

2 – سيتم مناقشة المخطط الراهن للقلعة لاحقاً. انظر: ص 254 – 255.

3 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 331.

4 – الحسن الضمدي: الديباج الخسرواني، ص495 – 496.

(سرجسمة عبد البرج)، الذي كان يقيم في قرية الزَيدية، لفك الحصار عن العثمانيين الموجودين في قلعة الزَيلعي، وكانت معه أربع سرايا نظامية تتألف من أربعمائة جندي عثماني مع مدفع واحد[1]. وبعد التقاء كلا القوتين هزم الشريف الحسن بن محمد وقبائل يام، وعلى إثر ذلك رجعت القبائل إلى نجران، أما الشريف الحسن فقد سار إلى قلعة أخيه علي بن محمد التي في وادي مُور، ثم عاد إلى مدينة أبي عَريش[2].

أشار إلى قلعة الزَيلعي إف إل بلايفير (Playfair) نائب المقيم السياسي البريطاني في عدن، خلال فترة حكم آل خيرات لتهامة تحت السيادة العثمانية، فقال: "القلعة الرئيسية بنيت على هضبة تشرف على المدينة، وقد بنيت في منطقة مدمرة"[3]. ويبين لنا ذلك مدى الخلاف الذي دار بين أمراء آل خيرات والعثمانيين في منطقة اللُحية، مما أنعكس سلباً على القلعة فتعرضت للتهدم.

وعندما شنت إيطاليا حربها على الدولة العثمانية في البحر الأحمر عام (1328هـ/ 1911م) أطلقت إحدى سفنها قذائف المدافع على الجنود الأتراك الذين بمدينة اللُحية فنجا أهل المدينة منها، غير أن القذائف التي استهدفت القلعة خرَّبت بعض مبانيها[4].

وحين تقدم محمد بن علي الإدريسي نحو تهامة اليمن كررت قواته محاولاتها في سبيل السيطرة على مدينة اللُحية بمساعدة الإنجليز. وأثناء ذلك كانت الحامية العسكرية العثمانية متمركزة في القلعة، فقام الإنجليز بضربها عدة مرات، وكان أبرزها عام (1330هـ/ 1913م) عندما قامت سفينة حربية إنجليزية بقصف المدينة بالمدفعية فرد عليها عسكر الحامية العثمانية بالمدفع من فوق القلعة؛ مما أجبر السفينة الحربية على التراجع والفرار[5]. وفي جمادى الأول عام (1336هـ/ 1917م) استطاع جيش الإدريسي الذي

---

1 – أحمد راشد: تاريخ اليمن وصنعاء، ص 215.

2 – يعقوب دوبلة: تهامة (1832– 1872م) دراسة سياسية تاريخية، ص 115.

3 - Playfairs; R. L.: History of Arabia Felix or Yemen, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, XLIX, 1859, p 24.

4 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 109. وأيضا: عبد الواسع الواسعي: فرجة الهموم، ص 343.

5 – إسماعيل الوشلي: نفسه، ص 159. وأيضاً: محمد بن سعيد عبد الودود: المستخلص في تاريخ مدينة اللُحية، ص 183.

بلغ عدده نحو (2000) جندي دخول المدينة عن طريق البحر، فرابط جزء منهم فوق القلعة مصطحبين معهم أسلحة المدفعية[1].

لم يستقر جيش الإدريسي في مدينة اللُحية وقلعتها بسبب استمرار المواجهات مع الحاميات العسكرية العثمانية المرابطة فيها وفي المنطقة المجاورة لها، بالرغم من استمرار دعم الإنجليز له من جهة البحر؛ ففي الثالث عشر من يناير عام (1337هـ/ 1918م) قامت السفينتان الإنجليزيتان فوكس (Fox) وكليو (Clio) بقصف عنيف استهدف القلعة فدمرت أجزاء كبيرة منها[2]. كما قامت سفينة إنجليزية أيضاً بفتح نيران المدافع على جزء من المدينة وقلعتها في شهر أكتوبر من عام (1918م)[3].

وقد كان لقذائف المدافع المتكررة التي تعرضت لها قلعة الزَيلعي من قبل البوارج البحرية الإيطالية ثم الإنجليزية أثرها البالغ في تدمير أجزاء كبيرة منها. وهذا ما عبر عنه الرحالة أمين الريحاني عام (1340هـ/ 1922م)، عند حديثه عن مدينة اللُحية فقال: "وفيها ثكنة مهجورة وقلعة متهدمة"[4].

وبخروج العثمانيين من اليمن بعد الحرب العالمية الأولى تولى الأئمة آل حميد الدين مقاليد الحكم في الجزء الشمالي من اليمن بما في ذلك منطقة تهامة. وخلال فترة حكم الإمامين يحيى بن محمد حميد الدين وابنه أحمد توقفت المصادر التاريخية عن ذكر قلعة الزَيلعي، مما يوحي بانتهاء الدور الحربي لها. ولكن بعد قيام الثورة اليمنية عام (1381هـ/ 1962م) ظلت الأوضاع السياسية في اليمن غير مستقرة، فوفد إليها جيش كبير من الجنود المصريين عام (1384هـ/ 1965م) لغرض حماية اليمن وتثبيت الاستقرار فيه؛ فانتشروا في أماكن عدة وتوزع جزء كبير منهم في مدينة اللُحية واتخذوا من قلعتها مقراً لهم، لما لها من

---

1 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 4، ص 170.

2 – جون بولدري: العمليات الحربية البريطانية، ص 102 – 103.

3 – نفسه، ص 110.

4 – أمين الريحاني: ملوك العرب، ج 1، ص 372.

موقع استراتيجي هام يطل على البحر[1]. ويبدو أنها هجرت بعد خروج الجنود المصريين من اليمن، وذلك لأن الأوضاع السياسية في منطقة تهامة صارت مستقرة.

تلك هي جميع الأحداث التاريخية الحربية التي مرت بها قلعة جبل الزَيلعي حسب ما ذكرته لنا المصادر والمراجع التاريخية التي تحصلنا عليها.

الوضع المعماري الراهن:

تعاني قلعة الزَيلعي كغيرها من القلاع الأثرية في منطقة تهامة من التهدم سواء في جدرانها أو أسقف كثير من مرافقها، ويرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل أهمها: العامل البشري؛ فقد وجدت بعض المرافق التي تعرضت للحريق، والبعض الآخر لعملية تخريب متعمدة. كما إن عدم الاهتمام بترميمها وإصلاح ما تلف من مكوناتها جعل من العوامل الطبيعية، كالرياح والرطوبة والطيور وغيرها، مع مرور الوقت تؤثر سلباً على حالتها المعمارية بشكل كبير.

مواد البناء وأسلوبه:

لعب الموقع والمناخ دوراً كبيراً في تشكيل معمار قلعة الزَيلعي، حيث وجدت بالقرب منها عدة مكاشف صخرية، وهي عبارة عن هضاب مرتفعة تتكون غالباً من طبقات رسوبية متداخلة، تتألف من الحجر الغريني والحجر الرملي وحجر الطفلة مع وجود طبقات من الجبس ذات سمك مميز في بعض المكاشف[2]. وقد ساعد ذلك في اختيار مواد البناء المناسبة في إنشاء القلعة، فنجد أن مادة الأحجار الرملية التي تعد من المواد السهلة التشذيب، تم استخدامها بكثرة، ثم الأحجار السوداء المستديرة المصقولة من جميع جوانبها، والتي يتم الحصول عليها جاهزة من مجرى الوادي بعد أن تجف مياهه[3].

---

1 – محمد عبد الودود: المستخلص في تاريخ مدينة اللُحية، ص 189.

2 – جابر السنباني:" *دراسة جيولوجية للمكون الثاني لإنشاء محمية بحرية في منطقة اللُحية ميدي (ساحل البحر الأحمر – الجمهورية اليمنية)*"، ص 15.

3 – لقد ساعد في ظهور هذه الحجارة بهذا الشكل تعرضها الشديد للاحتكاك بالماء والرمل وغيره من المواد التي تجرفها السيول أثناء جريانها في الوديان.

ومادة الحجر الرملي المذكورة أنشئت بها معظم القلاع التي تقع بالقرب من الساحل، وبحسب توافرها في البيئة المحيطة. ففي تهامة أستخدم الحجر الرملي، أيضا، في بناء قلعتي جبل الملح وبعض قلاع مدينة مِيدي، بينما أستخدم في أغلب تحصينات مدينة عدن استخدم حجر البازلت البركاني ذو اللون الأسود[1]. أما خارج اليمن فمن القلاع التي بنيت بالحجر الرملي وتقع بالقرب من السواحل، قلعة الأزنم والوجه ونخل وغيرها من القلاع التي بنيت على طريق الحج المصري، وينطبق ذلك أيضاً على (يدي قلعة) و(تشنك قلعة) في تركيا[2].

وقد ساعد منشئي القلعة وجود طبقات رسوبية – تتكون من الغرين والطين والجبس – في منطقة اللُحية[3]، حيث قاموا باستخدامها كمادة رابطة بين مداميك (صفوف) البناء وكساء الجدران. كما استخدمت مادة الخشب لعملية الربط بين مداميك البناء، وذلك لمنع التشققات الناتجة عن ضغط الصفوف، وكذا لعمل أعتاب النوافذ والأبواب، بالإضافة إلى مادة الرمل التي ردمت بها جميع أرضيات مرافق القلعة.

أما أسلوب البناء المتبع في القلعة فيسمى بالظهارة والبطانة[4]، حيث استخدمت الحجارة المشذبة الغير مستوية الحواف لبناء الجدران، والتي تختلف في أحجامها ما بين كبيرة ومتوسطة. واعتمد البنَّاؤون بشكل رئيسي على وضع الحجارة الكبيرة في جهتي الحائط على هيئة مداميك أفقية، وملئ الفراغ المحصور بينها بالحجارة المتوسطة الحجم والصغيرة وعجينة الرمل أو الطين الجبسي. كما تمت تسوية الفراغ الواقع بين صفوف الجدار – الناتج عن عدم استواء حواف الحجارة الكبيرة – بقطع الأحجار الصغيرة (ش:28– 29).

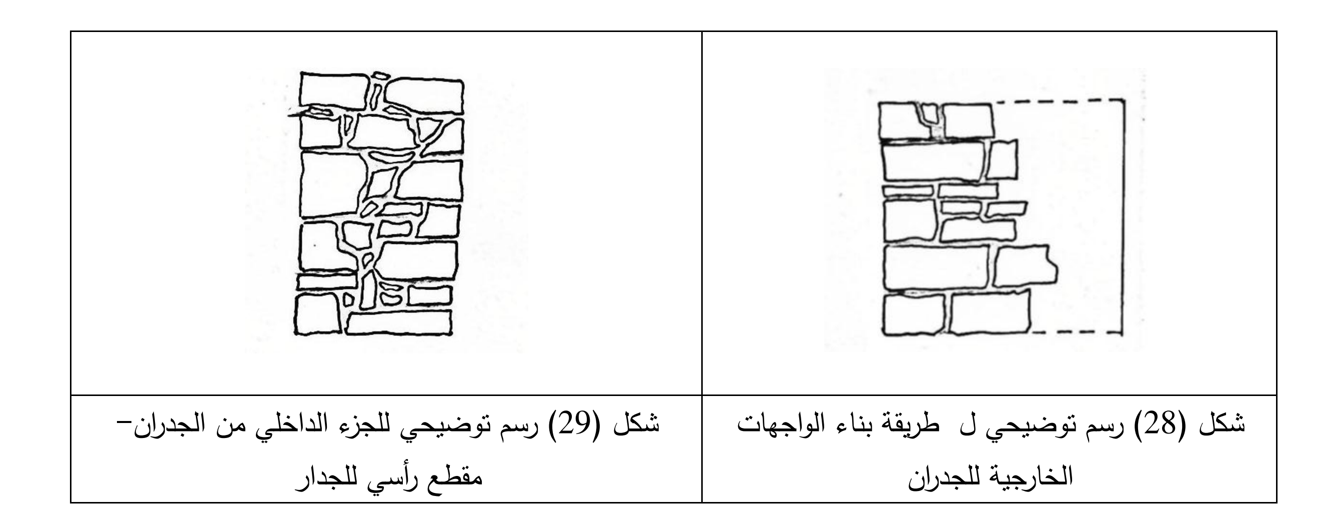
---

1 – هيفاء مكاوي: التحصينات العسكرية لمدينة عدن في العصر الإسلامي، ص 139.

2 – هشام عجيمي: قلعة المويلح، ص 67.

3 – جابر السنباني: *"دراسة جيولوجية للمكون الثاني لإنشاء محمية بحرية في منطقة اللُحية ميدي"*، ص 14.

4 – انظر ملحق المصطلحات المحلية.



شكل (28) رسم توضيحي ل طريقة بناء الواجهات الخارجية للجدران

شكل (29) رسم توضيحي للجزء الداخلي من الجدران– مقطع رأسي للجدار

نظام التغطية:

إن أغلب حجرات القلعة استخدمت أسلوباً واحداً في تغطيتها، وهو السقف الخشبي المسطح[1]، كما أستخدم في القلعة أيضاً أسلوب التغطية بنظام القبة والأقبية، ولكن بشكل محدود، حيث اعتمد هذا الأسلوب بشكل رئيسي على قوالب الحجارة فقط، وهناك مثالان على ذلك، الأول: قبة نصف كروية تغطي الطابق الأرضي في البرج الغربي المطل على المدخل الرئيسي، والثاني: قبو نصف اسطواني يغطي الحجرة الأرضية التي تقع بجانب البرج الشرقي.

1 – سبق الحديث عن أسلوب التسقيف المسطح ومراحل بنائه أثناء دراسة نظام التغطية في قلعة بيت الفقيه. يراجع ص 109.

الدراسة الوصفية والتحليلية

أولاً: المخطط العام للقلعة: (م:67)

تتميز قلعة الزَيلعي بتخطيط فريد من نوعه، لا يناظره تخطيط آخر في القلاع اليمنية؛ ذلك لأنه جاء مشابها للسلاح الناري (البندقية)، ويشاهد ذلك عند رؤية المسقط الأفقي للقلعة؛ ويبدو أن هذا المخطط لم يأتِ عبطا، وإنما جاء على يد مهندس ذي خبرة عالية في مجال البناء. والمخطط المذكور يبين لنا مدى العلاقة القوية بينه وبين الوظيفة الحربية للقلعة، أي أن تصميم القلعة الذي يشبه السلاح الناري يتوافق ووظيفة القلعة المتمثلة في الدفاع عن مدينة اللُحية وميناءها.

ولتأصيل المخطط الراهن للقلعة يجب طرح السؤال الآتي: هل هذا التصميم هو نفسه منذ نشأة القلعة عام (1210هـ/ 1810م)، أم أنه يرجع إلى فترة لاحقة للبناء الأصلي؟ وللإجابة على هذا السؤال علينا معرفة الدولة التي حكمت منطقة تهامة بعد أسرة آل خيرات، حيث يبرز لنا حكم الدولة العثمانية الثاني في تهامة، والذي كانت بدايته الفعلية عام (1265هـ/ 1849م)، وقد تميزت عن غيرها بالمستوى العالي في الإدارة والحكم، وأولت اهتماما كبيراً لعمليات بناء وتشييد المنشآت العسكرية (قلاع، حصون، ثكنات) وفق خطط مدروسة، كما لاقت هذه العمليات اهتماماً كبيراً من قبل ولاتهم، وخاصة في السنوات الأخيرة من حكمهم الذي انتهى عام (1337هـ/ 1918م)[1].

والمخطط الهندسي المذكور لقلعة الزَيلعي يمكن إدراجه ضمن مخططات القلاع العثمانية، التي تميزت في تركيا نفسها بالتنوع ولم تقف عند مخطط واحد، حيث تعددت هيئات قلاعها ما بين المربع والمستطيل والمثلث ونصف النجمة، وكلها دعمت بالأبراج الضخمة ذات الفتحات المهيأة لإطلاق النيران مع فتحات السهام وغيرها[2].

---

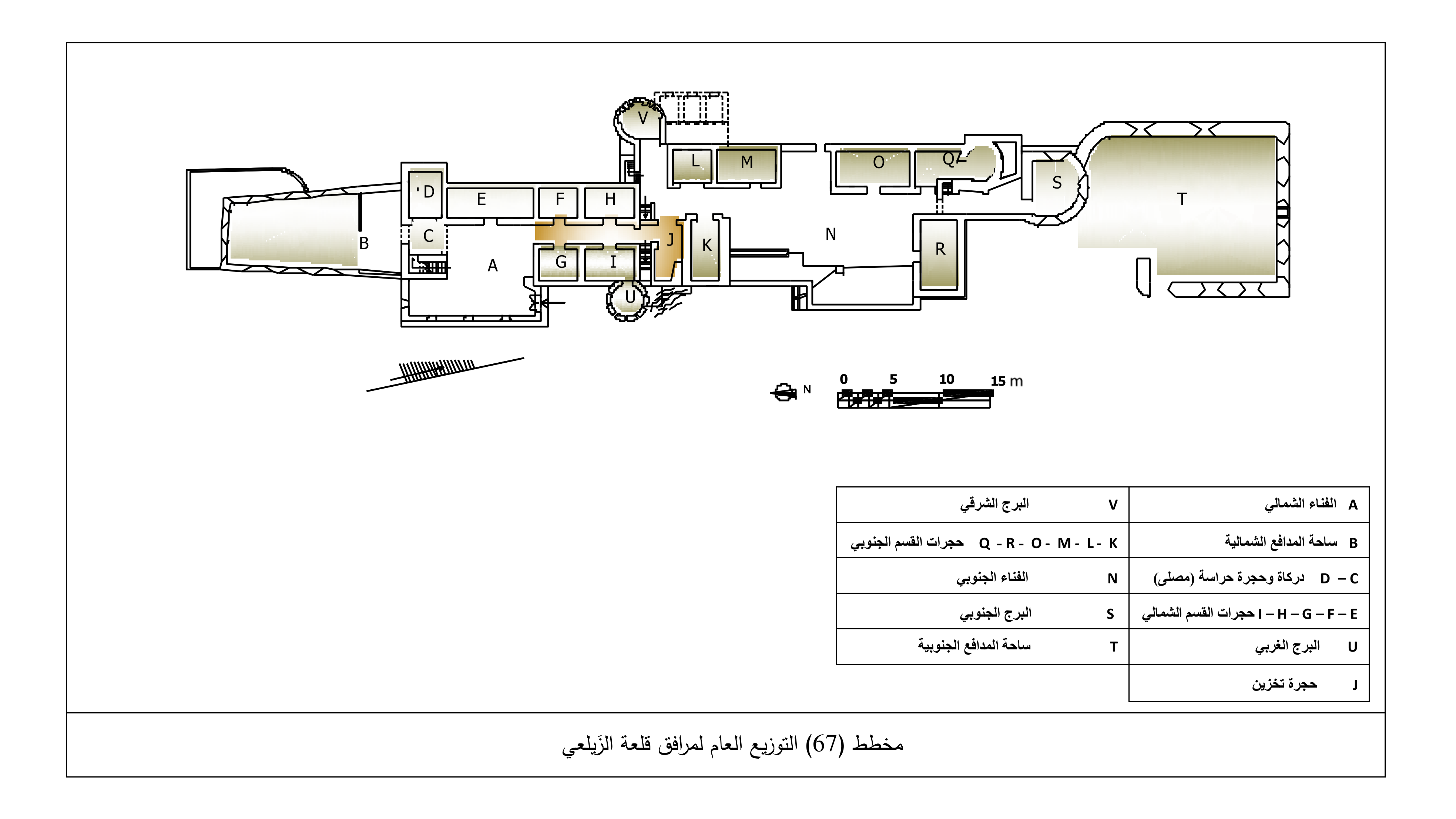
1 – عن دور الولاة العثمانيين في عمليات إنشاء وترميم المنشآت العسكرية في اليمن يراجع ص 81– 83.

2 – محمد محمود الجهيني: *"العمارة الحربية في العصور الاسلامية"*، مجلة المنهل، دار المنهل للصحافة والنشر، 571، مج 61، يناير / فبراير، جدة 2001، ص 75.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول أن التصميم الراهن للقلعة يرجع إلى فترة حكم العثمانيون الثاني لتهامة اليمن (1265- 1337هـ/ 1849- 1918م)، على اعتبار أن القلعة لم تكن موجودة في فترة حكمهم الأول، ومن المحتمل أن هذا التصميم تم على يد مهندس معماري عثماني.

وقد ساعد الموقع الطبيعي لجبل الزَيلعي، الممتد بشكل طولي، في بناء القلعة على هيئة (السلاح الناري)، وكانت عملية تسوية الموقع ليكون منبسطاً أهمية كبيرة في تنفيذ المخطط المطلوب؛ وذلك بواسطة بناء جدران إضافية وردم المنطقة الداخلية فيما بين الجدران بالتراب.

والتصميم العام للقلعة عبارة عن شكل طولي يمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة (108.60م)، وأقصى عرض له يقع في المنطقة الوسطى، حيث يبلغ (21.85م) من الشرق إلى الغرب. وتتألف القلعة من عدة وحدات معمارية، أهمها: المدخل الرئيسي والبرج المطل عليه، وساحتا المدافع الشمالية والجنوبية، وحجرات الجند الشمالية والجنوبية والوسطى، والفناءان المكشوفان الشمالي والغربي. وفيما يلي دراسة تفصيلية لجميع المرافق المذكورة.



مخطط (67) التوزيع العام لمرافق قلعة الزَيلعي

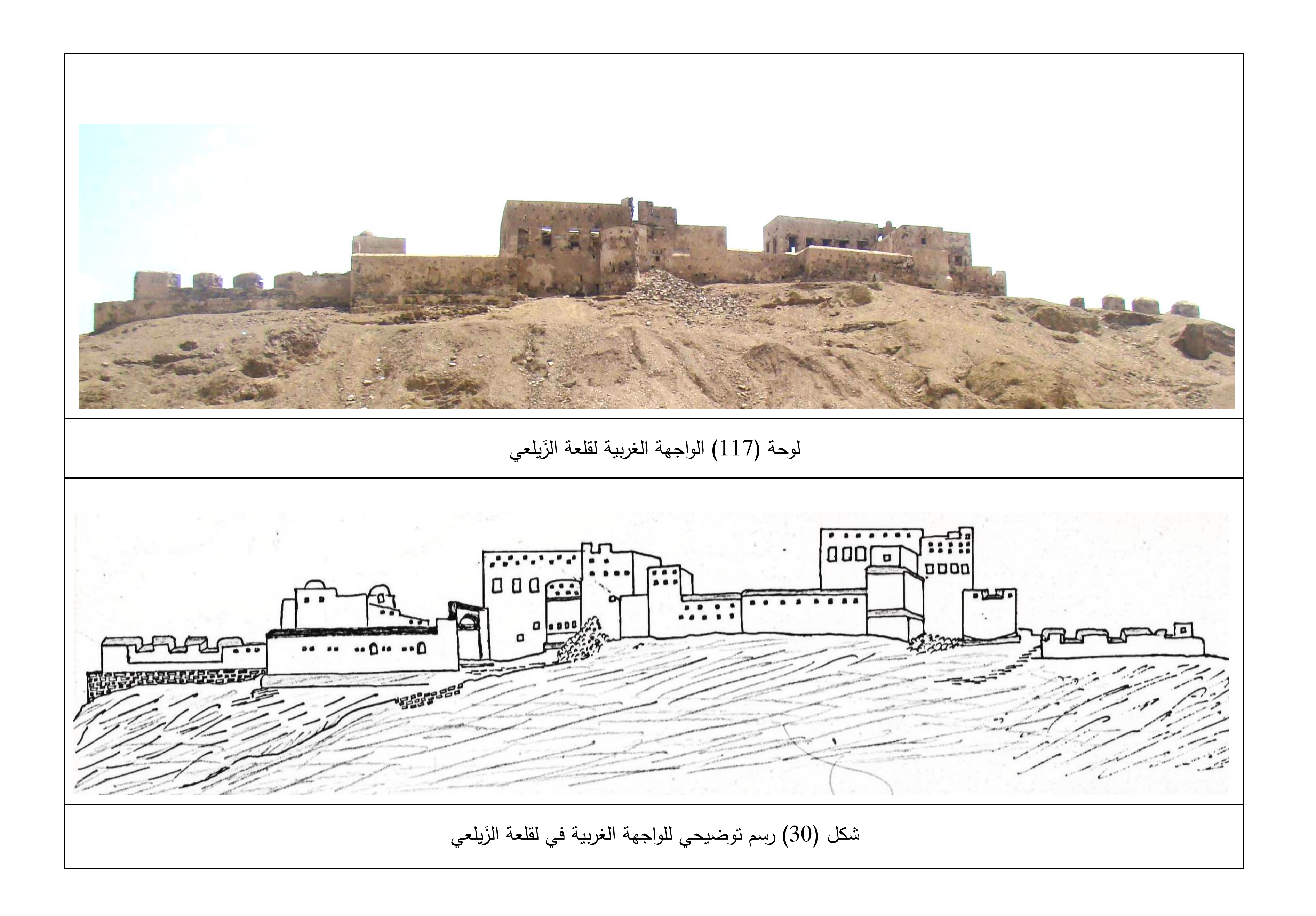
- **القلعة من الخارج (الواجهات):** (ل: 117 – 118، ش: 30 – 31)

بسبب المخطط العام الذي تتألف منه قلعة الزَيلعي الذي جاء على هيئة السلاح الناري (البندقية)، اشتملت القلعة على واجهتين صغيرتين شمالية وجنوبية، وواجهتين كبيرتين شرقية وغربية تتميزان بوجود عددا من الوحدات الدفاعية والإدارية والسكنية، وجميع جدران هذه الوحدات تتضمن الكثير من العناصر الدفاعية.

والواجهتان الكبيرتان المذكورتان تتشابهان في مسافة امتدادهما التي بلغت (105م)، كما تتشابهان أيضا في اشتمالهما على الجدران الخارجية للوحدات المعمارية السكنية والدفاعية وغيرها. فعلى سبيل المثال تطل ساحتا المدافع – الشمالية والجنوبية – على الجهتين الشرقية والغربية بجدرانهما التي تتخللها فتحات المدافع والبنادق، كما يوجد في مكان متوسط تقريباً من الواجهة الشرقية أحد الأبراج الدفاعية، ويماثله آخر في الجهة الغربية.

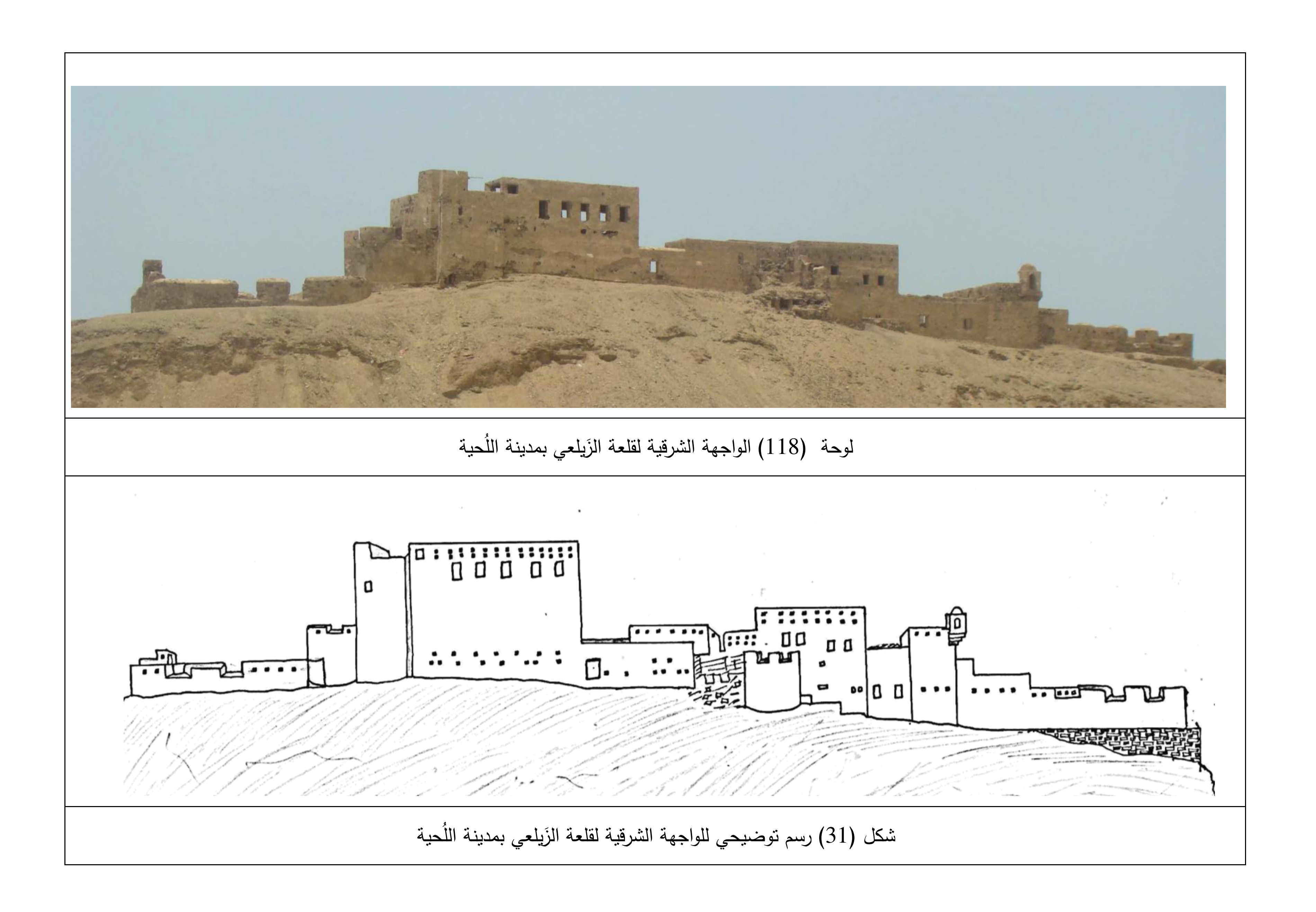
- **القلعة من الداخل:** (م: 69 – 70)

تتألف قلعة الزَيلعي من الداخل بشكل عام من قسمين شمالي وجنوبي، بكل واحد منهما فناء تحيط به حجرات سكن الجند من ثلاث جهات (الشرقية والشمالية والجنوبية)، البعض منها يتكون من طابقين، أما الجهة الغربية فيمثلها جدار تتخلله الكثير من العناصر الدفاعية.



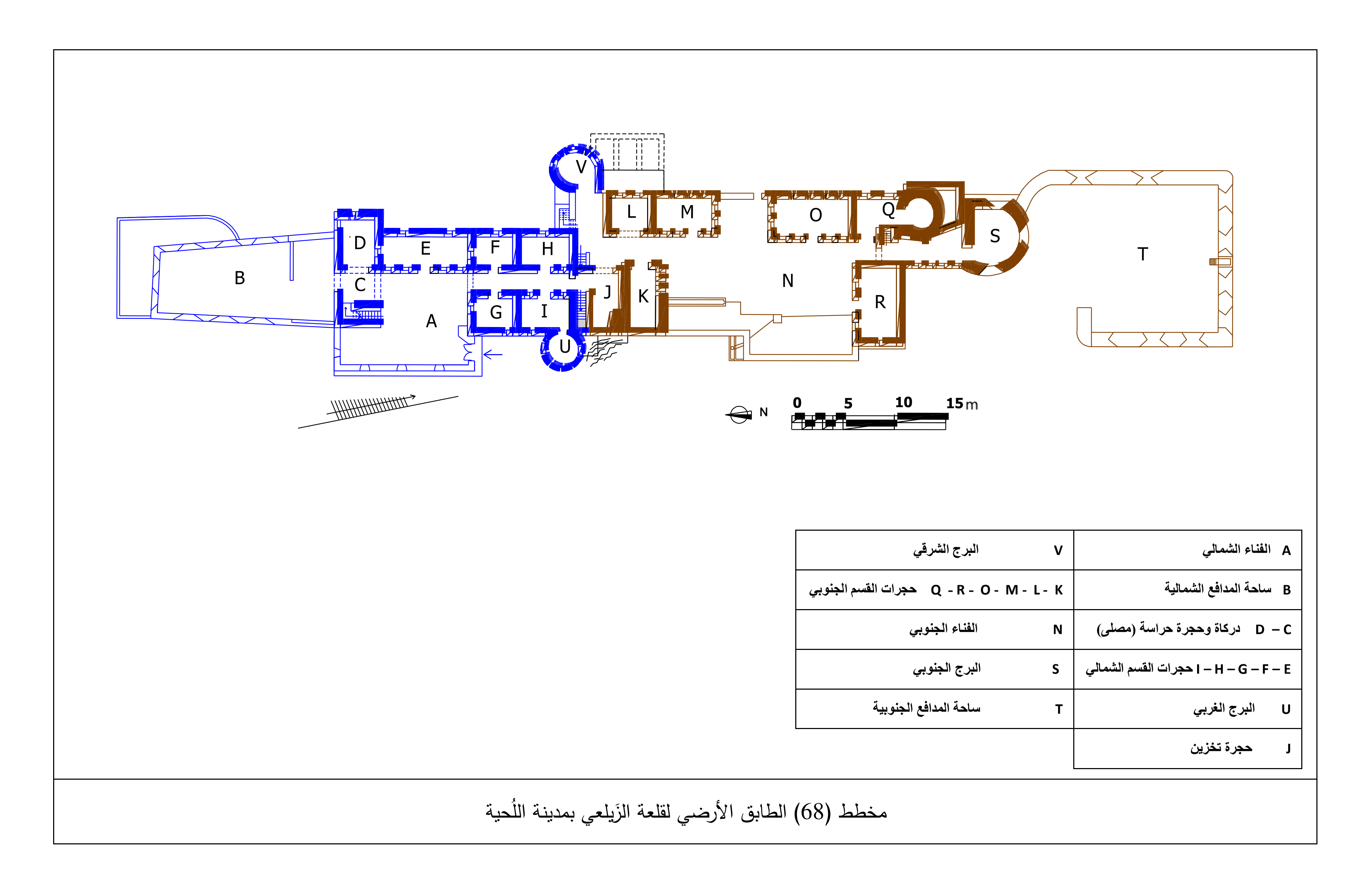
لوحة (117) الواجهة الغربية لقلعة الزَّيلعي

شكل (30) رسم توضيحي للواجهة الغربية في لقلعة الزَّيلعي



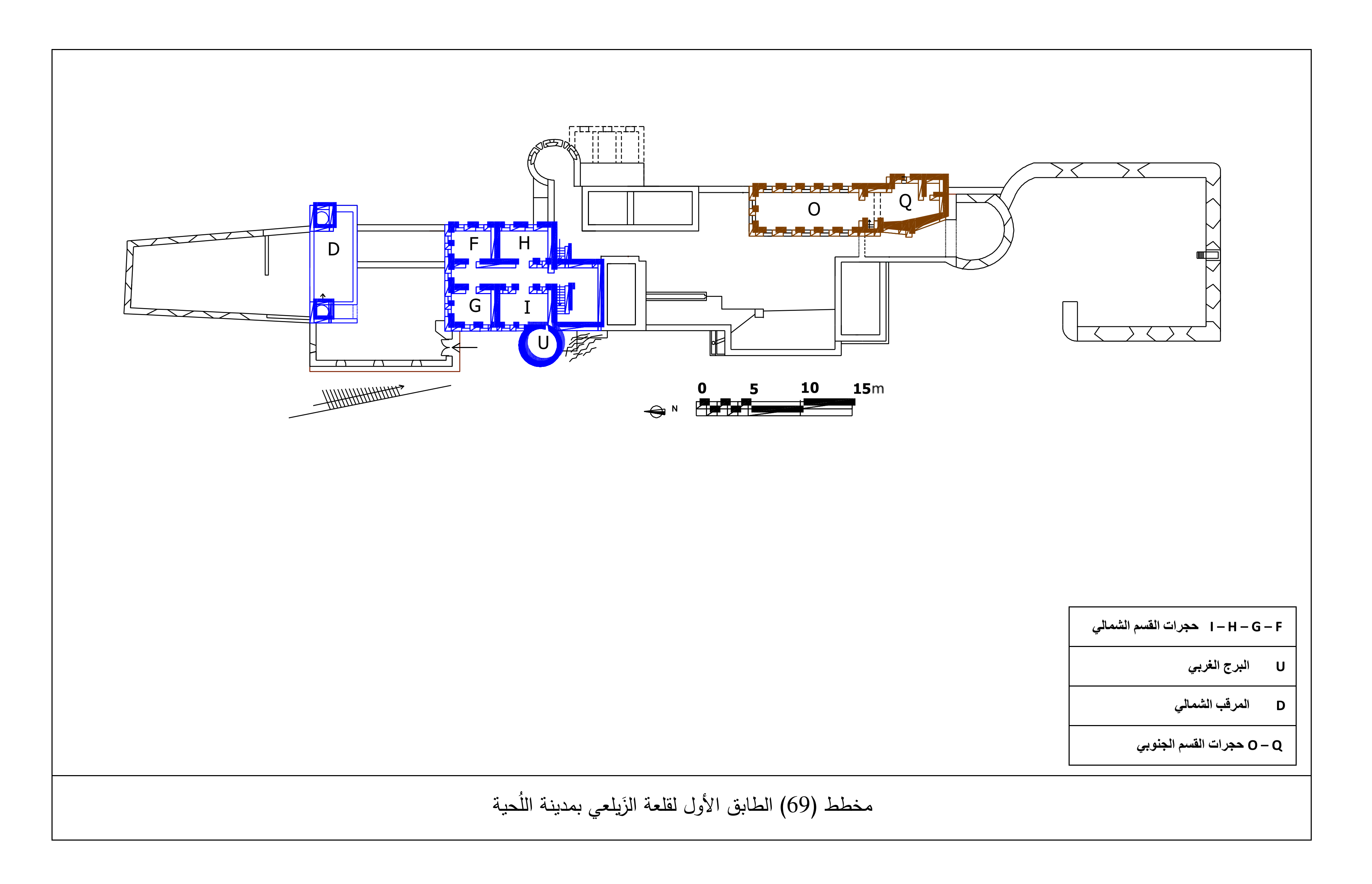
لوحة (118) الواجهة الشرقية لقلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية

شكل (31) رسم توضيحي للواجهة الشرقية لقلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية



A	الفناء الشمالي	V	البرج الشرقي
B	ساحة المدافع الشمالية	K - L - M - O - R - Q	حجرات القسم الجنوبي
D – C	دركاة وحجرة حراسة (مصلى)	N	الفناء الجنوبي
E – F – G – H – I	حجرات القسم الشمالي	S	البرج الجنوبي
U	البرج الغربي	T	ساحة المدافع الجنوبية
J	حجرة تخزين		

مخطط (68) الطابق الأرضي لقلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية



مخطط (69) الطابق الأول لقلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية

• **الوحدات الدفاعية**

– **الأبراج**

تضم قلعة الزَيلعي ثلاثة أبراج وحجرة مراقبة تتسع لجندي، فالبرج الأول يقع في الجهة الشرقية من القلعة بالقرب من المدخل الرئيسي، والبرج الثاني في منتصف الجهة الغربية، والثالث يقع في الجهة الجنوبية ويطل على ساحة المدافع الجنوبية، وفيما يلي وصف مفصل للثلاثة الأبراج المذكورة.

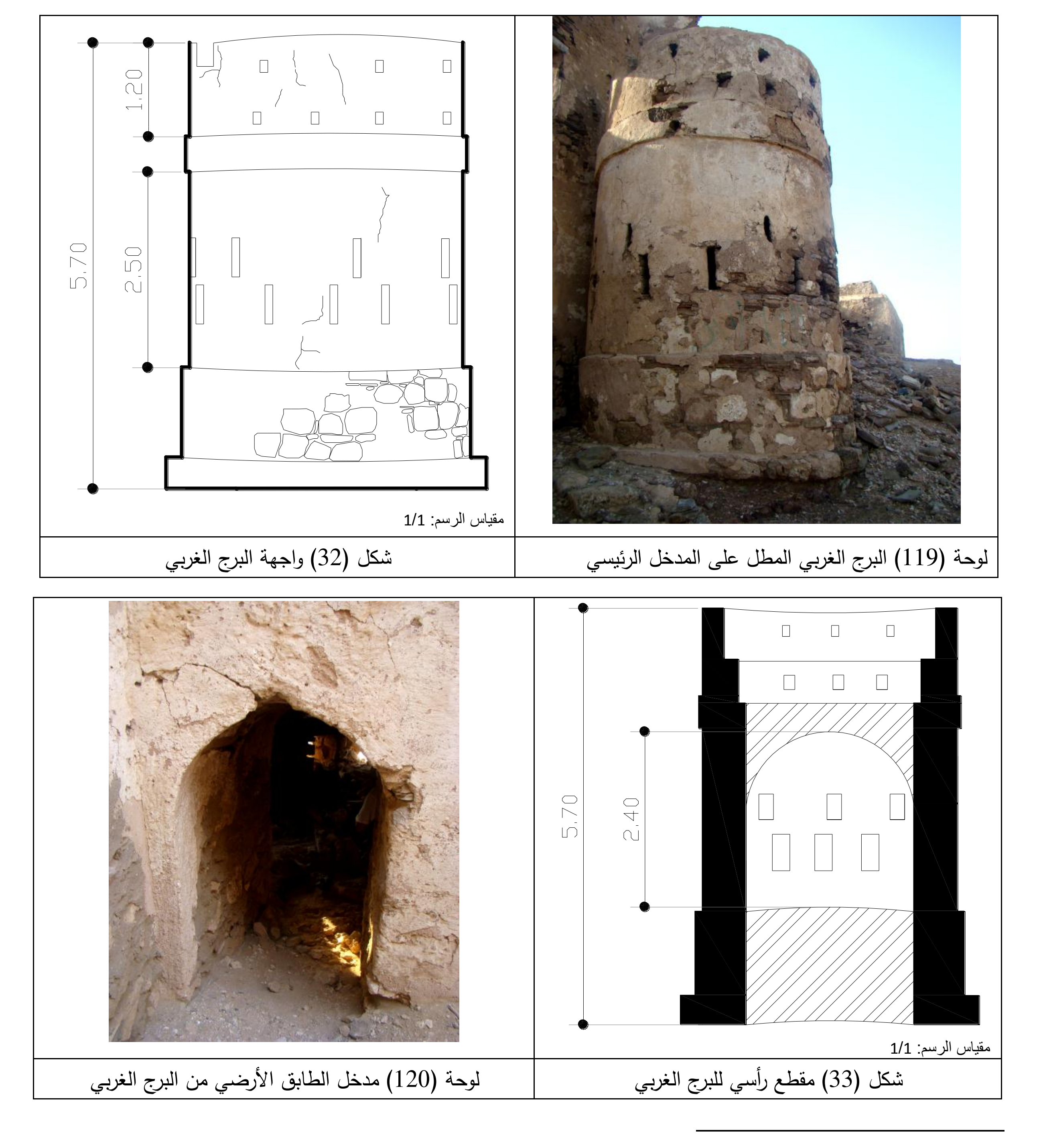
– **البرج الغربي** (U) (ل: 119، ش:32)

يقع هذا البرج في مكان متوسط من الجهة الغربية، ويطل على المدخل الرئيسي للقلعة من جهته الشمالية، وبذلك فهو يؤدي غرضين دفاعيين معاً هما مراقبة الجهة الغربية للقلعة وكذا حماية المدخل المذكور والدفاع عنه.

ويتخذ هذا البرج شكلاً اسطوانياً قائماً، مسقطه الأفقي دائري (ل: 119، ش:32)، ويبلغ ارتفاعه من الخارج نحو (5.70م) ومحيطه (9م)، ويبرز عن سمت جدار الواجهة بمقدار (3.70سم). ويتألف البرج من طابقين (ش: 33): الأرضي، ويتم الولوج إليه من فتحة مدخل تقع في نهاية الجدار الغربي للحجرة (I) من الداخل، حيث يبلغ اتساعها (68 سم) يُتَوِّجها عقد مدبب (ل: 120). وهذا الطابق من الداخل يبلغ قطره (2.30م)، وسمك جداره (60سم)، وهو يضم عدداً من فتحات الرماية (المزاغل)، والتي تتوزع في ثلاثة مستويات: المستوى الأول، وبه ثمانية مزاغل مائلة ذات شكل مستطيل رأسي، يضيق كلما اتجه نحو الخارج، وتبلغ أبعاد كل واحد منها (35سم x 40سم)، أما المستوى الثاني، فيشبه الأول، من حيث عدد الفتحات، لكنه يختلف عنه في أبعاد تلك الفتحات، حيث بلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (30سم)، (ل:121).

وقد غطي الطابق الأرضي من البرج بقبة صغيرة، ويعد استعمال القبة الصغيرة في تسقيف الطوابق الأرضية للأبراج من أحد الطرق التي عرفت في تغطية القلاع المملوكية التي تقع في طريق الحج المصري؛ فقلعة نخل والعقبة (916هـ/1510م)، والأزنم (915هـ/1510م)، كانت الطوابق الأرضية في

أبراجها مغطاة بقباب صغرى[1]. ثم استخدم العثمانيون هذا النوع من التغطيات بكثرة؛ كما يظهر ذلك في (يدي قلعة) (863هـ/ 1458م) في تركيا، بعد ذلك انتقل هذا الأسلوب إلى مصر، ويتمثل ذلك في أبراج قلعة العريش (986هـ / 1650م)، ثم نجد أمثلة له في الحجاز؛ حيث تعتبر أبراج قلعة المويلح (986هـ/ 1650م) والوجه (968هـ/ 1560م) من أبرز أمثلتها[2].



لوحة (119) البرج الغربي المطل على المدخل الرئيسي

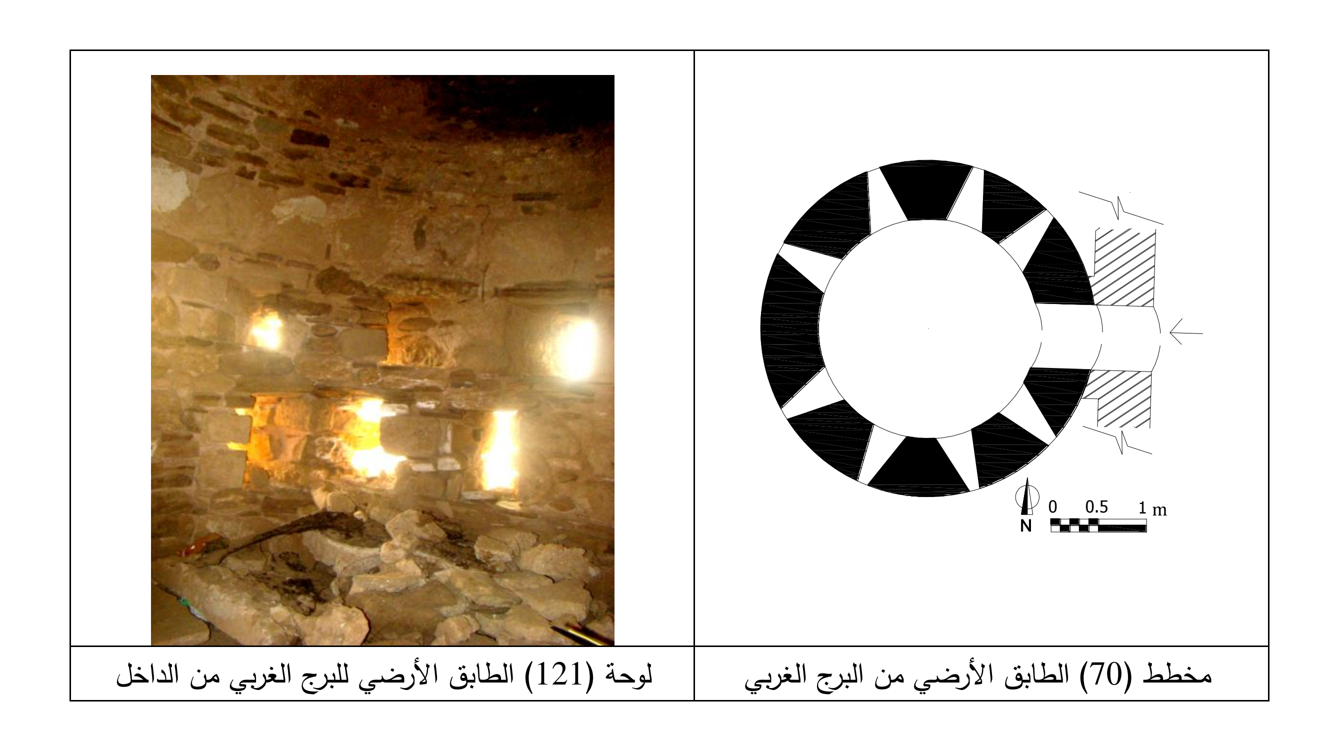
شكل (32) واجهة البرج الغربي

شكل (33) مقطع رأسي للبرج الغربي

لوحة (120) مدخل الطابق الأرضي من البرج الغربي

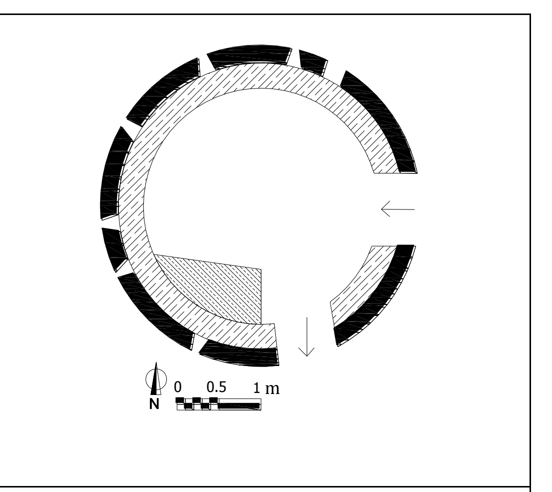
1 – هشام عجيمي: قلاع الأزنم والوجه وضبا ...، ص 171 – 172.

2 – نفسه – ص 72. وأيضاً: هشام عجيمي: قلعة المويلح (دراسة معمارية حضارية)، ص 91 – 92.



مخطط (70) الطابق الأرضي من البرج الغربي	لوحة (121) الطابق الأرضي للبرج الغربي من الداخل

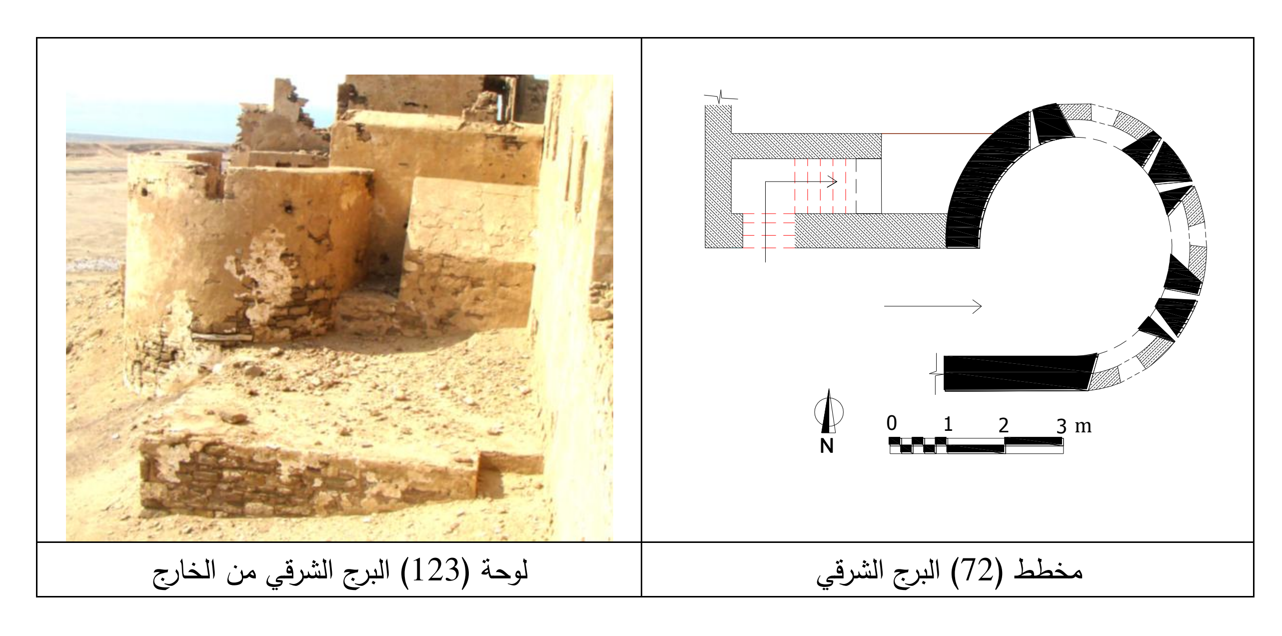
ويصعد إلى الطابق العلوي في البرج الغربي بواسطة درج ينتهي بمدخل مستطيل الشكل، تبلغ اتساع فتحته نحو (85سم)، وارتفاعها (1.80م)، وهي مسقوفة بعتب خشبي، ويؤدي المدخل إلى منطقة دائرية مكشوفة قطرها (2.30م)، ويحيط بها جدار ساتر، ارتفاعه (1.30م)، يتخلله صفان من المزاغل شبيهة بتلك التي في الطابق الأرضي من البرج نفسه. وفي الجهة الجنوبية منه توجد مصطبة لجلوس الجند المكلفون بالحماية والمراقبة في هذا البرج، وبجوار المصطبة المذكورة من الجهة الشرقية تقع فتحة لمدخل اتساعه (80سم) كان يؤدي إلى خارج البرج، لكن الجدران الملاصقة له من خارج البرج تهدمت، (م:71، ل:122).

	
لوحة (122) مصطبة جلوس الجندي المكلف بالحراسة في الطابق العلوي من البرج الغربي	مخطط (71) الطابق العلوي في البرج الغربي

- **البرج الشرقي** (V): (ل:123- 124، م:72)

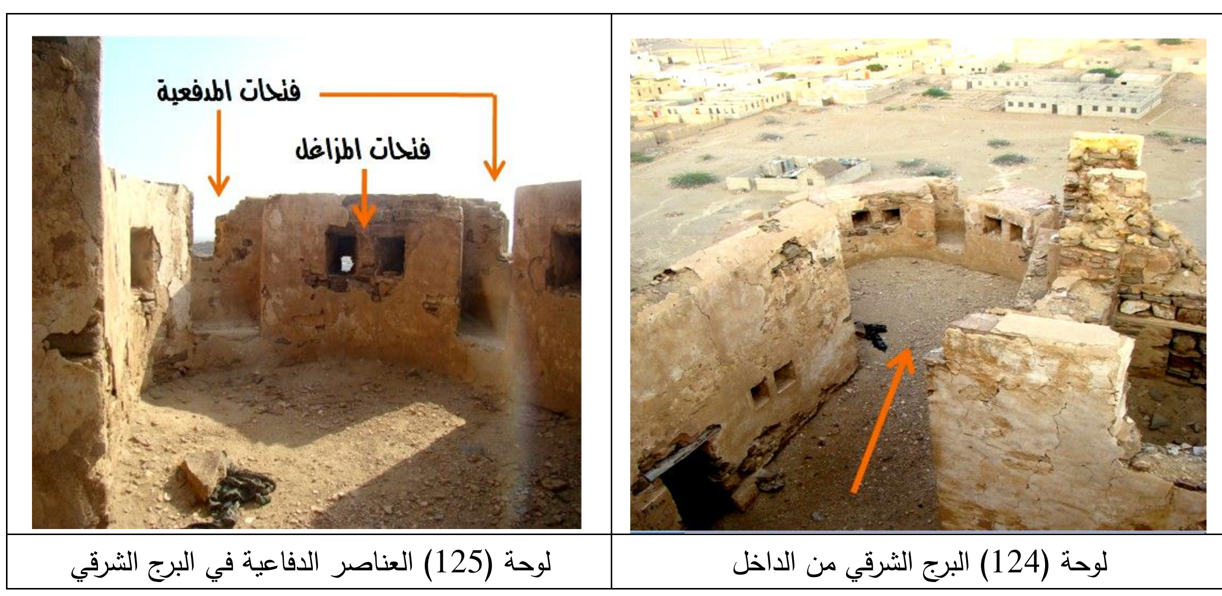
يقع البرج الشرقي للقلعة في مكان متوسط من الواجهة الشرقية على وجه التقريب، ويتخذ شكلاً مستديراً يبلغ محيطه من الخارج نحو (8.35م). والبرج بموقعه وتخطيطه حقق الجانب الدفاعي للواجهة الشرقية في القلعة، فمن خلاله يستطيع الجند المراقبة وإطلاق نيران البنادق أو المدافع على مهاجمي القلعة من هذا الجانب بكل سهولة.

والدخول إلى البرج الشرقي يتم من جهتين: الأولى من خارج القلعة بعد صعود درج ملتصق به، والثاني من داخل القلعة يقع في الجهة الغربية للبرج. ويتألف البرج من الداخل من طابق واحد مكشوف ردمت أرضيته بالتراب، ويتخذ الشكل البيضاوي، يبلغ أقصى اتساع لقطره من الداخل نحو (3.80م)، وسمك جداره (1.16م)، فتحت فيه ثلاث فتحات لإطلاق قذائف المدافع، اتساع كل واحدة منها نحو (60سم) وقد سدت في وقت لاحق للبناء الأصلي. وبالإضافة إلى فتحات المدافع يتخلل الجدران التي تقع بين الفتحات المذكورة ستة مزاغل ضيقة من الخارج (ل:125).



لوحة (123) البرج الشرقي من الخارج

مخطط (72) البرج الشرقي



لوحة (125) العناصر الدفاعية في البرج الشرقي

لوحة (124) البرج الشرقي من الداخل

- **البرج الجنوبي** (S) (ل:126، م:73)

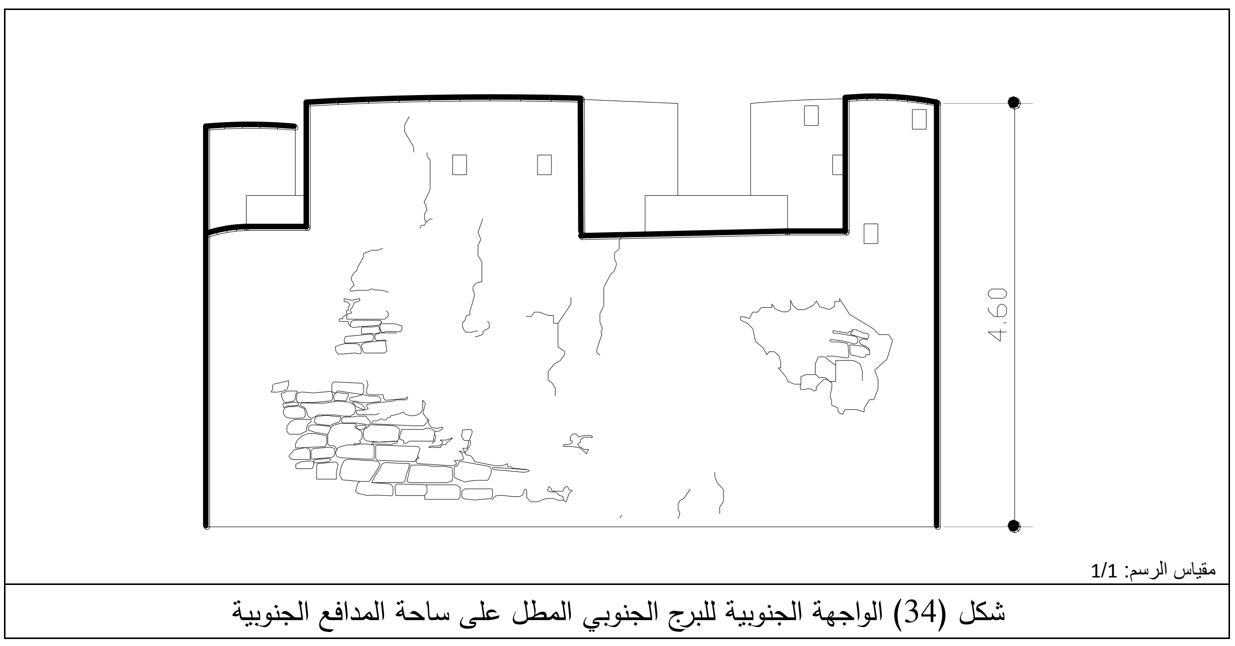
يقع هذا البرج في أقصى الجهة الجنوبية، وهو يطل على ساحة المدافع الجنوبية، ويلتف جداره بشكل مستدير من الجهتين الجنوبية والغربية، أما الجهتين الشرقية والشمالية فجدارهما مستقيمان. وهذا البرج ضخم يبلغ ارتفاعه من الخارج نحو (4.60م)، وتلاحظ عليه بعض التصدعات (ش:34).

ويتم الدخول إلى البرج الجنوبي بعد صعود درج الممر الذي يتوسط الحجرات الجنوبية في القلعة، وبسبب تهدم هذه الدرج والسقف الذي يغطيها والسقوف المجاورة لها تجمعت أكوام الحجارة والأتربة، ولذا لم نستطع رؤية محتوى الطابق الأرضي من البرج. أما الجزء العلوي من البرج فهو مكشوف ويتخذ شكلاً

مستديراً يضم جداراً ساتراً، يبلغ ارتفاعه نحو (1.40م) فتحت فيه ثلاث فتحات للمدافع ضيقة من الداخل وواسعة من الخارج، إضافة إلى فتحات المزاغل المائلة (ل:127).



لوحة (126) البرج الجنوبي المطل على ساحة المدافع الجنوبية



شكل (34) الواجهة الجنوبية للبرج الجنوبي المطل على ساحة المدافع الجنوبية



لوحة (127) البرج الجنوبي من الداخل	مخطط (73) البرج الجنوبي

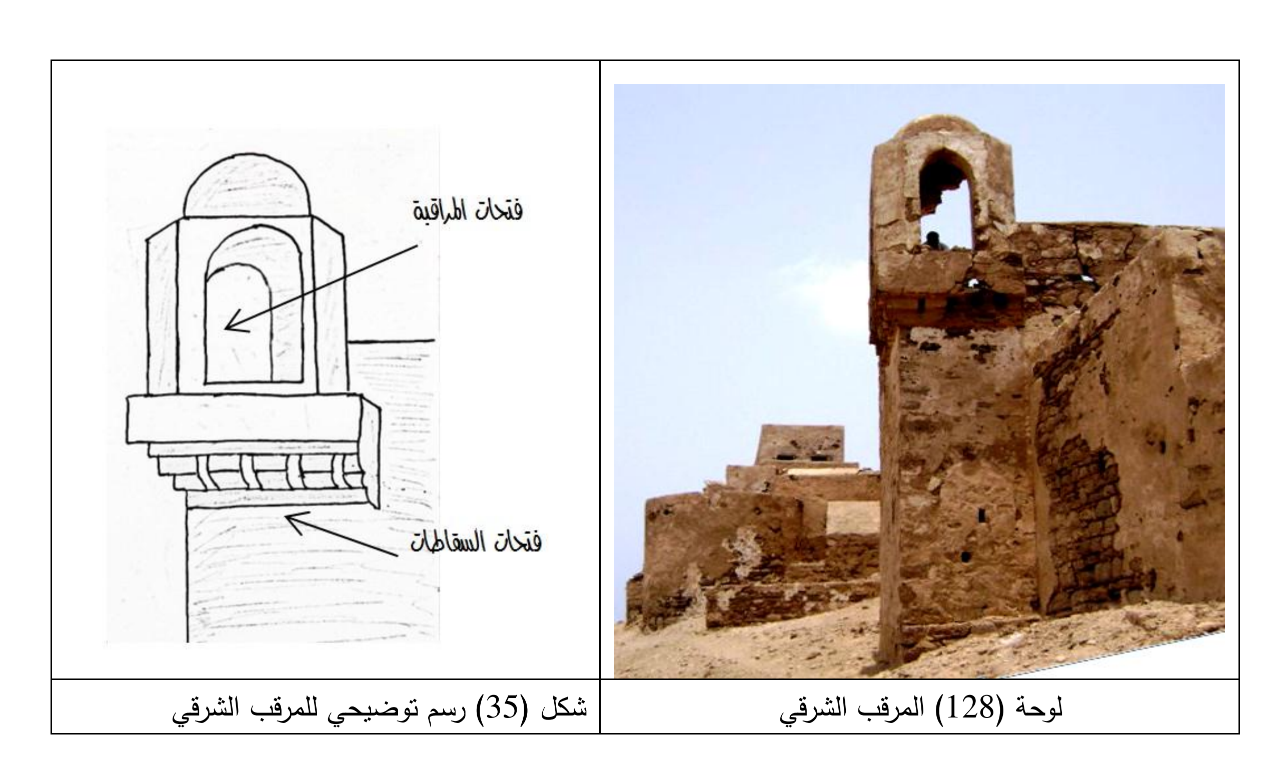
- **المرقب الشرقي:** (ل:128، م:74)

يقع المرقب الشرقي في الطرف الشمالي من الجزء العلوي لجدار الحجرة المجاورة لساحة المدافع الشمالية، ويتخذ من الخارج شكلاً ثُمانياً، أما من الداخل فهو عبارة عن مساحة مربعة تغطيها قبة صغيرة، ويبلغ طول كل ضلع منها نحو (1.35م)، وسمك جداره (45 سم).

وتتخلل جدار هذا المرقب أربع فتحات طولية معقودة سقطت منها اثنتان، وهما اللتان كانتا تطلان على داخل القلعة، بينما كانت الفتحتان الباقيتان تستخدمان لمراقبة مساحة واسعة خارج القلعة من الجهة الشرقية والشمالية، يبلغ اتساع كل واحدة منها نحو (75سم)، وارتفاعها نحو (1.45م)، ومن خلالهما يستطيع الجندي المكلف بالمراقبة رؤية منطقة واسعة في كلتي الجهتين (ل:129). وتبرز هاتان الواجهتان عن سمت الجدار، بمقدار (30سم)، وقد استغل البناؤون أرضية هذا البروز في عمل ثمان فتحات، تستخدم كسقَّاطات ومزاغل مائلة إلى الأسفل معاً، بواقع أربع في كل جانب (ش:35).

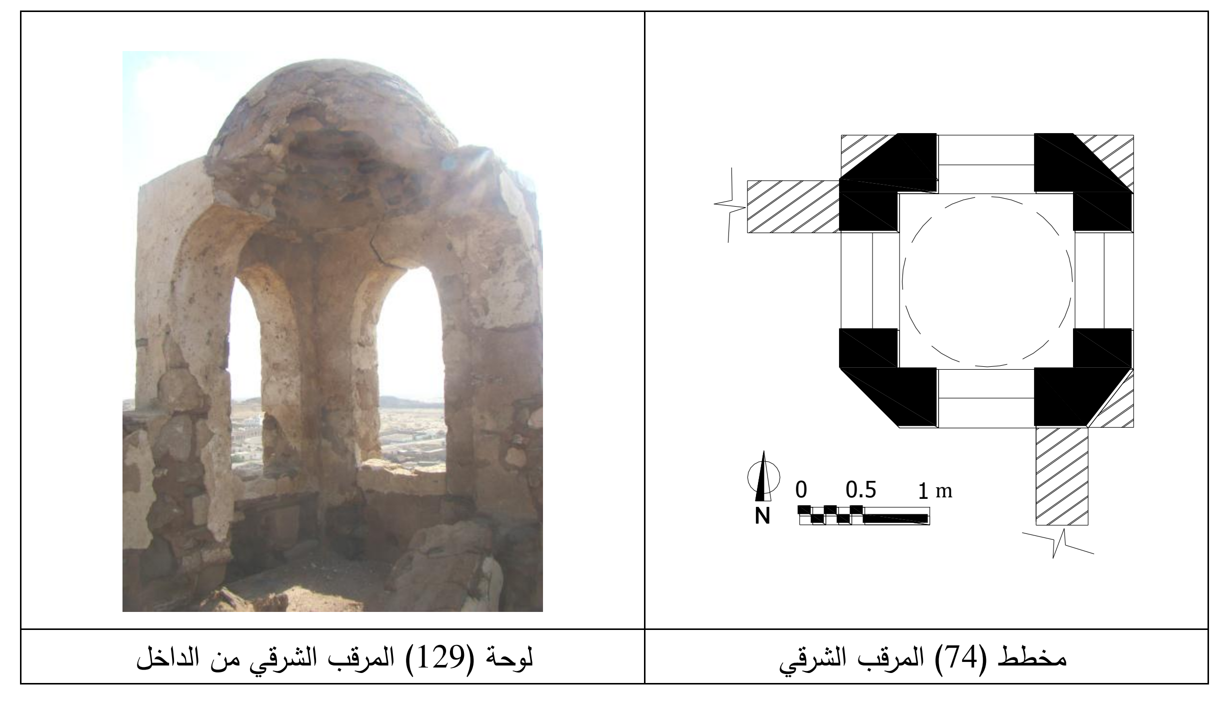
وتعتبر سقاطات المرقب الشمالي الشرقي المذكور هي الوحيدة التي وجدناها في هذه القلعة، ويرجع السبب في قلة السقَّاطات في القلاع الساحلية في تهامة إلى عدم الحاجة إليها، كون وظيفتها تكمن في صب المواد الحارقة على العدو عندما يقترب من سور القلعة. ولما كانت ساحة القتال بالنسبة

للسواحل والموانئ هي البحر، فإن قلاعها ليست في حاجة إلى بناء السقاطات، على عكس القلاع الداخلية التي تعد هذه الظاهرة الدفاعية من إحدى خصائصها، ففي خارج اليمن تميزت القلاع والأبراج الساحلية في سلطنة عُمان أيضاً بقلة استخدام السقَّاطات[1].



لوحة (128) المرقب الشرقي

شكل (35) رسم توضيحي للمرقب الشرقي



مخطط (74) المرقب الشرقي

لوحة (129) المرقب الشرقي من الداخل

1 – انظر: سعاد ماهر: *"الاستحكامات الحربية بسلطنة عُمان"*، ص 220.

– ساحتا المدافع

*** ساحة المدافع الشمالية** (B) (ل:130، م:75)

تعد ساحة المدافع الشمالية المرفق الأول من الجهة الشمالية في القسم الشمالي من القلعة، حيث تتخذ الشكل المستطيل، والذي يتساوى فيه الضلعان الشرقي والغربي، وقد بلغ امتداد كل واحد منهما من داخل الساحة نحو (13.5م). أما الضلع الشمالي فيعتبر أصغرها، وهو يمثل فوهة السلاح الناري من تخطيط القلعة، ويبلغ امتداده نحو (5.60م). ويتم الدخول إلى ساحة المدافع هذه من الجهة الجنوبية بعد المرور عبر الدركاة (C) السابق ذكرها.

فتحت في جدران الساحة الشمالية (الشرقي والغربي والشمالي) العديد من الفتحات التي تسمح بإطلاق قذائف المدفعية، وفي الجدول التالي نبين قياساتها من الداخل والخارج. كما تشتمل هذه الجدران على صف من الفتحات الضيقة المربعة (مزاغل) التي تستخدم للتصويب بالبنادق (ش:36).

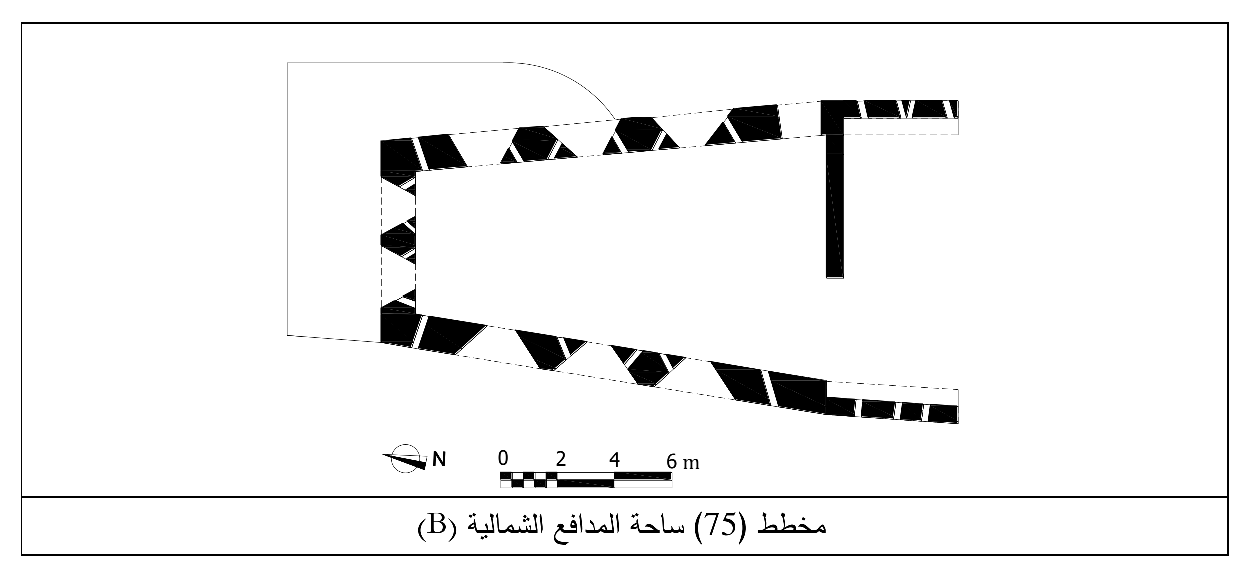
الجدار	امتداده	عدد الفتحات	اتساع الفتحات					
			الأولى		الثانية		الثالثة	
			من الخارج	من الداخل	من الخارج	من الداخل	من الخارج	من الداخل
الشرقي	12.70م	4، إحداها مسدودة	2.15م	90سم	2.90م	90سم	2.55م	1.20م
الغربي	17.90م	3	3م	1م	3م	85سم	3م	90سم
الشمالي	5.90م	2	2.25م	90سم	2.25م	90سم	—	—

إن تقنية اتساع فتحات الجدران التي تسمح بحركة مواسير المدافع وجدت في العمارة العثمانية، وما عاصرها من منشآت حربية انتشر بناؤها في المدن والبلاد الإسلامية؛ وقد أصبحت فتحات المدافع ضيقة من الداخل متسعة من الخارج لتسمح بحرية الحركة في توجيه فوهة المدفع، وترتفع فيه الفتحة عن مستوى الأرضية، كما يوضع المدفع على حامل خشبي؛ وهذا هو الشكل الثالث من فتحات المدافع،

والذي يتناسب مع تطور المدفعية التي أصبحت ثقيلة[1]. وقد نفذ هذا الشكل في قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية، وهو الأكثر تطوراً في فتحات المدافع، وانطبق هذا الأمر على قلعتي جبل الملح في تهامة، فهي تشبه فتحات المدافع التي في قلعة الزَيلعي، من حيث شكلها وأسلوب بنائها.

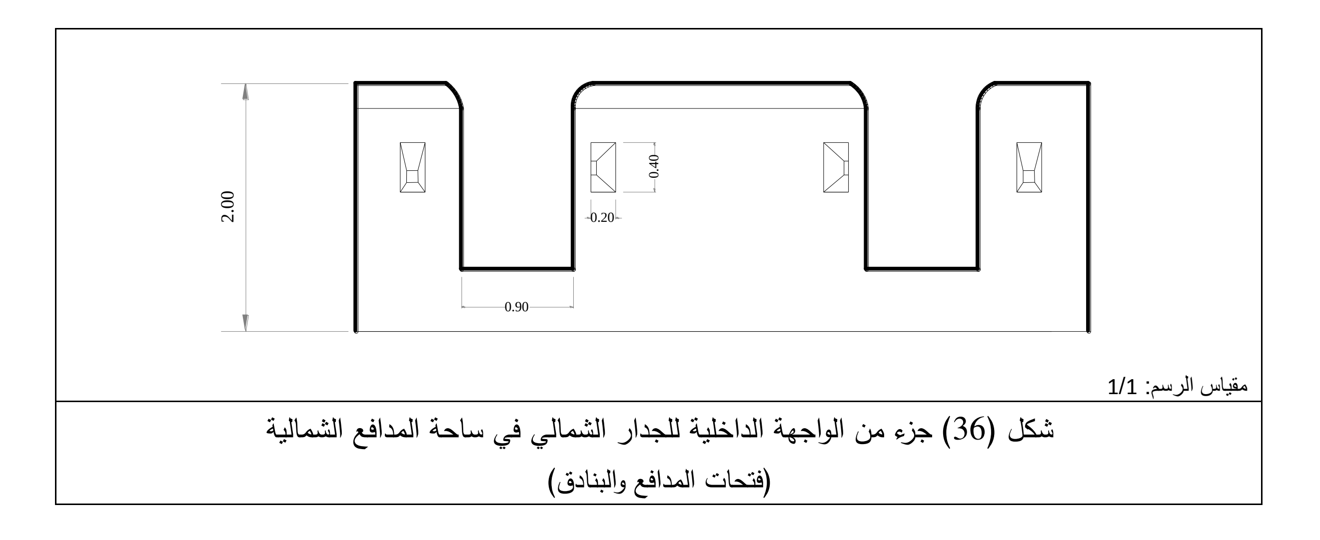


لوحة (130) ساحة المدافع الشمالية



مخطط (75) ساحة المدافع الشمالية (B)

1 – محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص 131. وأيضاً: هشام عجيمي: قلاع الأزنم والوجه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة معمارية حضارية)، ص 101.



شكل (36) جزء من الواجهة الداخلية للجدار الشمالي في ساحة المدافع الشمالية
(فتحات المدافع والبنادق)

*** ساحة المدافع الجنوبية:** (T) (ل:131– 132، م:76)

تعتبر ساحة المدافع الجنوبية آخر مرفق في القلعة، وهي تشبه ساحة المدافع الشمالية في القلعة نفسها، من حيث وظيفتها وأسلوب بناء جدرانها، والتي تتوزع فيها فتحات إطلاق المدافع والمزاغل، وكذلك ردم أرضيتها بالتراب. والشكل الهندسي لساحة المدافع الجنوبية يبرز على هيئة مؤخرة السلاح الناري، وهي تختلف عن ساحة المدافع الشمالية من حيث وجود المرقب، والذي يتوسط جدارها الجنوبي ويربض فوقه، ويبدو أنه أستحدث، لأن جدرانه بنيت فوق الجدار الجنوبي لساحة المدافع المذكورة. ويتخذ هذا المرقب شكلاً مستطيلاً، تبلغ أبعاده من الداخل نحو (1.35م x 1.10م)، وسمك جداره (25سم). ويصعد إليه بواسطة أربع درجات من ساحة المدافع نفسها، وقد فتحت في جدرانه: الشرقي، والغربي، والجنوبي ثلاث نوافذ للمراقبة، بواقع واحدة في كل جهة. أما الواجهة الشمالية منه، فهي مفتوحة ولا يوجد بها جدار، ويبلغ ارتفاع جدران المرقب من الداخل (1.60م)، يغطيها سقف خشبي مسطح (ل:131، م:77).

يصعد إلى ساحة المدافع الجنوبية بواسطة طريق مرصوف بغير درج (زلاقة)[1]، يقع في موازاة مع الواجهة الغربية للقلعة، وينتهي عند فتحة تقع في الطرف الشمالي الغربي من الساحة (ل:132). ويعتبر

[1] – عن الطريق الصاعد المسمى بالزلاقة يراجع ما سبق ص 118، و 129.

أسلوب استخدام الطريق الصاعد (الزلاقة) هو الأنسب لإدخال أسلحة المدافع ذات العجلات إلي البرج، وقد وجدت هذه الطريقة في أبراج المدافع في قلاع: بيت الفَقيه، والزَيدية، وجبل باجل.

وتعد ساحة المدافع الجنوبية في قلعة الزَيلعي أكبر مساحة من ساحة المدافع الشمالية، وهي في شكلها المعماري وطريقة بناء جدرانها المشطوفة التي تنتهي من اعلاها بشكل هرمي تشبه جدران ساحة المدافع الشمالية (ش:37)، ولكنها تختلف عنها في وجود فتحة لإدخال المدافع في الضلع الغربي منها، وكذا وجود البرج الدفاعي الجنوبي الذي يمثل الضلع الرابع لهذه الساحة. وفي الجدول الآتي نبين القياسات المعمارية لفتحات المدافع.

الجدار	امتداده	عدد الفتحات	اتساع الفتحات من الداخل ومن الخارج							
			الأولى		الثانية		الثالثة		الرابعة	
			الداخل	الخارج	الداخل	الخارج	الداخل	الخارج	الداخل	الخارج
الشرقي	19.30م	2	2.30م	3.20م	2.10م	2.50م	—	—	—	—
الغربي	13.80م	3	2.15م	2.50م	1.20م	2.20م	1.60م	3م	—	—
الجنوبي	14.40م	4	1.70م	2.85م	2.20م	2.85م	2.20م	2.85م	2.20م	2.85م

والملاحظ على ساحتي المدافع (الشمالية والجنوبية) في قلعة الزَيلعي هو اتساع أرضياتها، التي تسمح بوجود عدد كبير من المدافع، ولذا اشتملت على العديد من فتحات إطلاق المدفعية المتسعة. ويبدو أن الهدف من ذلك هو الحصول على أكبر قدر من الرؤية، لكي يتمكن الجند المتواجدون في القلعة من حمايتها، وكذا حماية المدينة التي تقع بأسفلها من أي هجوم محتمل قد تتعرض له سواء من جهة البحر أو البر. كما أن ساحتي المدافع السابق ذكرهما ردمتا أرضيتهما بالتراب، بينما نجد أبراج المدافع في تحصينات مدينة عدن، ومنها في قلعة صِيرة وجبل المنصوري، رصفت أرضية أسطحها بالحجارة، وما تزال قواعد المدافع مثبتة عليها (ل:133). ويقودنا ذلك إلى القول بأن نوعية المدافع التي استخدمت في

تحصينات عدن إنجليزية الصنع، وهي من النوع الذي يثبت على قواعد، بينما كانت في ساحتي المدافع بقلعة الزَيلعي من النوع الذي يُجر على عجلات. ويرجح أن هذا النوع من المدافع استخدمه العثمانيون كثيراً في اليمن، بسبب التنقلات المستمرة لجنودهم في أرجاء المناطق اليمنية.

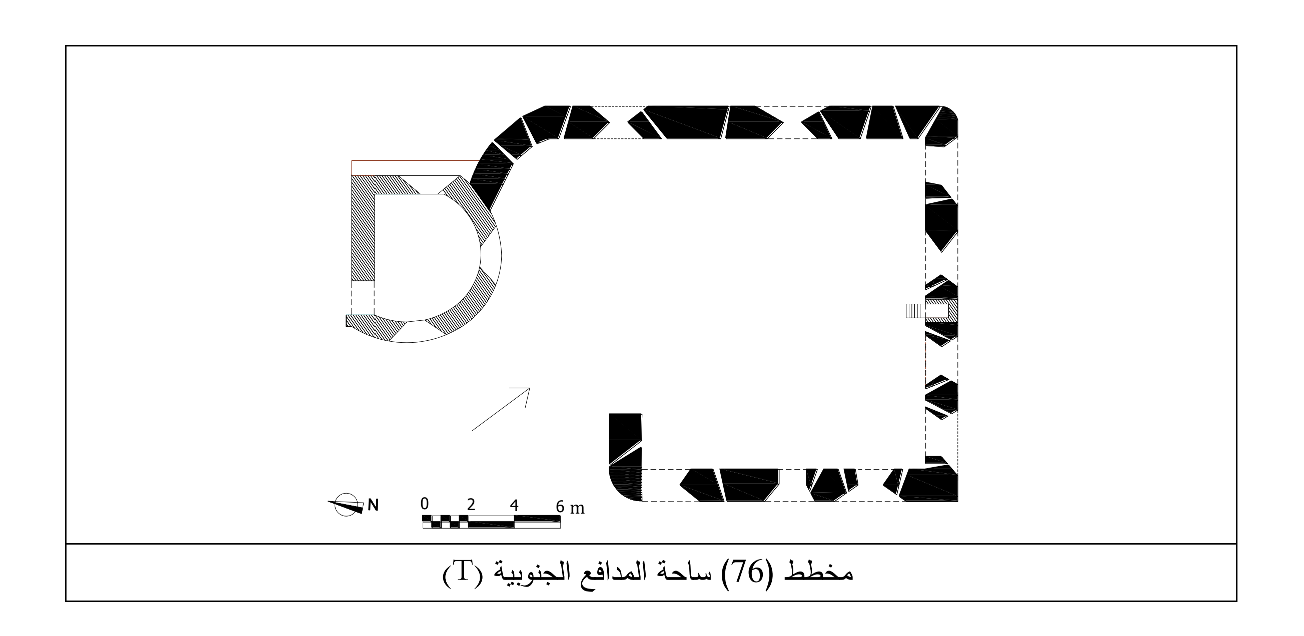
أما من حيث اتساع ساحات المدافع في هذه القلعة وكذا في قلعتي جبل الملح، والأسلوب المتبع في بناء فتحات إطلاق المدافع، فيبدو أن هذه الظاهرة لم توجد في اليمن وحسب، وإنما وجدت أيضاً خارجها، لأن المواقع الدفاعية المرتفعة تسمح للمدافعين رؤية مساحة واسعة في الأسفل، وتحقيق الهدف الدفاعي الذي وجدت من أجله، وهو إطلاق قذائف المدفعية إلى أبعد مدى، سواء كان المهاجمون قادمين من البر أو البحر. كما يأتي هذا النوع من الساحات أو الأبراج انعكاساً لتطور الأسلحة، وخاصة سلاح المدفعية؛ ولذا فقد جاءت أشكال هذه الساحات أو الأبراج متشابهة جداً سواء في شرق العالم الاسلامي أو غربه.



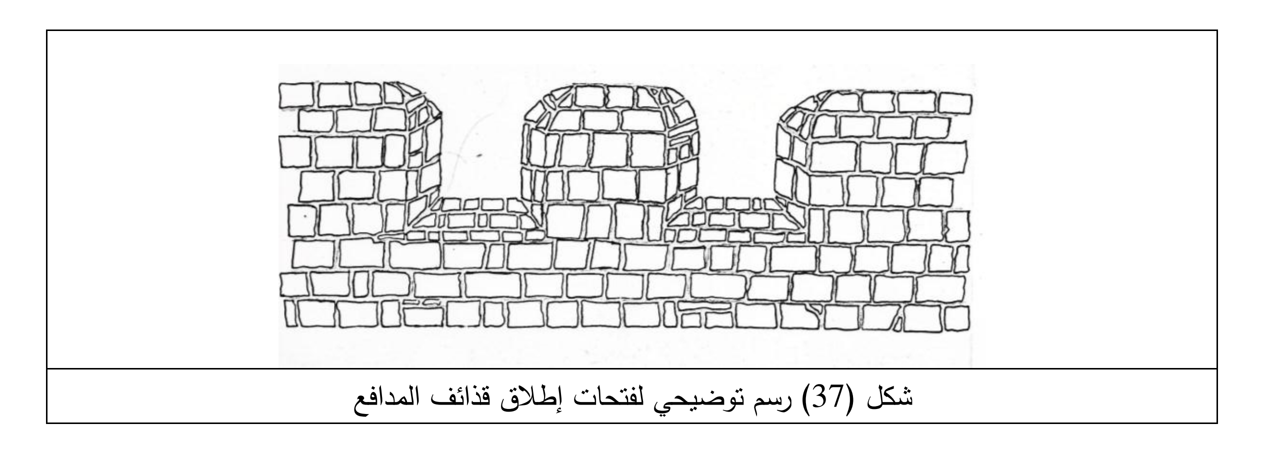
لوحة (131) ساحة المدافع الجنوبية (T)



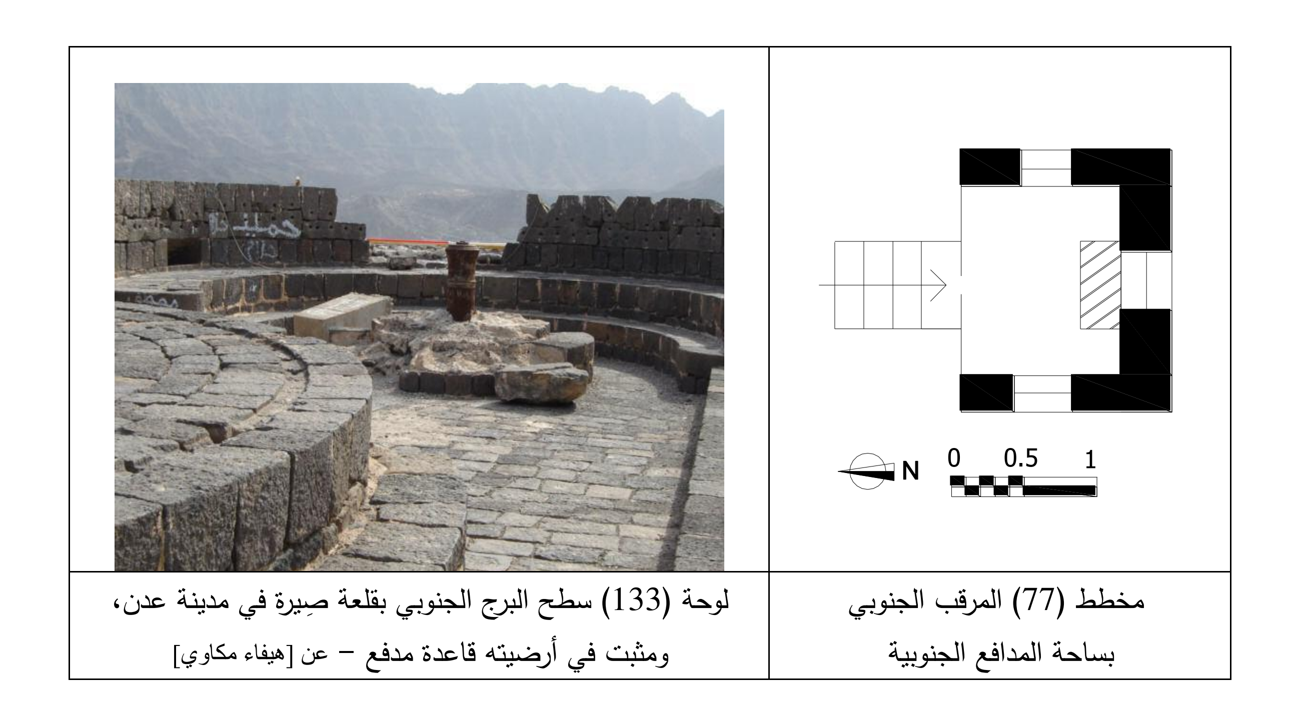
لوحة (132) فتحات إطلاق قذائف المدفعية في ساحة المدافع الجنوبية



مخطط (76) ساحة المدافع الجنوبية (T)



شكل (37) رسم توضيحي لفتحات إطلاق قذائف المدافع



لوحة (133) سطح البرج الجنوبي بقلعة صِيرة في مدينة عدن، ومثبت في أرضيته قاعدة مدفع – عن [هيفاء مكاوي]	مخطط (77) المرقب الجنوبي بساحة المدافع الجنوبية

ثالثا: مرافق القلعة (الوحدات الإدارية والسكنية)

<u>القسم الأول</u>

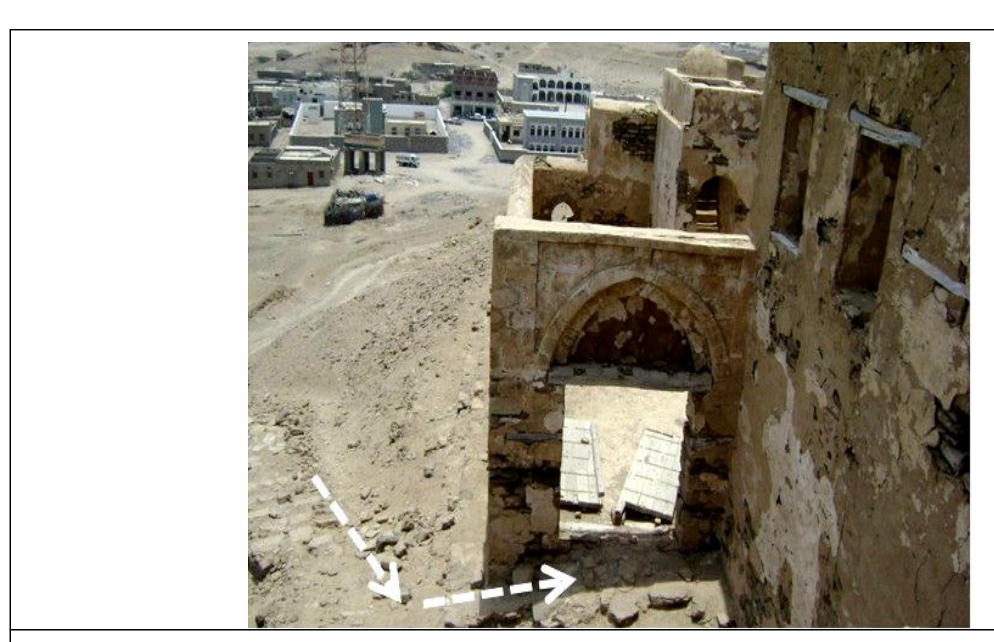
- **المدخل الرئيسي للقلعة:** (ل:134، م:78)

يقع المدخل الرئيسي في الجهة الغربية من القلعة، ويتألف من فتحة ذات شكل مستطيل قائم تتجه نحو الجنوب وتؤدي مباشرة إلى الفناء الشمالي للقلعة، وتبلغ اتساعها (1.85م) وارتفاعها (2.40م)، وسقفت بعتب خشبي يعلوه عقدان مدببان.

وكانت فتحة المدخل تضم باب خشبي يتألف من مصراعين نزعا منه وما زالا بجواره، صنعا من ألواح طولية جمعت فيما بينها بواسطة أسياخ من الحديد تم تثبيتها بالمسامير. والمصراعان أحدهما ثابت والآخر متحرك يفتحان معاً عند الحاجة؛ وقد بلغ ارتفاع كل واحد منهما نحو (2.55م)، أما عرض المصراع الثابت بلغ نحو (1.20م)، والمتحرك نحو (90سم).

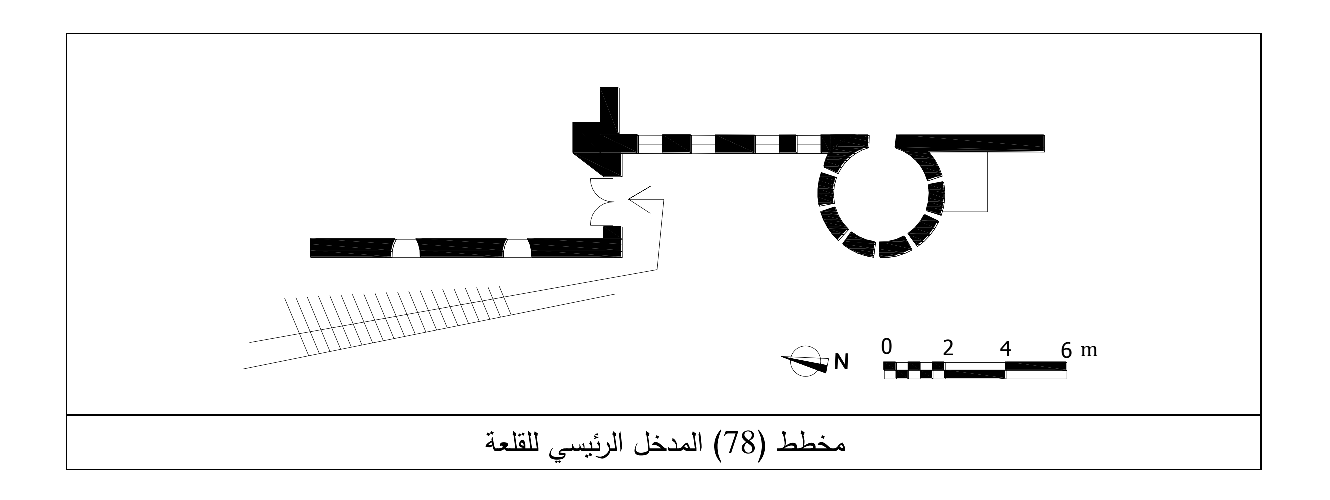
يعتبر المدخل المذكور بسيطاً في شكله ومكوناته، لكن وضعيته بهذه الطريقة جعلته مدخلاً قريب الشبه بالمداخل المنكسرة[1]، ذلك لأن القادم إليه يأتي من أسفل القلعة ويصعد الدرج التي تجاور الجدران الغربية للقلعة، وهو بذلك يعرِّض جانبه الأيسر للإصابة، لأن هذه الجدران تضم العديد من فتحات الرماية (المزاغل). وعند بلوغ نهاية الدرج يكون في مرمى فتحات الرماية (المزاغل) التي تتخلل البرج المطل على المدخل، وعند انحرافه يساراً لدخول الباب سيعرض نفسه للإصابة من الجهة اليمنى ومن خلفه أيضاً (ل:134 - 135).

يتبين مما سبق أنه ليس من السهل اقتحام قلعة الزَيلعي عبر مدخلها الرئيسي، والذي حقق بوضعيته المذكورة الجانب الدفاعي المطلوب. وهذا الأسلوب في عمل المداخل وجد في أغلب القلاع والحصون اليمنية وخاصة التي تقع فوق قمم الجبال، أما في قلاع تهامة – موضوع الدراسة – فلم نجد مدخلاً يشبه مدخل قلعة الزَيلعي.



لوحة (134) المدخل الرئيسي لقلعة الزَيلعي

[1] – يعرف المدخل المنكسر في العمارة الإسلامية بعدة أسماء منها الباشورة والمدخل ذو العطف والمدخل ذو المرفق، والمدخل المزور، والمدخل المنحني. وقد سمي بالمنكسر لأن تصميمه يجعل الداخل إليه ينعطف يساراً أو يميناً مرة واحدة أو أكثر ليصل إلى داخل المدينة أو القلعة أو المنشآت الأخرى. خالد محمد عزب: أسوار وقلعة صلاح الدين، مكتبة زهراء الشرق، د. ط، القاهرة 2006، ص 23.



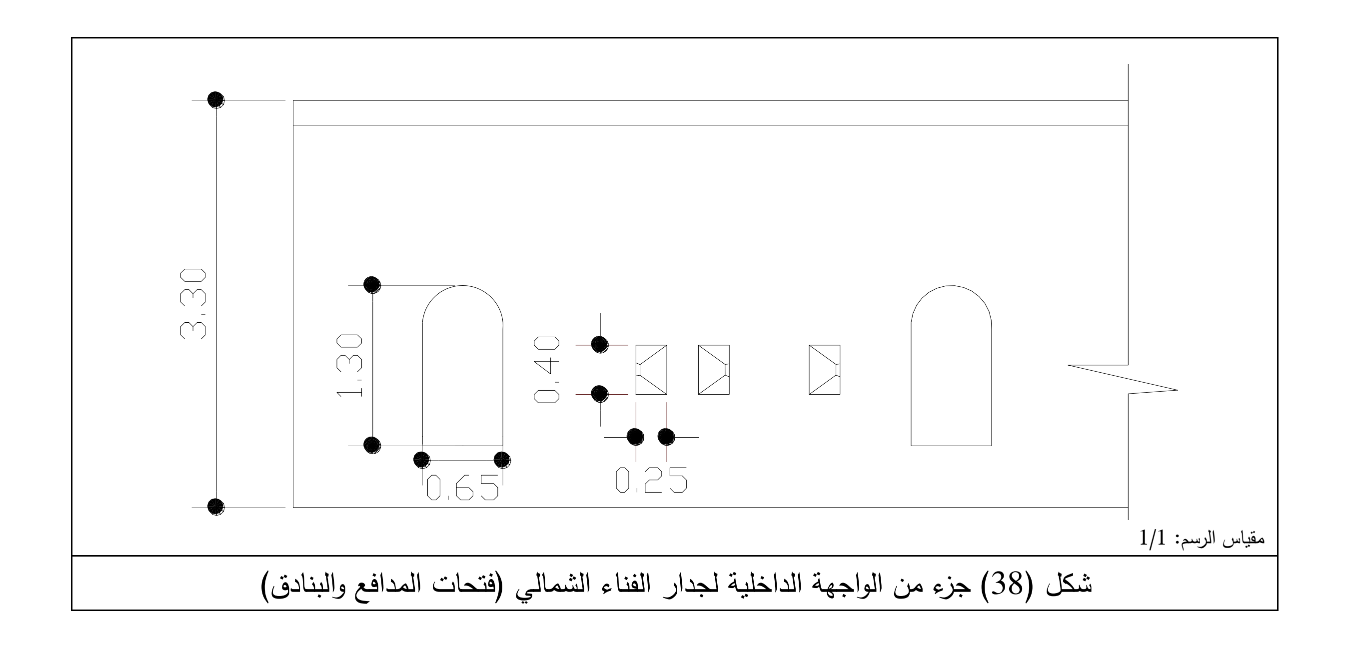
مخطط (78) المدخل الرئيسي للقلعة

- **الفناء الشمالي:** (A) (م:67، ل:135، 140)

يفضي المدخل الرئيسي للقلعة إلى ساحة الفناء الشمالي التي تتخذ شكلاً مستطيلاً تبلغ أبعادها نحو (12.50م X 8.10م)، وتطل عليها من ثلاث جهات حجرات سكن الجند، بينما الجهة الرابعة الغربية يطل عليها جدار يبلغ طوله نحو (13.70م)، تتخلله ثلاث فتحات طولية معقودة تسمح بإطلاق قذائف المدفعية، اثنتان منها سدتا، ويبلغ اتساع كل منها نحو (95سم)، وارتفاعها (1.25م). وفتح في الجدار نفسه اثنا عشر مزغلاً يستطيع من خلالها الجند الرماية بالبنادق، وهي تتخذ الشكل المستطيل الذي يضيق تدريجياً حتى ينتهي بفتحة صغيرة. كما أن هذه المزاغل من النوع المائل إلى الجهة اليمنى أو اليسرى (ش:38)، وقد وجد هذا النوع في قلعة بيت الفَقيه وقلعة مدينة زَبيد، وغيرها من التحصينات اليمنية التي أنشئت خلال فترة الحكم العثماني في اليمن.



لوحة (135) المدخل الرئيسي من الداخل والجدار الغربي للفناء الشمالي



شكل (38) جزء من الواجهة الداخلية لجدار الفناء الشمالي (فتحات المدافع والبنادق)

- **حجرات سكن الجند** (الشمالية): (ل:136، م:79 – 80)

تضم قلعة الزيلعي باللُحية العديد من الحجرات سواء في القسم الأول (الشمالي) أو الثاني (الجنوبي)، ومن المرجح أن أغلبها كانت تستخدم سكناً لمبيت الجنود المرابطين في القلعة. وذلك لأن الهدف من إنشاء القلعة هو الدفاع عن المدينة وساحلها، ولتكون مركزاً عسكرياً متقدماً لحماية الساحل اليمني من جهة الغرب. وبناءً على ذلك لابد أن يتم شحن القلعة بالقوة العسكرية الكافية من جند وعتاد، الأمر الذي يحتم وجود عدد كاف من الحجرات لاستيعاب الجند.

ويتألف القسم الأول (الشمالي) في القلعة من ست حجرات، أربع منها تتكون من طابقين متشابهين، واثنتان تتألفان من طابق واحد، وجميعها تفتح أبوابها على ممر (دهليز). ونظراً لعدم وجود عناصر معمارية ودفاعية تستحق الوقوف عندها، عدا صفوف فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل) تم الاكتفاء بتوضيح القياسات المعمارية لهذه الحجرات، نبينها في الجدول الآتي:

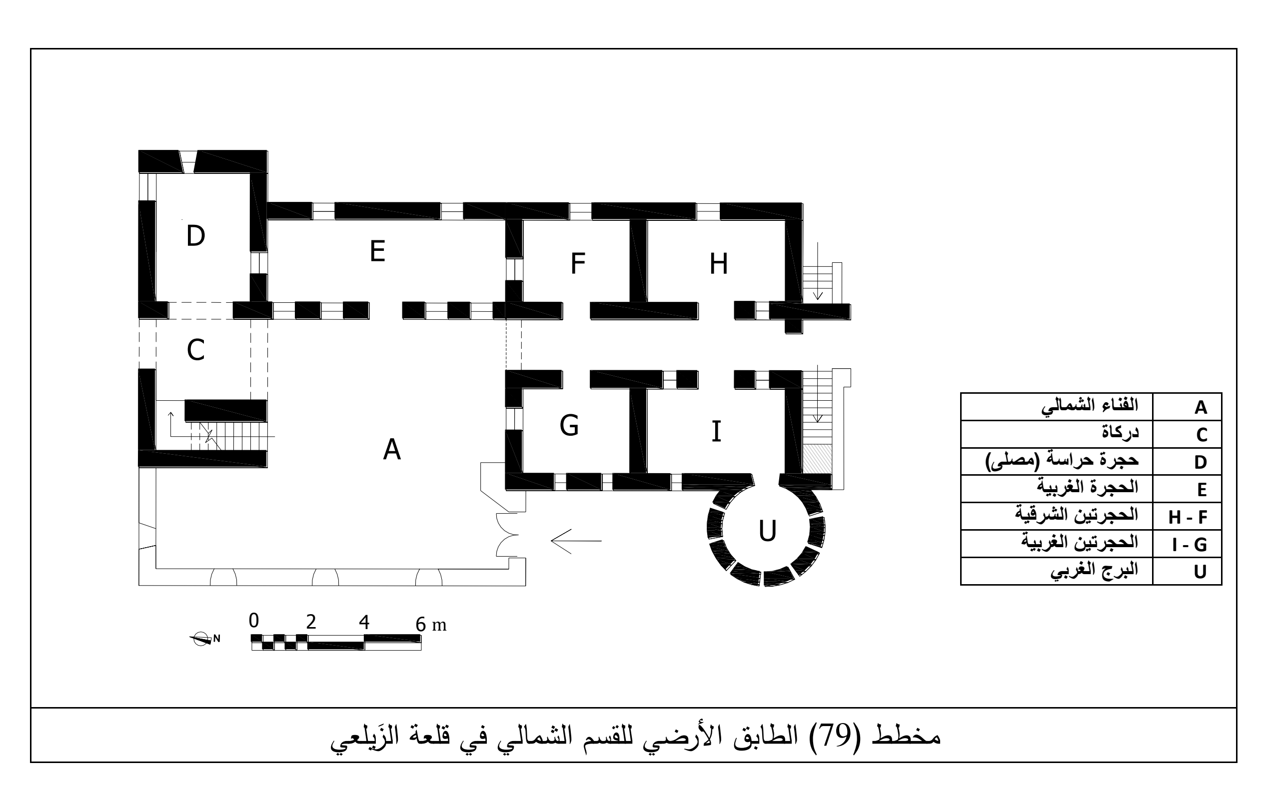
الحجرة	الأبعاد الداخلية	عدد النوافذ	أبعاد النوافذ					
			الشرقية		الغربية		الشمالية	
			اتساعها	ارتفاعها	اتساعها	ارتفاعها	اتساعها	ارتفاعها
H	4.90م x 2.95م	2	85سم	1م	50سم	1م	__	__
F	3.10م x 2.95م	2	80سم	1م	__	__	80سم	1.20م
G	3.80م x 3م	3	__	__	40سم	80م	80سم	1.20م
I	4.90م x 3م	3	50سم	1م	40سم	80م	__	__

ويتم الصعود إلى الطابق العلوي للحجرات الأربع المذكورة عبر سلم صاعد يستند على الجدار الخارجي للحجرة (H). وقد تعرضت أرضية الطابق العلوي التي تمثل أيضا سقفاً للطابق الأرضي للتهدم. وتنتهي جدران هذه الحجرات من الأعلى بجدار ساتر يشتمل على العديد من فتحات المزاغل المستطيلة (ل:138).

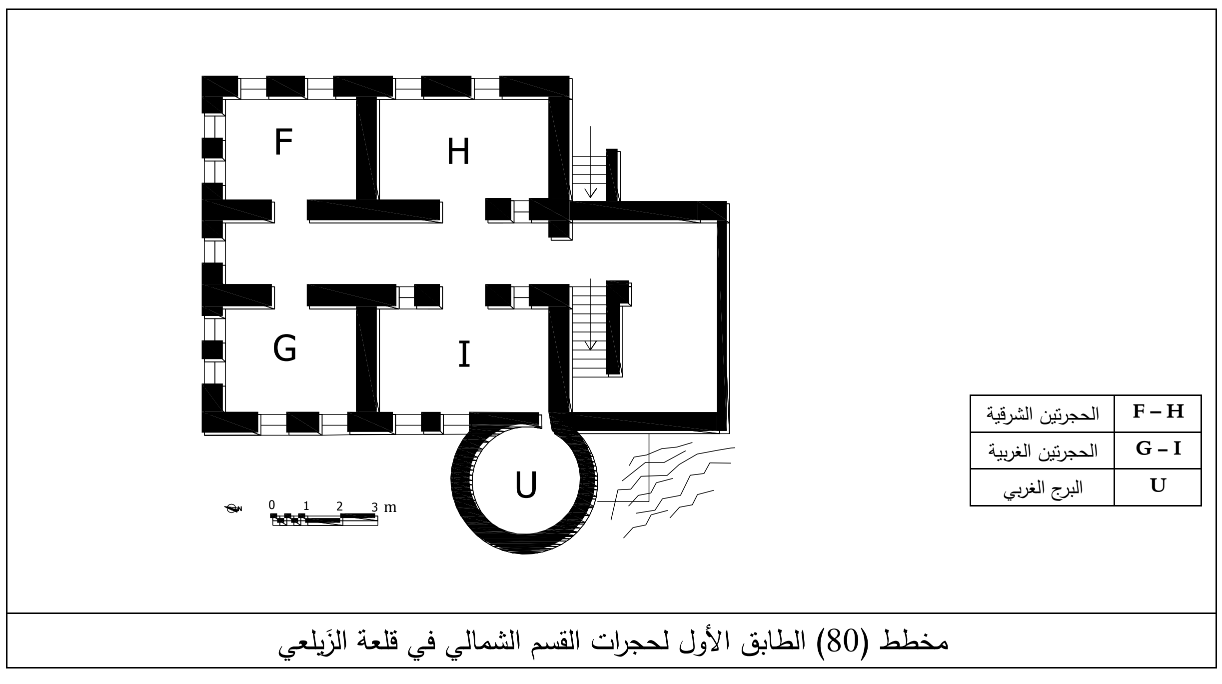
وكانت فتحات المداخل في حجرات الطابق العلوي مسقوفة بأعتاب خشبية لم يتبق إلا بعض منها، إحداها زينت جبهتها الخارجية بزخارف محفورة، حيث تتألف من فرع نباتي ملتف على هيئة شكل دائري تخرج منه ورقة نباتية مكررة (ل:137، ش:39).

وهذه العناصر الزخرفية التي نفذت في الأعتاب الخشبية وكذا الزخارف الملونة التي تزين أخشاب سقف حجرة الطابق العلوي في القسم الجنوبي من القلعة نفسها[1]، تعتبر الوحيدة التي وجدت في قلعة الزَيلعي. ويبدو أن السبب في قلة وجود العناصر الزخرفية في هذه القلعة هي الوظيفة الحربية لها، التي حالت دون وجود أية عناصر زخرفية أخرى، وكان تركيز المعماريين الذين قاموا ببناء القلعة على العناصر الدفاعية والمعمارية.

[1] – سيتم الحديث عن سقف الحجرة العلوية في القسم الجنوبي لاحقاً. انظر ص 295 – 296.



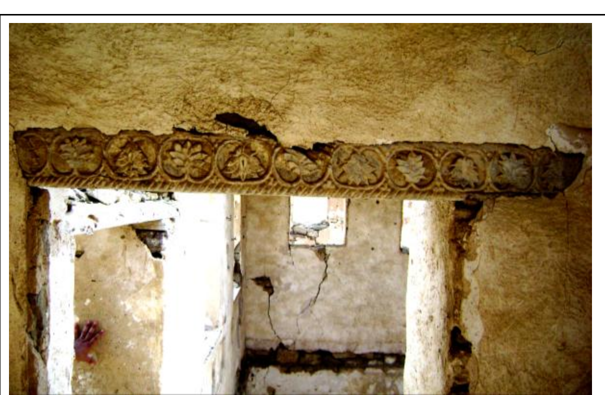
مخطط (79) الطابق الأرضي للقسم الشمالي في قلعة الزَيلعي



مخطط (80) الطابق الأول لحجرات القسم الشمالي في قلعة الزَيلعي



لوحة (136) حجرات القسم الشمالي



لوحة (137) عتب خشبي يعلو أحد مداخل حجرات الطابق العلوي في القسم الشمالي



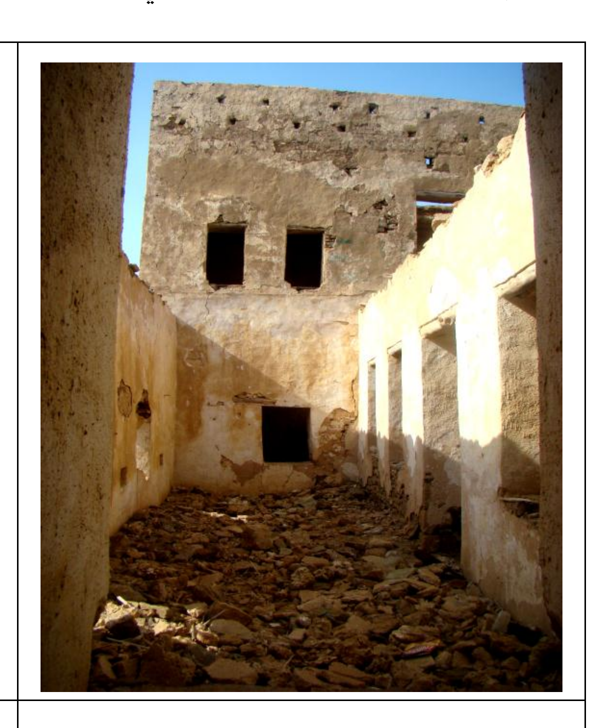
شكل (39) تفريغ لزخارف أحد الأعتاب الخشبية التي تعلو مداخل حجرات الطابق العلوي في القسم الشمالي



لوحة (138) سطح حجرات القسم الشمالي

تطل حجرة الجند (E) على الفناء من الجهة الشرقية، وتتخذ شكلاً مستطيلاً تبلغ أبعادها من الداخل نحو (8.45م x 2.95م)، ويتم الدخول إليها عبر فتحة باب يتوسط جدارها الغربي يبلغ اتساعه (1.20م)، وارتفاعه (2.40م). وتكتنفه من الجهة اليمنى نافذتان مستطيلتان، تماثلهما في الجهة اليسرى نافذتان أخريتان، يبلغ اتساع كل واحدة منهما (80 سم)، وارتفاعها (1.50م)، وقد تعرض سقف هذه الحجرة للتهدم (ل:139).

وتلي الحجرة (E) من الجهة الشمالية حجرة أخرى (D) تبلغ أبعادها من الداخل نحو (4.55م x 3.35م)، ويتم الدخول إليها بعد المرور عبر دركاة (C) تضم مدخلاً يبلغ اتساعه (2.90 م)، يُتَوِّجه عقد نصف دائري (ل: 140). ويمكن أن تؤدي هذه الحجرة وظيفتين معاً، الأولى الإشراف على الداخلين إلى ساحة المدافع الشمالية، وذلك لأنهم يلجون إليها بعد المرور من الدركاة. أما الوظيفة الثانية فيحتمل أنها كانت تستخدم مكاناً لأداء الصلاة (مصلى)، لأنها آخر حجرة من جهة القبلة (الشمال)، وأفضل مكان يدخُل إليه الهواء البارد من الدركاة التي تتقدمها.



لوحة (139) الحجرة (E) المطلة على الفناء



لوحة (140) الفناء الشمالي والدركاة المطلة عليه والدرج الصاعد المؤدي إلى سطح الحجرة (D)

ويصعد إلى سطح الدركاة المذكورة والحجرة (D) بواسطة سلم يتكون من إحدى عشرة درجة يؤدي إلى بسطة، غطت من أعلاها بقبة صغيرة. وتضم الجدران الخارجية للسطح جداراً ساتراً، يبلغ ارتفاعه نحو (1.50م)، يتوزع فيه صفان لفتحات الرماية بالبنادق (مزاغل) التي تشبه مثيلاتها في جدار الفناء، وفي الطرف الشمالي الشرقي من السطح يقع المرقب السالف الذكر.

- حجرة التخزين:

تقع حجرة تخزين السلاح بجوار البرج الشرقي في القلعة، وهي عبارة عن حجرة أرضية يتم النزول إليها بواسطة درج (ل: 141). وتتألف من مساحة مستطيلة، تبلغ أبعادها حوالي (4م x 2.5م)، يغطيها قبو نصف اسطوني (ل: 142). والحجرة من الداخل كسيت بمادة الجِص، ويلاحظ على جدارها المطل على الدرج وجود فتحة صغيرة، يبلغ اتساعها نحو (30سم) وارتفاعها (40سم). وهذه الفتحة هي الوحيدة التي وجدت في جدران حجرة التخزين، وذلك من أجل تأمينها ولكي لا يصل إليها مهاجمو القلعة بكل سهولة، لأنها أحد المرافق المهمة التي من المحتمل أنها كانت تحتوي على الذخيرة التي كان يستخدمها الجند المرابطين في القلعة.

وحجرة التخزين المذكورة لم نجد مثيلا لها في قلعة الزَيلعي نفسها أو القلاع التي تضمنتها الدراسة، سواء من حيث وجودها تحت الأرض، أو أسلوب تغطيتها، ومع ذلك توجد عناصر مشتركة بينها وبين حجرات تخزين السلاح في قلعة مدينة زَبيد التهامية، مثل: عدم وجود فتحات في الجدران، ونظام التغطية الذي أعتمد على الأقبية، بالرغم من عودة تاريخ هذه الأخيرة – حسب الباحث عبد الله الحداد – إلى فترة الوجود المملوكي (923 - 945هـ/ 1517 - 1539م)[1].

ويبدو أن أسلوب التغطية بنظام الأقبية وفد إلى اليمن مع مجيئ الأيوبيين إليها عام (569هـ/ 1173م)، حيث استخدم في بعض المنشآت الدينية وخاصة المدارس، ثم استمر استخدامه بكثرة في

1 – عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد...، – ص 388.

مدارس العصر الرسولي (626 - 858هـ/ 1229- 1454م) وكذلك العصر الطاهري (858- 923هـ/ 1454-1517م)[1]. أما في المنشآت الحربية الإسلامية في اليمن فيوجد لدينا مثال يشبه حجرة تخزين السلاح في قلعة الزَيلعي، وهي الحجرة الأرضية التي تقع في حصن اللِّسي (الكِبريت) بالقرب من مدينة ذَمار[2] (ل: 143)، والذي يعود تاريخ بنائه إلى عام (1026هـ/ 1616م)، خلال فترة الحكم العثماني الأول في اليمن[3]. كما وجد الأسلوب المذكور أيضا في قلعة القاهرة المطلة على مدينة تَعز[*4](ل: 144)، وكذلك تحصينات مدينة عدن، ومنها في أسقف غرف التخزين الموجودة في كل من حِصن الخضراء، وحصن حقَّات، والحصن الموجود شرق باب عدن البري[5].



لوحة (141) الدرج المؤدي إلى حجرة التخزين

1 – عبد الله الحداد: مدينة حَيس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية، ص 276.

2 – عن موقع حصن اللِّسي يراجع ما سبق، ص 77.

3 – عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، ص 32.

4 – عن قلعة القاهرة يراجع ما سبق ص 75.

5 – هيفاء مكاوي: التحصينات العسكرية لمدينة عدن في العصر الاسلامي، ص 144.

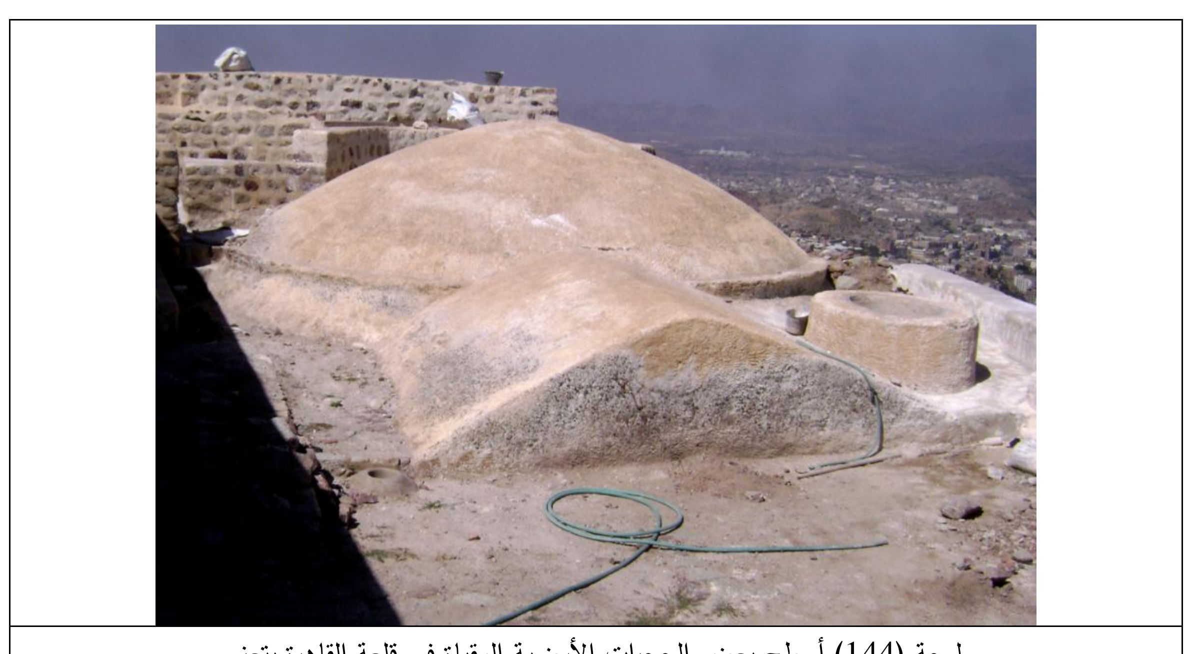


لوحة (142) حجرة التخزين



لوحة (143) الحجرة المقباة بحصن اللِّسي بذمار[1]

1 – الصورة عن الفريق الأثري بمكتب الآثار بمحافظة ذمار: *"تقرير المسح الأثري للموسم 2005*، الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية، صنعاء، 2005.



لوحة (144) أسطح بعض الحجرات الأرضية المقباة في قلعة القاهرة بتعز

* **القسم الثاني** (الجنوبي)**:**

– **الفناء** (**N**): (ل:145 – 146)

تتخذ ساحة الفناء الجنوبي شكلاً متعدد الأضلاع، وهي أكبر مساحة من ساحة الفناء الشمالي، حيث بلغ أقصى طول لها من الشمال إلى الجنوب نحو (27م)، وأقصى عرض من الشرق إلى الغرب بنحو (10م). وتحيط بالفناء من ثلاث جهات – الشرقية والشمالية والجنوبية – حجرات القسم الجنوبي في القلعة. كما يضم الفناء في الجهة الشرقية وجزء من الجهة الغربية جدارين، فالجدار الشرقي يربط بين جدار الحجرة (O) والحجرة (M)، حيث يبلغ امتداده نحو (4.90 م)، وارتفاعه (4م)، وسمكه (60 سم). وقد فتح فيه مدخل ثانوي للقلعة يؤدي إلى ساحة الفناء، يتألف من فتحة مستطيلة رأسية، مسقوفة بعتب خشبي يبلغ اتساعها نحو (77سم)، وارتفاعها (2م). ولأن المدخل المذكور صغير المساحة فهو لا يتسع إلا لمرور شخص واحد، ويبدو أن البنائين تعمدوا ذلك لكي لا تكون ثغرة دفاعية يستطيع العدو من خلالها التسلل والدخول إلى القلعة.

ومن الجهة الغربية للفناء يمتد جدار بمسافة (10.5م) ثم ينحرف نحو الغرب بزاوية قائمة بمسافة (3.10م)، ثم ينحرف مرة أخرى نحو الجنوب بمسافة (11.20م) حتى يلتصق بجدار الحجرة الغربية (R). ويبلغ ارتفاع هذا الجدار نحو (2.5م) وسمكه (60 سم)، وينتهي من أعلاه بشكل مشطوف، وقد فتح فيه صفان من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل).



لوحة (145) الجدار الشرقي للفناء الجنوبي وبه المدخل الثانوي للقلعة



لوحة (146) فتحات الرماية (المزاغل) في الجدار الغربي للفناء الجنوبي

- **بركة الماء:** (ل:147)

تقع بركة الماء في الجهة الغربية من الفناء الجنوبي السابق ذكره (N)، وعلى الرغم من المناخ الحار الذي يسود منطقة تهامة وتميزه بندرة الأمطار، إلا أنه تم إنشاء بركة لتجميع وحفظ المياه التي قد تهطل فجأة بشكل كثيف في مدينة اللُحية، وخاصة في فصل الصيف. وهذه البركة مغطاة بسقف مسطح

يضم فوهة مربعة، يبلغ طول ضلعها نحو (1م). ويتم تجميع الماء إلى البركة بواسطة سواقي ظاهرة، تمر على سطح جدران الحجرات المحيطة بالفناء، وهناك، أيضاً، سواقي مغيبة تمر من أسفل سطح الفناء حتى تصب في البركة، مما يعطينا احتمالاً بأن فترة إنشاء القلعة كانت غزيرة بتساقط الأمطار. وإذا لم تهطل الأمطار ودَعت الحاجة إلى الماء، يرجح أن البركة كانت تملأ به عن طريق جلبه بواسطة الحيوانات من بئر جامع الزَيلعي التي تقع أسفل القلعة من الجهة الغربية.

ويعد وجود البِركة في القلعة مهماً جداً؛ فالغرض منها هو تزويد الحامية العسكرية المرابطة فيها بالماء اللازم، لاسيما حين كانت تتعرض للحصار، وهذا الأمر ينطبق على معظم القلاع والحصون اليمنية التي بنيت في المناطق الجبلية، والتي كانت فيها البِرك إحدى أهم مكوناتها، وكانت الأمطار المصدر الرئيسي لتزويدها بالمياه.



لوحة (147) فوهة بركة الماء والساقيتان المتصلة بها

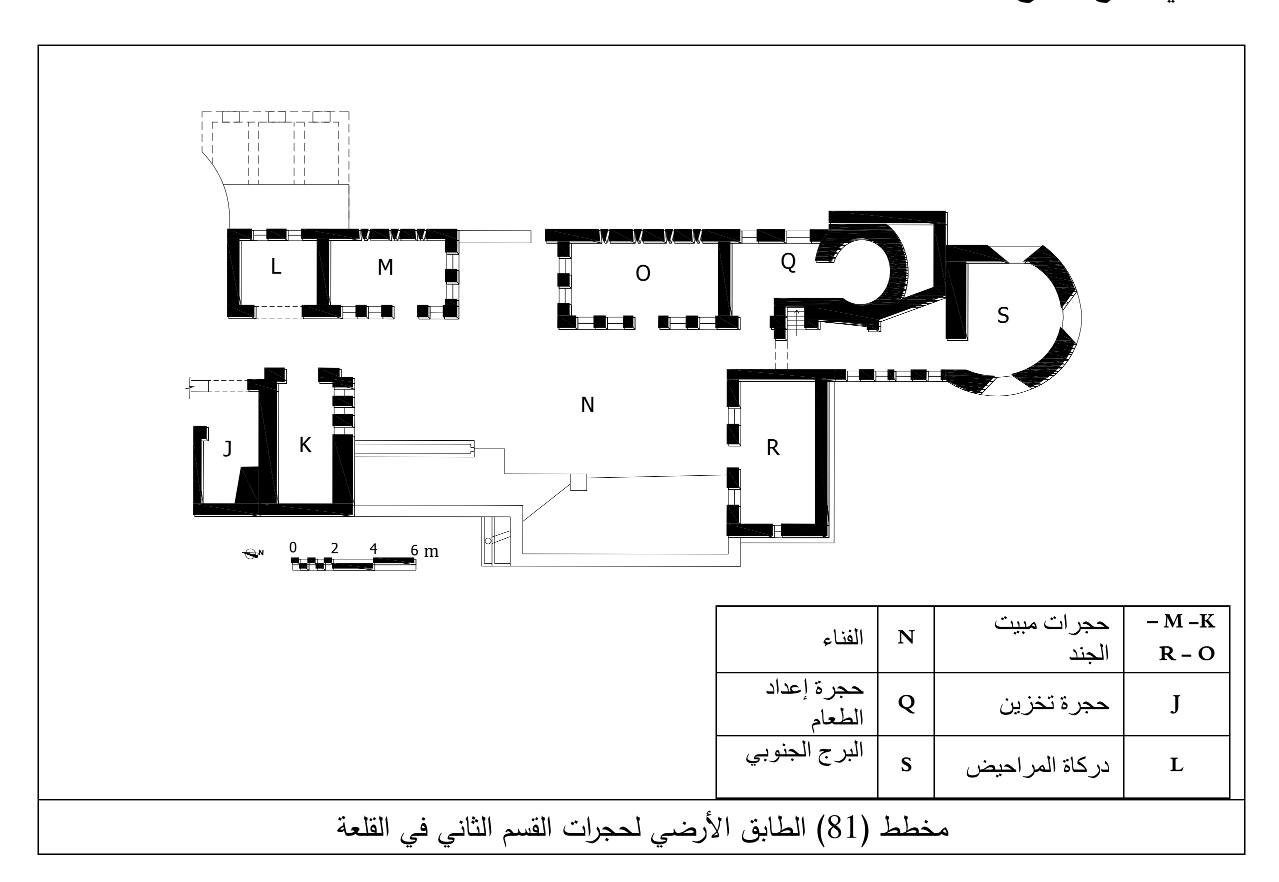
- **حجرات سكن الجند وملحقاتها**

تتألف حجرات سكن الجند وملحقاتها في القسم الجنوبي للقلعة من سبع حجرات، منها خمس تستخدم لمبيت الجند، واثنتان يحتمل استخدامهما للطبخ وحفظ الأدوات؛ كما ألحق بهذه الحجرات مرحاض لقضاء الحاجة، وفي الفقرات التالية سيتم وصفها بالتفصيل من الناحية المعمارية.

- **الحجرات** (M – L – K - J) (م:81)

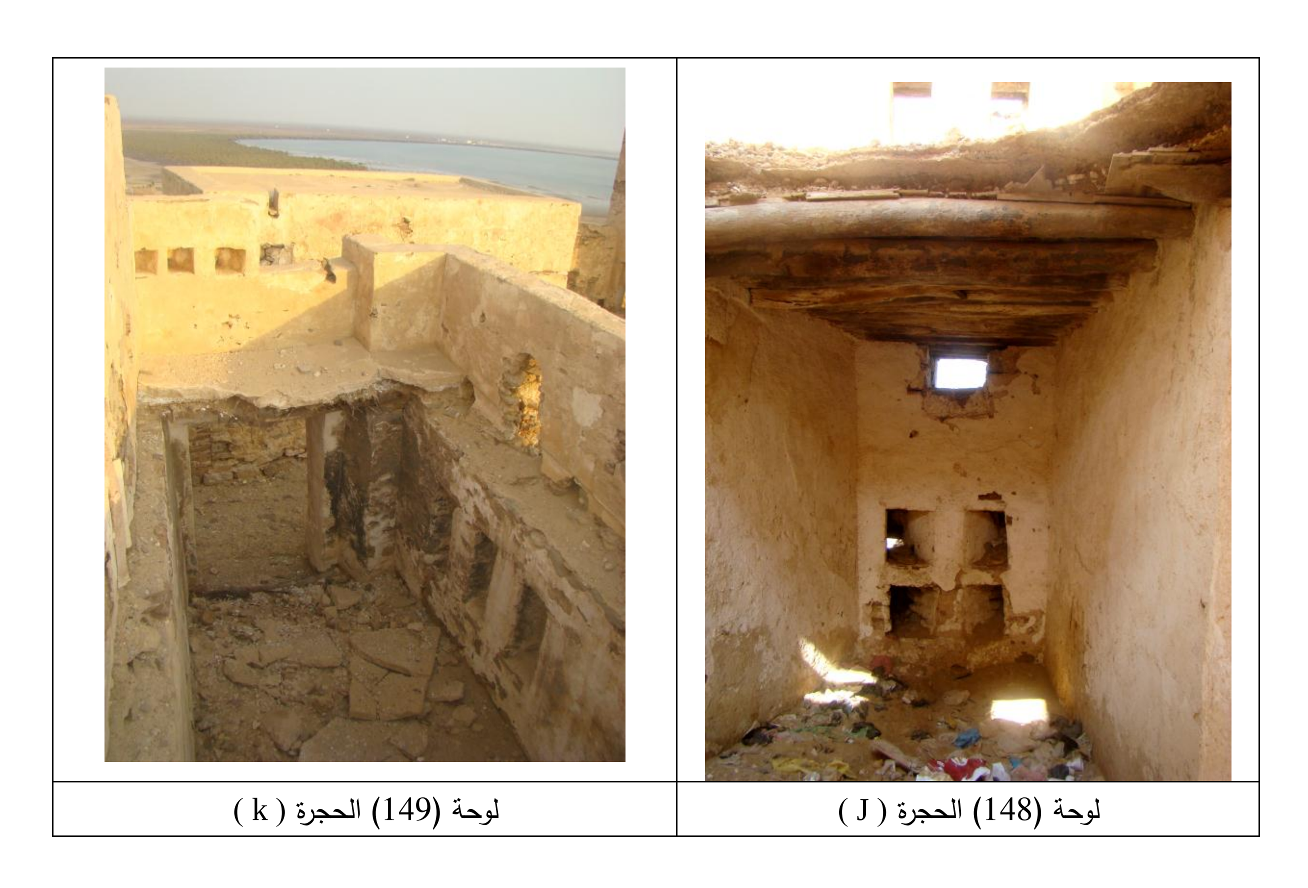
تقع الحجرة (**J**) بجوار البرج الغربي من الجهة الجنوبية (ل:148)، ومن خلال المسقط الأفقي للقلعة يمكن اعتبارها أول حجرة في القسم الجنوبي من القلعة، وهي في الأصل لم تبن لتكون حجرة لمبيت الجند، وإنما نتجت عن وجود جدران وحدات معمارية أخرى، وهي: الجدار الشمالي للحجرة (**k**)، وجزء من الجدار الغربي للواجهة الغربية في القلعة، والذي يضم فتحات ضيقة مائلة تستخدم للرماية، وكذلك الجدار الشمالي للدرج الصاعد إلى البرج الغربي؛ ومن الجهة الشرقية تمثلها فتحة مدخل معقودة تربط بين حجرات القسمين الشمالي والجنوبي. وبما أن الحجرة المذكورة لم تخصص لمبيت الجند لذا يحتمل استغلالها لحفظ حاجيات وأدوات القلعة.

وبجوار الحجرة المذكورة من الجهة الجنوبية حجرة مستطيلة أيضا (**k**) تهدم سقفها (ل:149)، تبلغ مساحتها من الداخل نحو (5.90م x 3.17م)، وتطل على الفناء بثلاث نوافذ فتحت في جدارها الجنوبي، تبلغ اتساع كل واحدة منها نحو (40سم)، وارتفاعها (1.20م).



– M –K R – O	حجرات مبيت الجند	N	الفناء
J	حجرة تخزين	Q	حجرة إعداد الطعام
L	دركاة المراحيض	S	البرج الجنوبي

مخطط (81) الطابق الأرضي لحجرات القسم الثاني في القلعة

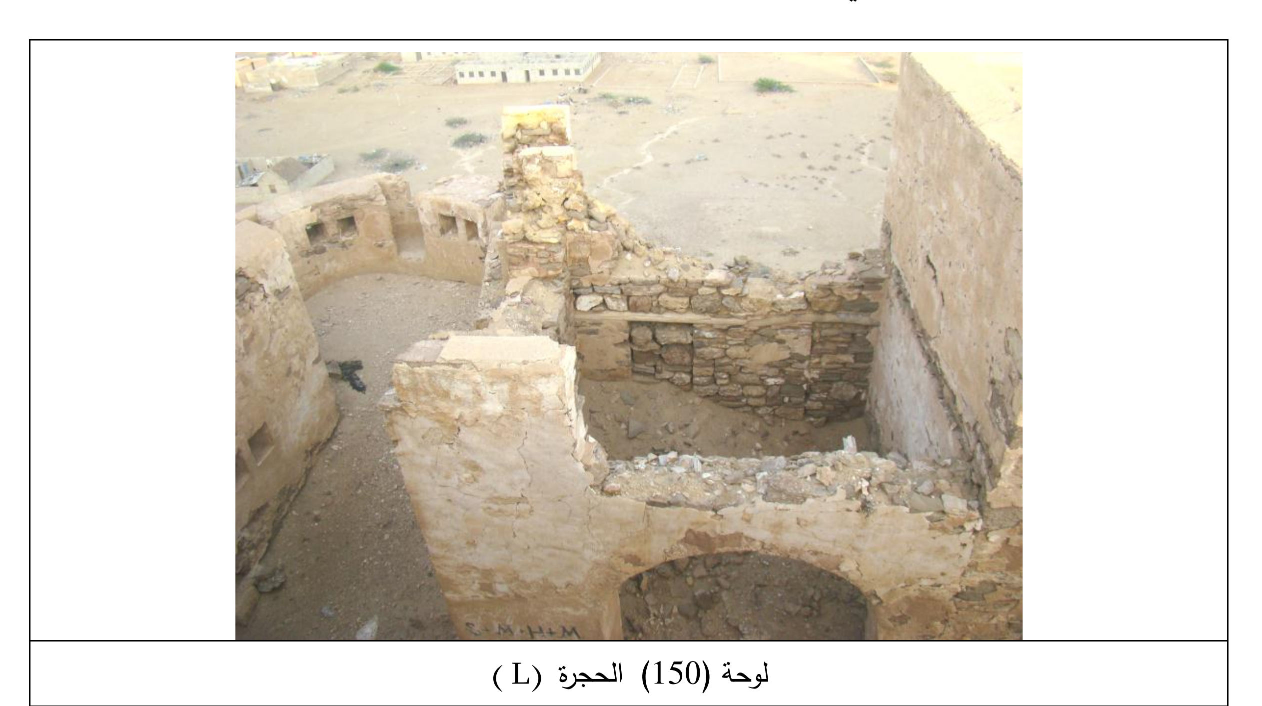


لوحة (149) الحجرة (k)	لوحة (148) الحجرة (J)

وتقع الحجرة (L) في الجهة الجنوبية من البرج الشرقي (ل:150)، وهي تتألف من طابق أرضي كان يغطيه سقف منخفض، وتتخذ شكلاً مستطيلاً تبلغ أبعادها من الداخل نحو (3.40م X 2.30م)، ولها مدخل معقود اتساعه (1.30م)؛ وقد فتح في جدارها الشرقي مدخلان سدا في الوقت الراهن، تبلغ اتساع فتحة كل منهما نحو (70سم)، وارتفاعها (2م)، كانتا تؤديان إلى مساحة مستطيلة. وإضافة إلى ذلك تلتصق بالجدار الشرقي لهذه الحجرة ثلاث مساحات أرضيَّة مستطيلة الشكل.

وبناء على المعطيات السابق ذكرها فمن الواضح أن هذه الحجرة (L) غير مناسبة للسكن، ومن الصعوبة معرفة الدور الوظيفي الذي كانت تؤديه نظراً لتهدم سقفها والمساحة المستطيلة الملاصقة لها، ولكن يحتمل أنها كانت تؤدي إلى مراحيض قضاء الحاجة. وكانت المساحات الثلاث المسقوفة تمثل مكاناً لحفظ المخلفات، وذلك لأن هذا المكان يتوسط القلعة تقريباً، وتصلح مواصفاته المعمارية لإداء الوظيفة المذكورة، حيث لا توجد في القلعة أماكن لقضاء الحاجة عدا مرحاضين صغيرين أحدهما يعلو الآخر، يقعان بجانب البرج الجنوبي من الجهة الشمالية.

والحجرة المذكورة صغيرة المساحة بالمقارنة مع الحجرة الثانية (M) التي بلغت مساحتها من الداخل نحو (6م x 2.90م) (ل:151)، وتطل على الفناء بخمس نوافذ تتوزع على الجدارين، الغربي ثلاث نوافذ، والجنوبي نافذتان، وجميعها متساوية في أبعادها، باتساع نحو (80سم)، وارتفاع نحو (1.20م)؛ أما الجدار الشرقي المطل على خارج القلعة فيتخلله صفان من فتحات الرماية (مزاغل)، الأول يتألف من ثلاثة مزاغل مزدوجة مائلة، والثاني من خمسة مزاغل فردية مائلة.



لوحة (150) الحجرة (L)



لوحة (151) الحجرة (M)

- **الحجرتين:** (Q – O) (ل:152)

تقع هاتان الحجرتان في الجهتين الجنوبية والغربية من الفناء الجنوبي (N)، وتتألفان من طابقين، كما تشتركان في جدار أوسط؛ فالحجرة (O) واسعة ومسقطها الأفقي ذو شكل مستطيل، أبعادها من الداخل نحو (7.20م X 3.60م)، ويتم الدخول إليها بواسطة فتحة مدخل تتوسط جدارها الغربي، وتكتنفها من الجهتين اليمنى واليسرى أربع نوافذ بواقع نافذتين في كل جانب، يبلغ اتساع كل منهما نحو (85سم)، وارتفاعها (1.20م). كما تتخلل الجدار الشمالي لهذه الحجرة نافذتان تطلان على المدخل الغربي للقلعة، وهما تشبهان النوافذ السابق ذكرهما في قياساتهما. أما الجهة الغربية في الحجرة (O)، فتضم فتحات ضيقة للرماية بالبنادق (مزاغل)، تتوزع في صفين: الأول من الأسفل يتألف من أربعة مزاغل زوجية مائلة، تعلوه ستة مزاغل فردية مائلة (ل:153).

وشكل الحجرة (Q) مستطيل به استدارة في الجهة الجنوبية، ويبدو أنها لم تكن معدة لمبيت الجند، لأن مخططها الأفقي يختلف عن مخططات جميع حجرات القلعة نفسها. ويلاحظ على هذه الحجرة آثار الحريق وبقايا الفحم، لذا من المحتمل أنها كانت مخصصة لإعداد الطعام (مطبخ)، حيث لم يتم العثور على هذا المرفق في القلعة.

وتلتصق بالحجرة (Q) من الجهة الجنوبية مساحة صغيرة جدارها بارز إلى خارج القلعة من الجهة الغربية، ونتيجة لذلك ظهر لدينا جدار جنوبي مرتفع، وهذا الجزء من القلعة استخدم كمراحيض ملحقة بالحجرات الجنوبية في القلعة. ويحتوي جدار المرحاض الخارجي – الذي يرتفع بارتفاع الواجهة – على مجرى لتصريف المخلفات، وقد تعمد البناؤون وضعه في هذه الجهة لكي لا تصل الرائحة الكريهة إلى الحجرات الجنوبية (ل:154).



لوحة (152) الحجرات الجنوبية المطلة على الفناء الجنوبي



لوحة (153) فتحات الرماية (المزاغل) في الحجرة (O)





لوحة (154) المرحاض الملحق بالحجرات الجنوبية

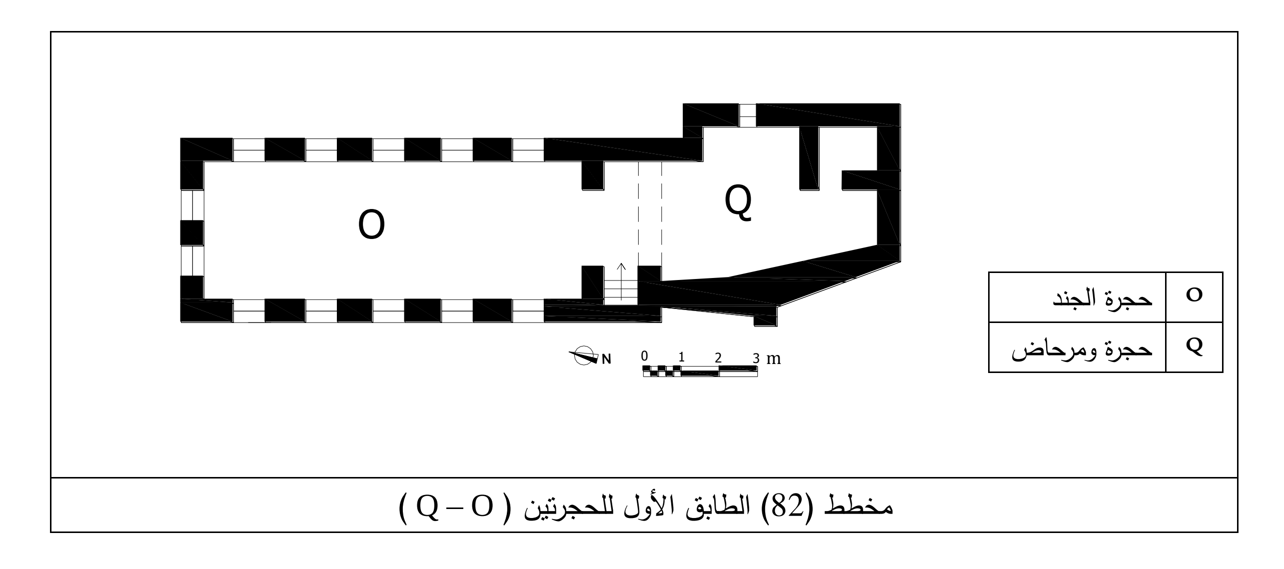
ويتألف الطابق الأول من الحجرة (O) من مساحة مستطيلة، أبعادها نحو (10م X 3.60م)، وتتخلل جدرانها الثلاثة الشرقي والغربي الشمالي العديد من النوافذ، جميعها متساوية في الأبعاد، حيث بلغ اتساع كل واحدة منها نحو (80سم)، وارتفاعها (1.20م)، وهي تتوزع على الجدران الثلاثة المذكورة على النحو الآتي: خمس نوافذ في الجدار الشرقي، تقابلها خمس مماثلة في الجدار الغربي، ونافذتان في الجدار الشمالي. وتقابل الحجرة (O) من الجهة الجنوبية حجرة (Q) تعرضت جدرانها للتهدم، وبهذه الحجرة في

طرفها الجنوبي الغربي مرحاض (م:82). ويصعد إلى سطح الحجرتين (Q – O) بواسطة درج، حيث يكللهما من الاتجاهات الأربعة جدار ساتر يبلغ ارتفاعه نحو (1م)، ويضم العديد من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل).

والملاحظ في الحجرتين المذكورتين اختلاف سقفهما عن أسقف حجرات القلعة من حيث الأخشاب المستخدمة، فهي من النوع الحديث المستورد، وزين معظمها بتكوينات هندسية بسيطة باستخدام الألوان (ل:155). ولعدم توافق طول هذه الأخشاب مع اتساع الحجرتان، لجأ المعماريون إلى تقليل مساحتيهما بواسطة إبراز الصفوف الأخيرة من البناء بشكل تدريجي إلى داخل الحجرتين، وهذا الحل المعماري وجد في العديد من المنشآت الدينية والمدنية والحربية بمنطقة تهامة.

ومما سبق، يستنتج أن سقف هاتين الحجرتين يختلف تماماً عن بقية سقوف حجرات القلعة، وهذا الأمر يقودنا إلى الترجيح بأن هذا الطابق تمت إضافته بعد فترة زمنية من بناء المرافق الأرضية في القلعة.

وفي الجهة الغربية المقابلة للحجرات الشرقية المذكورة توجد حجرة (R) تقع في الجهة الجنوبية من الفناء، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (7م X 3.70م)، وكانت تطل على الفناء بنافذتين أغلقتا، وتتوسطهما فتحة مدخل يبلغ اتساعها نحو (1.12م).



مخطط (82) الطابق الأول للحجرتين (O – Q)



لوحة (155) سقف الطابق الأول في الحجرة (O)

الفصل الخامس: قلعتا جبل المِلح

- الموقــع وأهميته
- الأحداث الحربية المتعلقة بجبل الملح وقلاعه
- مواد البناء وأسلوبه
- الدراسة الوصفية والتحليلية

أولاً: القلعة الغربية

ثانياً: القلعة الجنوبية الشرقية

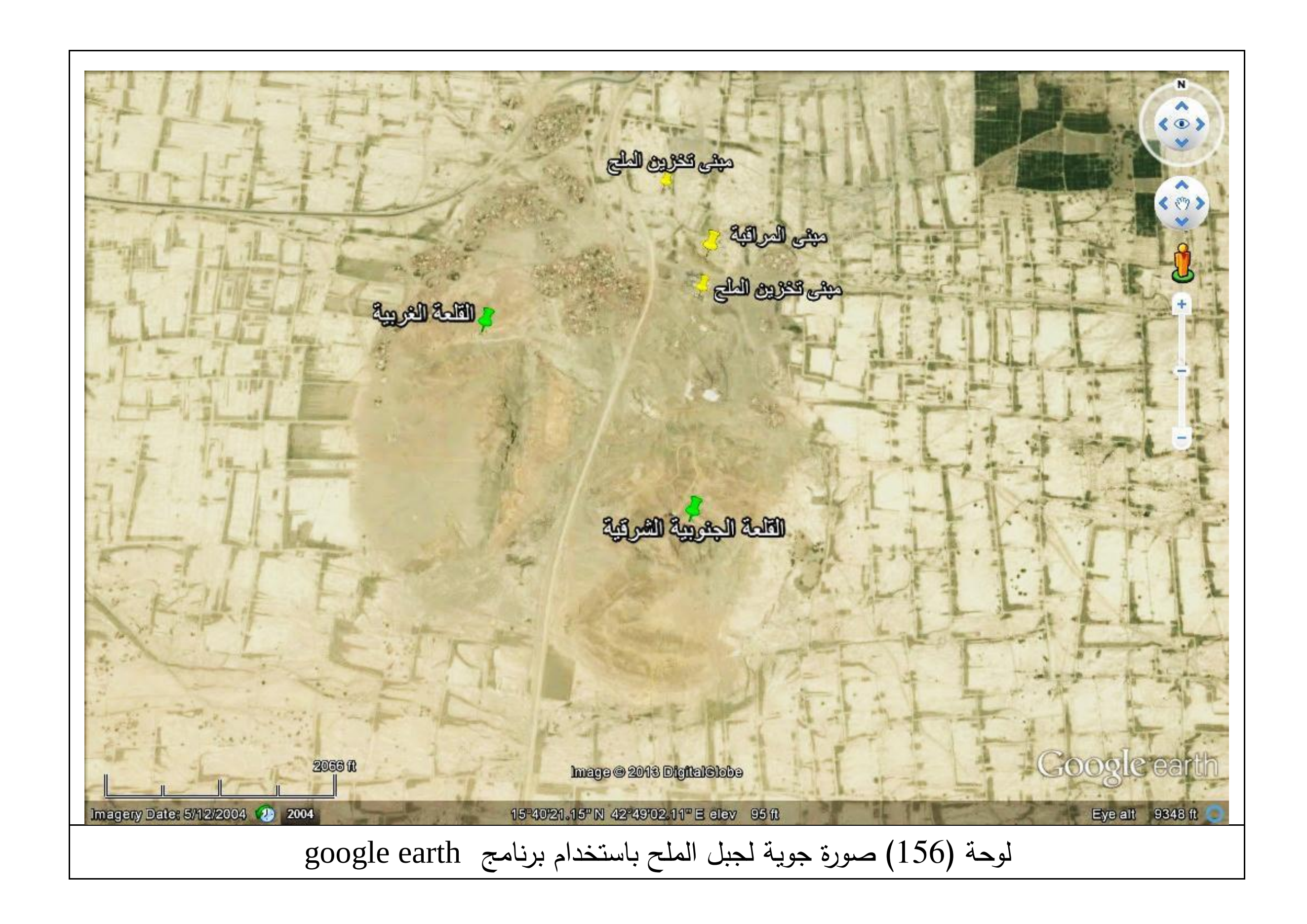
الموقع وأهميته: (ل:156، خ: 10)

يقع جبل الملح على بعد حوالي (13كم) من مدينة اللُحية الساحلية، ويتم والوصول إليه بواسطة الطريق الاسفلتي الرابط بين مدينتي الزُهرة واللُحية. وهذا الجبل في الأصل مجموعة من الهضاب الصخرية الممتدة بمساحة تقدر بـ (1كم^2) تقريباً، وتقع وسط مساحة شاسعة مستوية من أراضي وادي مور. وكانت لجبل الملح أهمية كبيرة لدى العثمانيين أثناء حكمهم الثاني في اليمن (1265-1337هـ/ 1849-1918م)، بسبب وجود مناجم الملح الصخري التي كانت تمثل أحد أهم إيرادات منطقة تهامة اليمن. ونظراً للأهمية المذكورة قام العثمانيون بتحصين المواقع المطلة على تلك المناجم ودعمها بحاميات عسكرية[1]، من أجل حمايتها وكذا حماية طريق قوافل البضائع والجنود العثمانيين أثناء تنقلهم في منطقة وادي مُور، والطريق الذي يربط بين مدينتي الزُهرة واللُحية.

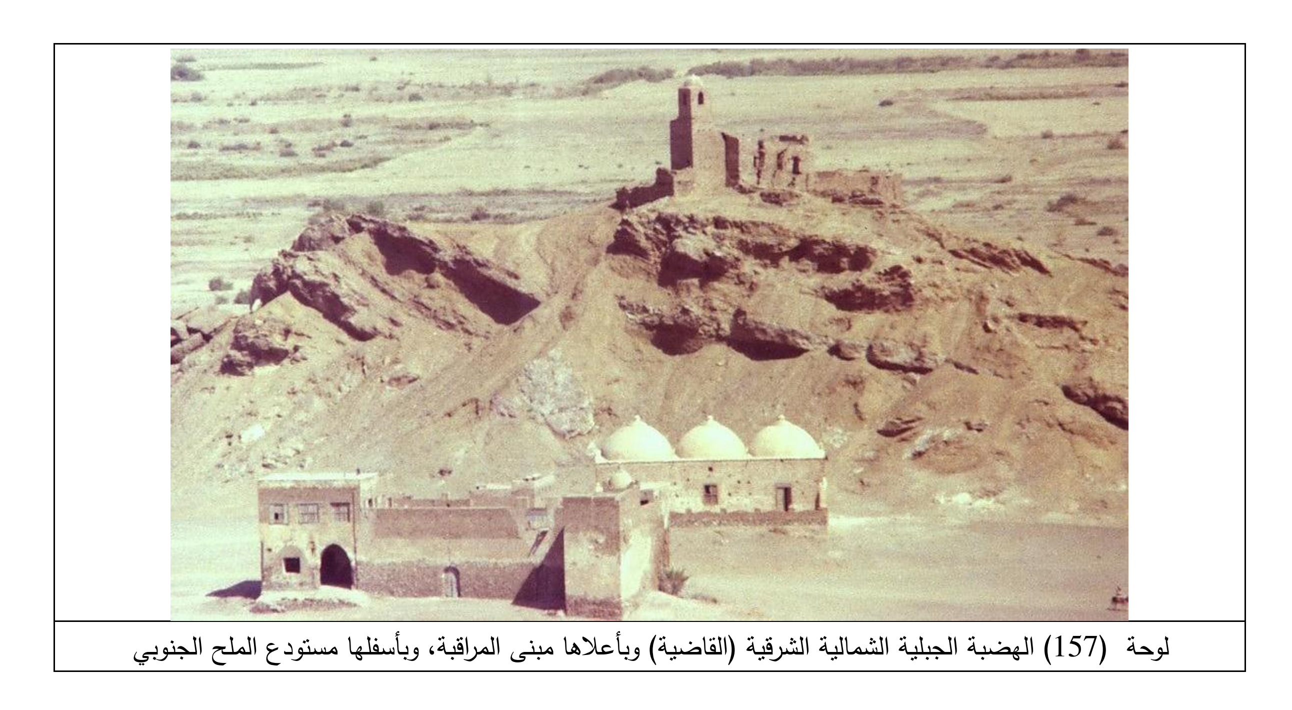
ويطلق الساكنة على ثلاث من قمم جبل الملح تسميات محلية خاصة بها، حيث تسمى الأولى (مبروك)، والثانية (عاصم)، والثالثة (القاضية) (ل:157)، فالأولى والثانية تطل كل منهما على مساحة واسعة سواء من جهة البر أو المنطقة القريبة من البحر. وفي الأسفل منهما تقع مناجم استخراج الملح، وما تزال بسفح كل واحدة منهما قلعة في حالة جيدة، وهما اللتان ستتم دراستهما لاحقاً؛ أما الثالثة ففي سفحها مبنى صغير المساحة (ل:158)، كان يمثل موقعاً لمراقبة منشأتين تقعان في أسفل الجبل، إحداهما في الجهة الشمالية منه والثانية في الجهة الجنوبية (ل:159). ويعتقد أنهما كانتا تمثلان مستودعات مؤقتة يتم فيهما حصر وتسجيل كميات الملح المستخرجة من المناجم. ومبنى المراقبة في الوقت الراهن متهدم، ولذا لن تتم دراسته بسبب عدم وجود وحدات دفاعية تستحق الوقوف عندها.

---

1 - انظر: عبد الله بن علي العمودي: الأدارسة في تهامة (1341 – 1347هـ)، تحقيق: عبد الله محمد أبو داهش، ط 1، ب. د، 1995، ص 57.



لوحة (156) صورة جوية لجبل الملح باستخدام برنامج google earth



لوحة (157) الهضبة الجبلية الشمالية الشرقية (القاضية) وبأعلاها مبنى المراقبة، وبأسفلها مستودع الملح الجنوبي



لوحة (158) مبنى المراقبة الشمالي الشرقي (القاضية)

لوحة (159) مستودع الملح الشمالي

الأحداث الحربية المتعلقة بجبل الملح وقلاعه

ظهرت أهمية هضاب جبل الملح كمواقع دفاعية مهمة يتمركز فيها الجنود العثمانيون من أجل حماية مناجم الملح الصخري ومخازن تجميعها. والراجح أن القلاع التي أنشئت على سفح بعض هضابه كانت من ضمن التحصينات الدفاعية التي قاموا بإنشائها في المناطق الساحلية من سهل تهامة اليمن في

أواخر عام (1332هـ/ 1914م)، وذلك استعداداً منهم لدخول الحرب العالمية الأولى، ولصد عدوان محتمل من قبل الإنجليز على الساحل اليمني[1].

فبعد سيطرة محمد بن علي الإدريسي على مدينة اللُحية بمساعدة الإنجليز في بداية عام (1333هـ/ 1915م)، اضطر العثمانيون إلى اللجوء إلى مدينة الزُهرة وجبل الملح، لكي يكونوا بعيدين عن مرمى نيران المدافع الإنجليزية[2].

وقد ازدادت العمليات الحربية الانجليزية ضد الحاميات العسكرية العثمانية التي كانت مرابطة في المواقع الساحلية، وخاصة جبل الملح الذي كان يعد أحد المراكز القوية للمدفعية العثمانية؛ ففي الثاني والعشرين من شهر فبراير عام (1335هـ/ 1917م)، قامت حاملة الطائرات سيتي أوف اكسفورد (City of Oxford) – عندما كانت بالقرب من ساحل اللُحية – بإرسال طائرات حربية استطلاعية للبحث عن المواقع العثمانية وتصويرها، سواءً الموجودة في جبل الملح أو الزُهرة. وفي التاسع عشر من شهر مارس في السنة نفسها قامت الطائرات الإنجليزية بشن غاراتها على المواقع التركية في جبل الملح[3]، ولحق ذلك هجوم بري في السابع عشر من شهر جماد الأول عام (1335هـ/ 1917م) تحت قيادة محمد بن علي الإدريسي، لكن الحامية العثمانية التي كانت في جبل الملح قابلت جيش الإدريسي بالمدافع، مما أدى إلى هزيمته وقتل وجرح العشرات من جيشه[4]. وقد تحدث المتصرف العثماني يوسف بك عن ذلك بقوله: "في هذه الظروف العسيرة استفاد عميل الإنكليز (الإدريسي) وشدد الحصار على الولاية وساق جملة من جماعته على قضاء[5] اللُحية، وكانت بيننا وبينهم وقائع شديدة مع قلة القوة النظامية وشدة

---

1 – انظر: جون بولدري: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (1914– 1919م)، 50 – 51.

2 – انظر: أميرة المداح: المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، ص 254.

3 – إيريك ماكرو: اليمن والغرب، ص 103.

4 – إسماعيل الوشلي : نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 170.

5 – هو أحد المصطلحات العثمانية المتعلقة بالتقسيمات الإدارية للولاية. وللمزيد انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

الصراع الذي دعاني الى ترك قصبة اللُحية والتحصن مع قلة من الجيش في جبل الملح، وقد تمكنا من صد هجمة جماعة الإدريسي الى مركز قضاء الزيدية"[1].

وبعد وفاة السيد محمد بن علي الإدريسي، حدث خلاف عام (1343هـ/ 1925م) بين ابنه علي وسيف الإسلام مصطفى الإدريسي الذي كان نائباً له على المنطقة الجنوبية من تهامة، وكان يرى أنه الأحق بالإمارة بعد وفاة السيد محمد الإدريسي[2]. ونتيجة لذلك الخلاف بدأ السيد مصطفى باستمالة زعماء قبائل تهامة، ومنهم السيد هادي هيج زعيم قبيلة الواعظات، ثم أعلن تمرده وأرسل قوة برية برئاسة ابنه المهتدي إلى جبل الملح ليجعل منه مركز انطلاقه نحو المنطقة الشمالية من تهامة (المخلاف السليماني)[3]. وعندما علم السيد علي بن محمد الإدريسي بزحف جيش غريمه، استدعى قبائل المخلاف السليماني وفتح مستودعات الأسلحة والمؤن، ثم تقدم بجيشه نحو المراكز الخاضعة لنفوذ مصطفى. وعند وصولهم إلى جبل الملح دارت عدة معارك بين الطرفين، وفيها استطاع جيش المهتدي أن يقاوم أياماً معدودة ثم لاذ بالفرار؛ ولكن المهتدي بن مصطفى الإدريسي ظل متحصناً مع مجموعة من جيشه في إحدى قلاع جبل الملح[4]. وعندما سمع أباه بأنه محاصراً في جبل الملح أرسل إلى هادي هيج – زعيم قبائل الواعظات – لأجل الاستعانة به في فك هذا الحصار، فنجح هذا الأخير في مهمته، ثم سار المهتدي إلى مدينة الزيدية حيث إقامة أبيه الذي تمكن فيما بعد من الاستيلاء على جبل الملح وكذلك مدينة الزُهرة[5].

وبسبب إقصاء السيد علي بن محمد الإدريسي لقادته وترحيلهم إلى مدينة عدن وغيرها من الأماكن، اضمحلت دولته، مما شجع إمام صنعاء – يحيى بن محمد حميد الدين – على النزول إلى

---

1 – حسان أبى عكر: المتصرف يوسف بك حسن – الذكرى المئوية لقدومه إلى اليمن 1910 – 1921م، مؤسسة العفيف الثقافية، ط 1، صنعاء، 2009، ص 36.

2 – انظر: عبد الله العمودي: الأدارسة في تهامة، ص 56– 57.

3 – أميرة المداح: المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، ص 304.

4 – نفسه، ص 305.

5 – نفسه والصفحة.

منطقة تهامة عام (1345هـ/ 1926م) من أجل إعادتها إلى حكمه، فكان جبل الملح من ضمن المواقع التي سيطر عليها حين دخل جيشه تهامة، كما كانت قلاعه أيضاً من ضمن المعاقل الدفاعية التي أمر بعمارتها[1].

- **مواد البناء وأسلوبه:**

المواد التي استخدمت في بناء قلاع جبل الملح هي نفسها التي أنشئت بها قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية، وذلك لأن الشريط الساحلي الممتد من منطقة مِيدي إلى اللُحية يحمل الخصائص الطبيعية المكونة لجيولوجية منطقة جبل الملح نفسه[2]. أما عن أسلوب البناء المتبع في بناء قلعتي جبل الملح، فقد جاء مشابهاً للأسلوب المتبع في بناء قلعة الزَيعلي باللُحية، والمعتمد بشكل رئيسي على الحجارة الرملية ذات اللون المائل إلى الأصفر، وغير المشذَّبة بشكل نهائي. حيث وضعت على شكل صفوف في وجهي الجدار ثم ملئ الجزء الأوسط بالحجارة الصغيرة والجير، مع استخدام الطين الجبسي كمادة لاصقة بين صفوف البناء.

وقد ساعد منشئي هاتين القلعتين وجود طبقات الغرين والطين والجبس في جبل الملح نفسه وفي الأراضي المحيطة به[3]، والتي استخدمت في كساء الجدران الخارجية والداخلية للقلعتين. وقد تعرضت طبقة الكساء المذكورة للتشقق وبعض منها سقطت بفعل الرياح، ويرجع السبب في ذلك إلى ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة في منطقة تهامة خلال النهار وتحولها في الليل إلى هواء بارد، لاسيما وأن القلعتين تقعا على سفح هضبتين جبليتين. وهذا التفاوت الكبير في معدلات الحرارة والرطوبة خلال اليوم الواحد، بالإضافة إلى مرور فترة زمنية كبيرة لم تتم فيها عملية ترميم للقلعتين، أدى إلى تعرض طبقة الكساء إلى التساقط.

---

1 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 232 – 235.

2 – للمزيد عن جيولوجية هذه المنطقة من سهل تهامة اليمني. انظر مثلاً: جابر السنباني: *"دراسة جيولوجية للمكون الثاني لإنشاء محمية بحرية في منطقة اللُحية"* – ص 14.

3 – نفسه.

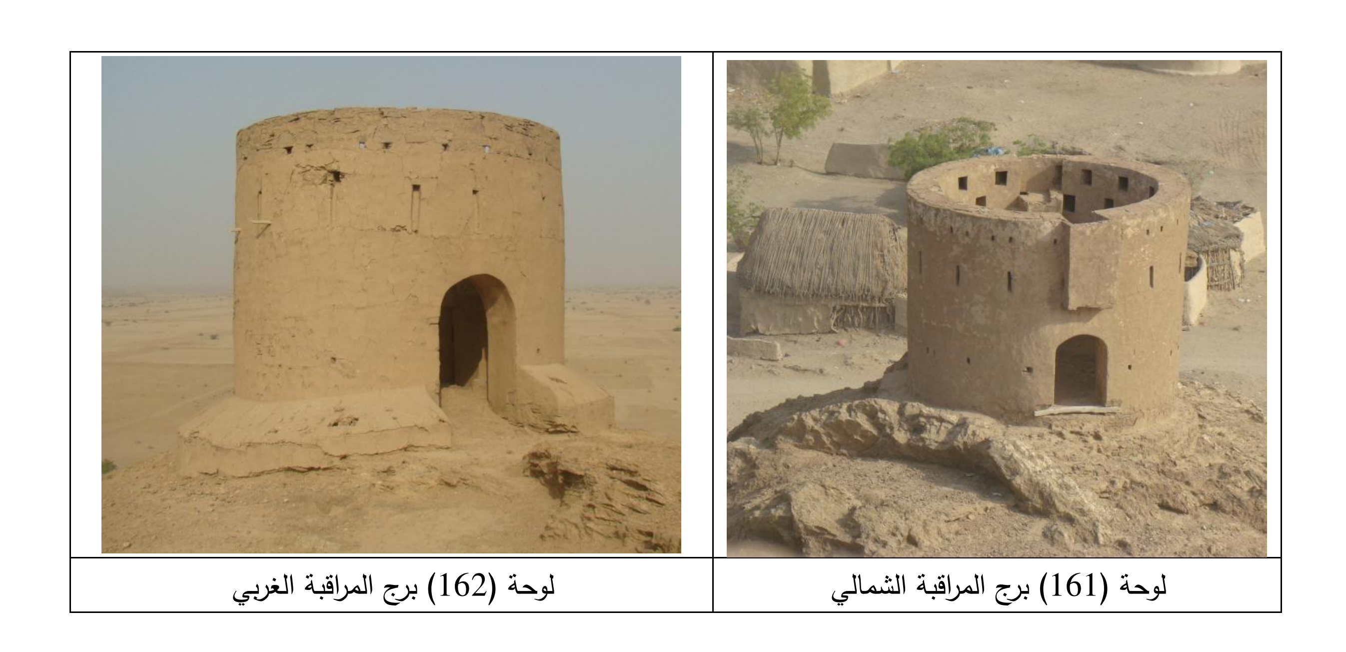
أولاً: القلعة الغربية

الموقع: (ل:160، خ:10)

تقع القلعة الغربية على سفح إحدى هضاب جبل الملح التي يطلق عليها محلياً إسم (مبروك)، وتبعد عن القلعة الجنوبية الموجودة في جبل الملح نفسه بحوالي (800م)، وتقع إحداثياتها بين دائرتي عرض (N15.67560) شمالاً، وخطي طول (E42.81248) شرقاً، وترتفع عن سطح الوادي بنحو (100م) تقريباً. وتحيط بالقلعة من الجهات: الغربية والشمالية والجنوبية: ثلاثة أبراج دفاعية، بواقع برج في كل جهة، تشكل نسقاً دفاعياً أولياً للقلعة، والهدف من بنائها هو رصد حركة مهاجمي القلعة من الجهات المذكورة قبل وصولهم إليها ومراقبتهم (ل:161- 162).



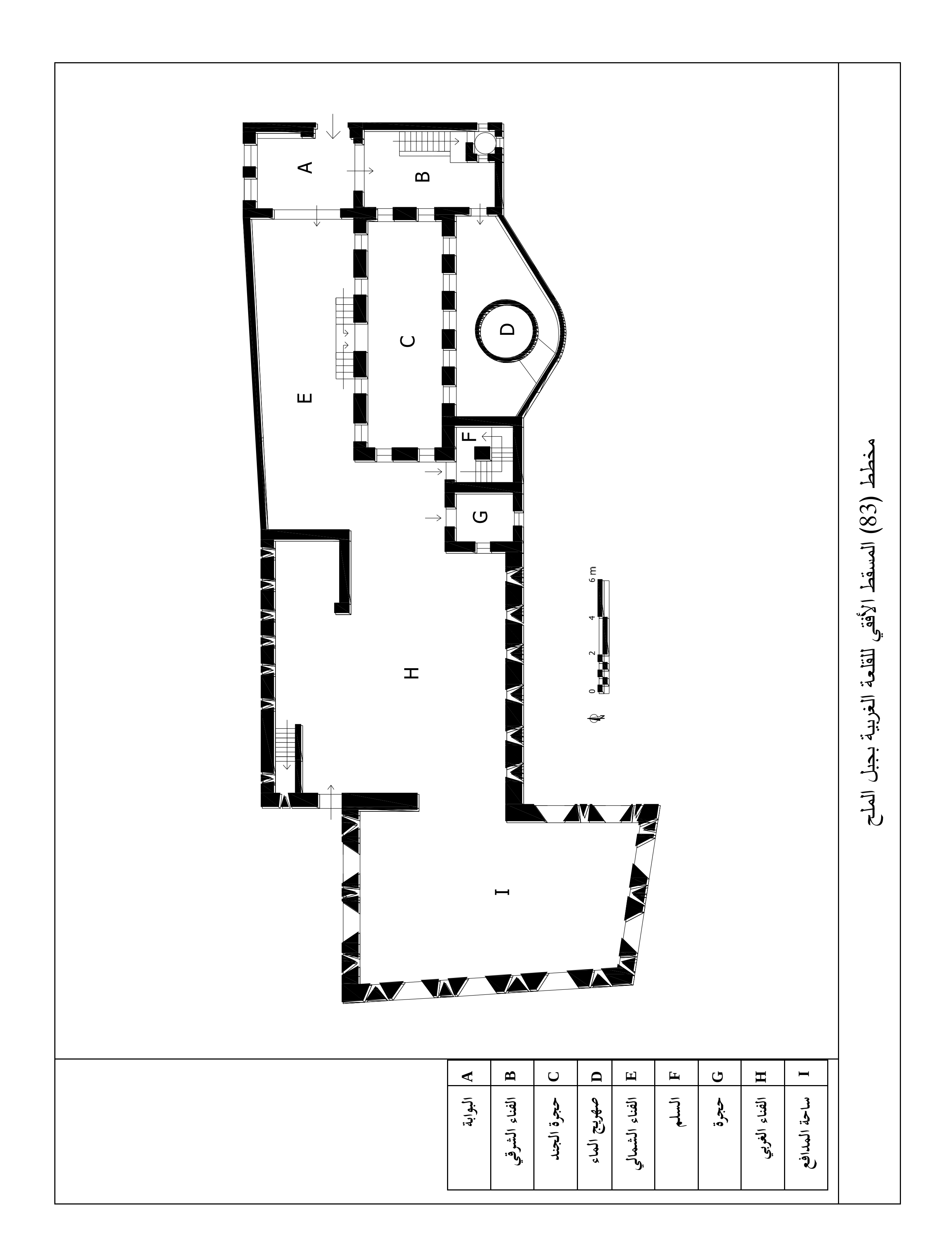
لوحة (160) صورة جوية للقلعة الغربية بجبل الملح – باستخدام برنامج google earthe



لوحة (162) برج المراقبة الغربي	لوحة (161) برج المراقبة الشمالي

– **المخطط العام:** (م:83)

تتألف القلعة الغربية بجبل الملح من مساحة مستطيلة متعددة الأضلاع، يبلغ أقصى امتداد لمساحتها من الشرق إلى الغرب نحو (32م)، ومن الشمال إلى الجنوب نحو (15.60م). وتضم القلعة فناءً واسعاً وحجرتين يلتصق بهما سلم صاعد، وساحة للمدافع، وثلاثة مراقب، وصهريج لحفظ الماء وتخزينه. والوحدات المعمارية والدفاعية المذكورة تشبه مثيلاتها في القلعة الجنوبية الشرقية في جبل الملح نفسه، سواءً من حيث وظائفها أو تقنية بنائها، وهذا يبين لنا أن كلتي القلعتين أنشئتا في فترة زمنية واحدة.



مخطط (83) المسقط الأفقي للقلعة الغربية بجبل الملح

- **القلعة من الخارج (الواجهات)**

يتم الصعود إلى القلعة الغربية بجبل الملح عبر طريق صاعد شُق في الجانب الجنوبي من هضبة الجبل نفسه، وقد قام المعماريون ببناء جدران في الأماكن المنخفضة من سفح الجبل، وذلك من

أجل الحصول على مستوى واحد لنهايات واجهات القلعة، حتى تصبح أكثر جمالية. ونتيجة لذلك فرض الموقع الطبوغرافي لسفح هذه الهضبة وجود واجهتين كبيرتين للقلعة هما الشمالية والجنوبية، حيث تمتد كل واحدة منهما بمسافة (32م)، وواجهتين صغيرتين هما الشرقية والغربية، ويبلغ امتداد الأولى نحو (13.80م)، والثانية نحو (15.60م). ويدعم جدران القلعة من الخارج جدار ساند مشطوف من أعلاه، يبلغ سمكه (70سم). وفيما يلي وصف عام للواجهات الأربع في القلعة ابتداء من الواجهة الشرقية.

أولاً: الواجهة الشرقية: (ل:163)

ترتفع هذه الواجهة عن سطح أرضية القلعة بحوالي (7م)، وهي تضم الجدار الشرقي لكتلة البوابة، الذي يتخلله مدخل بسيط معقود، يبلغ اتساعه نحو (1.80م)، وارتفاعه (2.90م). وفي الجهة الجنوبية من الجدار نفسه فتحت ثلاث نوافذ في المرقب الجنوبي الشرقي، كما يتخلل هذه الواجهة أيضا العديد من فتحات إطلاق نيران البنادق (مزاغل).



لوحة (163) الواجهة الشرقية

ثانياً: الواجهة الشمالية: (ل:164)

تتألف هذه الواجهة من الجدار الخارجي لدركاة البوابة التي تضم نافذتين واسعتين، يليها من الجهة الغربية سور الفناء يمتد بمسافة (31.30م)، ويبلغ متوسط ارتفاعه نحو (3م)، كما تتخلله العديد من فتحات الرماية بالبنادق (المزاغل). ثم يتجه جدار السور نحو الجهة الجنوبية بمسافة (4.30م)، وفتح في

هذا الجزء من الجدار مدخل ثانوي للقلعة يؤدي إلى الفناء، يبلغ اتساعه (1.25م). ويتجه الجدار مرة أخرى نحو الجهة الغربية بمسافة (10.35م)، وهو يمثل إحدى الواجهات الخارجية لساحة المدافع، حيث يضم فتحتين لإطلاق قذائف المدافع، وفتحات إطلاق الرصاص بالبنادق (مزاغل).



لوحة (164) الواجهة الشمالية

ثالثاً: الواجهة الغربية: (ل:165)

تمثل الواجهة الغربية جداراً خارجياً لساحة المدافع التي تمتد بمسافة (15.40م)، وتضم عنصران دفاعيان هما: ثلاث فتحات لإطلاق قذائف المدفعية، وصف من فتحات إطلاق نيران البنادق (مزاغل). وتعد هذه الواجهة أقل واجهات القلعة من حيث الارتفاع، إذ بلغ نحو (4م).



لوحة (165) الواجهة الغربية

رابعاً: الواجهة الجنوبية: (ل:166)

هذه الواجهة متعددة الأضلاع، وهي تبدأ بجدار المرقب الجنوبي الغربي، الذي تتخلله في أعلاه أربع نوافذ، يليه جدار فناء صهريج الماء الذي يتخذ شكل القوس، ثم جدار السلم الصاعد والحجرة الملتصقة به. وقد فتحت في الجزء العلوي من جدار المرقب نافذة لمراقبة مساحة واسعة خارج القلعة، كما فتحت في جدار الحجرة المذكورة نافذة كبيرة والعديد من الفتحات الصغرى. ويلي جدار الحجرة جدار الفناء، ويمتد بمسافة (13.40م)، ويبلغ ارتفاعه (3م)، وهو يشبه جدار الفناء السابق ذكره في الواجهة الشمالية. وتنتهي هذه الواجهة بضلعي ساحة المدافع وهما يضمَّان أربع فتحات لإطلاق قذائف المدفعية، بواقع فتحتين في كل ضلع.



لوحة (166) الواجهتان الجنوبية والشرقية

* **القلعة من الداخل:** (ل:167)

قسمت القلعة من الداخل إلى قسمين: الأول مكشوف، ويمثله الفناء وساحة المدافع وفناء صهريج الماء، وهذا القسم أكبر مساحة من الثاني المغطى، والذي تمثله كتلة البوابة والحجرتان والسلم الملتصق بهما. والملاحظة العامة على أغلب وحدات القلعة هو تركز وجودها في المنطقة الجنوبية الشرقية من القلعة، وجميع عناصرها المعمارية والدفاعية تشبه مثيلاتها في القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح نفسه، وفيما يلي وصف وتحليل لجميع وحدات القلعة.



لوحة (167) الوحدات المعمارية الجنوبية الشرقية

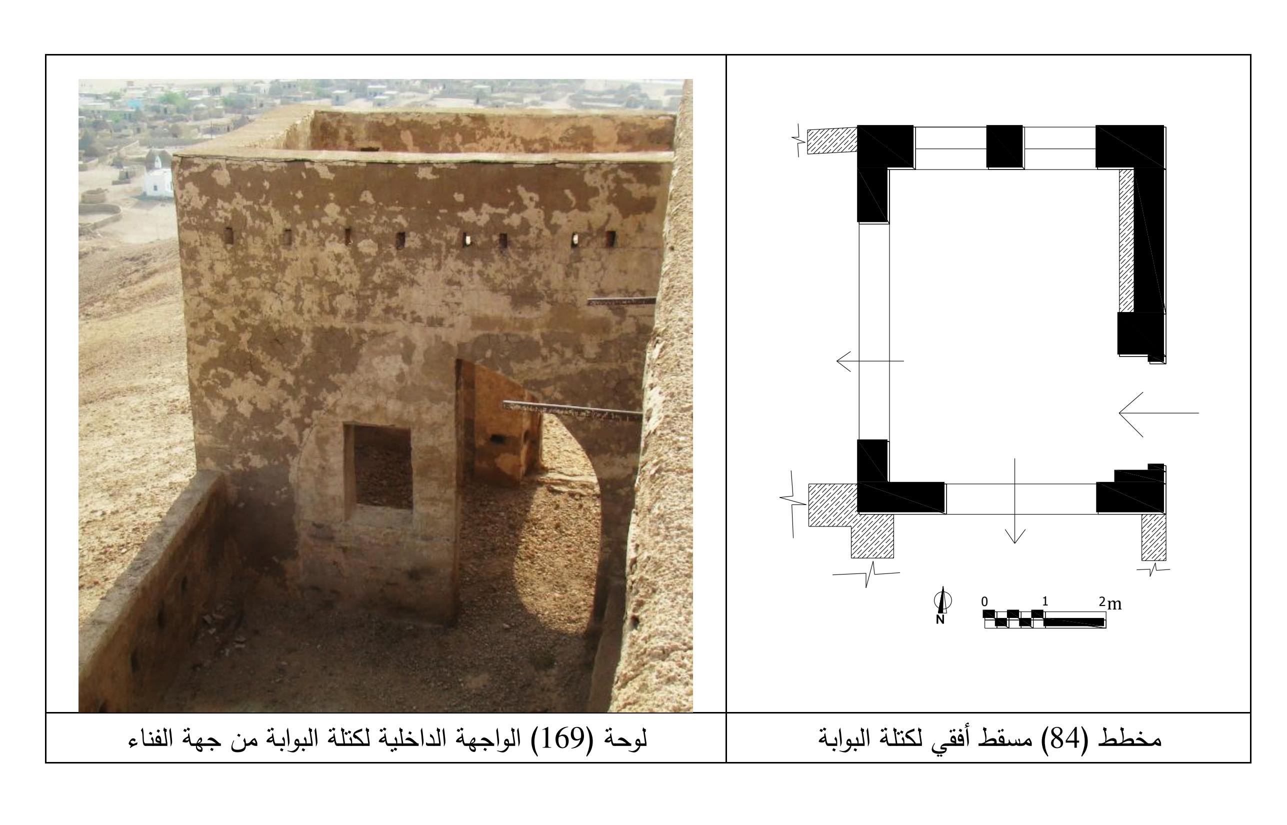
- **الوحدات المعمارية والدفاعية**

- **كتلة البوابة:** (م:84، ل:168- 169)

يفضي مدخل القلعة إلى دركاة مستطيلة (ل:170)، تبلغ أبعادها نحو (5.20م x 4م)، فتح فيها مدخلان معقودان: الأول يتجه نحو الغرب، يبلغ اتساعه نحو (3.60م)، وارتفاعه (3.50م)، وهو يؤدي إلى فناء القلعة، وقد أنشئ في النصف الشمالي منه جدار به نافذة، والثاني يتجه نحو الجنوب، ويؤدي إلى المرقب الجنوبي الشرقي وصهريج الماء، ويبلغ اتساع فتحته (2.50م)، وارتفاعها(3م). كما فتحت في الجدار الشمالي لدركاة المدخل نافذتان مربعتا الشكل، طول ضلع كل واحدة منهما (1.20م). وكان لهذه الدركاة سقف مسطح، إلا أنه في الوقت الراهن متهدم كغيره من حجرات القلعة، بسبب انتزاع أخشاب التسقيف من أماكنها من قبل ساكنة القرى المجاورة. وتضم الدركاة من أعلاها جدار ساتر يلتف حولها من ثلاثة اتجاهات، يبلغ ارتفاعه نحو (1.30م)، ويسمح للجند المكلفون بحماية البوابة الاحتماء خلفه وتصويب البنادق من خلال صف فتحات المزاغل المزدوجة المائلة.



لوحة (168) الواجهة الخارجية الشرقية لكتلة البوابة



مخطط (84) مسقط أفقي لكتلة البوابة

لوحة (169) الواجهة الداخلية لكتلة البوابة من جهة الفناء



لوحة (170) دركاة البوابة

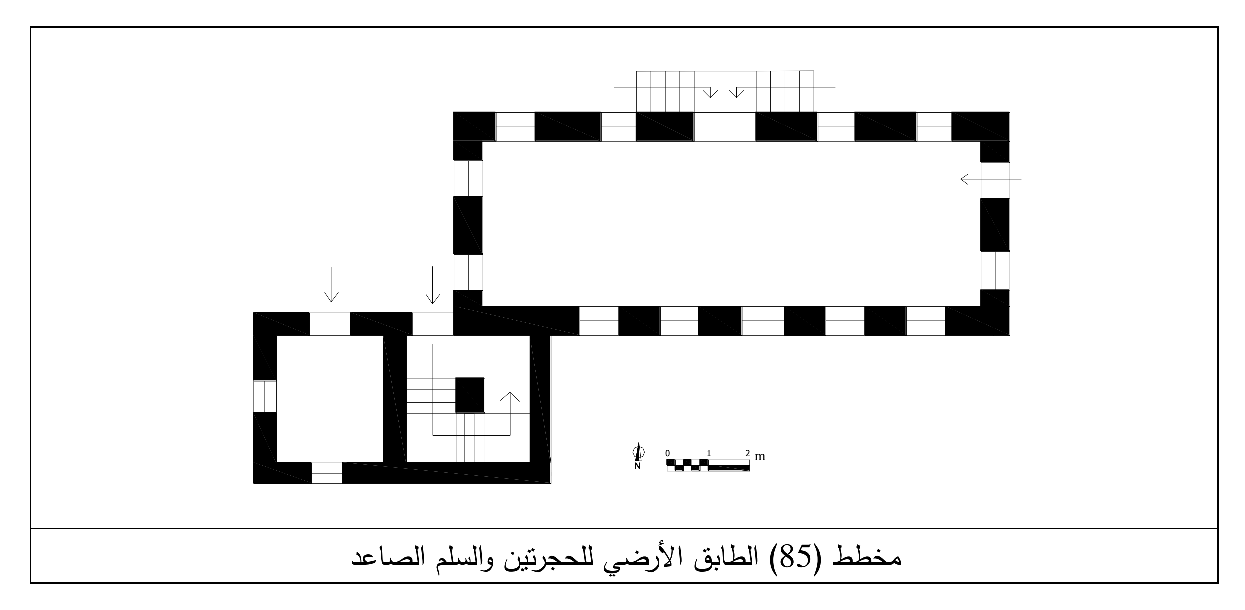
- **حجرتا القلعة**

أولاً: الحجرة الكبيرة: (ل:171، م:85)

هذه الحجرة تشبه حجرة سكن الجند الكبيرة في القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح، وهي تتألف من مساحة مستطيلة، تبلغ أبعادها نحو (12م x 4م)، وسمك جدارها (50سم)؛ ويتم الدخول إليها بواسطة مدخلين: الأول فتحته تتوسط الجدار الشمالي للحجرة، ويبلغ اتساعها (1.50م)، وارتفاعها (2.80م)، والثاني يقع في الجدار الشرقي للحجرة، يبلغ ارتفاعه (2.40م)، واتساعه (85سم). ويتخلل جدران هذه الحجرة العديد من النوافذ التي تختلف في اتساعها من واحدة إلى أخرى، ولكن ارتفاعها ثابت، حيث بلغ نحو (1.60م)، وتتوزع هذه النوافذ على جدران الحجرة الأربعة على النحو الآتي: أربع في الجدار الشمالي، يقابلها خمس في الجدار الجنوبي، ونافذتان في الجدار الغربي تقابلهما نافذة في الجدار الشرقي.

وتضم الحجرة الكبيرة طابقاً علوياً، كان الدخول إليه يتم بواسطة فتحة باب تقع في جدار السلم الملاصق للحجرة من الجهة الجنوبية الغربية. كما تضم هذه الحجرة أيضاً جداراً ساتراً يلتف حول جدرانها من الاتجاهات الأربعة، حيث يبلغ ارتفاعه نحو (1.50م)، وسمكه (40سم). والغرض الدفاعي من الجدار

الساتر هو احتماء الجند خلفه واستطاعتهم القيام بعملية الرماية بالبنادق من خلال صفين من فتحات الرماية الأمامية (مزاغل)، التي تتسع من الداخل وتضيق تدريجيا حتى تنتهى بفتحة لا تتجاوز (7سم).



مخطط (85) الطابق الأرضي للحجرتين والسلم الصاعد



لوحة (171) الحجرة الكبيرة من الداخل

ثانياً: الحجرة الصغيرة: (ل:172- 173- 174، م:86 - 87)

تتخذ هذه الحجرة مساحة مستطيلة الشكل، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (3.15م x 2.65م)، وهي تتألف من ثلاثة طوابق، يلتصق بجدارها الشرقي سلم صاعد، يؤدي إلى الطابقين العلويين فيها وإلى الطابق العلوي من الحجرة الكبيرة.

وتطل الحجرة الصغيرة بطوابقها الثلاثة على فناء القلعة بالواجهتين الشمالية والجنوبية، وعلى خارج القلعة بواجهتها الجنوبية. وجميع الطوابق متساوية في المساحة الداخلية، وكان الأرضي والأول من الحجرة تغطيهما سقفان خشبيان. أما الطابق الأخير فهو مكشوف، ويمثله جدار ساتر تتخلله العديد من فتحات إطلاق نيران البنادق. ويحتمل أن هذه الحجرة كانت تؤدي وظيفتين معاً، هي: سكن لقادة الحامية العسكرية التي كانت ترابط في القلعة، ومكان لمراقبة مساحة واسعة داخل القلعة وخارجها، نظراً لارتفاعها الشاهق الذي بلغ نحو (13م) تقريباً، وكذا إطلالتها على داخل القلعة وخارجها بعدد من النوافذ.



لوحة (172) الواجهتان الجنوبية والغربية للحجرة الصغيرة، والواجهة الجنوبية للسلم الصاعد من الخارج



لوحة (173) طوابق الحجرة الصغيرة من الداخل



مخطط (86) مسقط أفقي للطابق الأرضي للحجرة الصغرى والسلم

مخطط (87) مسقط أفقي للطابق الأول من الحجرة الصغرى والسلم الملتصق بها

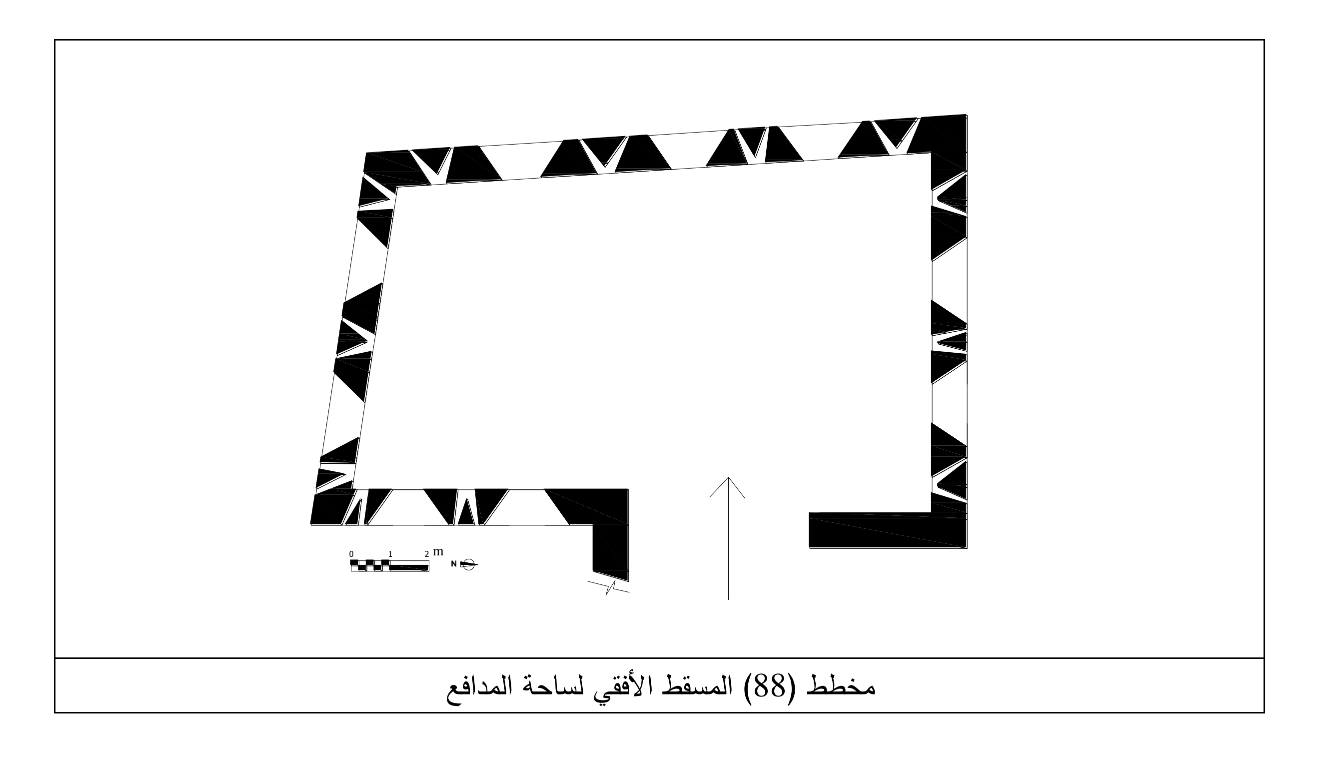
لوحة (174) الواجهة الشمالية للحجرة الصغيرة والسلم الصاعد

- **ساحة المدافع:** (ل:175، م:88، ش:40)

تتألف ساحة المدافع من شكل رباعي غير متساوي الأضلاع، حيث يبلغ امتداد الضلع الشمالي (9.25م)، والضلع الجنوبي (7.85م)، والضلع الشرقي (14.85م)، والضلع الغربي (13.75م). ويتم الدخول إليها من فتحة واسعة تقع في الضلع الشرقي. وهذه الساحة مكشوفة من الداخل وأرضيتها مرصوفة بالحجارة والتراب لتتحمل ثقل المدافع واهتزازها عند إطلاق قذائفها، ويلتف حولها جدار ساتر، يبلغ ارتفاعه نحو (1.90م)، وسمكه (90سم)، وتتخلله العديد من الفتحات لعنصرين دفاعيين هما فتحات إطلاق قذائف المدافع، وفتحات إطلاق نيران البنادق. وفتحات إطلاق قذائف المدافع بلغ عددها تسع، وهي ضيقة من الداخل وواسعة من الخارج؛ فالبعض منها اتساعها من الداخل نحو (90سم)، والبعض الآخر (1م). أما من الخارج فيبلغ اتساع كل فتحة منها نحو (2.20م)، وتتوزع في جدران الساحة على النحو الآتي: فتحتان في

الجدار الشمالي تقابلهما فتحتان في الجدار الجنوبي، وثلاث فتحات في الجدار الغربي تقابلها فتحتان في الجدار الشرقي. أما الفتحات الثانية الخاصة بالبنادق فهي من النوع المزدوج، وكل واحدة منها عبارة عن فتحة في الجدار تبلغ أبعادها نحو (45سم x 40سم)، وترتد إلى الداخل بعمق (10سم)، ثم تنقسم إلى فتحتين مائلتين: الأولى نحو اليمين، والثانية نحو اليسار، حيث تضيق الفتحتان تدريجياً حتى تنتهي بفتحتين صغيرتين أبعاد كل منهما (10سم x 5سم).

ومما سبق يتبين أن ساحة المدافع في القلعة الغربية تشبه ساحة المدافع في القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح نفسه، غير أن الساحة الأولى ردمت أرضيتها بالحجارة والتراب، مما يرجح أن سلاح المدفعية استخدم فيها، وما يزال أحدها يوجد في القلعة[1] (ل:176). كما تشبه هذه الساحة نظيرتها الشمالية في قلعة الزَيلعي باللُحية، من حيث ردم الأرضية وأسلوب بناء فتحات المدافع التي تضيق من الداخل وتتسع من الخارج؛ ولذا يمكننا القول بأن تقنية البناء التي استخدمت في قلعة الزَيلعي استخدمت أيضاً في قلعة جبل الملح الغربية.

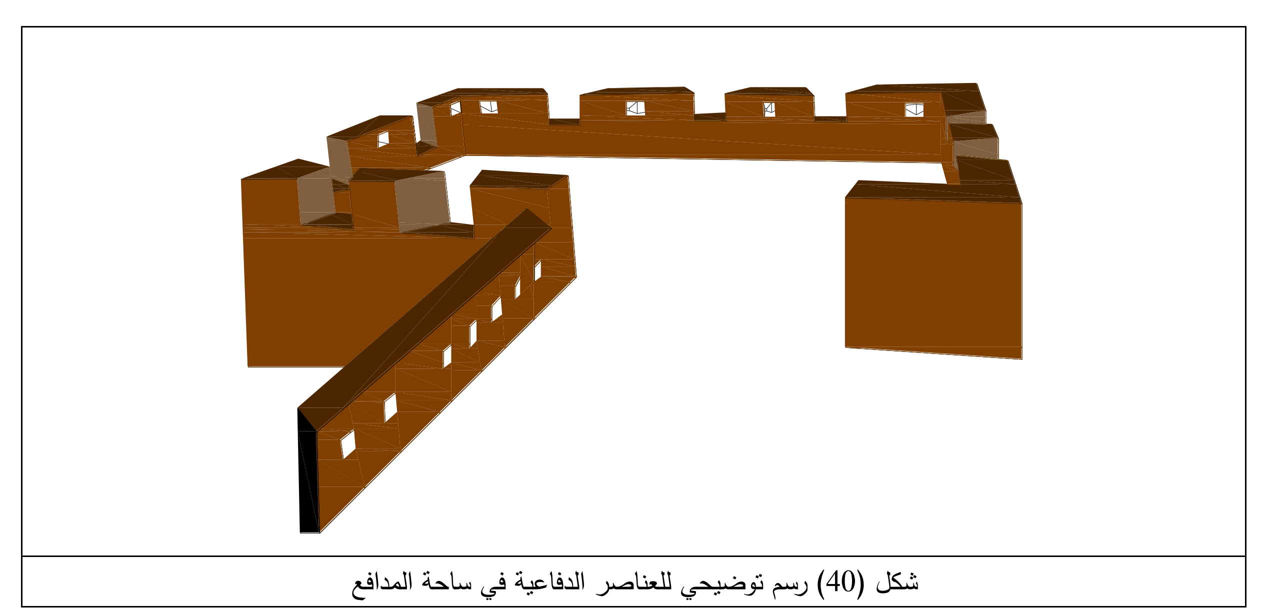


مخطط (88) المسقط الأفقي لساحة المدافع

1 – من المحتمل أن هذا المدفع ترك في القلعة في المرحلة الأخيرة من استخدامها كموقع عسكري، وذلك لعدم صلاحيته.



لوحة (175) ساحة المدافع



شكل (40) رسم توضيحي للعناصر الدفاعية في ساحة المدافع



لوحة (176) المدفع المتبقي في القلعة

- **أماكن المراقبة**

تتضمن هذه القلعة ثلاثة أماكن كانت تستخدم لغرض الحراسة والمراقبة، فالأول يقع في الركن الجنوبي الشرقي من القلعة، وعند النظر – من خارج القلعة – إلى موقعه ومكوناته المعمارية والدفاعية يمكن القول أنه كان يقوم بمراقبة بوابة القلعة وحمايتها، ومراقبة المنطقة الجنوبية الشرقية المحيطة بالقلعة أيضاً (ل:177– 178)؛ وبذلك فهو يؤدي دور البرج الركني.

ومن الناحية المعمارية يتألف المرقب الأول من بناء مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده من الداخل نحو (1.30م x 1.25م) وتغطيه قبة صغيرة ترتكز على أربع حنايا ركنية (م:89). ويرتفع هذا المرقب عن مستوى سطح أرضية القلعة بنحو (1.50م)، حيث يتم الصعود إليه بواسطة اثنتي عشرة درجة تنتهي عند بسطة تؤدي إلى مدخل المرقب. وقد فتحت في الجدارين الشرقي والجنوبي للمرقب فتحتان معقودتان، تبلغ اتساع كل منهما (55سم)، وارتفاعها (85سم)، إذ يستطيع من خلالهما الجندي المكلف بالحراسة مراقبة مساحة واسعة خارج القلعة من الجهتين الجنوبية والشرقية، كما فتحت في جدارها الغربي فتحة معقودة أيضاً، كان الهدف منها مراقبة عملية الدخول والخروج إلى صهريج الماء.

ويقع المرقب الثاني فوق السلم الجنوبي الذي يلتصق بحجرتي القلعة، وبسبب تهدم الجزء العلوي من السلم لم نتمكن من الصعود إليه والقيام بإجراء عملية الوصف الأثري له. ومع ذلك من خلال الشكل الخارجي لهذا المرقب يمكننا القول أنه يشبه تماماً نظيره الذي يعلو برج المراقبة في القلعة الجنوبية الشرقية في جبل الملح نفسه (ل:179).

أما المرقب الثالث فيقع في الجهة الشمالية الغربية بجوار المدخل الغربي للقلعة، وهو يتكون من سلم صاعد يتألف من سبع درجات تؤدي إلى بسطة، تتسع للجندي المكلف بعملية مراقبة مساحة واسعة خارج القلعة في الجهة الشمالية الغربية (ل:180).



لوحة (177) المرقب الجنوبي الشرقي المطل على البوابة

لوحة (178) المرقب الجنوبي الشرقي المطل على بوابة القلعة

مخطط (89) المسقط الأفقي للمرقب الجنوبي الشرقي

	
لوحة (179) المرقب الجنوبي	لوحة (180) المرقب الشمالي

- **صهريج حفظ الماء وتخزينه:** (ل:181)

نتيجة للظروف المناخية في منطقة تهامة، التي تتميز بالحرارة والرطوبة المرتفعة، حرص منشئو القلعة على بناء صهريج لحفظ مياه الأمطار التي قد تهطل فجأة على منطقة ووادي مور. ويقع هذا الصهريج في الجهة الجنوبية من القلعة بداخل فناء يلتف حوله جدار، يبلغ ارتفاعه نحو (3.50م)، يتخلله صف من الفتحات المزدوجة الخاصة بإطلاق نيران البنادق، وهذا الموقع شَكَّل منطقة حماية لحجرة الجند الكبيرة، وزاد من صعوبة اقتحامها من هذا الجانب.

وصهريج الماء عبارة عن حفرة دائرية، يبلغ عمقها نحو (6م) تقريباً، وقطرها من الداخل (4م)، يلتف حولها جدار يبلغ سمكه (50سم)، كسي بطبقة من النورة الكدري لمنع تسرب الماء[1]. وبجوار الصهريج من الجهة الجنوبية يوجد مدخل لسلم يتم بواسطته النزول والصعود من وإلى الصهريج لغرض الحصول على الماء وكذا تنظيفه. وتغطي الصهريج من أعلاه قبة نصف كروية، يبلغ ارتفاعها نحو (2.40سم)، تتخللها العديد من الفتحات؛ وهذا الأسلوب في تسقيف خزانات المياه يهدف بدرجة رئيسية إلى الحصول على الماء البارد بطريقة تقليدية، حيث تعمد المعماريون – الذين قاموا بتشييد القلعة – تغطية الصهريج بقبة، لأنها تعمل على خفض درجة الحرارة وتمنع وصول أشعة الشمس إلى الداخل، وكان

[1] – عن مادة النورة الكدري انظر ملحق المصطلحات المحلية.

للفتحات التي تتخلل جدار القبة دور مهم في عملية تبريد الماء، فهي تزيد من فاعلية رياح التبريد، من خلال سرعة دخول الهواء وخروجه وحركته بداخل الصهريج.

والتصميم المعماري الذي اتخذه صهريج الماء في القلعة الغربية بجبل الملح يشبه تماماً نظيره في القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح نفسه، كما وجدت الفكرة نفسها في تغطية خزانات الماء بالقباب أيضاً في مدينة الحُديدة التهامية (ل:182)، ولكن هذه الأخيرة ذات مساحة أكبر، من أجل استيعاب الكمية المطلوبة من الماء وتغطية حاجة عدد كبير من ساكنة المدينة[1].



لوحة (181) صهريج حفظ الماء وتخزينه

[1] – ما تزال مدينة الحُديدة القديمة تضم عدداً من خزانات تخزين المياه وحفظها، وقد أشرف على عمارة بعض منها السيد أحمد بن يحيى شراعي (ت: 1330هـ/1911م) خلال فترة الحكم العثماني الثاني لليمن، وكانت المياه تصل إلى الخزانات المذكورة بواسطة سواق غير ظاهرة على السطح من منطقة الحالي، والتي كانت تبعد عن مدينة الحُديدة بحوالي (4كم). للمزيد انظر: عثمان مطير: الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحُديدة، ص 104- 105.



لوحة (182) خزان حفظ وتخزين الماء بحي المطراق في مدينة الحُديدة

ثانياً: القلعة الجنوبية الشرقية

الموقع: (ل:183، خ:10)

تقع القلعة الجنوبية الشرقية في جبل الملح بين دائرتي عرض (N15.67051) شمالاً، وخطي طول (E42.81829) شرقاً، وتتميز بوقوعها على سفح إحدى الهضاب الجبلية التي ترتفع عن سطح الوادي بحوالي (300م). وهذا الموقع جعلها تشرف على مساحة واسعة من الأراضي المحيطة بجبل الملح من الجهتين الجنوبية والشرقية، مما يُمكن الحامية العسكرية التي كانت موجودة في القلعة من رصد تحركات المهاجمين قبل اقترابهم منها من هاتين الجهتين، ومراقبة مناجم استخراج الملح أيضا، والتي تقع في الجهة الشمالية الغربية من القلعة.

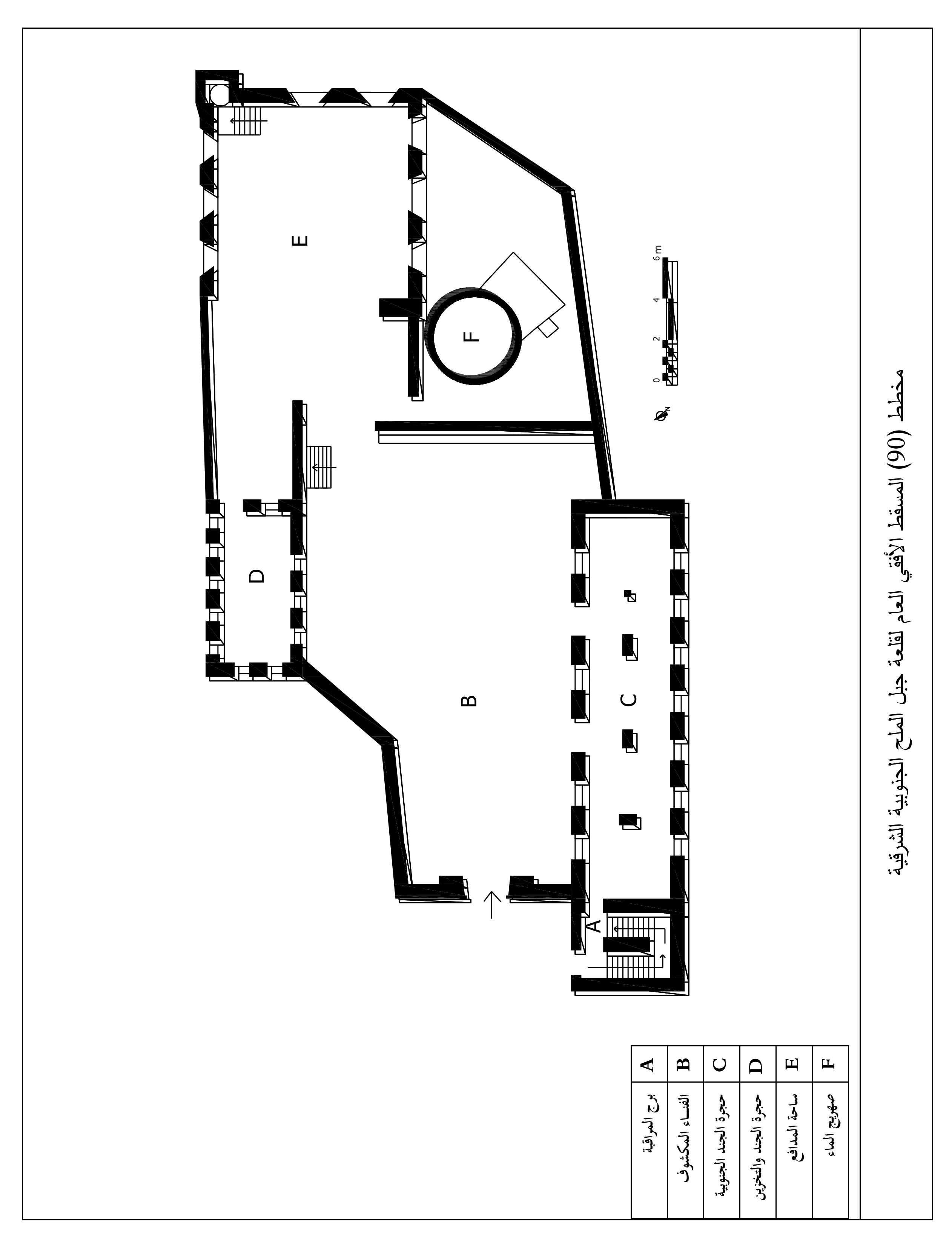


لوحة (183) صورة جوية للقلعة الجنوبية الشرقية في جبل الملح

المخطط العام: (م:90)

تتخذ القلعة الجنوبية الشرقية في جبل الملح شكلاً متعدداً الأضلاع، حيث يبلغ أقصى امتداد لمساحتها من الشرق إلى الغرب نحو (44.60م)، ومن الشمال إلى الجنوب نحو (23م). وتتألف القلعة من

عدد من المرافق الرئيسية هي: برج المراقبة بجوار بوابة القلعة، وحجرة واسعة لمبيت الجند، وحجرة صغيرة تتألف من طابقين، وساحة للمدافع، وصهريج لحفظ الماء وتخزينه، وبناء صغير الحجم للمراقبة يقع في الركن الشمالي الشرقي لساحة المدافع.



مخطط (90) المسقط الأفقي العام لقلعة جبل الملح الجنوبية الشرقية

القلعة من الخارج (الواجهات): (ل:184- 185)

يتم الوصول إلى بوابة القلعة الجنوبية الشرقية في جبل الملح بواسطة صعود طريق ملتف، حيث يبدأ من أسفل الجبل الذي تربض فوق سفحه القلعة. ويمتاز الموقع الذي أنشئت عليه هذه القلعة بارتفاعه في بعض الأماكن وانخفاضه في أماكن أخرى. وبرغم صعوبة البناء على هذا الموقع، إلا أن منشئي القلعة حرصوا على أن تكون نهايات جدران واجهات القلعة في مستوى واحد، من أجل إضفاء مسحة جمالية لها. وبالطبع فإن عملية البناء تحتاج إلى وقت كاف وتوافر أعداد كثيرة من الحجارة وجهد مكثف للعمال. وقد استطاع منشئو القلعة التغلب على ذلك بواسطة بناء صفوف في الأماكن المنخفضة حتى تتساوى مع الصخور الطبيعية، ومن ثم بناء صفوف الجدار بشكل طبيعي حتى الوصول إلى المستوى المطلوب. وهذا الأسلوب في بناء الواجهات لم يستخدم في هذه القلعة فقط وإنما استخدم أيضا في القلعة الغربية بجبل الملح نفسه، ويبدو أنهما تأثرتا بقلعة الزَيلعي في مدينة اللُحية، لأنها تعتبر أقدم إنشاءً منهما، وأقرب قلعة لهما – من حيث المسافة – من بقية قلاع سهل تهامة.

وكان لعدم تطابق الشكل المعماري الذي تتألف منه القلعة مع الجهات الأصلية الأربع دور رئيسي في ظهور واجهتين متعددتي الأضلاع إحداهما تتجه نحو الشمال والأخرى نحو الجنوب، وهما كالآتي:

الواجهة الشمالية: (ل:184)

تعتبر هذه الواجهة هي الرئيسية؛ لأن القادم من أسفل الجبل يظل يشاهدها حتى ينتهي من الصعود إلى سفح الجبل الذي تربض فوقه القلعة، وهي تتألف من عدة أضلاع تمثل سوراً للقلعة، ويبلغ أقصى ارتفاع لها نحو (7م). وهذه الواجهة تبدأ بجدار البرج الغربي الذي يبلغ امتداده نحو (5.50م)، يليه من جهة الشرق جدار يتجه نحو الشمال، يبلغ امتداده نحو (8.59م)، فتح فيه مدخل البوابة، التي تتجه نحو الشمال الغربي، وهذه البوابة بمخططها البسيط ذات الشكل المستطيل القائم، الذي بلغ ارتفاع فتحة مدخلها نحو (2.70م)، واتساعها (1.90م)، جعلها تنتمي إلى البوابات المباشرة. ولمدخل البوابة كتفان

يكتنفان فتحته، بلغ سمكهما نحو (1.10م)، كان يثبت عليهما مصراعان خشبيان للتحكم في عملية الدخول والخروج من القلعة وإليها. ويلي جدار البوابة من الجهة الغربية جدار الفناء الذي يمتد بمسافة (11.60م)، ثم يتجه نحو الشمال بمسافة (4.70م)، وهو يضم في طرفه الشمالي نافذتي الحجرة الشمالية في القلعة. وتنتهي الواجهة الشمالية بجدار يمتد بمسافة (29.40م)، تتخلله في طرفه الغربي فتحات نوافذ الحجرة الشمالية المذكورة، ويتخلل وسطه أيضا صفوف من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل)، وفي طرفه الشرقي تقع ثلاث فتحات لإطلاق المدفعية، بالإضافة إلى الفتحة الشمالية لحجرة المراقبة الشمالية الشرقية.



لوحة (184) الواجهة الشمالية للقلعة

الواجهة الجنوبية: (ل:185 - 186)

تتألف الواجهة الجنوبية من جزأين: الأول يمثل الجدار الجنوبي لحجرة الجند وبرج المراقبة الملاصق لها، ويبلغ امتداده نحو (22.80م) وارتفاعه حوالي (12م)، وقد فتحت فيه تسع نوافذ، سبع منها في جدار حجرة الجند، واثنتان في جدار برج المراقبة. أما الجزء الثاني فيتكون من جدار يتألف من ضلعين يمثلان جزءً من سور القلعة، يبلغ ارتفاعهما نحو (3م)، وقد بلغ امتداد الضلع الأول (11.70م)، والثاني (8.60م). وإضافة إلى الفتحات المذكورة التي تتخلل هذه الواجهة توجد فيها العديد من فتحات التصويب بالبنادق، التي تتوزع على هيئة صفوف، وتبلغ قياس كل واحدة منها نحو (7سم x 15سم).



لوحة (185) الواجهة الجنوبية لحجرة الجند الشمالية وبرج المراقبة



لوحة (186) جدران سور القلعة في الواجهة الجنوبية

القلعة من الداخل (ل:187)

تفضي بوابة القلعة إلى فناء مكشوف يتخذ شكلاً متعدد الأضلاع، يبلغ أقصى امتداد له من الشرق إلى الغرب نحو (22م)، وأقصى امتداد من الشمال إلى الجنوب نحو (12م). وتحيط بالفناء من الجهة الجنوبية حجرة الجند الشمالية، ومن الجهة الشمالية حجرة الجند والتخزين، وفي الجهة الشرقية منه يقع مدخل بغير عتب يؤدي إلى ساحة المدافع وصهريج حفظ الماء وتخزينه.

والملاحظ على أرضية القلعة استوائها من الداخل وخاصة الفناء، وهذا الأمر وجد في القلعة الغربية بجبل الملح أيضاً، وكذا قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية، وذلك من أجل تسهيل حركة الجنود بداخل القلعة، لأن الفناء يعتبر منطقة مركزية لجميع وحدات القلعة. كما يوجد ميلان طفيف في بعض جوانب أرضية الفناء القريبة من الصهريج، الهدف منه تسهيل مرور الماء نحو الصهريج، عند نزول مياه الأمطار. وتظهر في جداري السور، سواء الملاصق للبوابة من الجهة الشمالية أو المطل على الفناء من الجهة الشمالية أيضاً، أربع فتحات معقودة، يبلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (2م)، واتساعها (80سم)، وقد كان الغرض الوظيفي منها إطلاق قذائف المدفعية، لكنها في الوقت الراهن مسدودة.

وقد تنوعت فتحات الرماية بالبنادق (المزاغل) في جميع جدران القلعة من الداخل، فمنها المفردة المائلة والأمامية، والمزدوجة المائلة، وجميع فتحاتها واسعة من جهة الفناء وتختلف في قياساتها، حيث تبلغ أبعاد بعض منها نحو (35سم x 40سم)، والبعض الآخر نحو (15سم x 20سم)، وتضيق هذه الفتحات كلما اتجهت نحو خارج الجدار لتنتهي بفتحة صغيرة لا تزيد فوهتها عن (10سم). والهدف الرئيسي من بناء فتحات البنادق (المزاغل) بهذا الشكل هو السماح للجند بحرية الحركة في تصويب بنادقهم، وهم متخفين خلف الجدران (ل:188).



لوحة (187) الوحدات المعمارية في القلعة



لوحة (188) فتحات الرماية بالبنادق (المزاغل) في جدار سور القلعة

الوحدات المعمارية والدفاعية

- **برج المراقبة:** (ل:189، ش:41، م:91)

يقع برج المراقبة في الجهة الجنوبية من القلعة، بجوار البوابة، ولأنه ذو ارتفاع شاهق ويتخلله العديد من الفتحات، فإنه كان يؤدي وظيفتين معاً، الأولى: رصد تحركات العدو، بسبب إطلالته على مساحة واسعة خارج القلعة، وكذا مراقبة كل ما يحدث داخل القلعة من خلال الفتحات التي تتخلل حجرة المراقبة في قمته. والوظيفة الثانية لهذا البرج هي مراقبة بوابة القلعة والدفاع عنها، نظراً لموقعه المهم الذي يبرز عن جدار الواجهة الشمالية الغربية بنحو (4.50م). وإضافة إلى ذلك تقوم فتحات النوافذ التي تتخلل جدرانه بوظيفة إدخال الضوء والهواء، وقد بلغ عددها خمس في الطابق الأول، تتوزع على واجهات البرج الشمالية والجنوبية والغربية، حيث يبلغ اتساع كل واحدة منها نحو (80سم)، وارتفاعها (1م)، أما الواجهة الشرقية فقد فتح فيها مدخل كان يؤدي إلى سطح حجرة الجند الجنوبية.

والمخطط الهندسي لهذا البرج يتألف من شكل مستطيل تبلغ أبعاده (4.30م x 3.15م)، يشترك بجداره الشرقي مع حجرة الجند الجنوبية، ويتم الدخول إليه عبر فتحة مدخل تقع في مكان متوسط من الجدار الشمالي لطابقه الأرضي. وهذه الفتحة ذات شكل مستطيل رأسي، يبلغ ارتفاعها (2.20م)، واتساعها

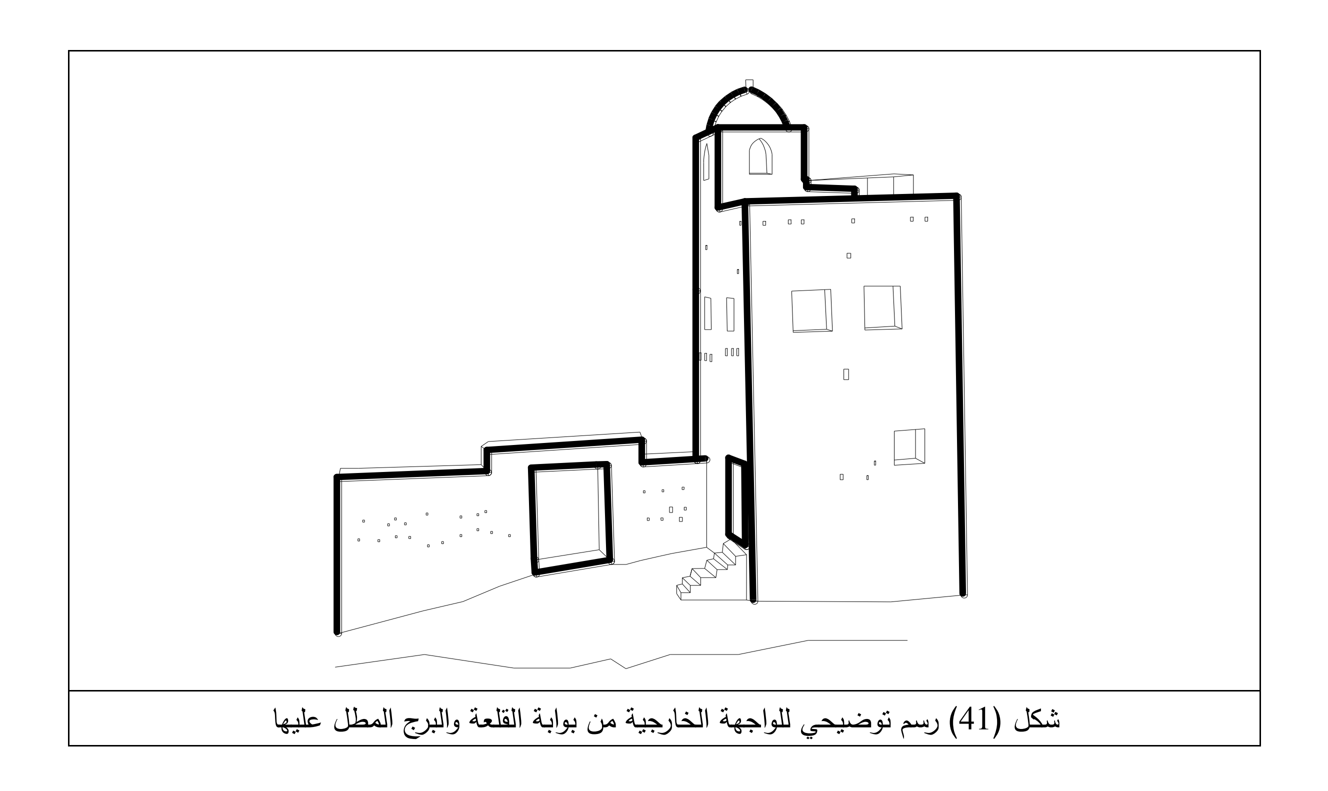
(1.20م). ويتكون هذا البرج من أربعة طوابق (م:91، 92، 93)، يصعد إليها بواسطة سلم صاعد يلتف حول دعامة مركزية تتوسطه.

ويتألف الطابق الثاني في البرج من جدار ساتر يتخلله صف من فتحات البنادق (مزاغل)، وفي الركن الشمالي الشرقي منه تقع حجرة المراقبة التي تمثل طابقاً ثالثاً تغطيه قبة صغيرة تتخذ الشكل المدبب. وتتخلل الجدران الأربعة في هذا الطابق أربع فتحات معقودة للمراقبة بواقع واحدة في كل جهة، وبلغ اتساع كل منها (50سم)، وارتفاعها (1م)،.

ويبدو أن المرحلة الأخيرة من بناء القلاع التي أنشئت فوق مرتفعات جبلية لم تعد بحاجة إلى إنشاء أبراج دفاعية تتخللها عناصر دفاعية كالسقاطة على سبيل المثال، ولذا فقد استبدلت بمراقب مرتفعة الغرض منها مراقبة مساحة واسعة، ورصد تحركات العدو قبل اقترابه من القلاع، وذلك بسبب تطور سلاح المدفعية الذي لا يعطي الفرصة للمهاجمين الاقتراب من القلاع، إضافة إلى قوته المدمرة التي تخضع العدو قبل وصوله إلى مبنى قلعة ما.



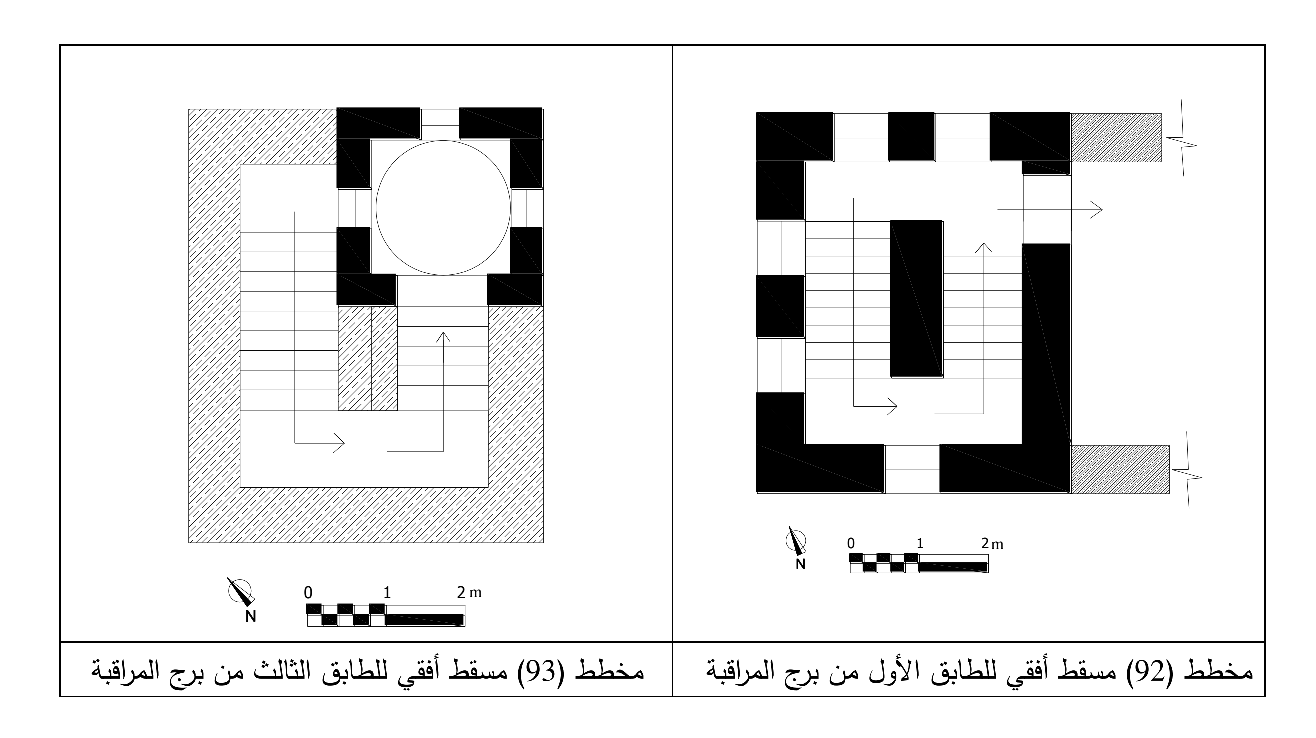
لوحة (189) بوابة القلعة والبرج المطل عليها



شكل (41) رسم توضيحي للواجهة الخارجية من بوابة القلعة والبرج المطل عليها

مخطط (91) المسقط الأفقي للبوابة والطابق الأرضي لبرج المراقبة

لوحة (190) بوابة القلعة وبرج المراقبة



مخطط (92) مسقط أفقي للطابق الأول من برج المراقبة

مخطط (93) مسقط أفقي للطابق الثالث من برج المراقبة

- **الحجرة الجنوبية:** (ل:191، م: 94)

تقع الحجرة الجنوبية في الجهة اليمنى من بوابة القلعة، ومخططها لا يختلف عن نظرائه في حجرات مبيت الجند في أغلب قلاع تهامة التي اتخذت الشكل المستطيل. وبلغت أبعاد هذه الحجرة نحو (18.60م x 4.10م)، وسمك جدرانها (70سم)، ويتم الدخول إليها بواسطة ثلاثة مداخل: اثنان منها يقعان في واجهتها الشمالية، ويتخذان الشكل المستطيل القائم، بلغ ارتفاع كل منهما نحو (2.50م)، واتساعه (1.60م)، أما المدخل الثالث فيقع في الجدار الغربي للحجرة نفسها، وكان الهدف من وجوده هو اتصالها ببرج المراقبة، بحيث يستطيع الجند الصعود إلى أعلى البرج بشكل سريع دون الحاجة إلى الخروج من القلعة.

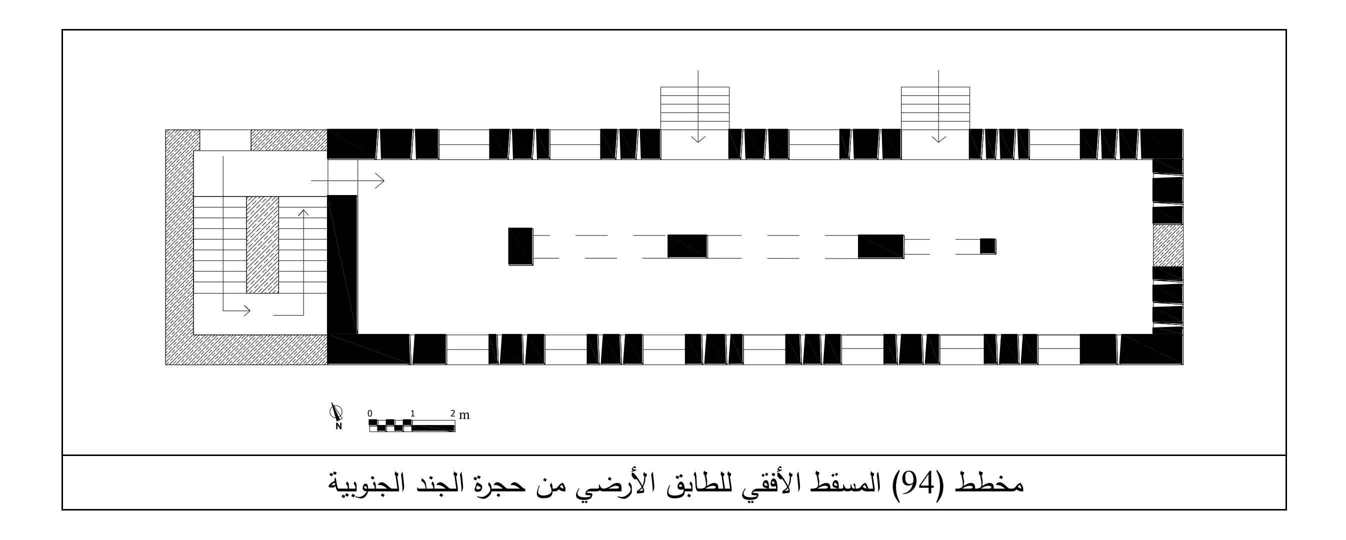
وحجرة الجند الجنوبية من الداخل ذات أرضية مرتفعة تم ردمها بالتراب والحجارة، ويرتفع منسوبها عن أرضية فناء القلعة، وتقطعها من الداخل بائكة تتألف من أربعة أعمدة تحمل ثلاثة عقود، ويبدو أن الغرض الوظيفي منها تقليل مساحة الحجرة عند السقف، نظراً لعدم وجود الكثير من الأخشاب الطويلة المستخدمة في التسقيف، إضافة إلى تحمل الثقل الناتج من الطابق العلوي، برغم أن هذا الأخير مكشوف، ولكن يمكن تفسير ذلك إلى أنه كان مخصصا لتمركز الجنود خلف جداره الساتر حينما تتعرض القلعة لهجوم ما.

وقد فتح في جدران حجرة الطابق الأرضي العديد من النوافذ المعقودة التي تتساوى جميعها في الأبعاد، حيث بلغ اتساع كل واحدة منها نحو (95سم)، وارتفاعها نحو (1.90م)، وهي تتوزع في الحجرة على النحو الآتي: سبع نوافذ في الجدار الجنوبي، وأربع في الجدار الشمالي، ونافذة في الجدار الشرقي، وهي مسدودة في الوقت الراهن. كما يتخلل الجدران بين النوافذ المذكورة العديد من فتحات البنادق (مزاغل)، بواقع فتحتين بين كل نافذتين.

أما الطابق العلوي من هذه الحجرة فهو مكشوف، ويلتف حوله جدار ساتر في الاتجاهات الأربعة، الهدف من وجوده هو احتماء الجند خلفه وتصويب بنادقهم نحو المهاجمين من خلال صفين من فتحات البنادق (المزاغل)، فالصف السفلي فتحاته مائلة إلى أسفل الجدران الخارجية للحجرة نفسها، بينما فتحات الصف العلوي من النوع الأمامي.



لوحة (191) حجرة الجند الجنوبية



مخطط (94) المسقط الأفقي للطابق الأرضي من حجرة الجند الجنوبية

- **الحجرة الشمالية:** (ل:192)

تقع هذه الحجرة في مكان متوسط من الواجهة الشمالية في القلعة، وهي تتألف من طابقين، وفي ما يلي الوصف التفصيلي والتحليل المعماري لهما.

الطابق الأرضي: (ل:193، م:95)

يتألف هذا الطابق من مساحة ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (7.30م x 3.40م)، وارتفاعها من الداخل نحو (2.50م)، وتمت تغطيتها بسقف مسطح اتبعت فيه الطريقة التقليدية المستخدمة في منطقة سهل تهامة.

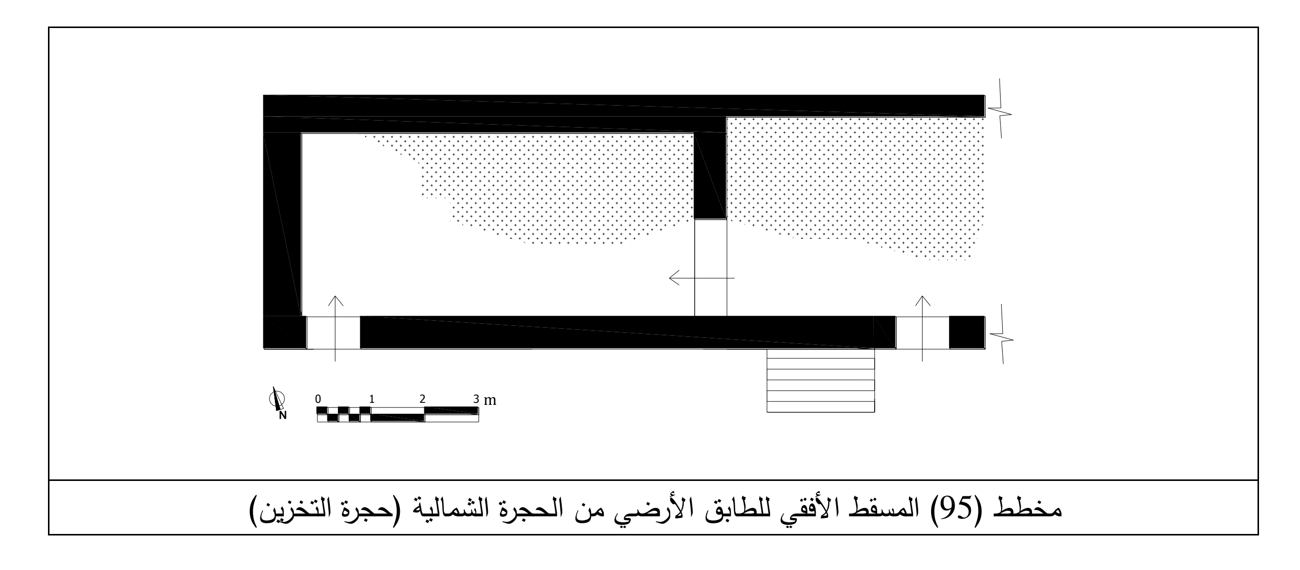
أثناء العمل الميداني في هذه القلعة تم رصد عدد من الملاحظات الأثرية، تبين من خلالها أن الحجرة الشمالية تختلف في مكوناتها الداخلية عن الحجرة الجنوبية في القلعة نفسها، وحجرات القلاع التي تضمنتها الدراسة، فقد وجد أن أرضيتها منخفضة جداً عن مستوى أرضية فناء القلعة، ولا توجد بها فتحات كبيرة في جدرانها عدا المدخلين اللذين يتجهان نحو الفناء. كما أن منشئي القلعة استفادوا من صخرة في موقع الحجرة نفسها، فتمت إحاطتها بالجدران ومن ثم تقسيمها إلى منطقتين بواسطة جدار فتح فيه مدخل. والصخرة المذكورة اقتطعت حيزاً كبيراً من المساحة الكلية للحجرة، وهي تضم تجويفاً واسعاً.

والمكونات العامة للطابق الأرضي تدل على أنها كانت تستخدم إما لتخزين المؤونة من مواد غذائية أو ذخيرة الأسلحة، أو أنها كانت تؤدي دور الملجأ إذا ما شعرت الحامية العسكرية المرابطة في القلعة، وخاصة قادتها، بخطورة قصف محتمل قد تتعرض له القلعة.

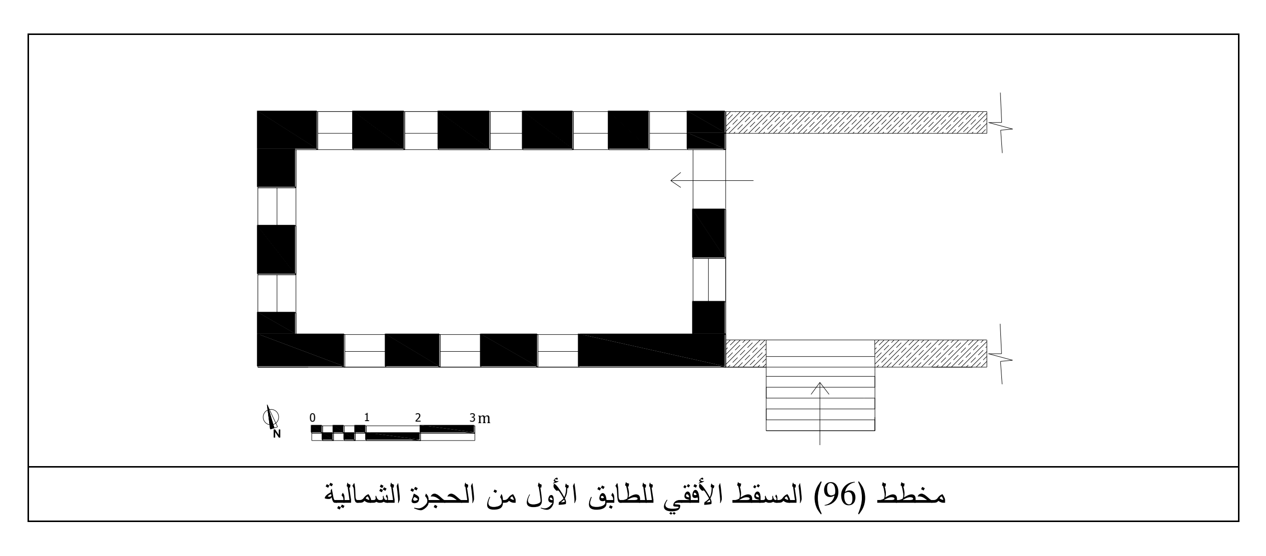
الطابق الأول: (م:96)

يتألف الطابق الأول في هذه الحجرة من مساحة ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها نحو (7.30م x 3.40م)، ويتم الولوج إليها بعد صعود درج يستند على جدار الطابق الأرضي في الحجرة نفسها، ثم السير فوق سطحها – المتهدم في الوقت الراهن – والانحراف يساراً للدخول عبر فتحة مدخل، تبلغ ارتفاعها (2.20م)، واتساعها (1م). وقد فتحت في الجدران الأربعة لهذه الحجرة عشر نوافذ جميعها متساوية في الأبعاد، حيث يبلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (1.50م)، واتساعها (75سم)، وهي تتوزع على جدران الحجرة على النحو الآتي: خمس نوافذ في الجدار الشمالي، وثلاث في الجدار الجنوبي، ونافذتان في الجدار الغربي، وواحدة في الجدار الشرقي.

ويلاحظ على الطابق الأول في الحجرة الشمالية عدم وجود سقف يغطيها أو أي دلائل تشير إليه (ل:194)، وهذا الأمر يدعونا إلى القول إن هذا الطابق لم يكتمل بناؤه. ويرجح أن سبب ذلك يعود إلى مزامنته مع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام (1336هـ/1918م)، وبالتالي توقفت عملية استكمال بنائها، وكذا ساحة المدافع في القلعة نفسها كما سنبين ذلك لاحقاً.



مخطط (95) المسقط الأفقي للطابق الأرضي من الحجرة الشمالية (حجرة التخزين)



مخطط (96) المسقط الأفقي للطابق الأول من الحجرة الشمالية



لوحة (192) الواجهة الجنوبية لحجرة الجند والتخزين



لوحة (193) الواجهة الشرقية لحجرة الجند والتخزين

لوحة (194) الطابق الأول في الحجرة الشمالية

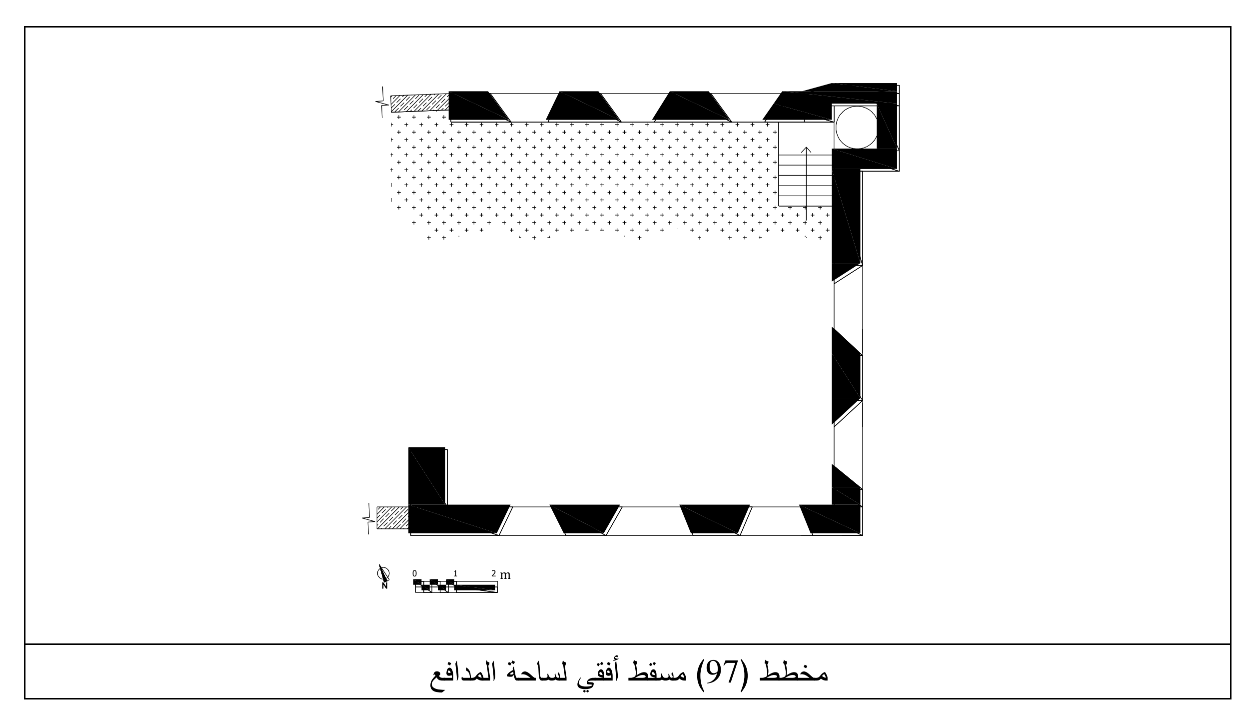
- **ساحة المدافع:** (ل:195، م:97)

تقع ساحة المدافع في الركن الشمالي الشرقي من القلعة، ويتخذ مخططها الأفقي الشكل المستطيل، حيث يبلغ امتدادها من الشرق إلى الغرب نحو (9.50م)، ومن الشمال إلى الجنوب نحو (9.40م). ويتم الدخول إلى الساحة من الجهة الغربية التي لا يوجد بها جدار كما في بقية واجهات الساحة نفسها. وقد فتحت في جدرانها الثلاثة ثمان فتحات لإطلاق قذائف المدفعية، وجميعها ضيقة من الداخل وواسعة من الخارج. وهي بذلك تشبه نظيراتها في ساحة قلعة جبل الملح الغربية، وساحة المدافع الشمالية في قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية، والغرض من بنائها بهذا الشكل – كما سبق الذكر – هو حرية حركة مواسير المدافع أثناء توجيهها نحو أهدافها. وتتوزع فتحات إطلاق المدفعية على جدران الساحة على النحو الآتي: ثلاث فتحات في الجدار الشمالي، وثلاث في الجدار الجنوبي، وفتحتان في الجدار الشرقي، وبالتالي يستطيع الجند من خلال هذه الفتحات توجيه المدافع نحو ثلاث جهات رئيسية هي: الشرقية والشمالية والجنوبية.

ويلاحظ على فناء هذه الساحة انخفاضه بشكل كبير، ولذا فهو لا يتوافق والوظيفة التي وجد من أجلها، أي أن ارتفاع الفتحات التي تتخلل جدران الساحة مرتفعة جداً عن أرضيتها، وبالتالي فإن هناك صعوبة في عملية توجيه المدافع نحو أهدافها للسبب المذكور. وبالمقارنة بين ساحة المدافع المذكورة مع نظيراتها في القلعة الغربية بجبل الملح نفسه، وفي قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية، يتبين أن هذه الساحة لم يتم ردم فنائها بالتراب والحجارة، ويدل على ذلك وجود صخرة تمتد بطول الجانب الشمالي للساحة، وهذه الصخرة تعتبر امتداداً للصخرة الواقعة في الحجرة الشمالية السابق ذكرها.

ومما سبق يستنتج أن ساحة المدافع في القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح لم تستكمل المرحلة الأخيرة من إنشائها، لكي تصبح جاهزة لوضع المدافع عليها. وبما أن الأوضاع السياسية كانت متوترة في الفترة التي أنشئت فيها قلاع جبل الملح، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى (1332هـ/1914م)، فإنه من

المرجح أن الوقت لم يتح لمنشئي هذه القلعة استكمال بناء ساحة المدافع. وبناء على ذلك فمن المحتمل أن سلاح المدفعية لم يستخدم في ساحة المدافع بالقلعة الجنوبية الغربية في جبل الملح.



مخطط (97) مسقط أفقي لساحة المدافع



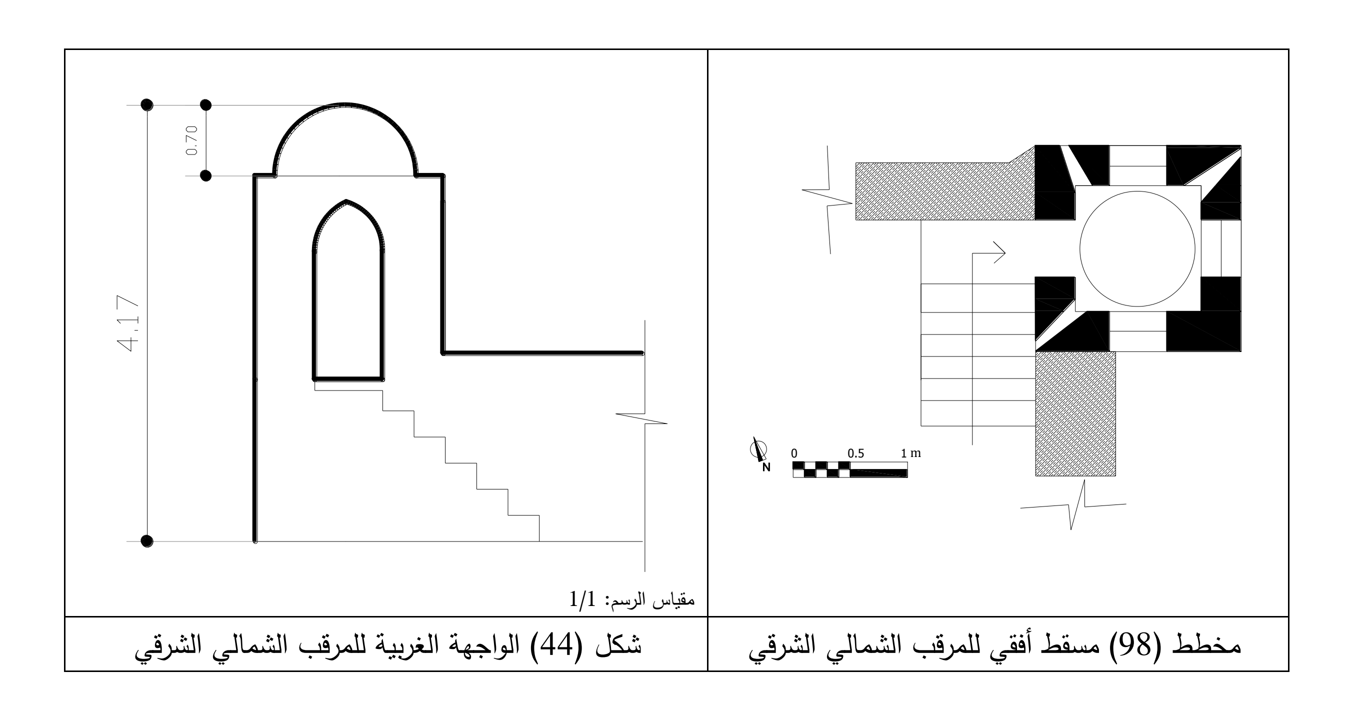
لوحة (195) ساحة المدافع

- **المرقب الشمالي الشرقي:** (م:98، ش:44، ل: 196- 197)

يقع هذا المرقب في الركن الشمالي الشرقي من القلعة عامة وساحة المدافع على وجه الخصوص، ويبرز جداره عن جدار ساحة المدافع من الجهة الشرقية بنحو (90سم)، ويتخذ مسقطه الأفقي شكلاً مربعاً طول ضلعه نحو (1.10م)، تغطيه قبة صغيرة، وترتفع أرضيته عن أرضية ساحة المدافع بنحو (1.50م).

ويصعد إلى هذا المرقب بواسطة درج يستند على الجدار الشرقي لساحة المدافع، والغرض الوظيفي من وجوده هو السماح للجندي المكلف بالحراسة مراقبة منطقة واسعة خارج القلعة من الجهتين الشرقية والشمالية، وذلك من خلال ثلاث فتحات معقودة، تبلغ ارتفاع كل واحدة منها نحو (80سم)، واتساعها (50سم).

والشكل المعماري لهذا المرقب يشبه نظرائه في القلعة الغربية من جبل الملح نفسه، وقلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية، وذلك من حيث التركيب المعماري والعناصر الدفاعية التي يتضمنها. ويبدو أن هذه الوحدة المعمارية (المرقب) تعد من إحدى خصائص القلاع التي أنشئت فوق الهضاب الجبلية سواءً الساحلية أو القريبة من الساحل.



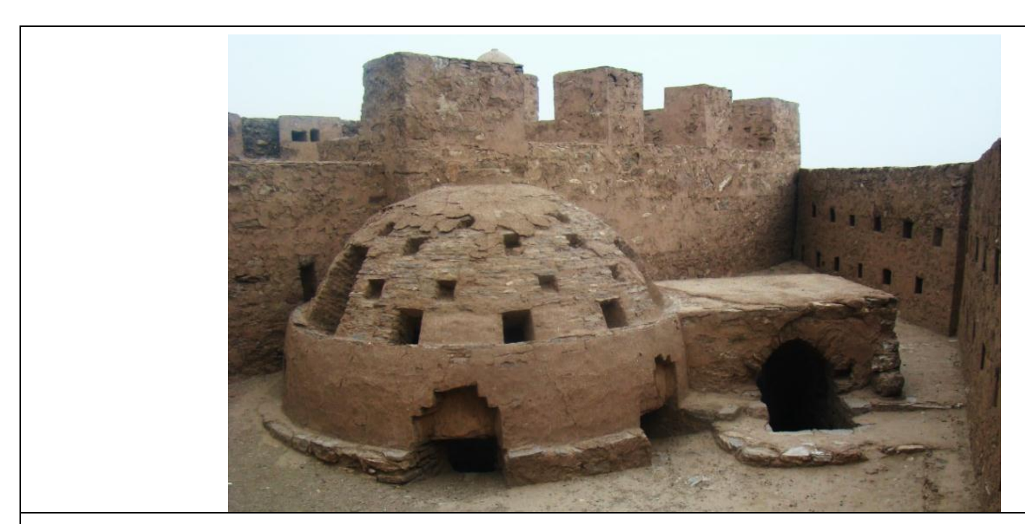
شكل (44) الواجهة الغربية للمرقب الشمالي الشرقي	مخطط (98) مسقط أفقي للمرقب الشمالي الشرقي

	
لوحة (197) المرقب الشمالي الشرقي من جهة ساحة المدافع	لوحة (196) الجدار الخارجي للمرقب الشمالي الشرقي

- **صهريج حفظ الماء وتخزينه:** (ل:198)

يقع صهريج الماء في الجانب الجنوبي الشرقي من القلعة، وقد تَعمَّد منشئو القلعة أن تكون المنطقة المحيطة به منخفضة جداً، لتسهيل مرور الماء من جميع مرافق القلعة إليه حال نزول المطر.

ومن الناحية المعمارية تعد جميع المكونات المعمارية التي يتضمنها هذا الصهريج مشابهة لنظيره في القلعة الغربية من جبل الملح نفسه، سواءً من حيث الشكل والتركيب المعماري أو الوظيفة التي وجد من أجلها، وتجنباً للتكرار فقد فضلنا عدم القيام بعملية الوصف الأثري لهذا الصهريج.



لوحة (198) صهريج حفظ وتخزين الماء

الباب الثاني: القلاع المتهدمة

الفصل الأول: قلعة حَيس

الفصل الثاني: قلعة الزُهرة

الفصل الثالث: قلعة المُعترض

الفصل الرابع: قلاع مِيدي

الفصل الخامس: قلعتا باجِل

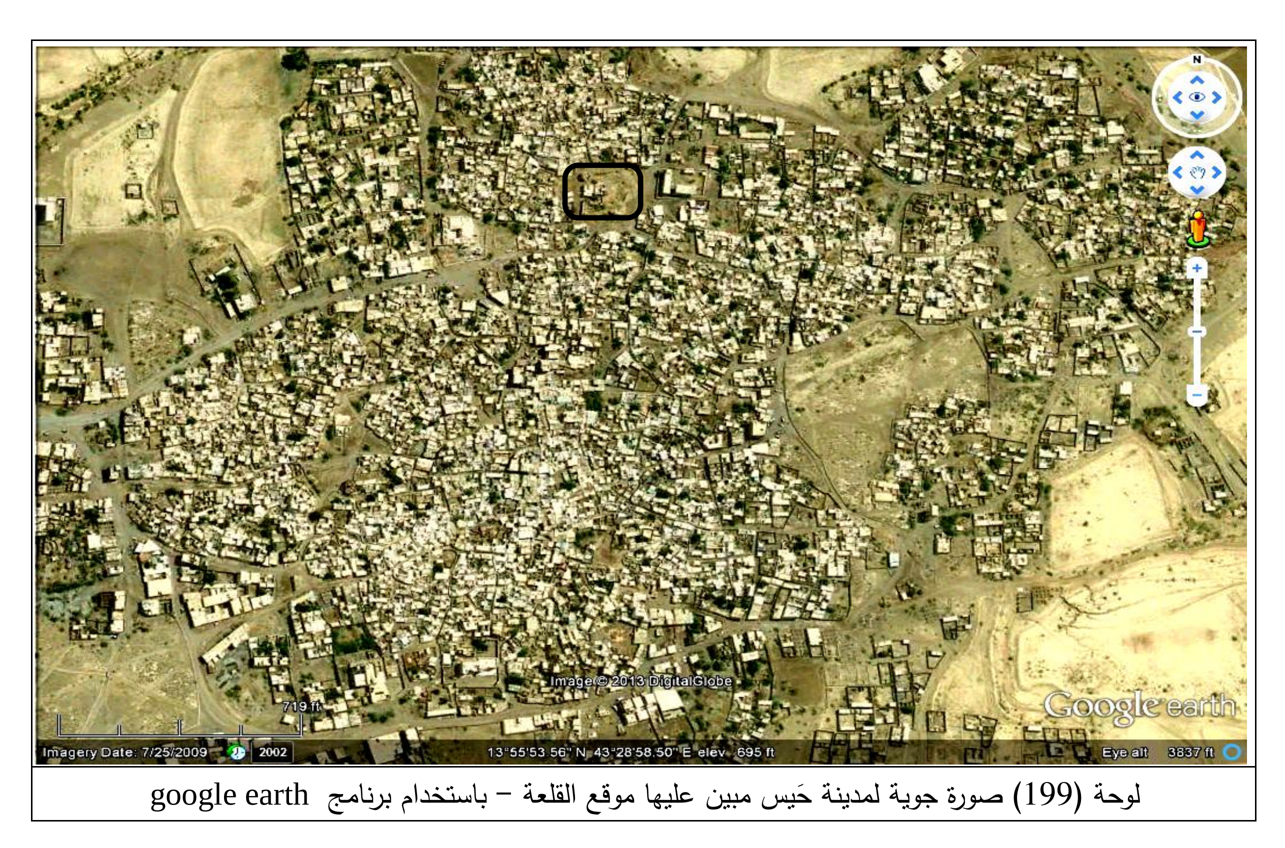
الفصل الأول: قلعـــة حَيس

- الـمـــوقع وأهميته
- الأحداث الحربية المتعلقة بالقلعة
- الوضع المعماري الراهن
- مواد البناء وأسلوبه
- الدراسة الوصفية والتحليلية
  - المخطط العام
  - الـــــواجهات
  - القلعة من الداخل
  - الأبـراج الدفاعية
- محاولة لإعادة وضع تصميم للقلعة

الموقع وأهميته: (ل:199 – 200، خ:10)

أنشئت قلعة حَيس في مكان منبسط بمنطقة الحُضرم شمال مدينة حَيس، ويجاورها من الجهتين الشمالية والشرقية حي ربع الحَضرمي، ومن الجهتين الغربية والجنوبية حي ربع السوق. وتقع إحداثيات هذه القلعة بين دائرتي عرض (N13.93348) شمالاً، وخطي طول (E43.48257) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ (202 قدم).

اكتسبت هذه القلعة أهميتها من أهمية مدينة حَيس نفسها، التي كانت قديماً تمثل موقعاً دفاعياً متقدماً لمدينة زَبيد، والعكس صحيح، نظراً لقربهما من بعضهما، فإذا ما سقطت إحداهما في أيدي القوات المهاجمة صارت الثانية مفتوحة أمامها[1]، وهذا ما سنوضحه في الفقرات اللاحقة. كما كانت مدينة حَيس محطة تجارية واستراحة مناسبة للمسافرين المتوجهين إلى المنطقة الجبلية الواقعة في جنوب اليمن وخاصة مدينة تَعز[2]؛ نظراً لموقعها المتوسط بين السهل والجبل.



لوحة (199) صورة جوية لمدينة حَيس مبين عليها موقع القلعة – باستخدام برنامج google earth

1 – تبعد مدينة حَيس عن مدينة زبيد من جهة الجنوب بمسافة (35كم). أنظر: عبد الله الحداد: مدينة حَيس اليمنية، ص 48.

2 – نفسه.



لوحة (200) صورة جوية لموقع قلعة حَيس – باستخدام برنامج google earth

الأحداث الحربية المتعلقة بالقلعة:

لم تقدم لنا المصادر والمراجع التاريخية المتوافرة وكتابات الرحالة معلومات تتعلق بقلعة حَيس، حتى وصلت البعثة الدانماركية عام (1176هـ / 1763م)، حيث ذكر أحد أعضائها (نيبور – Niebuhr) إشارة تاريخية مقتضبة جداً عن القلعة، ما نصه: "وفيها قلعة يسكنها العامل"[1]. وبناء على ذلك فالقلعة كانت موجودة في فترة حكم آل القاسم لليمن، وربما كانت قبل ذلك، أي خلال فترة حكم العثمانيين الأول لليمن، وكانت أيضاً مكاناً لسكن حاكم المدينة كغيرها من قلاع المدن الكبرى في سهل تهامة. وكانت الإشارة المذكورة عن قلعة حَيس هي الوحيدة، حتى دخلت منطقة تهامة مرحلة صراع سياسي في فترة زمنية امتدت بين عامي (1807 - 1848م). وهي فترة مليئة بالأحداث التي شهدتها منطقة تهامة بين قوة الدولة السعودية وحركتها الوهابية، ودولة الأئمة الزَيديِّة ومركزها صنعاء، والأشراف آل خيرات حكام

[1] – أحمد الصايدي: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص 225.

المخلاف السليماني. وقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن البهكلي[1] حينما تحدث عن أعمال الشريف حمود بن محمد آل خيرات التوسعية في الأجزاء الجنوبية من تهامة عام (1222هـ/ 1807م)، أن أهل حَيس عندما علموا بقدوم الشريف حمود إلى مدينتهم أعلنوا الولاء له وسلموا القلعة طوعاً؛ فبعث إليها عاملاً وعسكراً من عنده[2]. ومنذ ذلك التاريخ ظهرت مدينة حَيس وقلعتها على مسرح الأحداث التاريخية؛ فعندما شعرت دولة الأئمة في صنعاء بفقدان نفوذها في تهامة، أرسل الإمام المتوكل أحمد بن علي، الشيخ يحيى علي سعد[3]، لكي يستولي على مدينة حَيس عام (1227هـ/ 1812م)، فدخلها، وكان فيها حينئذ الشريف حوذان بن محمد عاملاً عليها من قبل الشريف حمود آل خيرات[4]. ولما شعر ساكنة حَيس بخطورة الموقف لجأ بعضهم إلى القلعة للتحصن فيها؛ فضربت بالمدفعية ثم دار القتال بين الطرفين لمدة خمسة وعشرين يوماً، وكانت القلعة خلال هذه المدة مسرحاً لتلك الأحداث حتى تم الصلح بينهم[5].

نعمت مدينة حَيس وقلعتها باستقرار نسبي لمدة ستة عشر سنة ثم تعرضت لهجوم شنته قبائل ذو حسين[6] عام (1243هـ/ 1828م) في فترة حكم الإمام المهدي عبد الله بن أحمد، وكان في القلعة عامل حَيس الشيخ قاسم بن قاسم من قِبل الشيخ حسن بن يحيى علي. وعندما علم أهل حَيس بالهجوم أرسلوا إلى بعض قبائل تهامة – ومنهم: المخا والحَكم والمشالحة وأهل مَوزع والأهمول وبنو دِريهم والزهاريون والأزيود – يطلبون منهم المساندة، فلبوا نجدتهم ثم دارت الحرب بين الطرفين في مدينة حَيس لمدة ثلاثة أيام. وفيها كانت الخديعة من أهل حَيس أنفسهم وانقسامهم أيضا، وآلت تلك الحرب إلى خروج قبائل ذو

---

1 – عبد الرحمن البهكلي: هو مؤلف مخطوط نفح العود في أيام الشريف حمود، والذي بدأ بتأليفه من عام (1801م) وتوقف عند عام (1809م). للمزيد أنظر: فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 9.

2 – نفسه – ص 287.

3 – هو أحد الأمراء العبيد القادة من مماليك آل العلفي، كان واليا على حجة وقاد بعض قوات إمام صنعاء المتوكل أحمد، والتي هاجمت قوات الشريف حمود الخيراتي في أواخر عام (1229ه/ 1814م)، وحاول الاستقلال عن صنعاء وتكوين إمارة أو مشيخة بين تهامة وتعز. أنظر: أحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ح 1/ ص 48، و ح 4/ ص 49، و ص 8.

4 – نفسه – ص 50.

5 – نفسه – ص 52 – 53.

6 – قبائل ذو حسين: هي ثمانية بطون متفرقة يرجع نسبها إلى ذو غيلان بن محمد بن شعبان بن بشر بن عمرو بن دهمة بن بكيل، والذي ينتهي نسبه إلى سبأ بن يشجب بن يعرب. وكانت هذه القبائل تسكن في جبل برط أقصى الشمال من المنطقة الجبلية، وقد اشتهرت بشن غاراتها على الكثير من الحواضر اليمنية خلال فترة حكم الأئمة الزيديين لليمن. للمزيد أنظر: حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص 94 – 96.

حسين من المدينة وتوجههم نحو الجبال، بينما ظلت المدينة وقلعتها تحت نفوذ أصحاب الشيخ حسن بن يحيى علي سعد[1].

وخلال فترة حكم الشريف الحسين بن علي بن حيدر الخيراتي لمنطقة تهامة (1254 - 1264هـ/ 1838- 1848م)، تعرضت مدينة حَيس لهجوم قاده الفقيه سعيد العنسي[2] عام (1256هـ / 1840م)، محاولاً السيطرة عليها، لكن أصحاب الشريف الحسين وصلوا إلى المدينة واشتبكوا مع جماعة هذا الفقيه عند القلعة فقتلوا الكثير منهم؛ ونتيجة لذلك نزح أهل حَيس من مدينتهم حتى أخبرهم الشريف الحسين بالرجوع فرجعوا إليها[3]. وأثناء الحرب التي دارت في تهامة عام (1264هـ / 1848م) بين إمام صنعاء المنصور محمد بن يحيى، والشريف الحسين بن علي بن حيدر، قرر الأول اللجوء إلى هذه المدينة والمكوث فيها، لكن جنود الحسين بن علي بن حيدر لحقوا به وحاصروه في قلعتها[4]. وبعد عدة معارك دارت بين الطرفين الطرفين تم الاتفاق على الصلح، شريطة خروج أصحاب الإمام المذكور من القلعة، فخرجوا منها وذهبوا نحو الجبال[5].

وتلى فترة الصراع المذكورة التي شهدتها منطقة تهامة تدخل القوات العثمانية عام (1265هـ / 1849م)، وسيطرتها على جميع مدنها، ويبدو أن المدن الجنوبية منها لم تبرز على ساحة الأحداث الحربية، فنعمت مدينة حَيس والقرى المجاورة لها بالهدوء؛ ولذا نجد أن المصادر والمراجع التاريخية لم تعد تذكر قلعة حَيس أثناء فترة الوجود العثماني الثاني في اليمن وفترة حكم المملكة المتوكلية اليمنية (1918- 1962م). وقد ذكر أحد كبار السن في هذه المدينة أن إحدى شركات الطاقة الكهربائية الروسية اتخذت من

---

1 – أحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 88.

2 – هو الصوفي سعيد بن صالح العنسي، من بلد شار من أعمال جبلة، كان يتصف بالتدين والتصوف، ثم اعتزل قومه وسكن في قرية الدُنوة واختطها ودعا الناس إلى الهجرة إليها، وقام على ذلك أربعين عاماً معتكفاً على الدراسة، وكتب رسائل إلى كافة مناطق اليمن للدخول في طاعته، فقام معه أهل العُدين وشَرعب والحُجرية وغيرها، وبعدما أجابته تلك المناطق في دعوته قام بثورته وقرر السيطرة على مدن تهامة: حَيس وزَبيد وغيرهما، لكن جيش الحسين بن علي الخيراتي قام بردعه. للمزيد أنظر: مؤلف مجهول: حوليات يمانية، ص 92 – 95.

3 – أحمد النعمي: حوليات النعمي التهامية، ص 127 – 130.

4 – الحسن الضمدي: الديباج الخسراوني، ص 424.

5 – نفسه.

قلعتها مقراً لمعداتها وسكناً لعمالها منذ بداية عام (1382هـ/ 1964م)، وبعد خروجها منها عام (1388هـ/ 1968م) تسلمتها السلطة المحلية وصارت بمثابة مجمع حكومي لمدينة حَيس والمناطق التابعة لها[1].

الوضع المعماري الراهن:

تعد قلعة حَيس (بيت الدولة) إحدى القلاع المتهدمة التي تعرضت للتخريب، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، ومن أهمها عدم استمرارية استخدام مرافق القلعة، مما أدى إلى عدم القيام بتجديدها وترميمها من قبل الادارة الحكومية التي كانت تتواجد فيها، بل تركت مفتوحة على مصراعيها أمام العابثين من ساكنة المدينة، حيث صارت في الوقت الراهن عبارة عن أكوام من بقايا الآجر والطوب (اللَّبِن) والتراب. وما يحز في النفس هو التخريب المتعمد الذي أقدمت عليه السلطة المحلية بمدينة حَيس؛ حيث تبنت إنشاء مشروع مرفق حكومي لمكتب الواجبات الزكوية، اقتطع جزءاً كبيراً من الجهة الغربية في القلعة.

مواد البناء وأسلوبه: (ل:201، 202، 203، ش:43)

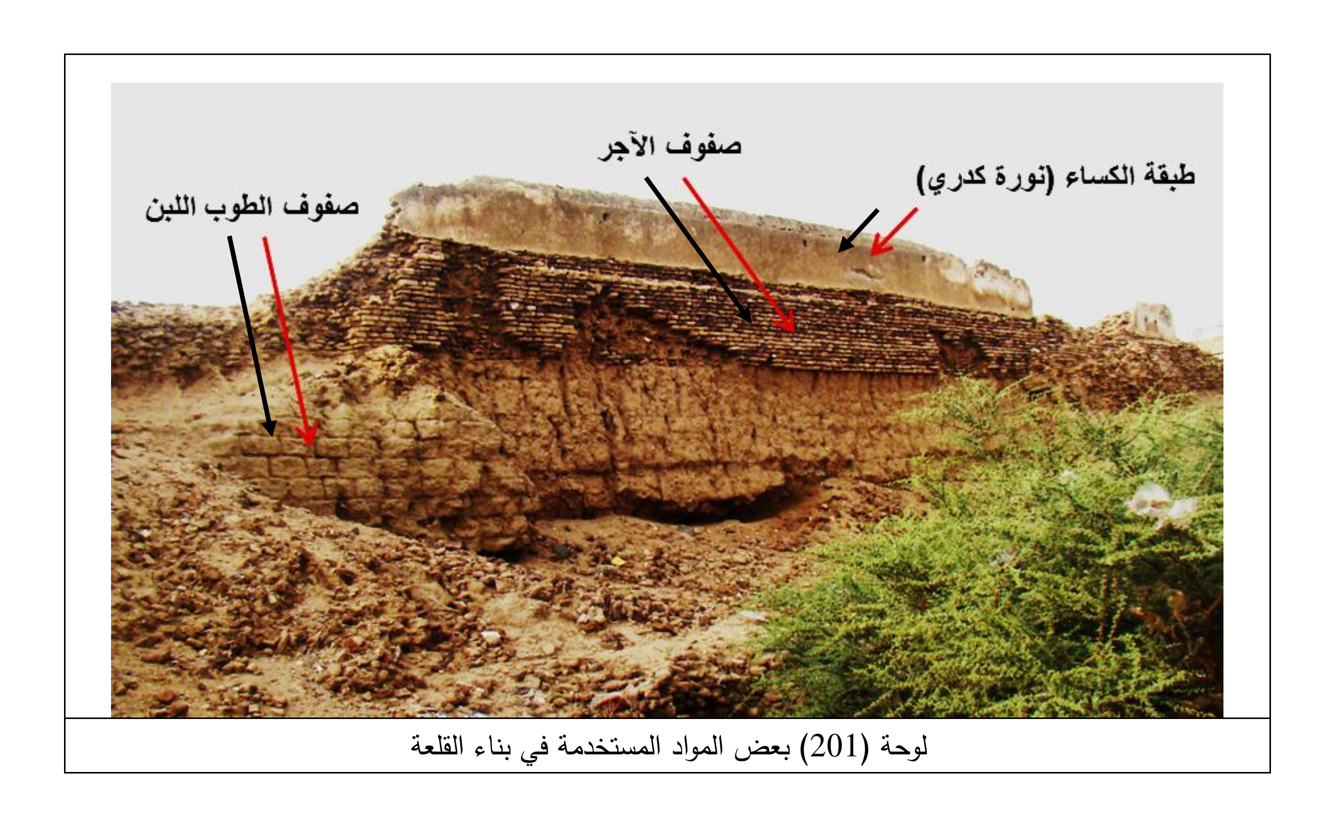
استخدمت في بناء قلعة حَيس مادة الآجر بدرجة رئيسية، تلتها مادة الطوب اللَّبِن، ثم عجينة الطين كمادة لاصقة تربط بين مداميك البناء، فيما استخدمت مادة النُّورة الكِدرِي لتقوية الجدران وطبقة عازلة للمياه أيضا، لاسيما في الأجزاء السفلى من الجدران (الجدران الساندة) وكذا الأجزاء العلوية من الواجهات الخارجية المتبقة في القلعة. كما استخدمت قطع الحجارة غير المشذَّبة في وسط صفوف بعض الجدران والأجزاء السفلية من أساسات القلعة، ويوحي الشكل الخارجي لهذه الحجارة بأنها أُخذت من مجرى وادي نخلة الذي يقع في الجهة الشمالية من المدينة على بعد حوالي (150م).

وعن أسلوب البناء المتبع في بناء جدران القلعة فهو يختلف عن جميع الأساليب التي أتبعت في بناء قلاع تهامة، حيث يتكون الجدار الواحد من جزأين متلاصقين: الأول يتألف من قوالب الآجر في الجهتين، حيث يبلغ معدل قياس القالب الواحد نحو (20سم x 10سم)، وفي الوسط قطع صغيرة من الحجارة وكسر الآجر. أما الأسلوب الثاني فيتكون من قوالب الطوب اللَّبن، التي لا يزيد قياس كل قالب

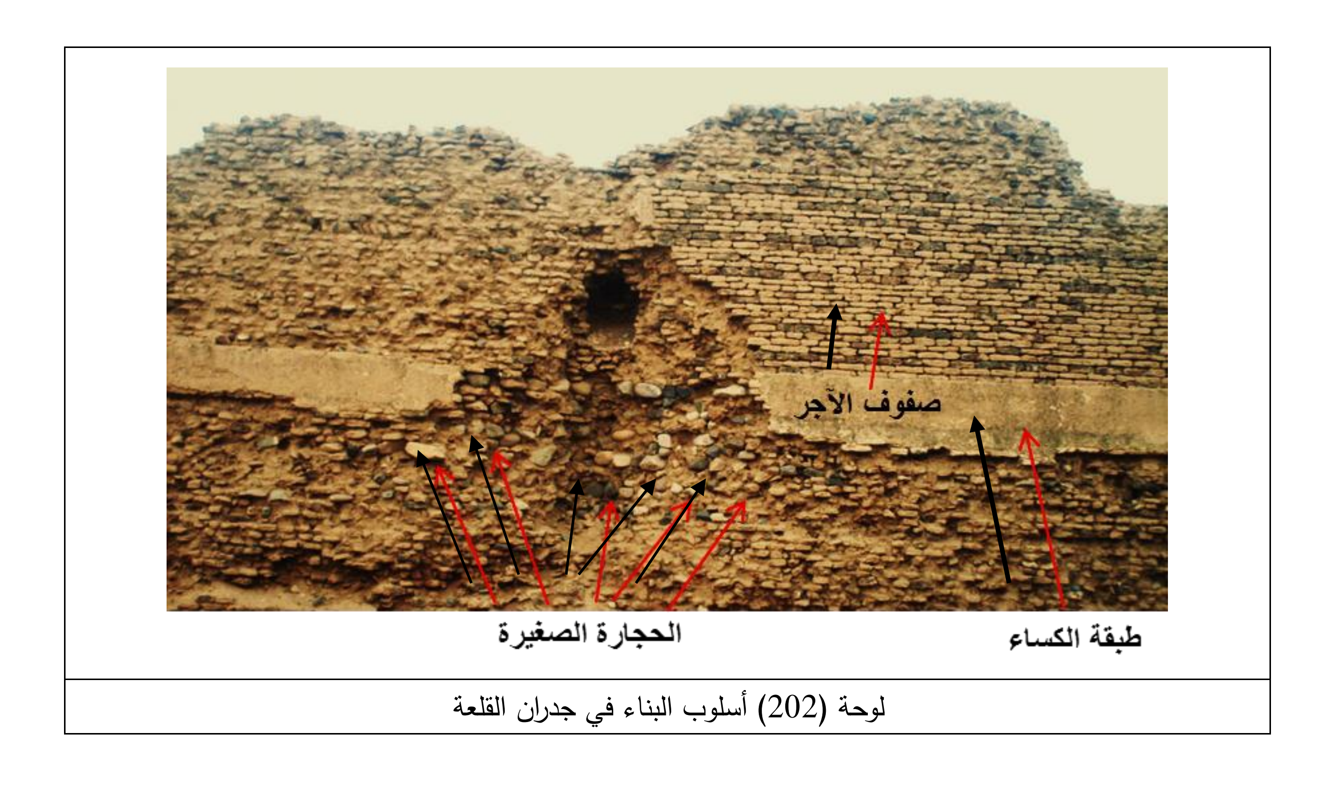
---

1 – مقابلة شخصية في مدينة حَيس مع الأستاذ فضل العبيدي، بتاريخ 10- 9- 2011.

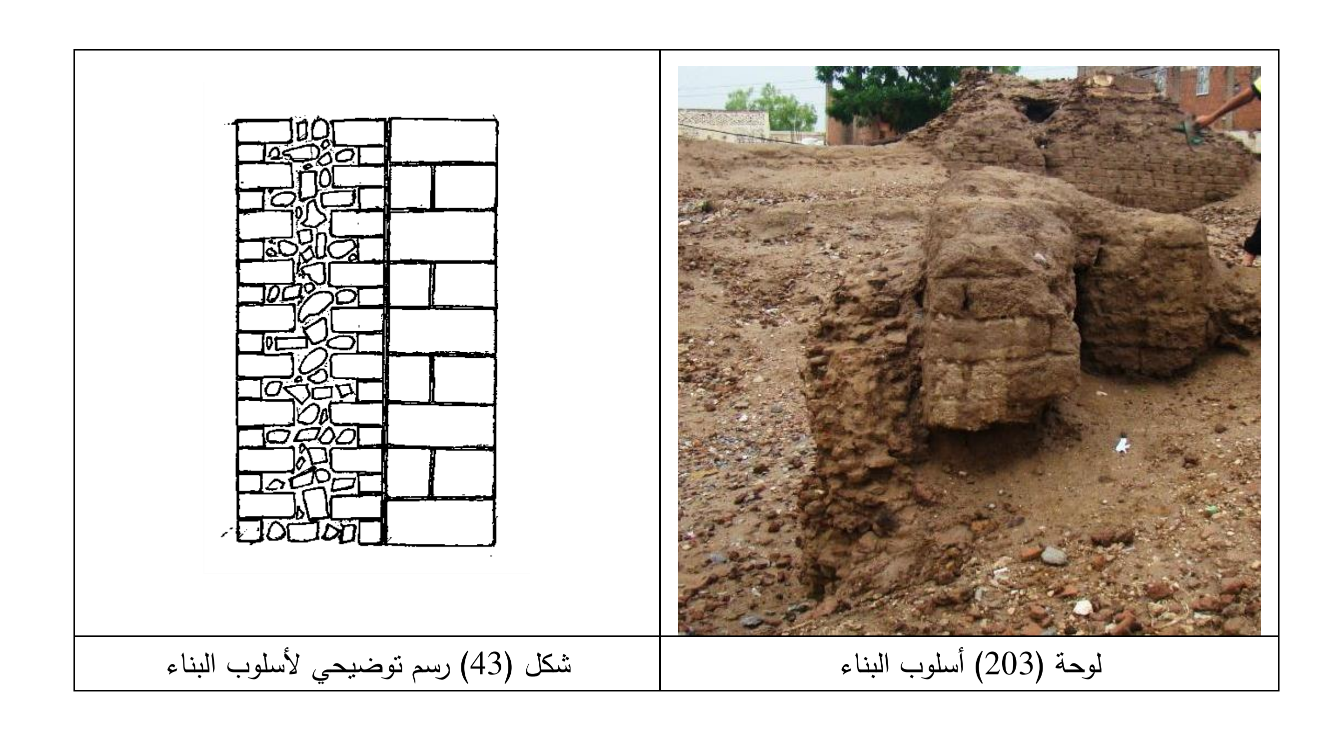
منها عن (40سم x 20سم)، وتم وضعها فوق بعضها بعض، وبالإضافة إلى ذلك تربط بين صفوف البناء في جزئي الجدار عجينة الطين التي تتألف من الرمل الناعم المخلوط بقليل من بقايا النبات (التِّبن).



لوحة (201) بعض المواد المستخدمة في بناء القلعة



لوحة (202) أسلوب البناء في جدران القلعة



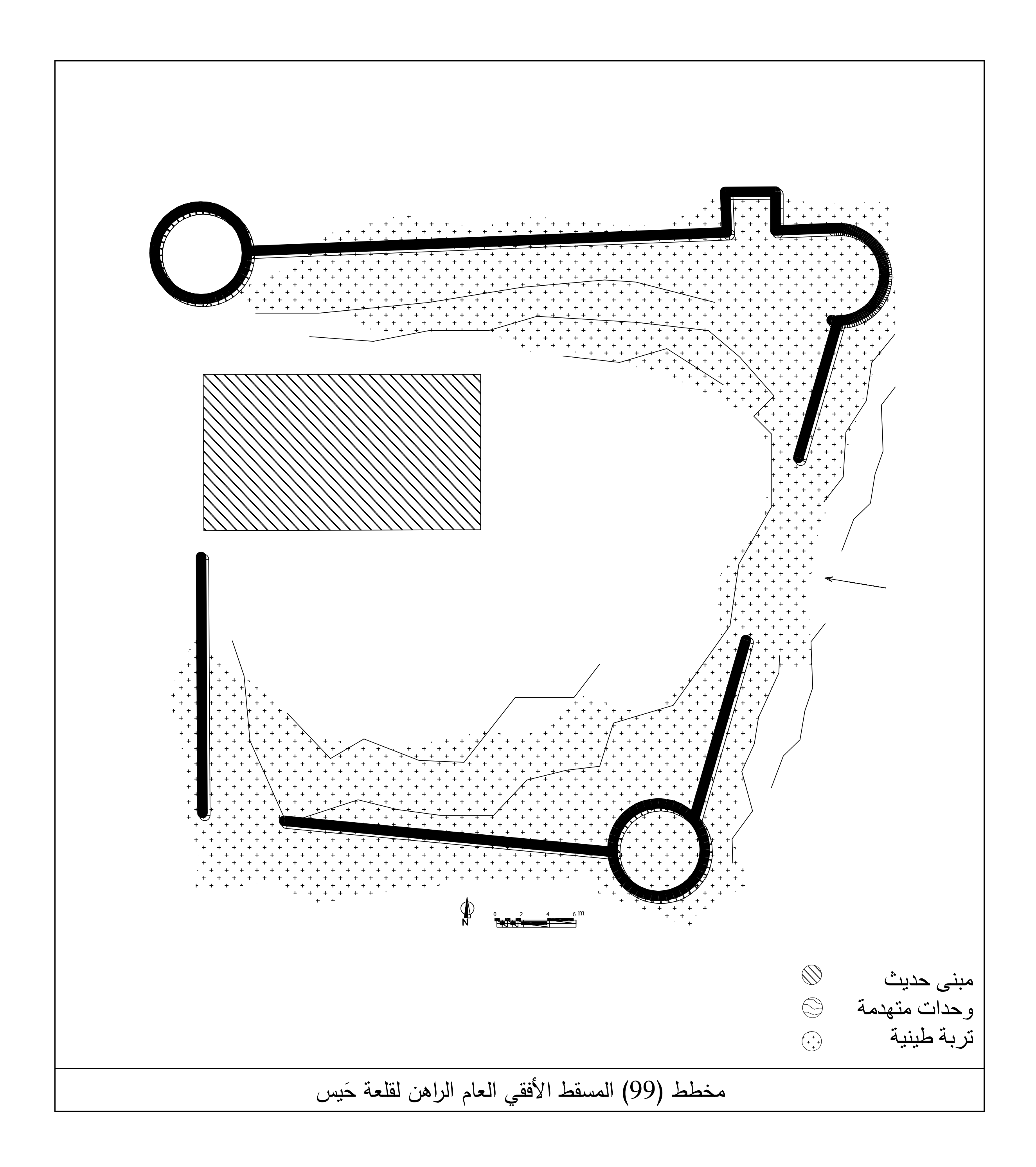
شكل (43) رسم توضيحي لأسلوب البناء	لوحة (203) أسلوب البناء

الدراسة الوصفية والتحليلية

المخطط العام: (م:99)

برغم تهدم الوحدات المعمارية المكونة للقلعة والتي تصعب معها عملية الوصف الأثري، إلا أنه يمكن معرفة أهم المعالم الرئيسية التي تتألف منها، وذلك من خلال الدراسة الميدانية التي أجريت لها.

لقد تم بناء قلعة حَيس في منطقة مستوية واتخذ تخطيطها شكلاً شبه منحرف (م:100)، أكبر أضلاعه الشمالي والذي بلغ امتداده نحو (55م)، يليه الضلع الشرقي (53م)، ثم الضلع الغربي (47م)، بينما بلغ امتداد الضلع الجنوبي نحو (38م). والقلعة تضم فناءً مكشوفاً تحيط به – في الوقت الراهن – بقايا الوحدات المعمارية من ثلاث جهات، هي: الشرقية والشمالية والجنوبية. وما تزال القلعة تضم أجزاء من واجهاتها الأربع، وأربعة أبراج: ثلاثة منها مستديرة الشكل.



مخطط (99) المسقط الأفقي العام الراهن لقلعة حَيس

الواجهات الخارجية:

كانت الواجهات الخارجية للقلعة تمثل جدراناً خارجية لوحدات القلعة وفي الوقت نفسه كانت تعتبر سوراً دفاعياً يربط بين أبراج القلعة، وقد ذكرنا سابقاً أن أغلبها تهدم، غير أنه يمكن إجراء وصف عام لما تبقى من الواجهات الشمالية والشرقية والغربية في الفقرات الآتية:

الواجهة الشمالية: (ل:204)

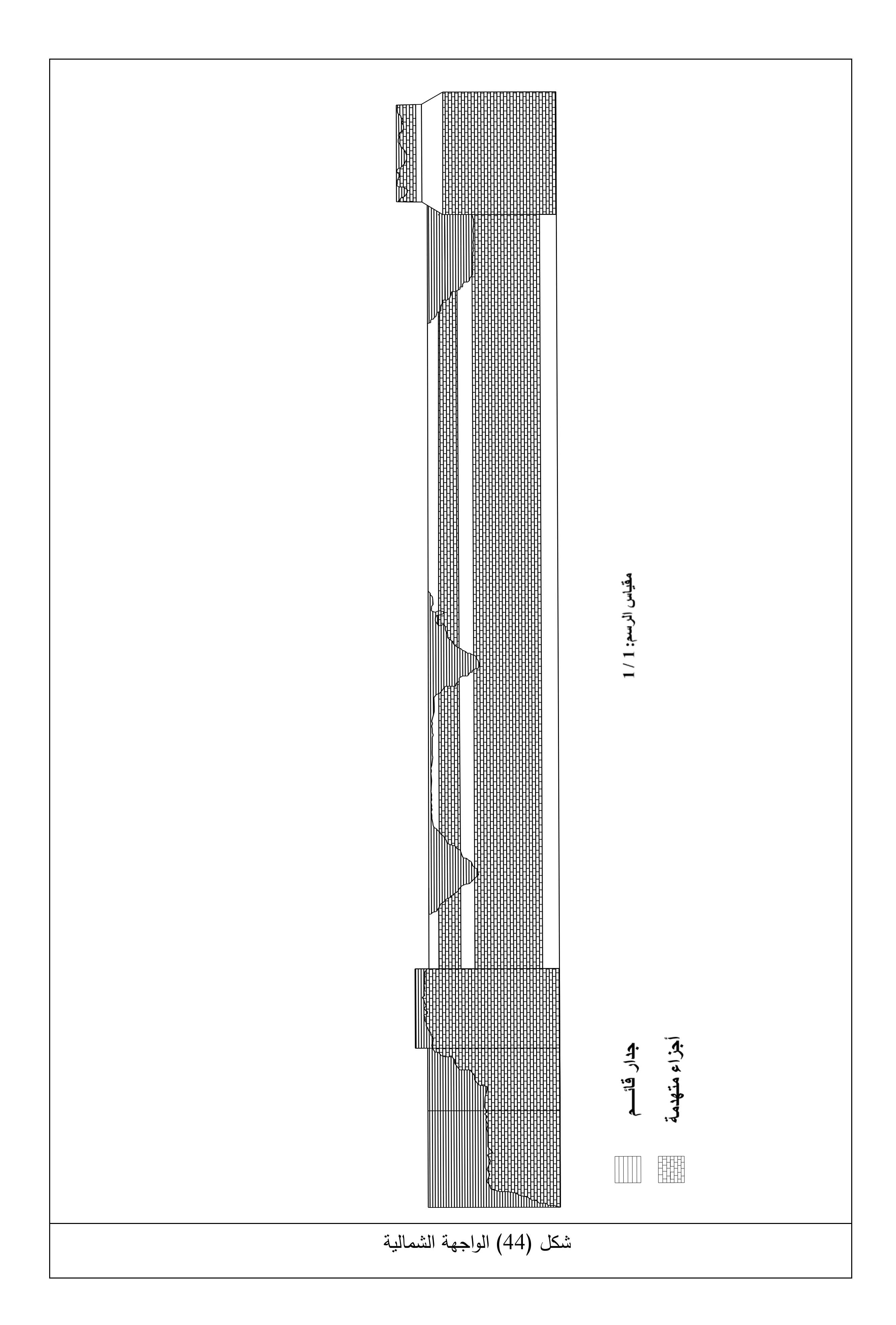
ما تزال الواجهة الشمالية في حالة جيدة من الناحية المعمارية مقارنة ببقية واجهات القلعة، حيث يبلغ ارتفاعها نحو (5م) تقريبا، وسمك جدارها (65 سم)، وكان يدعمها من الأسفل جدار ساند يبلغ ارتفاعه (1.20م)، وقد استخدمت مادة النورة الكدري في كساء الجزء العلوي منها. وتضم هذه الواجهة في أعلاها صفاً يتألف من فتحات ضيقة كانت تستخدم للرماية بالبنادق.

وفي نهاية امتداد الواجهة الشمالية من جهة الشرق تقع كتلة بناء بارزة عن سمت الجدار بمقدار (2.5م)، وهي تتخذ الشكل المستطيل الرأسي، وواجهتها ترتفع بموازاة واجهة القلعة. وبسبب تهدم المساحة الداخلية لهذه الكتلة، وعدم وجود عناصر دفاعية تتخلل جدارها الخارجي تصعب علينا معرفة الوظيفة الحقيقية لها (ش:46)، ولكن وجود أحد العناصر المعمارية والمتمثل في الشَق الطولي الذي يقع في واجهتها الشمالية، والممتد من أعلى الكتلة إلى أسفلها، يدفعنا إلى القول بأنه كان يمثل مجرى لتصريف الماء، ولذا فمن المحتمل أن هذه الكتلة كانت تضم في أعلاها مرحاضاً، وهي تذكرنا بالكتلة البارزة في قلعة الزُهرة[1].



لوحة (204) بقايا الواجهة الشمالية

[1] - أنظر قلعة الزُهرة. ص 369.



شكل (44) الواجهة الشمالية

الواجهة الشرقية: (ل:205)

هذه الواجهة في الوقت الراهن متهدمة، ويلاحظ على ما تبقى منها – وخاصة في الجزء السفلي – وجود فتحة واسعة تقع في مكان متوسط تقريباً، حيث يذكر أبناء مدينة حَيس أنها كانت تمثل البوابة الرئيسية للقلعة. ومن خلال صورة فوتوغرافية قديمة التقطت للقلعة تأكد لنا بأنها كانت موقعاً لبوابة تضم مدخلاً معقوداً تكتنفه من الجهتين حجرتان صغيرتان للحراسة (ل:206).



لوحة (205) الواجهة الشرقية



لوحة (206) الواجهة الشرقية تتوسطها البوابة – عن (عبد الله الحداد)

الواجهة الغربية: (ل:207)

برغم وجود مبنى مكتب الواجبات الزَّكوية الحديث البناء في هذه الواجهة، إلا أنها ما تزال تضم جداراً تبقى من امتداده نحو (16م)، وهو لا يختلف في شكله الخارجي وأسلوب بنائه عن جدار الواجهة الشمالية.



لوحة (207) الجدار المتبقي من الواجهة الغربية

القلعة من الداخل: (ل:208- 209)

سبق الذكر أن المبنى الحكومي الحديث تم إنشائه في الجانب الغربي من القلعة، كما تحدثنا عن تهدم جميع الوحدات المعمارية التي تشتمل عليها القلعة من الداخل، ولذا فمن الصعوبة بمكان التعرف على التخطيط الداخلي التفصيلي الذي اتخذته القلعة؛ إلا أنه من خلال المعاينة الميدانية لأكوام الكتل البنائية الباقية يمكن الحديث عن وجود وحدات معمارية في الجهات الثلاث: الشمالية والجنوبية والشرقية. وبما أن القلعة كانت مركزاً لإدارة مدينة حَيس والقرى التابعة لها، فمن المرجح أنها كانت تضم حجرات متعددة الوظائف، كغيرها من قلاع مدن تهامة الداخلية التي كانت تعتبر مجمعات حكومية ومراكز عسكرية في الوقت نفسه.

وبناء على ما سبق فقلعة حَيس كانت تضم سكناً لحاكم المدينة، وحجرات تستخدم لمبيت الجند وأخرى للتخزين، والضيافة، والقضاء، وغيرها من الإدارات الحكومية التي كانت تشغلها.



لوحة (208) الوحدات المعمارية الداخلية المتهدمة



لوحة (209) بقايا الجزء الشرقي من القلعة – عن (المركز العسكري اليمني للتوثيق)

الأبراج الدفاعية:

تضم قلعة حَيس – أثناء إعداد الدراسة الميدانية لها – أربعة أبراج، الأول يقع في الركن الشمالي الغربي، والثاني في الركن الشمالي الشرقي، والثالث في الركن الجنوبي الشرقي، والرابع في الركن الجنوبي الغربي؛ فالبرجان الأول والثالث مساحتهما كبيرتان وكانا يستخدمان لإطلاق قذائف المدفعية. أما البرج الثاني فهو صغير المساحة يبلغ محيطه من الخارج نحو (9م)، ولم يتبق منه سوى أساسه، والبرج الرابع لم يتضح الشكل المعماري العام له، بسبب انهيار الجدران التي غطت المساحة المحيطة به.

ويتألف كل من البرجين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي من قاعدة مستديرة محدبة، يعلوها جدار ساتر تهدم معظمه، وما تزال بقايا ثلاثة عناصر دفاعية تتخلل كل منهما، وهي فتحات المدافع، وفتحات البنادق، ومزاغل مائلة إلى الأسفل يمكن أن تستخدم كسقاطات غير بارزة (ل:210- 211).

وقد أتبع في بناء البرجين المذكورين أسلوب واحد، حيث تتكون قاعدة كل منهما من جدار مستدير أنشئ من مادة الآجر، يبلغ ارتفاعه نحو (5م) وسمكه (90سم)، به تقويس في نهايته نحو الداخل. أما مساحته الداخلية فقد ردمت بالتراب وقطع الحجارة غير المشَّذبة وكسرات الآجر (ل:212)، وذلك لأجل تحمل الاهتزاز الناتج من إطلاق قذائف المدفعية، ثم كسيت بطبقة من مادة النُورة الكِدري، ويبدو أنها تمت في الفترة الأخيرة من استخدام القلعة، والتي لم تعد تستخدم فيها المدافع. ويلي قاعدة البرج جدار ساتر يبلغ سمكه (50سم)، تعرض الجزء العلوي منه للتهدم، ولذا تصعب معرفة ارتفاعه، ولكن بمقارنته مع الجدران الساترة في أبراج المدافع في القلاع التي تضمنتها الدراسة، يمكن القول أن ارتفاعه لا يتجاوز (1.5م)، وفي الجدول التالي نبين القياسات المعمارية لما تبقى من برجي المدافع.

موقع البرج	محيطه عند القاعدة	ارتفاعه الكلي المتبقي	إتساع فتحة اطلاق المدفع		إتساع فتحة المزغل
			من الداخل	من الخارج	
الشمالي الغربي	12.20م	6.40م	1.35م	2.65م	10سم x 5سم
الجنوبي الشرقي	24.5م	6م	———	———	———

إن التصميم العام لبرجي المدافع المذكورين وكذا العناصر الدفاعية التي تتخلل جدارهما الساتر تشبه أبراج المدافع في القلاع التي أنشئت في المدن الكبرى بسهل تهامة، والتي سبق وأن تمت دراستها في الباب الأول. وهذا الأمر يؤكد لنا بأن تقنية بناء أبراج المدافع في قلاع سهل تهامة متشابهة جداً، ولذا فمن المرجح بأن جميعها ترجع إلى مرحلة تاريخية واحدة، ولأننا لم نجد أمثلة – خارج سهل تهامة –

مشابهة لهذا التصميم، يمكننا القول إن العمارة الدفاعية في تهامة انفردت بهذا الأسلوب من بناء أبراج المدافع.



لوحة (210) البرج الشمالي الغربي وإلى جواره المبنى الحكومي الحديث



لوحة (211) البرج الجنوبي الغربي

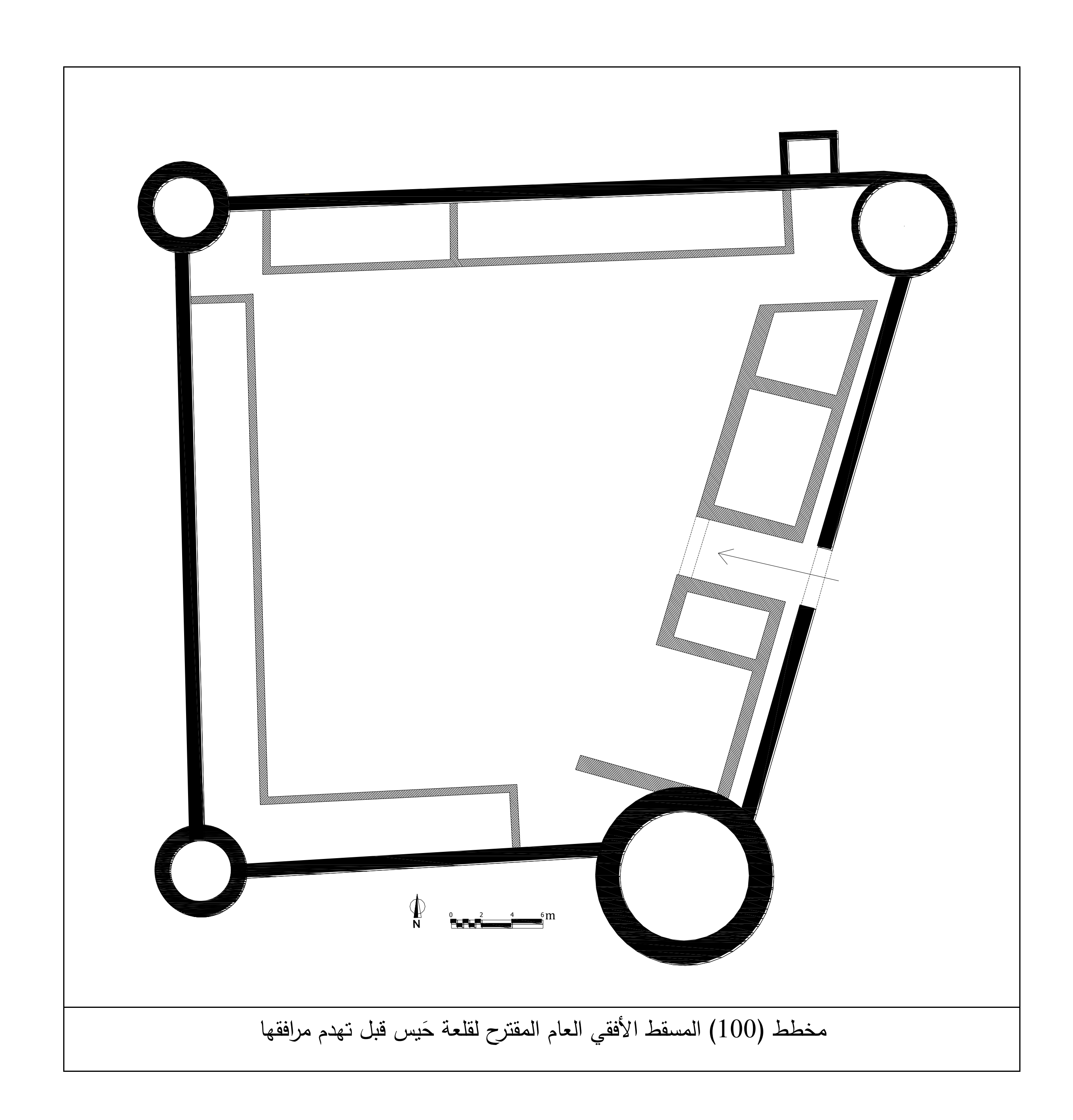


لوحة (212) المكونات المعمارية للبرج الشمالي الغربي

محاولة لإعادة وضع تصميم للقلعة: (م:100)

بعد محاولة وصف ما تبقى من عناصر معمارية ودفاعية في قلعة حَيس ومقارنة بعضها بما وجد في قلاع المدن الداخلية بتهامة التي تضمنتها الدراسة كقلعة بيت الفَقِيه والزَبِيدية والزُهرة، نستطيع وضع تصميم مقترح للشكل الذي كانت تتخذه القلعة قبل تهدم مرافقها الداخلية.

إن الإطار الخارجي للقلعة ما يزال ظاهراً، ولذا فقد اتخذت القلعة شكلاً شبه منحرف، يقع في كل زاوية من أركانها الأربعة برج دفاعي، الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي كانا أبراج مدافع. أما البرج الشمالي الشرقي فصغير المساحة ويتخذ الشكل المستدير، وبجانبه من الجهة الشمالية كتلة بناء بارزة نحو خارج القلعة، يمكن أن تحمل فوقها أحد المراقب. أما الزاوية الجنوبية الغربية فمن المرجح أنها كانت تضم برجاً دفاعياً اتخذ شكلاً مستديراً، وذلك اعتماداً على المعاينة الميدانية للموقع. وبحسب بقايا بعض أساسات الجدران الداخلية لوحدات القلعة، يمكن القول أن المنشآت الداخلية للقلعة تتوزع كالآتي: البوابة الرئيسية، وتقع في منتصف الواجهة الشرقية تقريبا، وعلى جانبيها حجرتان للجند، كما تطل على فناء القلعة المكشوف من الجهات الأربع وحدات القلعة.



مخطط (100) المسقط الأفقي العام المقترح لقلعة حَيس قبل تهدم مرافقها

الفصل الثاني: قلعـــــة الزُهـــرة

- الموقع
- نشأة القلعة ودورها الإداري والحربي
- الوضع المعماري الراهن
- الدراسة الوصفية والتحليلية

أولاً: المخطط العام

ثانياً: القلعة من الخارج (الواجهات)

ثالثاً: القلعة من الداخل

رابعاً: الوحدات المعمارية

- الحجرات الشمالية
- الحجرات الجنوبية
- الحجرات الشرقية والغربية
- بـــــرج المدافع

الموقــع: (ل:213، خ:10)

تعد قلعة الزُهرة إحدى القلاع التي تقع في المنطقة الداخلية من سهل تهامة اليمن، وهي تتموضع فوق مكان رملي منبسط يقع في الوقت الراهن في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة الزُهرة[1]، حيث تحدها من الجهة الجنوبية مدرسة (أسماء) حديثة البناء، ومن الجهة الشمالية المبنى الحكومي الجديد لإدارة الشُرطة. وتقع إحداثيات القلعة بين دائرتي عرض (N15.72232) شمالاً، وخطي طول (E42.99687) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ (57قدم).

ومن خلال المخطط الأفقي لمدينة الزُهرة يتبين أن المنشآت السكنية فيها لم تتوسع كثيراً نحو الجهة الجنوبية الشرقية. ويبدو أنها كانت كذلك منذ نشأة المدينة، وذلك استجابة للدور الدفاعي الذي كانت تؤديه القلعة، حيث أن أحد أهم شروط بناء القلاع أن يكون موقعها في إحدى جوانب المدينة أو فوق مكان مرتفع بجوارها.



لوحة (213) صورة جوية لمدينة الزُهرة مبين عليها موقع قلعة الزُهرة – باستخدام برنامج google earth

[1] – كان يطلق على المدينة منذ نشأتها بالزهراء، ويبدو أن لهذه التسمية بعد ديني، لأن نسب الشريف حمود الخيراتي مؤسس المدينة وجميع أسرة آل خيرات يرجع إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي لقبت والدته فاطمة بالزهراء. ولا نعرف بالتحديد الوقت الذي استبدل فيه إسم المدينة بالزُهرة، وهي التسمية التي تطلق على المدينة في الوقت الراهن، ومن المحتمل أن سبب تغيير الاسم كان بدوافع مذهبية فيما نعتقد، لأن أغلب ساكنة منطقة تهامة ينتمون إلى المذهب الشافعي. وعن نسب اسرة آل خيرات انظر مثلاً: الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 33.

نشأة القلعة ودورها الإداري والحربي:

سبق الذكر أن مدينة الزُهرة (الزهراء) اختطها الشريف حمود بن محمد آل خيرات، عام (1221هـ/ 1806م)[1]، حيث اتخذها – بعد توسع نفوذه في منطقة تهامة – عاصمة ثانية بعد عاصمته الرئيسية في موطنه مدينة أبي عَريش. ومنذ ذلك الحين صارت لمدينة الزُهرة أهميتها الإدارية والسياسية، كمركز لمنطقة وادي مُور، بدلاً من بلدة الجامعي[2].

وانطلاقاً من الأهمية المذكورة لمدينة الزُهرة وحُب الشريف حمود الإقامة فيها، أنشأ فيها قلعة عظيمة[3]، فظلّت هذه المدينة منذ نشأتها مستقراً للأشراف آل خيرات ابتداءً من الشريف حمود نفسه، الذي أستقر فيها حتى عام (1223هـ/1809م) عندما سمع باستعداد عبد الوهاب بن عامر عامل عسير – من طرف آل سعود – بشن هجوم على مدينة أبي عَريش عاصمة المخلاف السليماني، فجمع الشريف حمود الجيوش في مدينة الزُهرة وخرج بهم نحوه[4].

ومنذ تأسيس القلعة لم تتحدث عنها المصادر التاريخية إلا في عام (1272هـ/ 1855م) حينما قام أمير إقليم عَسير عايض بن مرعي بالنزول إلى تهامة، وصار يسيطر على جميع قلاعها، وكانت قلعة الزُهرة من إحدى القلاع التي دخَلها ووضع فيها حامية عسكرية[5]. وبعد ذلك اختفى ذكر هذه القلعة مرة أخرى حتى بداية القرن العشرين[6]، حينما وقعت الحرب بين قبائل الواعظات والوالي العثماني علي أفندي في شهر شعبان عام (1329هـ/ 1910م)؛ وكانت القلعة آنذاك مقسمة إلى نصفين: الأول فيه الحامية

---

1 – يراجع الفصل الجغرافي من القسم الأول. ص 26.

2 - علي عبد الرحمن البهكلي: العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد بن أحمد العقيلي، دار البلاد، ط 1، جدة، ب. ت، ح 8 – ص 97. والجامعي هي إحدى مناطق وادي مُور التي تتبع مديرية اللُحية، ويسكنها قبائل بنو جامع من قبائل عك. انظر: إبراهيم المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، ج 1، ص 274.

3 – انظر: فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 254.

4 – عبد الرحمن البهكلي: نفح العود في سيرة الشريف حمود، ص 164 – 167.

5 – انظر: الحسن بن أحمد الضمدي: عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، مخطوط محفوظ بدار المخطوطات، صنعاء، ص28.

6 – من المرجح أن سبب عدم ذكر قلعة الزُهرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي هو استقرار مدينة الزُهرة سياسياً، لأن أمراء آل خيرات ظلوا فيها كحكام من قبل الدولة العثمانية كغيرها من مدن المخلاف السليماني.

العثمانية، والثاني فيه الشريف علي بن حيدر بن الحسين آل خيرات وعائلته[1]. وبسبب شدة المواجهات بين قبائل الواعظات والحامية العثمانية المتمركزة في القلعة، خرج جميع الساكنة من مدينة الزُهرة فارين وخائفين. وفي الوقت نفسه أصدر علي أفندي أمره للشريف علي بن حيدر بالخروج من القلعة، فخرج الأخير بعائلته إلى قرية المُعترض[2] وترك ما فيها من الأثاث وغيره وديعة لدى الحامية العثمانية التي في القلعة، لكن قائد الحامية – علي أفندي – تصرف بها وخرَّب بعض البيوت في القلعة وعمَّر البعض الآخر[3]. وعند وصول قبائل الواعظات إلى مدينة الزُهرة قابلها الجنود العثمانيون من القلعة بقذائف المدافع ورصاص البنادق، فقتلوا منهم خمسين شخصاً تقريباً؛ ونتيجة لذلك تراجعت القبائل وقامت بنهب المدينة، وحينما ظن الجنود بأن القبائل تنصُب لهم الكمائن في المنازل قاموا بإحراق المدينة[4]. وبعد معرفة السيد محمد بن علي الإدريسي بما حصل في المدينة، أرسل جماعة من طرفه يترأسهم الشيخ محمد بن يحيى باصهي، والسيد يحيى بن عرار النعمي، للتحقق في أسباب هجوم القبائل عليها، لكنهم لما وصلوا إلى بلدة الجامعي – القريبة من مدينة الزُهرة – فرضوا الحصار على الحامية العثمانية الموجودة في المدينة، وقاموا بقطع المواد الغذائية القادمة إليها من مدينة اللُّحية[5].

لم تتعرض مدينة الزُهرة والحامية العسكرية المرابطة في قلعتها لهجمات عسكرية أخرى إلا في المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى. وذلك عندما قامت الطائرات الحربية البريطانية بقصفها في الثامن من مارس عام (1338هـ/1918م)، ثم استمرت الضغوط على الحامية العثمانية المرابطة فيها، سواءً من قبل محمد الإدريسي أو الإنجليز[6]. وقد انتهى الأمر حينما وجهت الرسائل في نوفمبر من العام نفسه

1 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1، ج 2، ص 76.

2 - المُعترض إحدى القرى الواقعة في الجهة الشرقية من مدينة الزُهرة على بعد خمسة كيلو مترات، وفيها قلعة سيتم الحديث عنها لاحقاً.

3 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1، ج 2، ص 76 – 77.

4 - المؤلف نفسه: ذيل نشر الثناء الحسن، ص 85.

5 - نفسه – ص 43.

6 - انظر: جون بولدري: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي، ص 104.

من قبل الإنجليز للحاميات العثمانية في تهامة تدعوها إلى الاستسلام وفقاً لشروط الهدنة العامة، فانسحبت الحامية العثمانية من مدينة الزُهرة[1].

وبعد خروج العثمانيين من اليمن تسلم السيد محمد الإدريسي منطقة تهامة، ولكن سرعان ما توفي فقام بالحكم بعده ابنه علي (1341- 1344هـ / 1922- 1925م)، وأثناء خلاف هذا الأخير مع ابن عمه سيف الإسلام مصطفى عبد العال الإدريسي والي المنطقة الجنوبية من تهامة، قام عامل الزُهرة بمراسلة هذا الأخير، وتجهيز القلعة بالجنود تحت قيادة عبد الله عثمان، وذلك استعداداً منه للمواجهة المحتملة مع قبائل الواعظات[2]. وبالمقابل بعد أن ضمن الإمام علي الإدريسي موالاة قبائل الواعظات وزعيمها هادي هيج، زحف جيشه بقيادة الشريف قاسم القلعي وعبد المطلب العباسي إلى مدينة الزُهرة، فكانت ساحة المواجهة قلعتها. وانتهت المعركة بإخراج قائد القلعة عبد الله عثمان، واستيلاء هادي هيج عليها وعلى جميع محتوياتها من الأسلحة الحربية، ومخازن الحبوب، وبيت المال، وغيره، فصارت تحت سيطرته[3].

وبعد عودة سيطرة السيد علي الإدريسي على منطقة تهامة، قام بترحيل قادته إلى مدينة عَدن وغيرها من الأماكن، فشكلت سياسته هذه بداية فعلية لاضمحلال دولته. وقد شجع ذلك الوضع الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، حيث أمر جيشه بالنزول إلى منطقة تهامة لإخراج قوات الإدريسي منها، فاستطاعوا فعل ذلك[4]. وخلال حالة الاستقرار السياسي والحربي التي شهدتها تهامة أصدر هذا الإمام أمره إلى قائد جيشه عبد الله بن أحمد الوزير بعمارة معاقلها، فتمت عمارة قلعة الزُهرة عام (1343هـ/ 1924م)[5].

وقد استمرت قلعة الزُهرة في أداء وظيفتها كمركز إداري وعسكري لحكم منطقة وادي مُور حتى نهاية فترة حكم آل حميد الدين لليمن (1381هـ/ 1962م)، وكذا خلال العهد الجمهوري كغيرها من قلاع

---

1 - جون بولدري: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي، ص 110.

2 – نفسه – ص 226. وأيضا: عبد الله العمودي: الأدارسة في تهامة (1341 – 1347ه)، ص 56.

3 – عبد الله العمودي: نفسه – ص 58 – 59.

4 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء الحسن، 232.

5 – نفسه – ص 235. ونشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 226 – 227.

تهامة التي استخدمت في الفترة الأخيرة كمجمعات حكومية، حتى تعرضت للتهدم فانتقلت الإدارات الحكومية إلى مبانٍ جديدة.

الوضع المعماري الراهن: (ل:214- 215)

تعد قلعة الزُهرة إحدى القلاع الكبرى المتهدمة في سهل تهامة اليمن، والوضع المعماري الراهن لها سيئ للغاية، حيث تظهر في عددٍ من وحداتها جدران حديثة أضيفت بمواد إسمنتية وخاصة في برج المدافع. وكان لبعض ساكنة مدينة الزُهرة لاسيما أصحاب المنازل المجاورة للقلعة دوراً كبيراً في نزع أغلب جذوع الأشجار التي تتضمنها القلعة، سواءً التي تغطي الحجرات أو المستخدمة في النوافذ والأبواب، ونتيجة لذلك تهدمت أغلب مرافق هذه القلعة.



لوحة (214) الجهة الجنوبية الشرقية



لوحة (215) الجهة الجنوبية الغربية

الدراسة الوصفية والتحليلية

أولاً: المخطط العام: (م:101، ل:216)

تتخذ قلعة الزُهرة في مسقطها الأفقي شكلاً شبه مربع، حيث يبلغ امتداد الضلع الشرقي نحو (51.30م)، والضلع الغربي (48.50م). أما الضلعان الشمالي والجنوبي فهما متساويين، وقد بلغ امتداد كل منهما نحو (60م). ويتوسط القلعة فناء واسع مكشوف – به مسجد حديث البناء – وتحيط به من الاتجاهات الأربعة وحدات القلعة، ويكتنف القلعة في الزاوية الشمالية الغربية برج مستدير كبير المساحة.

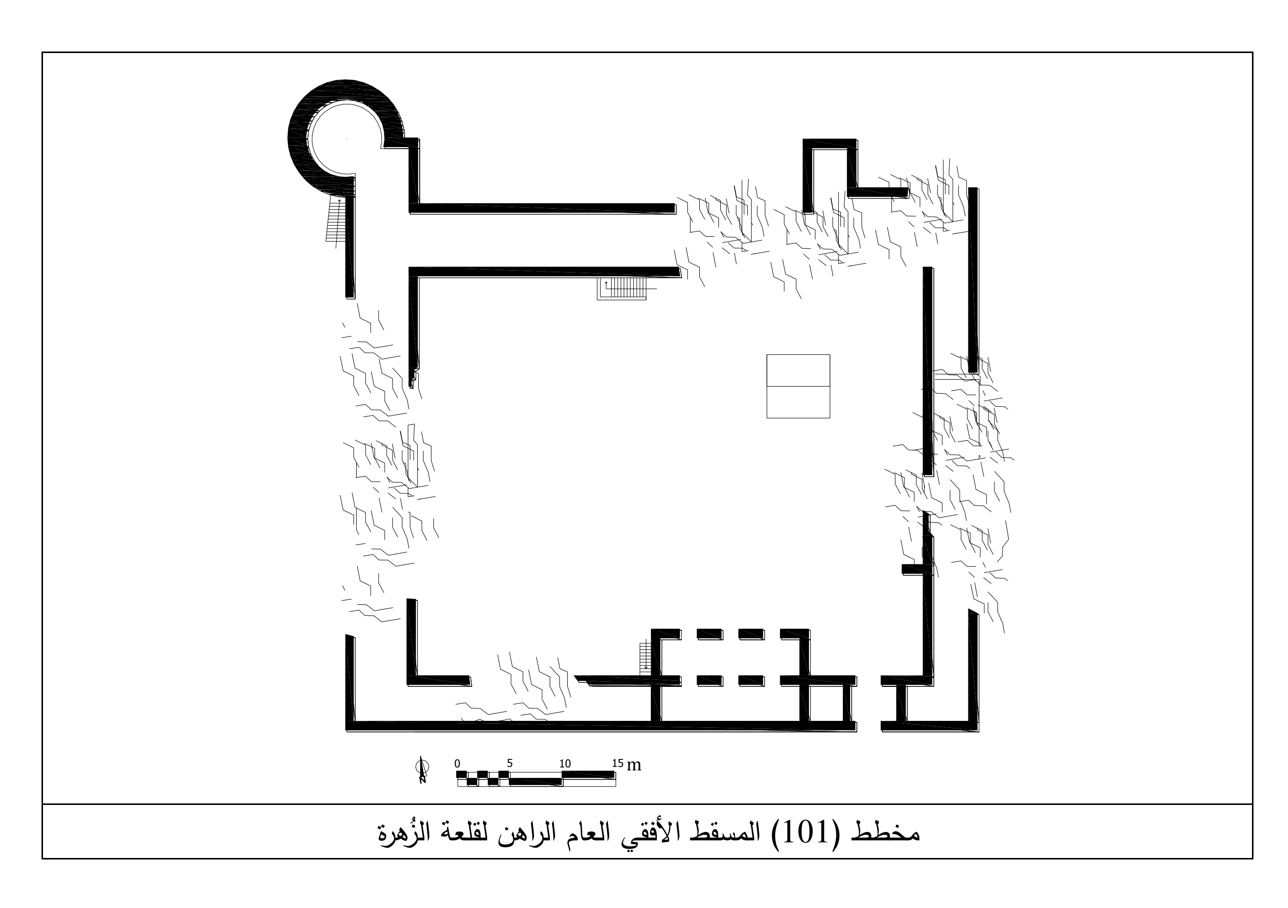
ومخطط القلعة المذكور يشبه مخططات أغلب القلاع التي أنشئت في منطقة سهل تهامة، وذلك من حيث وجود عنصر الفناء الأوسط الذي تحيط به وحدات القلعة، ومن أمثلة هذه القلاع: قلعة بيت الفَقيه وحَيس والزَيدية والضُحي. وقد سبق الحديث عن هذا النوع من مخططات القلاع أثناء إجراء التحليل الأثري لمخطط قلعة الزَيدية[1]. ويبدو أن مناخ منطقة تهامة المتميز بالحرارة الشديدة والرطوبة العالية هو الذي فرض وجود هذا النوع من تصميم القلاع، فضلاً عن سهولة بنائه وكفاءته من الناحية العسكرية.

ومن المرجح أن التصميم الهندسي العام الراهن لقلعة الزُهرة يمثل المرحلة الأخيرة من استخدام القلعة (م:101– 102)، وذلك بسبب عدم وجود وحدات دفاعية أخرى إلى جانب البرج الشمالي الغربي. وكان لاستمرارية استخدام مرافق القلعة التي رافقتها تعديلات معمارية متلاحقة، الدور الكبير في ظهور وحدات معمارية جديدة تلبي أغراضاً وظيفيةً تتناسب ودور القلعة في كل فترة تاريخية ما. ونتيجة لذلك جاء التصميم الهندسي الأخير لمبنى هذه القلعة ذا صبغة مدنية أكثر منها دفاعية، كونه يمثل مجمعاً حكومياً يشتمل على وحدات معمارية تختص بتسيير شؤون المدينة والقرى المحيطة بها. كما إن عدم الحاجة إلى وجود الوحدات الدفاعية في المرحلة الأخيرة من عمارة القلعة، كان انعكاساً لحالة الاستقرار السياسي التي سادت منطقة تهامة بعد فترة حكم المملكة المتوكلية لليمن (1919 – 1962م).

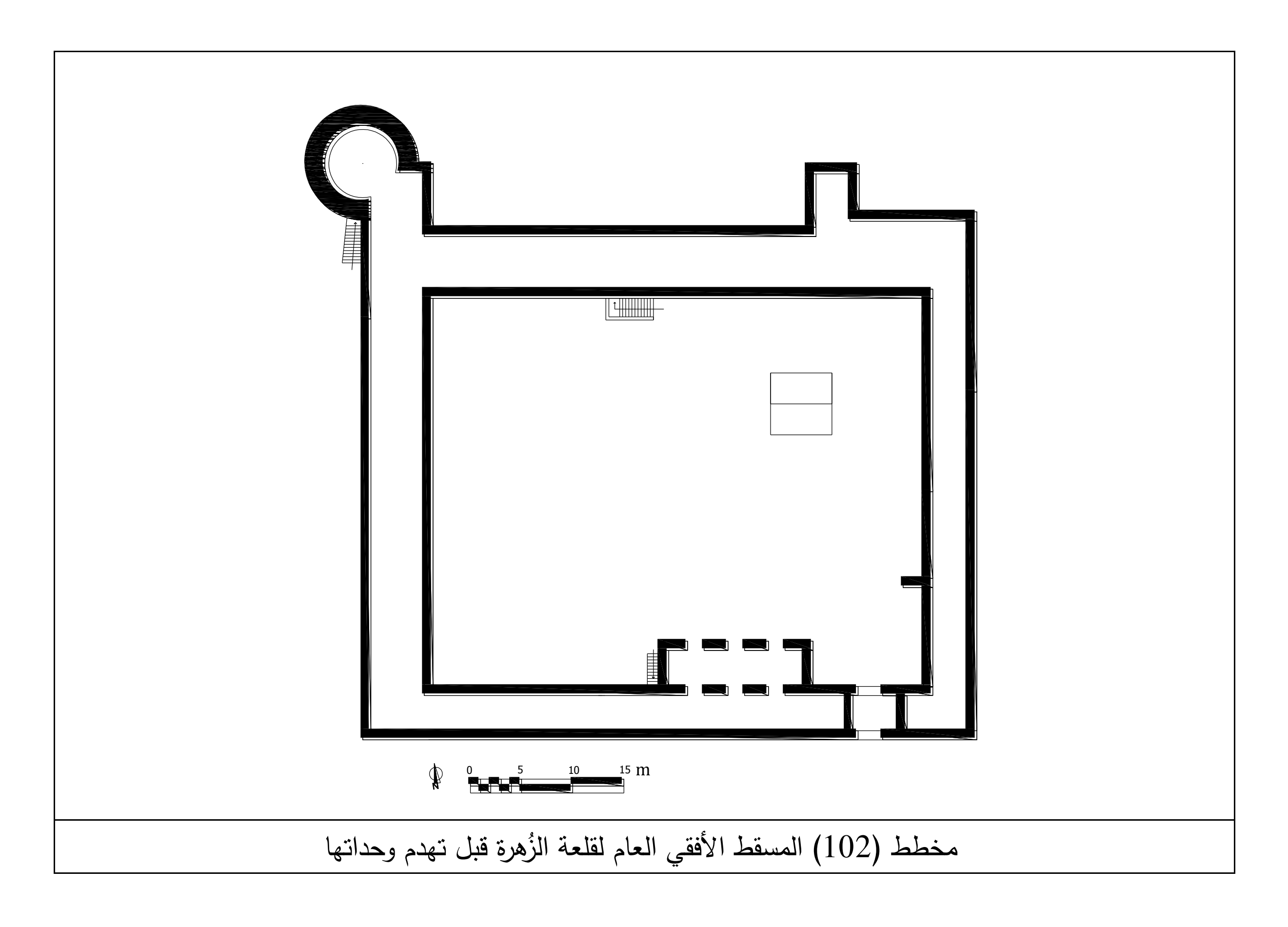
[1] – عن هذا النوع من مخططات القلاع يراجع ص 201– 203.



لوحة (216) صوره جوية لقلعة الزُهرة – باستخدام برنامج google earth



مخطط (101) المسقط الأفقي العام الراهن لقلعة الزُهرة



مخطط (102) المسقط الأفقي العام لقلعة الزُهرة قبل تهدم وحداتها

ثانياً: القلعة من الخارج (الــواجهات) (ل:214- 215)

فرض المخطط الرباعي لقلعة الزهرة وجود أربع واجهات، وبسبب تهدم الواجهتين الشرقية والغربية بشكل كبير لم نستطع التعرف على وجود أية مداخل تؤدي إلى القلعة من هاتين الجهتين. أما الواجهة الجنوبية فما تزال تحتفظ في الجانب الشرقي منها ببقايا فتحة مدخل متسع (ل:217)، يعلوها عقد، وتؤدي إلى دركاة مغطاة تنتهي بمدخل آخر معقود ما زال بحالة جيدة من الناحية المعمارية، حيث يبلغ اتساعه نحو (2.40م)، وارتفاعه (3م).



لوحة (217) موقع المدخل المتهدم

لم يتبق من الواجهتين الشرقية والغربية إلا بعض الأجزاء السفلية (ل:218)، التي تغطيها أكوام التراب وبقايا الجدران المتهدمة، أما الواجهتان الشمالية والجنوبية فما تزالان باقيتين برغم سقوط أجزاء منهما. وتضم الواجهات المتبقية في القلعة جدراناً ساندة مشطوفة من أعلاها، كان الهدف من بنائها هو تدعيم الأجزاء السفلى للجدران تفاديا لسقوطها، وحمايتها من الرطوبة، أو محاولة تسلقها من قبل مهاجمي القلعة. ويلاحظ على النصف الأول السفلي من جدران الواجهات عدم وجود نوافذ، وذلك من أجل تأمين القلعة ومنع اقتحامها والدخول إليها بسهولة.

وأبرز ما يشاهد في الجزء العلوي من الواجهتين الشمالية والجنوبية هي فتحات النوافذ، التي يليها من الأعلى صفان من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل)، الصف الأول فتحاته مستطيلة طولية مائلة إلى الأسفل، والصف الثاني فتحاته مربعة ضيقة (ل:219- 220). كما يبرز في الزاوية الشمالية الغربية من القلعة برج مستدير ذو قاعدة متسعة.

وتضم الواجهة الشمالية أيضاً من الخارج كتلة بنائية بارزة ذات شكل مستطيل (م:219)، دعمت في أسفلها بجدار ساند مشطوف من أعلاه، وهي بذلك تشبه الكتلة الشمالية في قلعة حَيس التي تقع في

المنطقة الجنوبية من تهامة. وبسبب تهدم معظم أجزاء هذه الكتلة لم يتم تحديد وظيفتها، ومن المحتمل أنها كانت إما قاعدة لبرج مربع في أعلاه مكان للمراقبة يستطيع الجند من خلاله مراقبة الجهة الشمالية من القلعة، أو مكان لقضاء الحاجة يضم طوابق متعددة كانت ملحقة بحجرات الجهة الشمالية من القلعة.



لوحة (218) الواجهة الغربية قبل تهدم بقية جدارها الخارجي – التقطت الصورة عام 2010



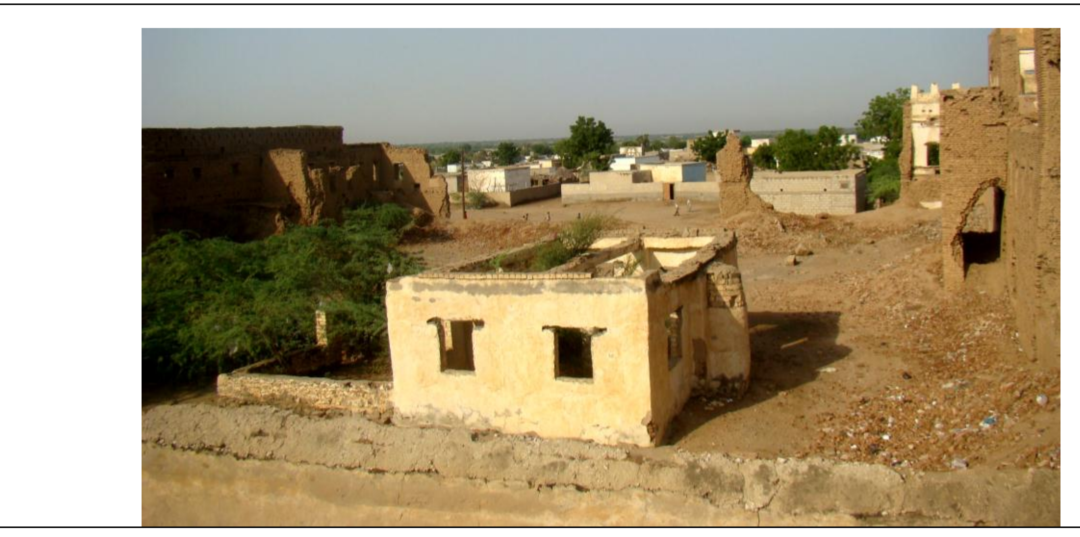
لوحة (219) الواجهة الشمالية ويظهر في طرفها الأيسر الكتلة البارزة



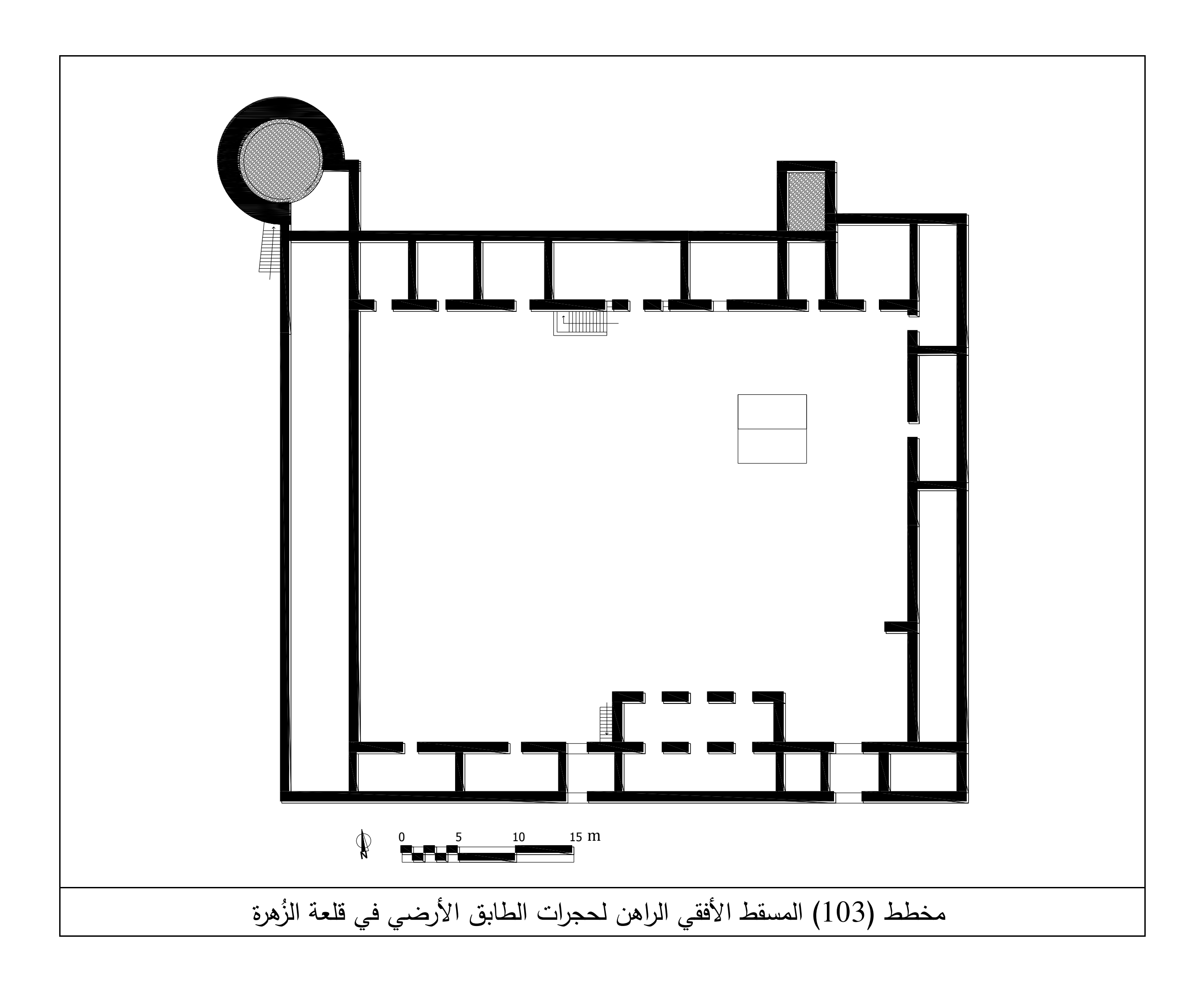
لوحة (220) الواجهة الجنوبية

ثالثاً: القلعة من الداخل: (ل:221، م: 103)

تتألف القلعة من الداخل من فناء مكشوف يبلغ أبعاده نحو (47.90م x 37.70م)، وتحيط به وحدات القلعة من الاتجاهات الأربعة، حيث يقع في الجهة الشمالية الشرقية منه مسجد. وبما أنه حديث البناء ارتئينا الإحجام عن وصفه نظراً لعدم الفائدة من ذلك؛ إلا أن ظهوره في القلعة يعطينا احتمالية وجوده في المرحلة السابقة كغيره من مساجد القلاع في المدن الكبرى بسهل تهامة، ومنها مسجد المدرسة الإسكندرية بقلعة زَبيد، ومسجدا قلعتي بيت الفَقيه والزَيدية.



لوحة (221) مسجد القلعة (حديث البناء)



مخطط (103) المسقط الأفقي الراهن لحجرات الطابق الأرضي في قلعة الزُهرة

رابعاً: الوحدات المعمارية:

تتوزع منشآت القلعة حول الفناء من الجهات الأربع، حيث غطيت جميع حجراتها بسقف خشبي مسطح. وبلغ سمك الجدران الداخلية لجميع الحجرات نحو (60سم)، وارتفاعها من الداخل (3م)، وفيما يلي دراسة وصفية لما تبقى من حجرات القلعة.

الحجرات الشمالية: (ل:222- 223)

حسب حديث أحد شيوخ مدينة الزُهرة من كبار السن عن الوظيفة الأخيرة لوحدات القلعة، فإن بعض الحجرات الشمالية في الطابق الأرضي منها استخدمت كمحكمة، كان القاضي يقوم فيها بالفصل بين قضايا ساكنة مدينة الزُهرة والقرى التابعة لها. واستخدمت حجرات أخرى من الطابق نفسه أيضاً لتدبير

الأمور المالية، أما الطوابق العلوية فكانت خاصة بالمسؤولين المكلفين بتسيير شؤون المدينة والقلعة، وخصصت الجهة الشرقية منها للضيافة والاستقبال[1].

وتمتد حجرات هذه الجهة من القلعة من الشرق إلى الغرب بطول (46.10م)، وكانت تتكون من ثلاثة طوابق في الجزأين الشرقي والغربي، أما الأوسط فكان يتألف من طابقين يعلوه جدار ساتر تتخلله فتحات للرماية بالبنادق (مزاغل). ويتقدم الجزء الأوسط من حجرات الجهة الشمالية بقايا درج صاعد يطل على الفناء، وهو يشبه الدرج الصاعد الذي يتقدم دار الضيافة في قلعة الزَيدية، وثكنات الجند (القَشلات) العثمانية، كما في مجمع العُرضي بمدينة صنعاء (يراجع ل:1- 2)، ويبدو أن هذا الأسلوب في بناء الدرج الصاعد هو الذي صار متبعاً - بعد خروج العثمانيين من اليمن- في معظم المنشآت الحكومية التي تتكون من عدة طوابق. وبرغم تهدم جدران الجهة الشمالية في القلعة إلا أننا استطعنا تمييز أبعاد أربع حجرات في الطابق الأرضي، تبلغ قياساتها من الداخل كالآتي: الأولى نحو (11.20م x 4.10م)، والثانية (5.50م x 3.80م)، والثالثة (5م x 3.80م)، والرابعة (4.30م x 3.80م).



لوحة (222) الحجرات الشمالية – التقطت الصورة عام 2010

1 – مقابلة شخصية مع أحمد عبد العزيز القديمي، أحد المسئولين السابقين في المدينة. تاريخ المقابلة 10 / 7 / 2011.



لوحة (223) الجانب الشرقي من الحجرات الشمالية المتهدمة – التقطت الصورة عام 2012

الحجرات الجنوبية: (ل:224- 225)

تعتبر حجرات الجهة الجنوبية في القلعة الأكثر وضوحاً من حيث بقائها ماثلة للعيان، برغم وجود أجزاء كبيرة منها تعرضت للتهدم، وما يزال أحد مداخل القلعة قائماً في الطرف الشرقي من هذه الجهة. كما تطل حجرات هذه الجهة بفتحات نوافذها على الفناء. وقد كانت حجرات الطابق الأرضي – في المرحلة الأخيرة من استخدام القلعة – تمثل سجناً تابعاً لمديرية الزُهرة، بينما استخدمت حجرات الطابق العلوي لمبيت الجند.

تتألف حجرات الجهة الجنوبية في القلعة من طابقين، الأرضي يتكون من حجرة مستطيلة واسعة، يبلغ أبعادها نحو (13.20م x 4.20م)، تفتح أبوابها الثلاثة على حجرة أخرى تتقدمها من جهة الفناء، وهي تضم أيضاً ثلاثة مداخل معقودة، يبلغ اتساع كل واحد منها (1.60م)، وارتفاعها (2.80م). وتكتنف هذه الحجرة من الجهة الشرقية حجرتان تطلان على دركاة مدخل القلعة، تماثلهما أخرى ومن الجهة الغربية حجرتان واسعتان، تبلغ أبعاد الكبرى منهما نحو (8.60م x 3.50م).



لوحة (224) الواجهة الشمالية للحجرات الجنوبية المطلة على فناء القلعة



لوحة (225) الجانب الغربي من الحجرات الجنوبية المطلة على فناء القلعة

الحجرات الشرقية والغربية: (ل:226)

كانت الطوابق السفلية من حجرات هاتين الجهتين في المرحلة الأخيرة من استخدام القلعة مخصصة لحفظ المواد الغذائية، ومنها الحبوب التي يتم تحصيلها بعد جباية الزكاة السنوية المفروضة على ساكنة منطقة الزُهرة، أما الطوابق العلوية فقد استخدمت لمبيت الجند المرابطين في القلعة[1].

1 - مقابلة شخصية مع أحمد القديمي. بتاريخ 10 / 7 / 2011.



لوحة (226) حجرات الجهة الشرقية وجانب من حجرات الجهة الشمالية

بـــرج المدافع: (م:104، ش:45)

يقع برج المدافع كما ذكرنا سابقاً في الزاوية الشمالية الغربية من القلعة، وهو بذلك يطل على المدينة كنظيره في قلعة بيت الفَقيه. ويتخذ البرج شكل مستدير له قاعدة محدبة يبلغ محيطها من الخارج نحو (27م)، وهي بذلك تشبه قاعدة برجي المدافع في قلعتي بيت الفَقيه وحَيس. ويعلو قاعدة البرج جدار مستدير أيضا يضم فتحات ضيقة للرماية بالبنادق، وبرغم بناء جدران إسمنتية حديثة في الجزء العلوي من البرج في المرحلة الأخيرة من استخدام القلعة، تعرضت بدورها للتهدم[1] (ل:227- 228).

ويتم الدخول إلى برج المدافع من فناء القلعة عبر فتحة مدخل تقع في الجهة الجنوبية من البرج نفسه. وهو من الداخل يتخذ شكلاً دائرياً، يبلغ قطره نحو (4.50م)، (ل:229) وقد ردمت أرضيته وتعرض جداره الساتر الذي يلتف حوله لكثير من التعديلات المعمارية، حيث لم يعد ظاهراً من ارتفاعه في الوقت الراهن سوى (1.5م) تقريباً، وذلك لأن مخلفات البناء تهدمت إلى الساحة الداخلية للبرج. وقد تم التعرف على ثلاث فتحات ضيقة من الداخل ومتسعة من الخارج تتوزع في الجدار الساتر، حيث تعمد منشئو

[1] – تمت معاينة منشآت القلعة في المرحلة الأولى في شهر أكتوبر عام (2010م)، ووجدنا مبنى يعلو البرج استخدم في إنشائه الطوب والإسمنت الحديث، وفي المرحلة الثانية من الدراسة الميدانية في شهر سبتمبر عام (2011م)، أصبح ذلك البناء متهدماً، مما يدل على أن جميع منشآت القلعة تتعرض يوماً بعد يوم للتدمير المتعمد من قبل الساكنة.

البرج فعل هذا الأمر، وذلك من أجل الحصول على زاوية كبيرة الانفراج، لتيسير حركة المدافع. والفتحات الثلاث المذكورة غير نافذة إلى الخارج بسبب البناء المستحدث فيها، وتختلف في اتساعها من واحدة إلى أخرى، والجدول التالي يبين قياسات كل واحدة منها.

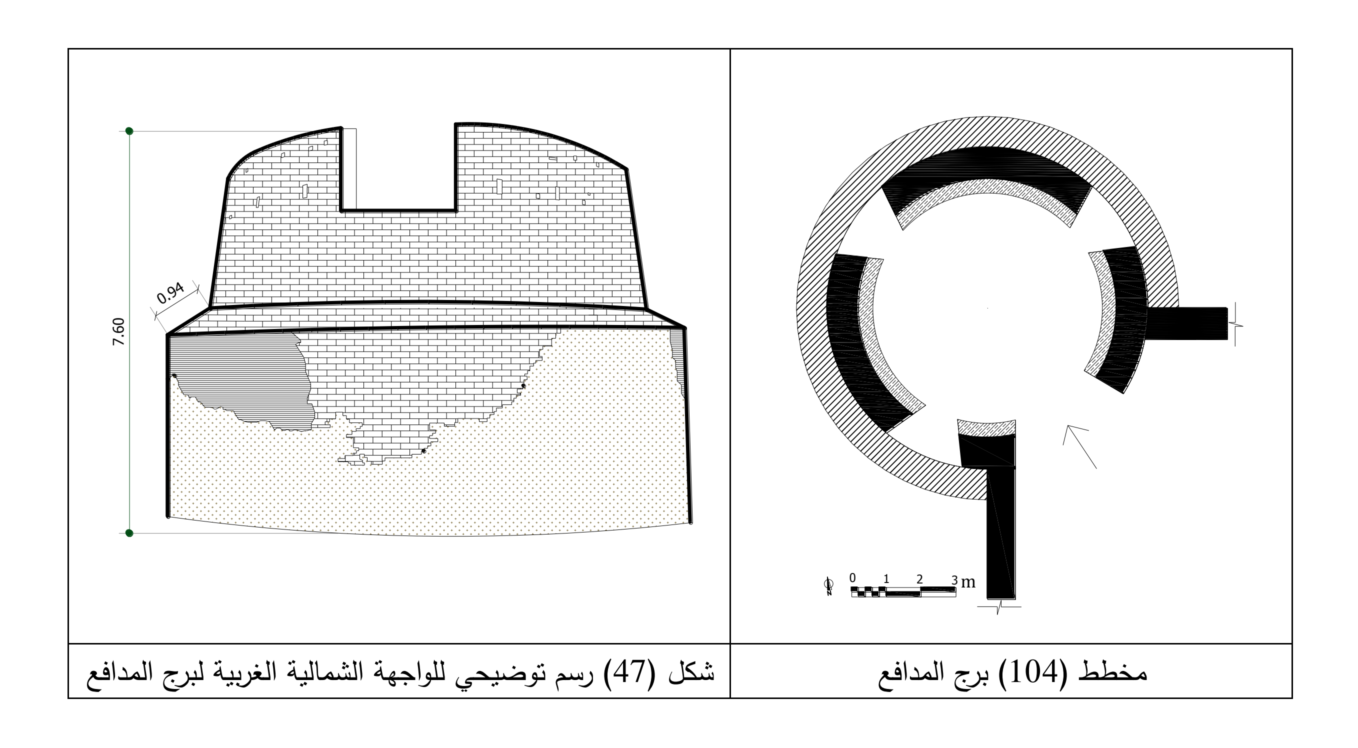
اتجاه الفتحة	اتساعها من داخل البرج	اتساعها من خارج البرج	سمك الجدار
الشمال الشرقي	90سم	2.8م	1.30م
الشمال الغربي	1م	2.20م	1.40م
الجنوب	1م	2.35	1.50م

ويتخلل الجدران التي تقع بين فتحات اطلاق قذائف المدافع العديد من الفتحات الضيقة (مزاغل) والتي تتيح للمدافعين توجيه بنادقهم إلى خارج البرج بكل سهولة وهم متخفين خلف الجدار الساتر. وهذه الفتحات تتخذ ثلاثة أشكال: الأولى مستطيلة رأسية مائلة إلى الأسفل، يبلغ ارتفاع فتحة كل واحدة منها نحو (50سم)، واتساعها (18سم)، والثانية شبه مربعة، يشبه الضلع العلوي منها العقد الثلاثي الفصوص، ويبلغ ارتفاع فتحة كل واحدة منها نحو (28 سم) واتساعها (25سم)؛ أما الثالثة ففتحاتها مزدوجة مائلة، تتجه إحدى فتحتيها نحو اليمين والأخرى نحو اليسار.

إن التصميم الداخلي والخارجي لبرج قلعة الزُهرة وكافة عناصره المعمارية والدفاعية الباقية التي تم وصفها، تشبه مثيلاتها في أبراج المدافع في قلاع: بيت الفَقيه، وحَيس، والزَيدية؛ غير أن برج قلعة الزُهرة يختلف عن برجي قلعتي بيت الفَقيه والزَيدية في عدم وجود طريق صاعد إليه (الزَّلاقة)[1]، ولكن يمكن تفسير ذلك بعدم الحاجة إليه في المرحلة الأخيرة من استخدام القلعة.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول أن الوظيفة السابقة للبرج المتبق في قلعة الزُهرة كان يستخدم لإطلاق قذائف المدفعية، ولذا فهو أحد أبراج المدافع في القلاع الكبرى بسهل تهامة اليمن.

[1] – عن عنصر الزلاقة ودوره في التسهيل من عملية ادخال المدافع إليه. يراجع ص 118، و 129، و 216– 217.



مخطط (104) برج المدافع

شكل (47) رسم توضيحي للواجهة الشمالية الغربية لبرج المدافع

لوحة (227) برج المدافع من الخارج – التقطت الصورة عام 2010.



لوحة (228) برج المدافع من الخارج – التقطت الصورة عام 2012.



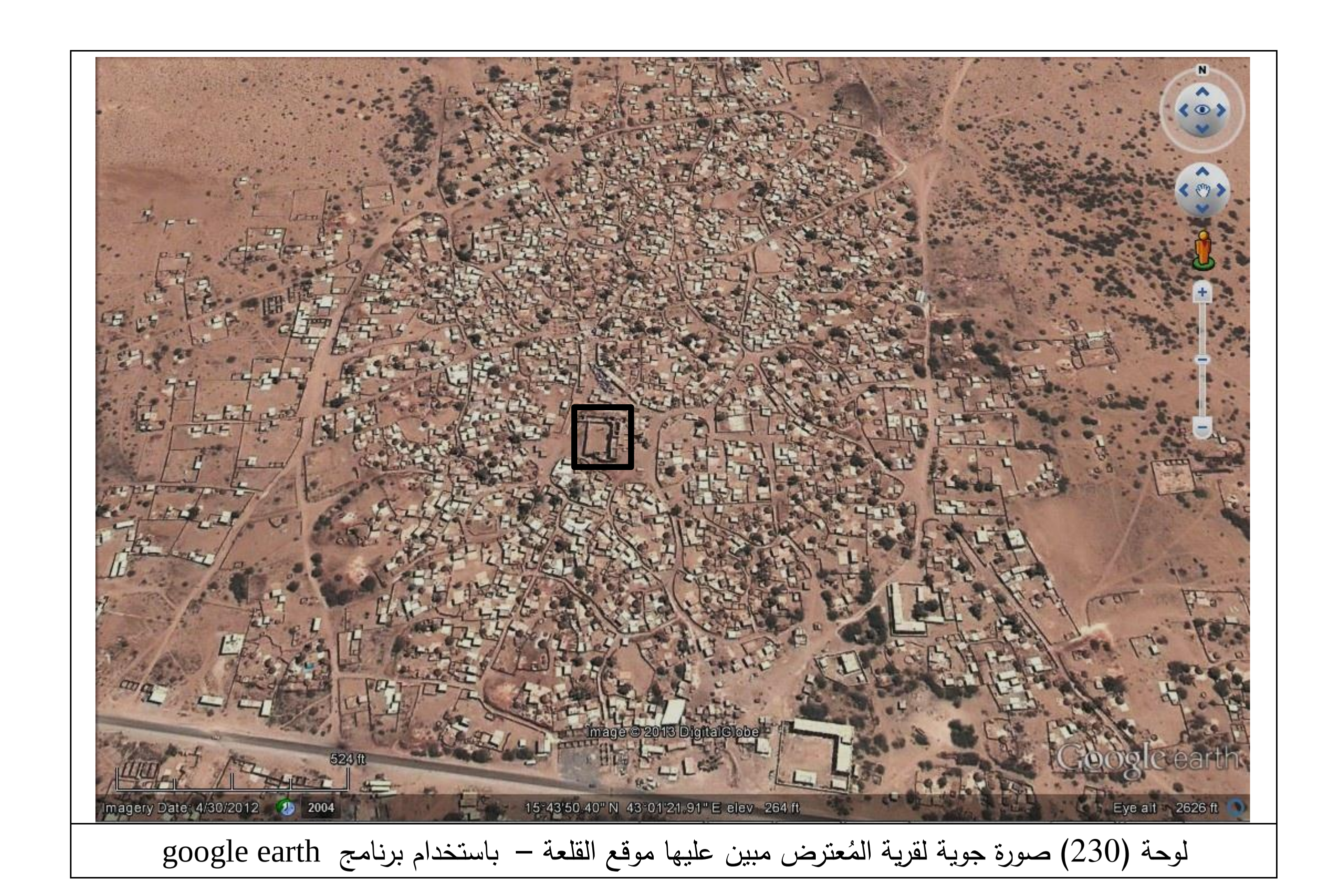
لوحة (229) برج المدافع من الداخل

الفصل الثالث: قلعة المُعْتَرض

- الموقـــــع
- نشأة القلعة وأهميتها
- الوضع المعماري الراهن
- الدراسة الوصفية والتحليلية
  - المخطط العام
  - الـــــواجهات
  - القلعة من الداخل

الموقع: (ل:230-231، خ:10)

تقع قلعة المُعْتَرِض في مكان متوسط من قرية المُعْتَرَض[1] التي تبعد عن مدينة الزُهْرَة من الجهة الشرقية بحوالي (5كم). أما إحداثيات القلعة فتقع بين دائرتي عرض (N15.72691) شمالاً، وخطي طول (E43.02771) شرقاً. وقد شكلت هذه القلعة حصناً منيعاً وسط قرية المُعترض الصغيرة، خاصة إذا ما عرفنا أنها أنشئت بمادة الآجر الذي يمتاز بحجمه الكبير. وبالمقابل كانت جميع مساكن القرية تتألف من أكواخ أنشئت بمادتي القش والقصب، كغيرها من مدن وقرى سهل تهامة اليمن.



لوحة (230) صورة جوية لقرية المُعترض مبين عليها موقع القلعة – باستخدام برنامج google earth

[1] – هي إحدى قرى وادي مُور، وأصل تسميتها بالمُعترض نسبة إلى الفقيه عبد الله المُعترض أحد فقهاء القرن الثامن الهجري. للمزيد انظر: إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مجلد 1، ج 4، ص 86. وأيضا: عبد الرحمن الحضرمي: تهامة في التاريخ، ص 170.



لوحة (231) صورة جوية لموقع قلعة المُعترض – باستخدام برنامج google earth

نشأة القلعة وأهميتها:

اهتم حكام المخلاف السليماني الأشراف آل خيرات بزراعة أراضٍ واسعة في وادي مور، ابتداء من الشريف حمود بن محمد (ت: 1233هـ/1817م)[1]. ولتوافر العيش الرغيد في هذا الوادي استقر الكثير من أمراء آل خيرات في قراه، وقد كانت قرية المُعترض إحداها. وتنسب قلعة هذه القرية إلى الشريف علي بن محمد بن علي بن حيدر آل خيرات[2]، والذي كان والياً على جهة وادي مُور، وكانت له أراض واسعة فيه، يزرعها فتنتج له محصولاً وافراً ينفق منه على غالب أهل قرية المُعترض[3].

1 – انظر: فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 254.

2 – لم أجد له ترجمة عدا ما ذكره المؤرخ إسماعيل الوشلي ضمن تراجم أسرة آل خيرات، حيث قال عنه: أنه أكبر إخوانه سناً وقدراً وكان شجاعاً، ومن أبرز مواقفه أنه نزل مع قبائل يام النجرانية إلى تهامة من أجل إخراج عمه الشريف الحسين بن علي بن حيدر من أسر السيد محمد بن يحيى إمام صنعاء، وذلك أثناء الصراع الذي دار بينهما في تهامة عام (1264هـ/ 1847م)، وعندما تولى الشريف علي جهة وادي مور طهَّره من الفاسدين وأقام عليهم الحد حتى انتشر الأمان فيه، وقد ظل على ذلك الحال في قرية المُعترض حتى توفي فيها. ولم يحدد المؤرخ الوشلي تاريخ ولادة الشريف علي أو وفاته، ولكنه ذكر أنه عاش لمدة ستة وسبعين سنة، وخلف اثنى عشر ولداً. للمزيد انظر: إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1، ج 4، ص 81 – 83.

3 – نفسه – ص 82.

لم تُذكر قلعة المُعترض أثناء ولاية الشريف علي بن محمد بن علي بن حيدر لجهة وادي مُور إلا مرة واحدة، وهي عندما قام مع أخيه الشريف الحسن بن محمد بالنزول نحو تهامة – وبصحبتهم قبائل يام النجرانية – من أجل محاربة العثمانيين في شهر شعبان عام (1267هـ/ 1850م)[1]. وحينما لم يستطيعوا دخول مدينة اللُحية، واشتد عليهم الخناق من قِبل الجند العثمانيين اضطر هذا الشريف وجنوده إلى التراجع نحو قلعة المُعترض؛ فخرجت ساكنة قرية المُعترض إلى القرى المجاورة، ثم جمع ما في القلعة مما عز وهان وحمَّلها على ظهور الجمال إلى مدينة أبي عَريش عاصمة المخلاف السليماني، فبقيت القلعة خاوية على عروشها[2].

وبعد وفاة الشريف علي بن محمد خلفه ابنه حمود[3]، الذي سار على نهج أبيه في الانفاق على أهل قرية المُعترض، وقام ببناء مسجد جامع بجوار قلعة والده (المُعترض) من الجهة الشرقية عام (1320هـ/ 1902م)[4].

كانت هذه القرية تمثل للأمراء آل خيرات موقعاً خلفياً لمدينة الزُهرة، وذلك بسبب قربهما من بعضهما. وقد ظهر ذلك الأمر عندما اشتدت المواجهات بين قبائل الواعظات والحامية العثمانية المتمركزة في مدينة الزُهرة في شهر شعبان عام (1329هـ / 1910م)؛ وفيها اضطر الشريف علي بن حيدر بن الحسين بن علي بن حيدر آل خيرات وعائلته إلى الخروج من قلعة الزُهرة نحو قرية المُعترض والاستقرار فيها[5]. ولأن القرية كانت آنذاك صغيرة المساحة، وليست ذات أهمية كبيرة من الناحية السياسية، بسبب قربها من مدينة الزُهرة التي كانت أكبر منها مساحة ومركزاً إدارياً لوادي مُور، لم تذكر ضمن الأحداث

---

1 – إسماعيل البشري: الديباج الخسرواني، ص 495.

2 – نفسه – ص 496 – 497.

3 – قال عنه المؤرخ الوشلي بأنه أكبر أبناء الشريف علي بن محمد بن علي، وأكثرهم ذكراً لله تعالى، وكان له شغف بالعلماء مواظب على أداء الفرائض، وكانت له أراض واسعة تنتج غلالاً كثيرة، فمنها التي تقع في وادي مور ومنها في أبي عريش وصبيا، ومساحتها تزيد عن ألفي معاد (معاد = 3600م^2) بعضها ورثها من أبيه وأكثرها اقتناها. ولم يذكر المؤرخ الوشلي تاريخ ولادته أو وفاته، ولكن عند ذكره لحوادث عام (1320هـ/ 1902م) قال إن عُمْر الشريف حمود خمسة وستون سنة، وقياساً على ذلك فان سنة ولادته كانت في عام (1255هـ/ 1839م). للمزيد انظر: إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1 ، ج 2، ص 87.

4 – إسماعيل البشري: الديباج الخسرواني، ص 86.

5 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1، ج 2، ص 77.

الحربية التي تمت في منطقة تهامة خلال فترة الدراسة؛ ولذا من المرجح أن الدور الوظيفي للقلعة اقتصر على حماية المزارع المحيطة بقرية المُعترض، وحفظ ممتلكات الأشراف آل خيرات الذين استقروا فيها.

الوضع المعماري الراهن:

تعتبر قلعة المُعترض إحدى الأملاك الخاصة بالأشراف آل خيرات، وما تزال في القرية بقية منهم، حيث تطلق على نفسها في الوقت الراهن لقب (آل البراق)، وقد ذكر أحدهم أن آخر استخدام لوحدات القلعة كان في بداية الثورة اليمنية عام (1381هـ/ 1962م)[1]. ومن الناحية المعمارية، وبرغم تهدم جدران القلعة وأغلب السقوف التي كانت تغطي حجراتها، تعد بشكل عام أفضل حالاً مقارنة مع بقية القلاع المتهدمة في سهل تهامة اليمن. ويرجع السبب في ذلك إلى متانة البناء وخاصة الجدران الخارجية للقلعة، إضافة إلى دور بعض من آل البراق في حراستها، وعدم تركها مفتوحة أمام أيادي التخريب. وكان لتقادم الزمن على القلعة وعدم ترميمها دور رئيسي في تشقق جدرانها، ومن ثم تعرضها للتهدم وخاصة الأجزاء العلوية منها. كما يعود سبب سقوط سقوفها إلى انتشار دودة النمل الأبيض آكلة الخشب (الأرضة)[2]، التي توجد بشكل لافت في جميع المنشآت في منطقة تهامة ومنها في القلاع موضوع الدراسة، حيث تعمل هذه الحشرة على أكل جميع الأخشاب من الداخل وبالتالي تصبح هشة ثم تسقط بسهولة (ل:243).

[1] – تم استقاء هذه المعلومات من أحد كبار السن من آل البراق، أثناء العمل الميداني في القلعة.

[2] - النمل الأبيض أو الأرضة (Coptotermes formosanus)، يكثر نموه في المناطق الدافئة ويعيش تحت الأرض ويمدد أنفاقه لمسافات كبيرة في الهياكل الخشبية، فالنمل الأبيض الخاص بالأخشاب الرطبة يعيش فقط في الأخشاب عالية الرطوبة، والنمل الأبيض الخاص بالأخشاب الجافة يحتاج إلى قليل من الرطوبة فقط. ويهضم النمل الخشب والورق وأي مواد أخرى تحتوي على مادة السليلوز وذلك بمساعدة بعض الأوليات الموجودة داخل أجسامها، وعليه فهو يحدث كثيراً من الدمار بحفره أنفاقاً عبر الأخشاب المستعمل في تشييد المنشآت السكنية. للمزيد انظر: أحمد زياد الأحمدي: *"الأرضة (النمل الأبيض)"*، الموسوعة العربية الإلكترونية (Arab Encyclopedia)، مج 1، ص 915. بواسطة الرابط: http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=134&m=1

- **المخطط العام:** (م:105)

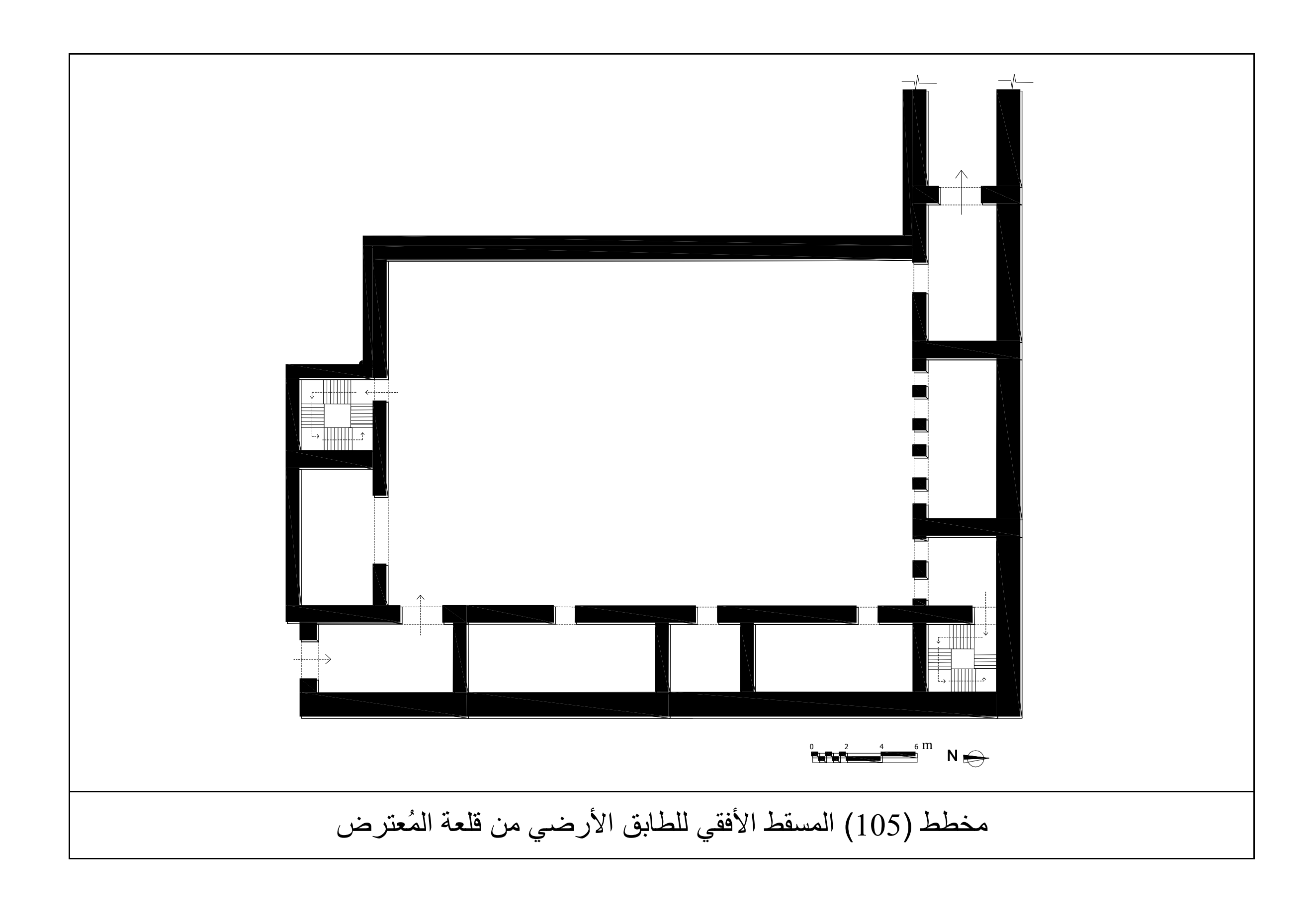
يتخذ المسقط الأفقي لقلعة المُعترض الشكل المستطيل، والذي يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب بنحو(41م)، وعرضه من الشرق إلى الغرب نحو (36م)، ويتوسطه فناء واسع مكشوف تحيط به وحدات القلعة من الجهات الغربية والشمالية والجنوبية. ويتم الدخول إلى القلعة عبر ولوج بوابة تقع في الركن الجنوبي الغربي منها.

يختلف تصميم قلعة المُعترض عن مخططات قلاع سهل تهامة، لأنه لا يشتمل على أبراج دفاعية مستقلة، وكانت أغلب وحداته ذات طابع مدني أكثر منه دفاعي. أما من حيث وجود الفناء المكشوف، فيعد عنصراً رئيسياً في تصميم معظم المنشآت المعمارية (الدينية، والمدنية، والحربية) في مجال سهل تهامة، بسبب ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة خلال أغلب أيام السنة.

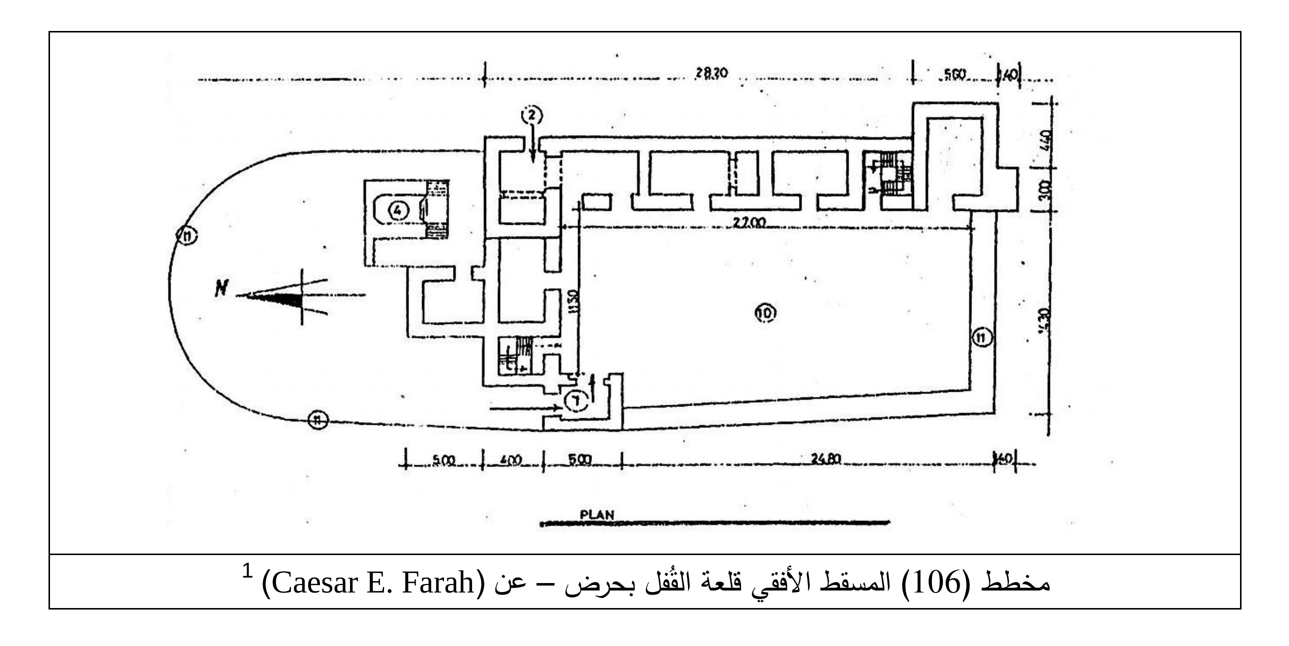
أما خارج مجال الدراسة فقد وجد تصميم قريب الشبه من تصميم قلعة المُعترض، وهو لقلعة القُفل الواقعة أعلى وادي حرض من الجهة الشرقية[1](م:106، ل:232)، والتي تنسب إلى الشريف أحمد بن يحيى بن محمد بن حيدر آل خيرات (ت:1311هـ/ 1893م)[2]. ومن المحتمل أن سبب التشابه في كلتي القلعتين يرجع إلى قيام أحد منشئيهما ببناء واحدة منهما على غرار الأخرى، خاصة إذا ما عرفنا أنهما تنسبان إلى شخصيتين من أسرة آل خيرات. ويحتمل أيضا أن الهدف من بناء قلعة القُفل كان يتمثل في حماية الأراضي الزراعية المحيطة بها؛ ولذا ربما تأثرت قلعة المُعترض في التصميم المعماري العام بقلعة القُفل أو العكس.

1 – لم يتم إدراج قلعة القُفل بفج حرض ضمن هذه الدراسة، وذلك لأنها تقع خارج نطاق المجال الجغرافي الذي تم العمل البحثي فيه، حيث تقع هذه القلعة في المنطقة الجبلية المحاذية لسهل تهامة.

2 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 1، ج 2، ص 94.



مخطط (105) المسقط الأفقي للطابق الأرضي من قلعة المُعترض



مخطط (106) المسقط الأفقي قلعة القُفل بحرض – عن (Caesar E. Farah) [1]

1 - Caesar E. Farah: The Ottoman Forts and Castles of Yemen, p 76.



لوحة (232) قلعة القُفل بفج حرض – عن (المركز العسكري اليمني للتوثيق)

– الـواجهات

ما تزال قلعة المُعترض تضم الواجهات الخارجية الأربع، التي تمتاز بارتفاعها واشتمالها على العديد من العناصر المعمارية والدفاعية المتنوعة، والتي لعبت دوراً كبيراً في حصانتها، وبالتالي تستطيع القلعة تحقيق الهدف الذي أنشئت من أجله. وفي الفقرات التالية سيتم وصف هذه الواجهات ابتداء من الواجهة الجنوبية.

الواجهة الجنوبية:

تمتد هذه الواجهة من الشرق إلى الغرب بمسافة (26.80م)، ويبلغ ارتفاعها عند جدار المدخل حوالي (20م). وهذه الواجهة تمثل جداراً خارجياً لكتلة البوابة، والحجرة المجاورة لها، وسلم صاعد تعلوه حجرة للمراقبة، وتنتهي الواجهة بجدار سور القلعة.

وكتلة البوابة تتصدرها فتحة مدخل ذات عقد مدبب، يبلغ ارتفاعها نحو (3.10م) واتساعها (2.20م)، تعلوها نافذتان (ل:233)، بينما الحجرة المجاورة التي تلي البوابة من جهة الغرب يبرز جدارها عن جدار البوابة بنحو (80سم)، كما تهدم الجانب الغربي منها. أما جدار السلم الصاعد والحجرة العلوية

فقد تهدم بكامله (ل:234)، ثم يرتد جدار الواجهة نحو الداخل بنحو (4.45م)، يليه من جهة الغرب جدار السور الجنوبي، حيث يمتد بمسافة (7.40م)، ويبلغ ارتفاعه نحو (5م)، وسمكه (1.40م).

وتضم الواجهة الجنوبية عدداً من الحِليات المعمارية والزخرفية والعناصر الدفاعية، وهي كالآتي:

أولاً: الحِليات المعمارية والزخرفية، وهي:

– ثلاثة أشرطة زخرفية تتألف من قطع الآجر، الأول يمتد بطول الواجهة وهو يمثل نهاية الطابق الأرضي، وقوام زخرفته أشكال المعينات، ونتج عن تشكيل قطع الآجر شكل هندسي مكرر لمعَّين تتوسطه علامة الجمع (+) (ش:46)؛ بينما يقع الثاني والثالث في واجهة كتلة البوابة فقط كونها مرتفعة وتتألف من ثلاثة طوابق؛ فالشريط الثاني يكلل نهاية الطابق الأول لكتلة البوابة، وقد نتج أيضا عن تشكيل قطع الآجر شريطان هندسيان لأشكال مثلثة ومربعة (ش:47)، أما الشريط الثالث فهو يشبه الشريط الأول السابق ذكره، غير أن الشكل الزخرفي علامة الجمع (+) بارزة بقطع الآجر.

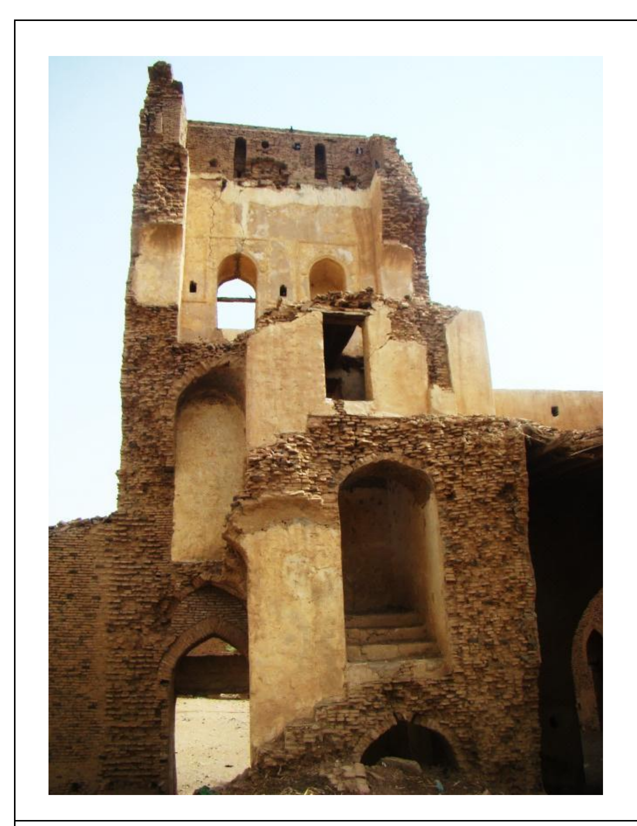
– شكل زخرفي يشبه النجمة الثمانية، يقع بداخل منطقة مربعة ترتد إلى داخل الجدار بمقدار (4سم) تقريباً (ش:48).

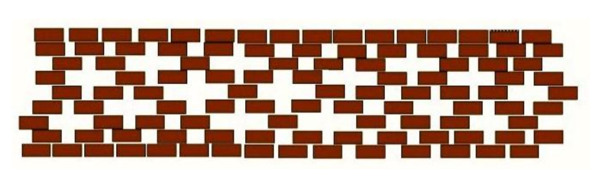
والأشرطة الزخرفية المذكورة سبق وأن شاهدنا مثيلاً لها في قلعتي الزَيدية والضِحي السابق وصفهما. أما الشكل الهندسي الثماني فقد وجدت أيضاً أمثلة مشابهة أقدم منه في سهل تهامة، ولكنه نفذ على واجهات المنشآت الدينية. وأبرزها في مدينة زَبيد الحلية المعمارية التي تزين الواجهة الشرقية في الجامع الكبير، وتعود إلى عمارة الجامع عام (897هـ/ 1492م)، أثناء فترة حكم الدولة الطاهرية لليمن[1] (ش:49). وكذلك الشكلان الثُمانيان اللذان يقعان على جانبي الشريط الكتابي أعلى عقد مدخل المدرسة الجبرتية، والذي يتضمن تاريخ تجديد المدرسة عام (1181هـ/ 1767م) في فترة حكم الدولة القاسمية (الزَيديَّة) لليمن[2] (ل:235).

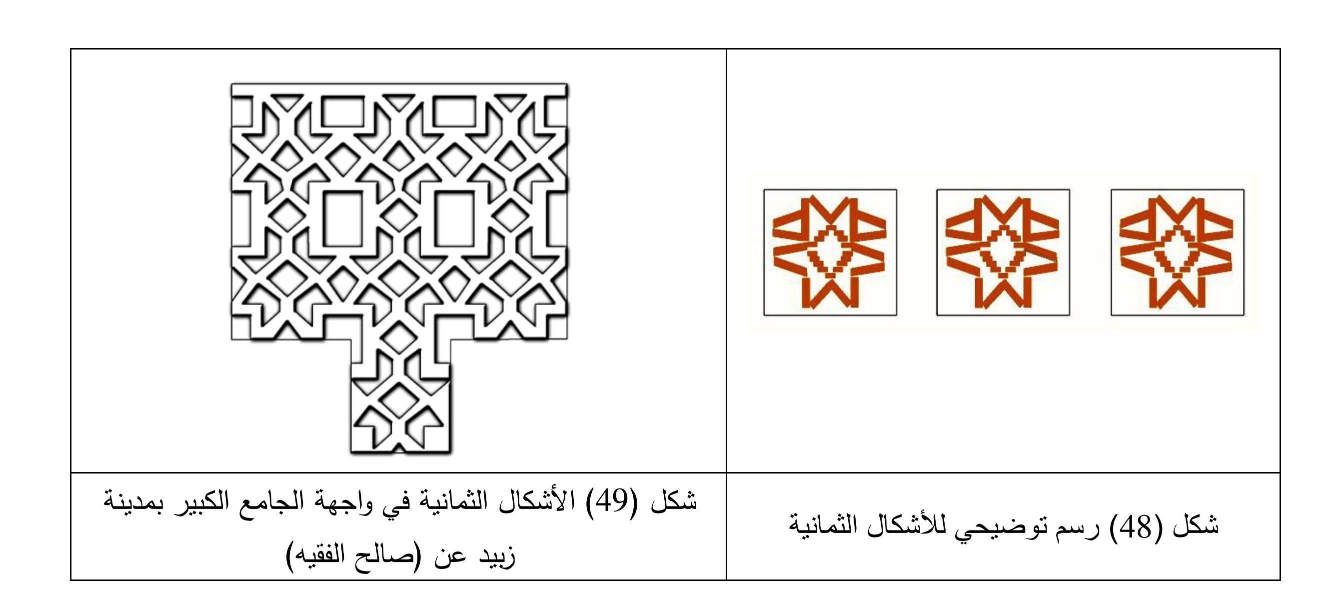
1 - صالح الفقيه: مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي (دراسة أثرية معمارية مقارنة)، ص 106.

2 – مصطفي عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الاسلامية في الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، ط 1، القاهرة، 1987، ص 96.

وبناء على ما سبق يمكن القول أن الحليات المعمارية والأشكال الزخرفية المذكورة تعد من العناصر الجمالية التي حرص المعماريون في سهل تهامة اليمني على تزيين واجهات المنشآت أيا كان نوعها، وهي تُعَبِّر عن استمرارية فنون العمارة اليمنية.

	
لوحة (233) الواجهة الجنوبية – كتلة المدخل	لوحة (234) الواجهة الجنوبية – السلم الصاعد

	
شكل (46) رسم توضيحي للشريط الأول علامة الجمع +	شكل (47) رسم توضيحي للشريط الثاني أشكال المثلثات والمربعات



شكل (49) الأشكال الثمانية في واجهة الجامع الكبير بمدينة زبيد عن (صالح الفقيه)

شكل (48) رسم توضيحي للأشكال الثمانية



لوحة (235) الشكلان الثمانيان بجانبي أعلى عقد مدخل المدرسة الجبرتية بمدينة زبيد

ثانياً: العناصر الدفاعية

تتخلل الواجهة الجنوبية أربعة صفوف من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل)، الصف الأول فتحاته أمامية، يقع في الجزء السفلي من الطابق الأرضي لكتلة البوابة والحجرة المجاورة له. والصف الثاني يقع أسفل نهاية الطابق الأرضي من الوحدتين المذكورتين، وهو عبارة عن فتحات ضيقة مائلة إلى الأسفل يمكن أن تستخدم كسقاطات غير بارزة ومزاغل في الوقت نفسه. أما الصف الثالث فيقع في الجدار

الساتر لكتلة البوابة والحجرة المجاورة لها، بينما الصف الرابع يقع في نهاية الجدار الساتر للحجرة العلوية من كتلة البوابة (ل:233).

الواجهة الشرقية: (ل:236 – 237)

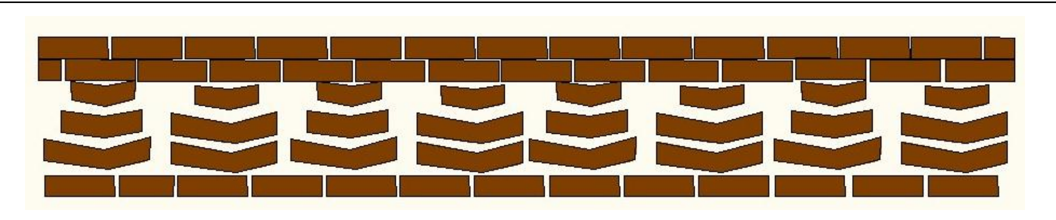
تطل هذه الواجهة على جامع قرية المُعترض وتلتصق به في الجزء الشمالي منها، وهي تمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة (41.30م)، كما أنها ذات ارتفاع شاهق يبلغ عند كتلة البوابة حوالي (12م)، وقد تهدمت بعض أجزائها وخاصة في الجانب الشمالي. وتتخلل هذه الواجهة عناصر معمارية ممثلة في ثلاث نوافذ فتحت في جدار الحجرة العلوية لكتلة المدخل، تعلوها أشكال معقودة ترتد نحو الداخل. كما تتخلل هذه الواجهة صفوف من فتحات البنادق الضيقة (مزاغل)، وزينت بتكوينات معمارية زخرفية من الأشرطة الهندسية والأشكال الثمانية، والتي تشبه مثيلاتها في الواجهة الجنوبية. وزيادة على ذلك هناك شريطان يلتفان حول الحجرة العلوية الوسطى في الواجهة نفسها؛ فالأول السفلي عبارة عن خطين يسيران بشكل متواز يحصران بداخلهما أشكالاً مثلثة، نتجت عن تكرار وضع ثلاث قطع من الآجر فوق بعضها، بحيث يكون نصفها الأول مغروس في الجدار والنصف الثاني يبرز إلى خارج الجدار (ش:50). أما الشريط العلوي فيتألف من خطين متوازيين من قطع الآجر، حيث قسم إلى مناطق مربعة تضم كل منطقة منها أشكالاً هندسية مكررة نتجت عن وضع قطع الآجر بشكل بارز إلى خارج الجدار بمقدار (5سم)، (ش:51).



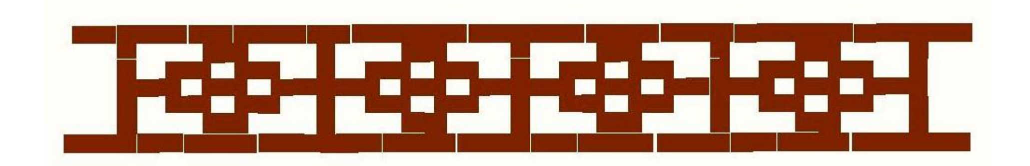
لوحة (236) الواجهة الشرقية



لوحة (237) الأشرطة الزخرفية في الواجهة الشرقية للقلعة



شكل (50) رسم توضيحي للشريط الزخرفي السفلي في الطابق الأول من الواجهة الشرقية



شكل (53) رسم توضيحي للشرط الزخرفي العلوي في الطابق الأول من الواجهة الشرقية

الواجهة الشمالية: (ل:238)

تعرض الجزء الشرقي من هذه الواجهة للتهدم، ولذا لم نستطع معرفة الامتداد الحقيقي لها، حيث لم يتبق منها سوى (36م). كما أن الجزء العلوي من هذه الواجهة متهدم أيضا ولم يتبق من ارتفاع الواجهة عدا (8م). وتتضمن هذه الواجهة صفاً من الفتحات الضيقة المائلة إلى الأسفل، والتي كانت تستخدم كمزاغل وسقاطات غير بارزة في الوقت نفسه، يليه من الأعلى صف من الفتحات الضيقة المزدوجة، ثم شريط هندسي يتكون من أشكال المعينات، وهو يشبه الأشرطة السابق ذكرها في الواجهتين الشمالية والغربية.



لوحة (238) الواجهة الشمالية

الواجهة الغربية: (ل:239)

تمثل هذه الواجهة سوراً خارجياً للقلعة، وقد تهدم الجزء العلوي منها، حيث تبقى من ارتفاعها نحو (5م)، وهي تتألف من ثلاثة أضلاع، وذلك لأن الركن الشمالي الغربي في القلعة يبرز نحو الجهة الغربية،

وهو في الوقت الراهن متهدم، ولذا يمتد الضلع الأول في هذه الواجهة من الجنوب إلى الشمال بمسافة (31م)، ثم ينحرف نحو الغرب بمسافة لم يتبق منها سوى (9م)، بعد ذلك ينحرف نحو الشمال بمسافة (6.20م).



لوحة (239) الواجهة الشرقية

- القلعة من الداخل

تتألف قلعة المُعترض من الداخل من فناء واسع مكشوف مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده نحو (30.30م x 19.70م)، وتطل عليه وحدات القلعة من ثلاث جهات هي الجنوبية والشمالية والشرقية، بينما تضم الجهة الغربية سوراً دفاعياً يبلغ امتداده نحو (30م)، وارتفاعه من داخل القلعة (5م). وفي الفقرات التالية سيتم وصف ما تبقى من وحدات القلعة ابتداءً من البوابة، نظراً لأهمية هذه الوحدة المعمارية من الناحية الدفاعية، وكذا موقعها الذي يربط بين الوحدات المعمارية الشرقية والجنوبية.

أولاً: كتلة البوابة

تقع البوابة في الركن الجنوبي الشرقي من القلعة، وقد قمنا بإدراجها ضمن الوحدات المعمارية الجنوبية، لأن فتحة المدخل الخارجي تتجه نحو الجنوب. وتتألف كتلة البوابة من طابقين، الأرضي يضم دركاة فتح فيها مدخلان، والعلوي يتكون من حجرة، انشئت لغرض حراسة البوابة وحمايتها.

ويضم الطابق الأرضي فتحة للدخول سبق ذكرها، وبجانبيها فتحتان ضيقتان للرماية بالبنادق، وتعلوها فتحتان أيضا مائلتان إلى الأسفل كانتا تستخدمان لحماية المدخل، وتمثلان مزاغل مائلة

وسقاطات في الوقت نفسه. كما فتحت في بطن عقد المدخل فتحة واسعة يمكن أن تؤدي وظيفتين معاً: الأولى سقاطة مغيبة لإلقاء المواد الحارقة على مهاجمي القلعة من جهة المدخل، والثانية لإنزال عوارض خشبية تزيد من تدعيم مصراعي الباب (ل:240). وهناك أمثلة مشابهة لهذا النوع من السقاطات المغيبة في قلاع سهل تهامة اليمني، ومنها الفتحة الموجودة أعلى عقد المدخل الرئيسي لقلعة الزَيدية[1]، بينما نجدها متعددة الفتحات فوق الأبواب الأربعة لسور مدينة زَبيد، وكذا باب النصر والباب الرئيسي بقلعة زَبيد[2] (ل:241).

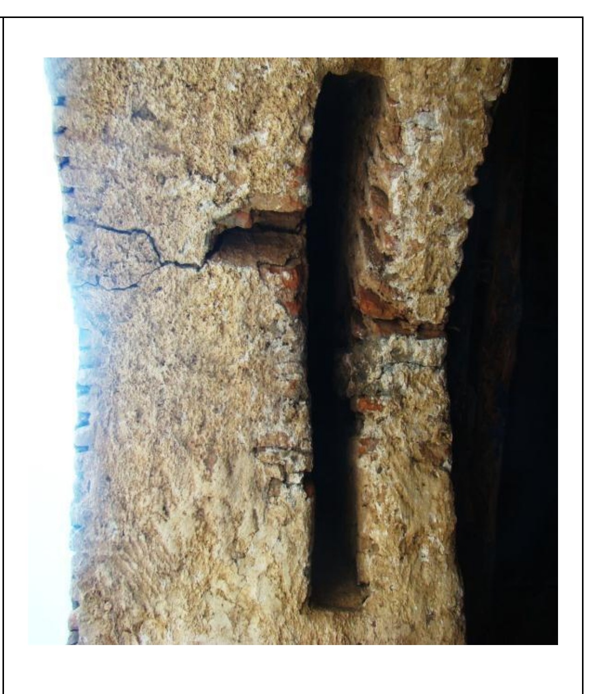
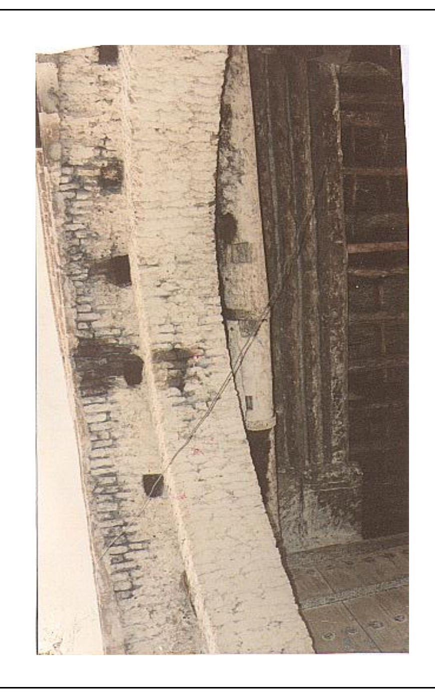
ويؤدي المدخل المذكور إلى دركاة مربعة، تبلغ أبعادها نحو (7.80م x 4م)، وفتح في جدارها الشرقي مدخل ذو عقد مدبب يؤدي إلى فناء القلعة (ل:242)، حيث يبلغ ارتفاعه (3م)، واتساعه (2.40م)، وتعلوه فتحة ضيقة مائلة إلى الأسفل تشبه الفتحتين اللتين تعلوان المدخل الخارجي.

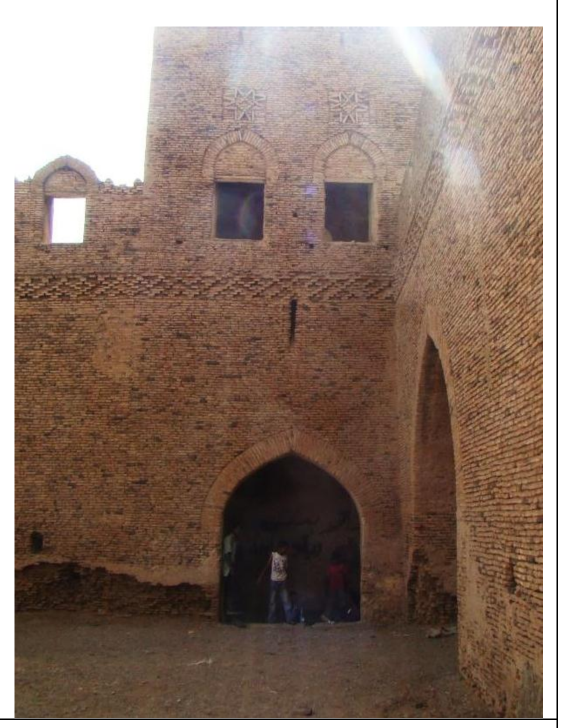
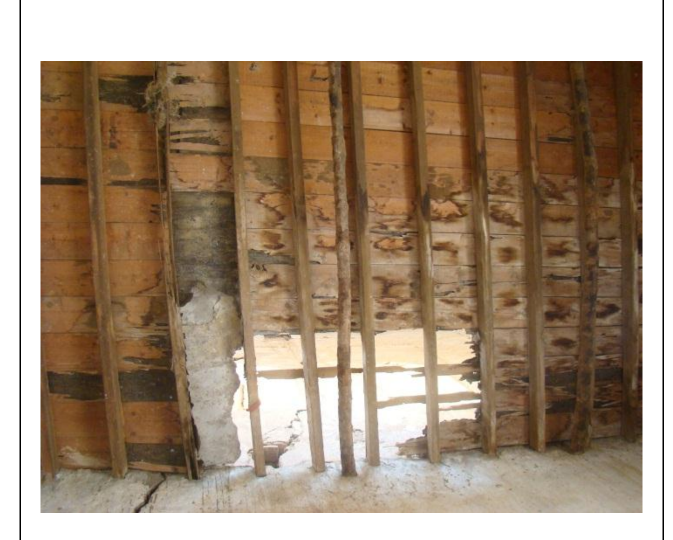
أما الطابق العلوي من كتلة البوابة فهو يتكون من حجرة مستطيلة لم نستطع دخولها بسبب تهدم أرضيتها (ل:243)، وهي تطل على خارج القلعة بالواجهتين الجنوبية والغربية، وعلى فناء القلعة بجزء من واجهتها الشرقية، حيث تتخلل هذه الواجهات نوافذ كان يستخدمها الجند المكلفون بحراسة البوابة للمراقبة سواء إلى خارج القلعة أو داخلها.

وقد شكل مخطط كتلة البوابة الرئيسية المذكور بطابقيه منطقة محصنة في القلعة، إذ يصعب على المهاجمين دخولها من هذا الجانب، وذلك لأن المدخلين اللذين يوجدا فيها غير متقابلين، فعند المرور عبر المدخل الخارجي لابد من الانحراف يساراً للمرور عبر المدخل الداخلي المؤدي إلى الفناء، كما أنه ليس من السهولة المرور بكل يسر، نظراً لوجود الكثير من العناصر الدفاعية والمعمارية المتنوعة التي تضمها دركاة البوابة والطابق العلوي، التي تزيد من عرقلة المهاجمين.

1 - يراجع الوصف المعماري لكتلة البوابة الرئيسية في قلعة الزَيدية. ص 208.

2 - عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زَبيد، ص 363.

	
لوحة (240) السقاطة المغيبة بباطن عقد مدخل قلعة المُعترض	لوحة (241) السقاطات المغيبة أعلى عقد مدخل باب سهام في سور مدينة زبيد – عن (عبد الله الحداد)

	
لوحة (242) المدخل المطل على الفناء والحجرة العلوية لكتلة البوابة	لوحة (243) سقف الطابق الأرضي لكتلة البوابة

ثانياً: الوحدات المعمارية الجنوبية: (ل:244)

تضم الجهة الجنوبية من القلعة حجرة واسعة وسلماً صاعداً ينتهي من أعلاه بحجرة، بالإضافة إلى كتلة البوابة التي سبق وصفها، وفيما يلي وصف تفصيلي لهاتين الوحدتين.

- **الحجرة المجاورة للبوابة:** (ل:245)

تقع حجرة الاستقبال في الجهة الجنوبية من القلعة مما يلي مدخل القلعة من جهة الغرب، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة واسعة، تبلغ أبعادها نحو (7.90م x 4م)، وتفتح على فناء القلعة بباب معقود، يبلغ اتساعه نحو (3.90م)، وارتفاعه (4م). وهذه القاعة بتخطيطها المذكور قريبة الشبه بالإيوان[1].

ولأن هذه الحجرة تلتصق ببوابة القلعة، وتشتمل على مدخل واسع يطل على المدخل الداخلي للبوابة أيضا، فإنه من المحتمل أن وظيفتها كانت تتمثل في عملية الإشراف والحصر لكل المحاصيل الزراعية وغيرها التي تدخل إلى القلعة أو تخرج منها.

- **السلم الصاعد:** (ل:246)

يقع السلم الصاعد في الجهة الغربية من الحجرة المجاورة للبوابة، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة تتصدرها فتحة مدخل تطل على فناء القلعة، يبلغ اتساعها نحو (1.30م)، وارتفاعها (3م). وبعد ولوج مدخل السلم يتم الصعود عبر درج يلتف حول دعامة مركزية ينتهي من أعلاه بحجرة علوية، وبسبب تهدم جدران السلم لم نستطيع الصعود إليها، ولكن يظهر أنه فتح في جدارها الشرقي مدخل يؤدي إلى سطح الحجرة المجاورة لها من جهة الشرق، ومنه إلى الحجرة العلوية الخاصة بحراسة بوابة القلعة. ويلاحظ على السلم الصاعد استخدام التسقيف المقبى الذي اعتمد على قطع الآجر في تغطية قلباته. وهذه الطريقة وجدت في السلم الشمالي الشرقي من القلعة نفسها، وبالرغم من أنها تحتاج إلى وقت كبير لإنجازها، فإنها

---

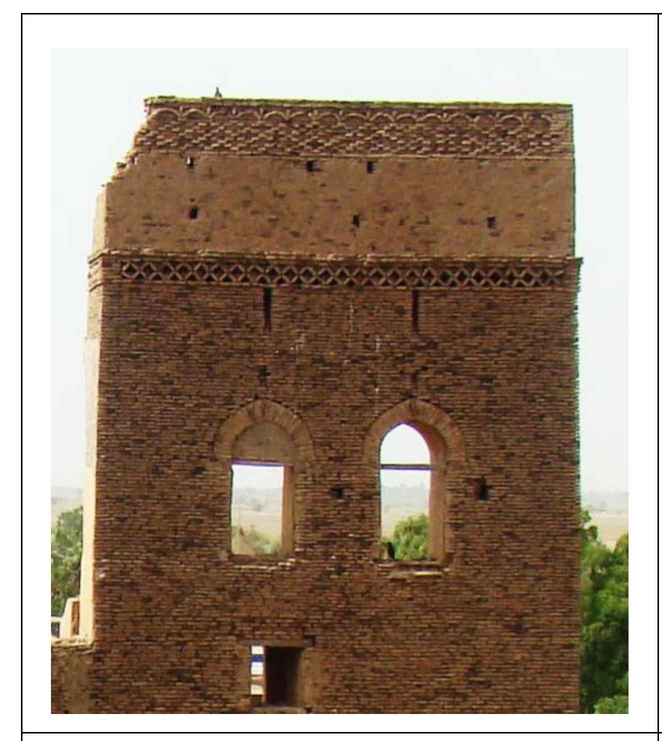
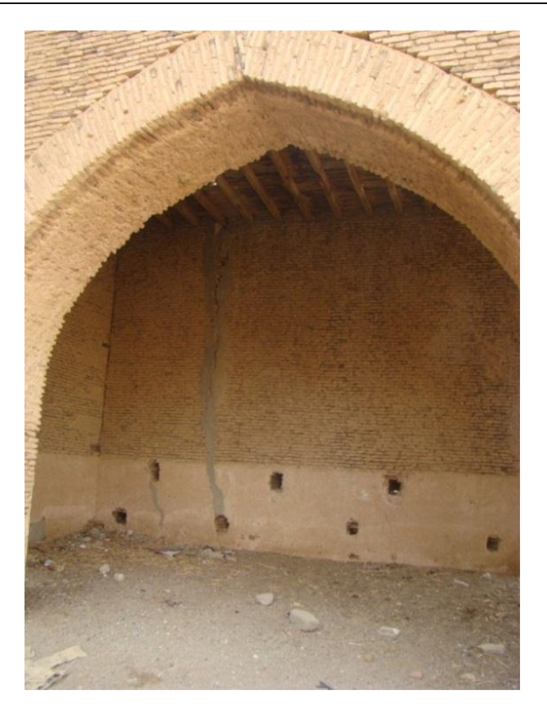
[1] - يأتي لفظ الايوان في المصطلح الأثري المعماري للدلالة على مجلس كبير ذي شكل مربع أو مستطيل يضم سقفاً مقبى غالباً أو مسطحاً أحياناً، تحيط به ثلاثة جدران من ثلاث جهات فقط، أما الجهة الرابعة فهي مفتوحة بعقد. وقد تتصل بالإيوان قاعات وغرف متعددة حسب وظيفة البناء الموجود فيه. ولعل أكبر إيوان يرجع إلى ما قبل الاسلام بأربعة قرون من الزمان تقريباً، وما زالت معالمه الأثرية باقية حتى اليوم في اطلال المدافن الواقعة إلى الجنوب الشرقي من بغداد، وهو إيوان كسرى الذي يبلغ عرضه (25م)، وارتفاعه (34م)، ثم انتقل هذا العنصر المعماري إلى العمارة الاسلامية المبكرة، ووجدت أقدم أمثلته في قصر المشتى، الذي بناه الوليد بن عبد الملك فيما بين عامي (125- 126هـ/ 742 - 743م) ببادية الشام. انظر: عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، 21 - 22.

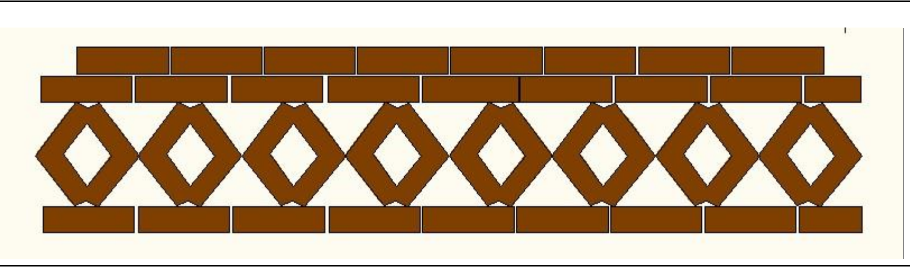
تعتبر أكثر صلابة من طريقة التسقيف المسطحة، ولم نجد لها مثيلا في القلاع موضوع الدراسة عدا القبو الذي سقف به الدرج المؤدي إلى حجرة التخزين في قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية، والأقبية التي تغطي السلم الصاعد المؤدي إلى الطابق الأول لحجرة الجند في قلعة القُماحيَّة بمدينة مِيدي.

ما تزال واجهة السلم الصاعد المطلة على الفناء باقية حتى وقت إعداد هذه الدراسة، وهي تضم نافذتين معقودتين، يعلوهما مزغلين مائلين إلى الأسفل، يليهما من الأعلى شريط زخرفي نتج عن تشكيل قطع الآجر مع بعضها البعض، حيث يتألف هذا الشريط من شكل هندسي مكرر (المعين) (ش:52). وتنتهي هذه الواجهة بجدار ساتر تتخلله فتحات المزاغل الضيقة، ويكلله شريط زخرفي من قطع الآجر أيضاً، قوام زخرفته خطوط متقاطعة نتجت عنها علامة الجمع (+)، تعلوها أشكال معقودة (ش:53).

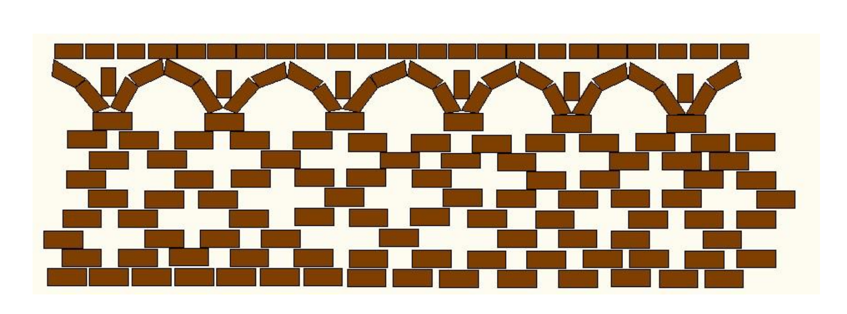


لوحة (244) الواجهة الشمالية للمرافق الجنوبية

	
لوحة (246) الواجهة الشمالية للحجرة العلوية	لوحة (245) الحجرة المجاورة لبوابة القلعة



شكل (52) رسم توضيحي للشريط الزخرفي السفلي في الواجهة الجنوبية للحجرة التي تعلو السلم الصاعد



شكل (53) رسم توضيحي الشريط الزخرفي العلوي في الواجهة الجنوبية للحجرة التي تعلو السلم

ثالثاً: الوحدات المعمارية الشرقية: (ل:247-248)

تطل الوحدات الشرقية في القلعة على الفناء، وهي تتألف من حجرتين مستطيلتي الشكل تتوسطهما حجرة تضم سلماً يتألف من طابقين، بالإضافة إلى كتلة البوابة التي سبق وصفها. وهذه الوحدات المذكورة تهدمت جميع سقوفها، وتضم ثلاثة مداخل تطل على الفناء، يبلغ اتساع كل واحد منها نحو (1.20م)، وارتفاعه (3.30م). وقد ازدانت الواجهة الغربية لهذه الوحدات والمطلة على الفناء بأشرطة زخرفية تشبه الأشرطة التي سبق وصفها في الواجهة الشرقية من خارج القلعة. وتبلغ أبعاد الحجرتين من الداخل كالآتي: الأولى المجاورة للبوابة الرئيسية (10.80م x 4م)، والثانية المجاورة للسلم الصاعد (9.10م x 4م).

ومن المحتمل أن الغرض الوظيفي لهاتين الحجرتين كان للتخزين؛ نظراً لعدم اشتمالهما على فتحات كبيرة كالنوافذ؛ وهذا الأمر وجدناه في أغلب القلاع التي تضمنتها الدراسة ومنها على سبيل المثال لا الحصر حجرة التخزين في قلعة الزَيلعي باللُحية، وحجرات التخزين في قلعة الزَيدية. ويبدو أن الدافع الأمني لعدم أو قلة وجود النوافذ في حجرات التخزين يعد من إحدى خصائص العمارة اليمنية، لأن هذا الأمر لم يظهر في عمارة القلاع بسهل تهامة وحسب، وإنما وجد في العمارة المدنية أيضا، وخاصة في منازل المناطق الجبلية، حيث راعى المعمار عند بناء طوابقها الأرضية أن تكون خالية من الفتحات الكبيرة والاكتفاء بالفتحات الصغيرة.

أما الحجرة الوسطى التي تضم سلماً بداخلها فلم نستطع دخولها بسبب وجود جدار حديث في مدخلها، والسلم الذي بداخلها يؤدي إلى الأعلى، وجدرانه العلوية لا توجد بها إلا فتحات صغيرة للضوء والتهوية. وتضم هذه الحجرة مدخلان معقودان الأول يقع في واجهتها الشمالية والثاني في الواجهة الجنوبية، وهما يؤديان إلى سطح الحجرتين الجانبيتين. كما يضم هذا السلم جداراً ساتراً تتخلله العديد من فتحات المزاغل، وتزدان واجهاته الخارجية بالأشرطة الزخرفية، وهي امتداد للأشرطة التي سبق وصفها أثناء الحديث عن الواجهة الشرقية في القلعة.



لوحة (247) الواجهة الغربية للحجرات الشرقية المطلة على الفناء



لوحة (248) وحدات القلعة الشرقية والشمالية

رابعاً: الوحدات المعمارية الشمالية: (ل:248)

تتألف الوحدات الشمالية في الوقت الراهن من طابق واحد، حيث تضم سلماً صاعداً يقع في الركن الشمالي الغربي وأربع حجرات واسعة، ولم يتبق من ارتفاع واجهتها المطلة على الفناء سوى (6م)، (ل:249). وعن الوظائف التي كانت تؤديها حجرات هذه الجهة في القلعة؛ فمن المحتمل أن الحجرتين الأولى والثانية كانتا تستخدمان للسكن، نظراً لإطلالتهما على الفناء بسبع فتحات واسعة ذات عقود مدببة

وخماسية، يمكن من خلالها الدخول والخروج إلى الحجرتين بكل يسر، وتعمل أيضا على دخول الإضاءة والتهوية إليهما. والحجرتان الثالثة والرابعة تضم كل منهما مدخلاً واحداً يطل على الفناء، ونظراً لعدم وجود فتحات واسعة أخرى، فمن المحتمل أيضاً أنهما استخدمتا لمبيت الحيوانات (إسطبل) ومكاناً لحفظ أعلافها؛ وذلك بسبب اتساع مساحة هاتين الحجرتين، التي تساعد الحيوانات على الحركة بداخلهما. وفي الفقرات التالية سيتم وصف الوحدات المعمارية الشمالية تباعاً ابتداء بالسلم الصاعد (ل:250 – 251).

– السلم الصاعد:

يعد السلم الصاعد أول وحدة معمارية في هذه الجهة، وهو يتكون من مساحة مستطيلة يبلغ أبعادها نحو (3.90م x 4م)، وتتوسطها دعامة مركزية يلتف حولها درج صاعد تهدم الجزء العلوي منه. وكان هذا الدرج يؤدي إلى سطح الحجرات الشمالية في القلعة، وقد استخدم في تسقيف قلباته أسلوب القبو، وهو بذلك يشبه السلم الجنوبي في القلعة نفسها.

– الحجرة الأولى:

تلتصق الحجرة الأولى بالسلم المذكور من الجهة الغربية، وهي تتخذ الشكل المربع، تبلغ أبعادها نحو (4م x 4م)، وتفتح على الفناء بمدخلين معقودين اتساع كل منهما نحو (1.20م)، وارتفاعه (2.20م).

– الحجرة الثانية:

تتوسط هذه الحجرة الوحدات الشمالية في القلعة، وتتخذ في مسقطها الأفقي الشكل المستطيل، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (9.20م x 4م)، وتطل على فناء القلعة بخمس فتحات طولية، منها ثلاث ذوات عقود مدببة، واثنتان ذات عقود خماسية.

– الحجرة الثالثة:

تلتصق هذه الحجرة مع الحجرة الثانية بجدار أوسط متهدم في الوقت الراهن، وهي مستطيلة الشكل أيضا، أبعادها نحو (7.90م x 4م)، تفتح على الفناء بمدخل ذي عقد مدبب يبلغ اتساع فتحته نحو (1.67م). كما تضم هذه الحجرة في جدارها الغربي مدخلاً يؤدي إلى الحجرة الرابعة، تبلغ اتساع فتحته (2.40م).

- **الحجرة الرابعة:**

تطل الحجرة الرابعة على خارج القلعة بجداريها الشمالي والجنوبي، وتتخذ الشكل المستطيل، تبلغ عرضها نحو (4م)، أما طولها فلم يتبق منه سوى (4.80م)، وذلك لأن واجهتها الغربية متهدمة (ل:252).

وقد كانت الحجرات الشمالية في القلعة تضم جداراً ساتراً تتخلله عناصر دفاعية ما تزال بعضها باقية إلى الوقت الراهن، وهي عبارة عن فتحات من المزاغل الضيقة، ودخلات مرتدة إلى داخل الجدار، تضم في أرضيتها فتحات ضيقة مائلة إلى خارج الجدار (ل:253). ويبدو أن جميع الجدران الساترة لوحدات القلعة كانت تضم مثل هذه العناصر، لأن فتحاتها الضيقة تظهر بوضوح في الواجهات الخارجية للقلعة، ولكن تهدم السلالم الصاعدة وسقوف الحجرات والأجزاء العلوية منها حالت دون الكشف عنها.



(249) الواجهة الجنوبية للحجرات الشمالية المطلة على الفناء



لوحة (250) فتحات الحجرات الشمالية المطلة على الفناء



لوحة (251) الحجرات الشمالية من الداخل



لوحة (252) الحجرة الشمالية الغربية المتهدمة



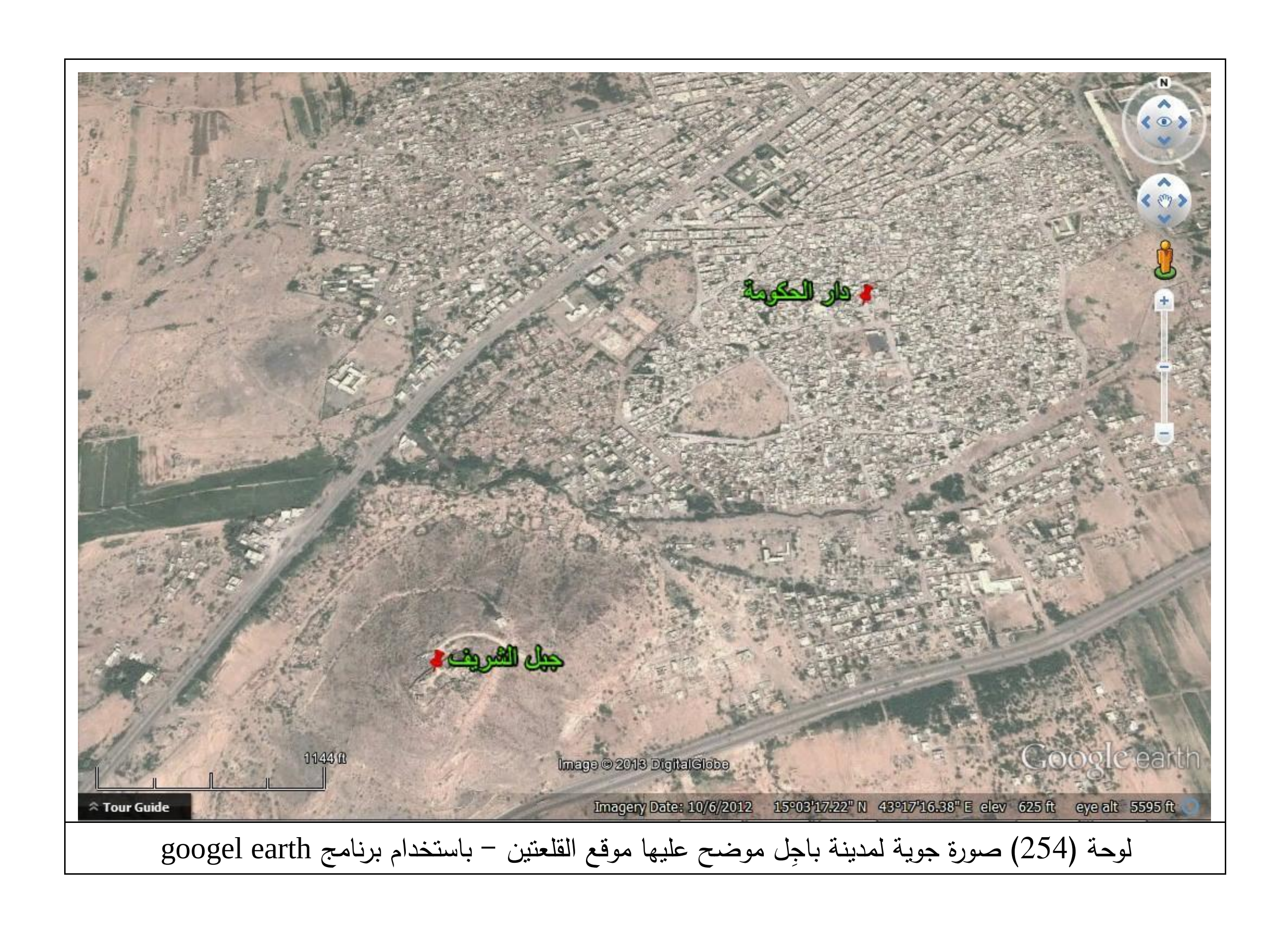
لوحة (253) الجدار الساتر لإحدى حجرات القلعة

الفصل الرابع: قلعتـــا باجِل

- الموقــع وأهميته
- الأحداث الحربية المتعلقة بمدينة باجِل وقلعتيها
- قلعتا باجِل من خلال وصف الأجانب
- الوضع المعماري الراهن لقلعة جبل باجِل
- الدراسة الوصفية والتحليلية لقلعة دار الحكومة
  - المخطط العام
  - واجهات القلعة
  - البرج الدفاعي
  - القلعة من الداخل

الموقع وأهميته: (ل:254، خ:10)

تضم مدينة باجِل قلعتين دفاعيتين متهدمتين الأولى كانت تسمى دار الحكومة، وتقع في حي المَحانية، وإحداثياتها تقع بين دائرتي عرض (N15.05347) شمالاً، وخطي طول (E43.28543) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ (194 قدم). وعلى بعد (950م) تقريباً من القلعة الأولى، في الجهة الجنوبية الغربية تقع القلعة الثانية، التي تربض فوق جبل يطلق عليه الساكنة بجبل الشريف[1]. وإحداثياتها تقع بين دائرتي عرض (N15.047347) شمالاً، وخطي طول (E43.278841) شرقاً.



لوحة (254) صورة جوية لمدينة باجِل موضح عليها موقع القلعتين – باستخدام برنامج googel earth

إن موقع قلعة دار الحكومة في وسط مدينة باجِل في الوقت الراهن لا يعني أنها كانت كذلك وقت إنشائها، لأن أغلب القلاع التي كانت تمثل مراكز حكوميةً في تهامة أنشئت في أطراف مدنها، لكي تحقق

---

[1] – ما يزال ساكنة مدينة باجل يطلقون على هذا الجبل بجبل الشريف، ومن المرجح أن المقصود به هو الشريف حمود بن محمد آل خيرات أمير المخلاف السليماني في بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

الجانب الأمني. وقد سبق القول إن هذا الأمر يعد أحد أهم الشروط الواجب مراعاتها عند بناء قلعة دفاعية ما. كما تمت الاستفادة من الموقع الاستراتيجي للجبل المطل على مدينة باجِل لبناء قلعة أخرى، تؤدي دور الحماية والدفاع عن المدينة، وملاذاً حصيناً لحاكم باجِل حينما يشتد عليه الخناق من قبل الجيش المهاجم، وهذا ما سنوضحه في الفقرات الآتية.

الأحداث الحربية المتعلقة بمدينة باجِل وقلعتيها

تطلق ساكنة مدينة باجِل على القلعة الرابضة فوق سطح الجبل المطل على المدينة قلعة الشريف (حمود بن محمد آل خيرات)، كما يؤيد ذلك مؤرخ تهامة في العصر الحديث عبد الرحمن الحضرمي (ت: 1933م)[1]. وبعد فحص المصادر التاريخية التي تناولت فترته، لم نجد ما يثبت صحة بناء الشريف حمود قلعة في باجِل، وإنما ذكرت قلعة جبل باجِل قبل توسع نفوذه في منطقة تهامة عام (1218هـ / 1803م)، ووصوله إلى المدينة[2].

وكان أقدم ذكر للقلعة في عام (1215هـ/ 1800م) – أثناء فترة حكم الدولة القاسمية لليمن – وذلك حينما أرسل الإمام المنصور علي صاحب صنعاء جيشاً كبيراً من قبائل بَكيل بقيادة يحيى بن هادي الشايف، من أجل القبض على شيخ قبائل القحراء علي حُميدة، الذي كان مقره مدينة باجِل. وعندما عرف هذا الأخير خرج من قلعة الجبل وترك بها جماعة من المقاتلين، ثم دارت الحرب بين الطرفين، وحين يئس زعيم جند بكيل يحيى الشايف من السيطرة على القلعة غادر مدينة باجِل[3].

وقد تعرض شيخ قبائل القحراء علي حُميدة للاعتقال في مدينة باجِل وسجن في مدينة بيت الفَقيه، وكانت السبب في ذلك مراسلات عامل مدينة بيت الفقيه الأمير سندروس لإمام صنعاء المنصور علي، بشأن استفحال أمر هذا الشيخ وقيامه باستعدادات حربية في قلعة جبل باجِل[4]. وكان لعملية الاعتقال المذكورة دور سلبي في علاقة علي حُميدة والقبائل التابعة له مع إمام صنعاء، وظهر ذلك جلياً بعد

1 – عبد الرحمن الحضرمي: تهامة في التاريخ، ص 248.

2 – فؤاد الشامي: تاريخ المخلاف السليماني، ص 215.

3 – نفسه، ص 216 – 217.

4 – لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين، ص 755.

خروجه من السجن؛ وتحالفه مع الشريف حمود بن محمد آل خيرات في أواخر عام (1218هـ/ 1803م)[1]. ولكن العلاقة الودية بين قبائل القحراء وشيخهم علي حُميدة مع أمراء المخلاف السليماني لم تستمر طويلاً بسبب رفض الأول لأي حكم محلي أو أجنبي في منطقتهم (باجِل). وازدادت المواجهات الحربية بينهما في عهد الحسين بن علي بن حيدر آل خيرات، ففي السادس من ربيع الأول عام (1257هـ / 1841م) سار الحسين نحو باجِل، وخيم بجنده في الجهة الشمالية من المدينة ثم أمرهم باقتحامها، وأطلقت مدفعيته القذائف على قلعتي باجِل[2]. وبعد دخوله المدينة تجول في ساحة قلعتها (دار الحكومة) ومن معه من الفرسان، وظل محاصراً لقلعة جبل باجِل حتى طلب علي حُميدة الأمان والخضوع له[3].

وفي عام (1261هـ/ 1844م) وصلت الأخبار إلى الشريف الحسين بن علي بأن علي حُميدة يستعد مع قبائله لخوض حرب ضده؛ فخرج من بيت الفقيه نحو مدينة باجِل، وهناك جرت الحرب بين الطرفين. ولما شعر أصحاب علي حُميدة بالهزيمة هربوا إلى قلعة جبل باجِل، لكن الشريف الحسين تبعهم وسيطر على الجبل وقلعته ثم استقر فيها ونصب مخيمه غربي الجبل؛ وبالرغم من ذلك كرر هذا الشيخ وقبائله هجومهم عليه، وحينها قرر الرحيل بمعية جيشه نحو قرية القُطيع[4]. وبعد عام واحد من المواجهات بين الطرفين المذكورين عادت الحرب تدق أوزارها من جديد عام (1262هـ/ 1845م)، حيث جهز الشريف الحسين جيشاً كبيراً من قبائل يام النجرانية، ثم نزل بهم نحو مدينة باجِل، وفرض حصاراً طويلاً عليها استمر لمدة تقارب ستة أشهر[5]. وحينئذ ضربت المدينة بالمدافع حتى كاد جميع ساكنتها يهلكون، كما كادت قلعة دار الحكومة أن تلحق بالأطلال من جراء ضربات المدافع، وبسبب الاهتزاز الناتج عن

1 – لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين، ص 722.

2 – انظر: عاكش الضمدي: الديباج الخسرواني، ص 370 – 71.

3 – نفسه، ص 371.

4 – نفسه، ص 372.

5 – نفسه، ص 414.

اطلاق قذائفها من داخل القلعة، ثم تدخلت قبائل يام للصلح بين الطرفين، على أن يسلم علي حُميدة ما لديه من أسلحة كالمدافع وغيرها إلى الشريف الحسين[1].

ويعد أبرز حدث تاريخي شهدته مدينة باجِل بعد خروج العثمانيين من اليمن هو أسر بعثة جاكوب (Jacob Harold) في العشرين من شهر أغسطس عام (1337هـ/ 1919م) من قبل قبائل القحراء بقيادة الشيخ أبو هادي بن علي حُميدة[2]. وقد كانت البعثة المذكورة مرسلة من قبل الحكومة البريطانية للتفاوض مع الإمام يحيى بن محمد حميد الدين؛ إلا أنها احتجزت في قلعة باجِل (دار الحكومة) لفترة امتدت حوالي أربعة أشهر، وبعد عمليات من الترغيب والتهديد التي لم يكن لها أي أثر على قبائل القحراء أطلق سراح أعضاء البعثة[3].

قلعتا باجِل من خلال وصف الأجانب

كان أول من تحدث عن مدينة باجِل أثناء الحكم العثماني الثاني لليمن – حسب ما توافر لدينا من مراجع – هو التاجر اليهودي شابيرا (Shapira) عام (1295هـ/ 1879م)، حيث قال بأن فيها حامية تركية تتكون من ألفي رجل[4]. ويبدو أن هذا العدد مبالغ فيه، لأنه من المرجح أن مكان مبيت الجند آنذاك كان في القلعة، والمساحة التي تتألف منها القلعة لا تستوعب ألفي شخص، وسيتم توضيح ذلك أثناء وصف البقايا المعمارية للقلعة. وبعد حوالي ست سنوات أي في عام (1302هـ/ 1885م) وصف الرحالة النمساوي إدوارد جلازر (Edward Glazer) مدينة باجِل بأنها تتكون من حوالي خمسمائة عريش[5] (كوخ)، وثلاثة أو أربعة بيوت من الحجارة بناها الأتراك، ومبنى للحكومة على شكل قلعة[6]. وبتلك الكلمات المقتضبة عن القلعة يتبين أنها كانت مركزاً إدارياً لحكم باجِل، وتصميمها المعماري العام على هيئة قلعة

---

1 – عاكش الضمدي: الديباج الخسرواني، 415. وأيضا: عبد الله الحبشي: حوليات يمانية، ص 140.

2 – هارولد جاكوب: ملوك شبه الجزيرة العربية، ص 268. وأيضا: حسان أبي عكر: المتصرف يوسف بك حسن – الذكرى المئوية لقدومه إلى اليمن، ص 39.

3 – نفسه.

4 – أحمد الصايدي: اليمن في عيون الرحالة الأجانب، ص 194.

5 – انظر ملحق المصطلحات المحلية.

6 – أحمد الصايدي: نفسه، ص 317.

حربية. ويظهر الشكل المعماري العام للقلعة من خلال وصف البريطاني والتر هاريس (Walter Harris) حينما شاهدها عن قرب عام (1310هـ/ 1893م)، إذ ذكر أن المبنى الوحيد ذا الأهمية في باجِل هو القلعة العثمانية، وهي عبارة عن شكل مربع كبير المساحة يضم أبراجاً دائرية بارزة عن جدران القلعة، وقد أنشئت بكاملها تقريباً من الحجارة والطوب[1]. ويضيف هاريس بأنه وقف بالقرب من باب القلعة فشاهد بجواره ستة مدافع، وكذا عدداً قليلاً من الأتراك هندامهم سيئ، يستظلون تحت الأشجار[2].

وأثناء فترة حكم المملكة المُتوكلية اليمنية ذكر أنكارين[3] (Ankarin) في عام (1346هـ/ 1928م) أن هناك جبل مرتفع في باجِل يرى على قمته لون أسود لقلعة قديمة[4]. ويظهر من خلال وصفه هذا أنه لم يصعد إلى القلعة بل شاهدها من الأسفل. وبالمقابل يذكر لنا معلومات هامة عن قلعة المدينة (دار الحكومة)، حيث قال: "نتوقف أمام مبنى ضخم يشبه قلعة بفناء داخلي وأبراج في الزوايا، نشاهد بئراً في الفناء وجمال تستريح، هذا مقر عامل المنطقة"[5]. ويضيف أنكارين: "إن العامل الشائب اللِحية يذهب للمبيت في قلعة الجبل فهناك أكثر برودة وأكثر أماناً"[6]. ويفهم مما سبق أن باجِل تضم قلعتين، الأولى بداخل المدينة كانت تمثل مركزاً إدارياً وعسكرياً لمنطقة باجِل، وتمثل في الوقت نفسه سكناً لعاملها. وعن الشكل المعماري لهذه القلعة فهو نفسه الذي وصفه هاريس (Harris) عام (1310هـ/1893م)، بالإضافة إلى أنها تضم من الداخل فناءً واسعاً به بئر للماء. أما القلعة الثانية في باجِل، والتي تقع على سفح الجبل فيبدو أن وظيفتها كانت دفاعية، وذلك لأن عامل باجِل كان يذهب إليها للمبيت، لأنها أكثر أماناً وبرودة بسبب وقوعها في مكان مرتفع.

---

1 - Walter, B. Harris: Journey Through The Yemen And Some General – Remarks Upon That Country 1893, W. Blackwood And Sons, Edinburgh And London, 1893, p 353.

2 - Ibid.

3 – أنكارين: هو الاسم المستعار لـ (استاخوف) رئيس الجانب السوفيتي في المحادثات اليمنية السوفيتية بصنعاء، والتي تكللت بتوقيع اتفاقية صنعاء في الأول من نوفمبر عام (1928م)، وتم بموجبها الاعتراف باستقلال اليمن، وقد كانت أول اتفاقية بين دولة عربية وبين الاتحاد السوفيتي. للمزيد انظر: أنكارين: مذكرات دبلوماسي في اليمن، ترجمة قائد طربوش وإسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1993، ص 5.

4 – نفسه، ص 76.

5 – نفسه، ص 67.

6 – نفسه.

وصلت إلى اليمن أول بعثة سينمائية روسية عام (1347هـ/ 1929م)، وكانت تتألف من المخرج الروسي فلادمير شنيدروف (Vladimir shnidroof) والمصور تولشان (Tolshan). وأثناء سفرهما من مدينة الحُديدة إلى صنعاء، كانت محطتهما الأولى مدينة باجِل، وكعادتهما قاما بعملية التصوير فيها، إلا أن المضايقات التي تعرضا لها من قبل الأهالي جعلتهما يسارعان بالخروج منها. وقد انعكس ذلك على حديث رئيس البعثة عن قلعتي باجِل، فكان مقتضباً جداً، واقتصر على قلعة جبل باجِل[1]. وقد قال شنيدروف: "فوق باجِل يشمخ جبل بنيت قلعة فوق قمته وهناك طريق حلزوني يقود إلى القلعة"[2]. ويعتبر هذا الوصف للطريق الصاعد إلى قلعة الجبل مطابقاً لحالته الراهنة، لأن شنيدروف صعد إلى جبل باجِل ودخل السجن بمعية زميله تولشان ثم قاما بتصويره، وقال عن السجن أيضاً بأنه قلعة ثانية تقع على سفح الجبل[3].

وبرغم عدم حديث شنيدروف عن قلعة مدينة باجِل (دار الحكومة)، إلا أننا استطعنا التعرف على الشكل المعماري لبوابتها من خلال الفيلم الوثائقي الذي قامت البعثة الروسية المذكورة بتصويره في اليمن عام (1347هـ/ 1929م)[4] (ل:255). حيث تتألف بوابة القلعة من فتحة مدخل ذات عقد مدبب، يكتنفها برجان دفاعيان مستديران يرتفعان بارتفاع الواجهة، ويضم أحدهما سقَّاطة بارزة، كما تتخلل الجزء السفلي منهما فتحات ضيقة للرماية بالبنادق. ويظهر من خلال الصورة أيضا وجود نافذة تعلو فتحة المدخل، ومن المرجح أنها فتحت في جدار الحجرة العلوية لحراسة المدخل. وبالإضافة إلى ذلك تضم واجهة كتلة البوابة أشرطة زخرفية، وقد سبق أن شاهدنا أشرطة زخرفية تزين واجهات قلاع سهل تهامة اليمني ومنها في الزَيدية والمُعترض والضِحي.

1 – انظر: فلادمير شنيدروف: اليمن مشاهدات وانطباعات البعثة السينمائية السوفيتية الألمانية 1929، ترجمة: سعيد الدبعي، جامعة عدن، عدن، 2010، ص 119.

2 – نفسه.

3 – نفسه.

4 – تم عرض حلقة وثائقية عن هذا الفيلم في قناة روسيا اليوم، وقد قدمها أستاذ التاريخ العربي والاسلامي نيتال نعومكين.



لوحة (255) بوابة قلعة باجِل (دار الحكومة) – عن (قناة روسيا اليوم)[1]

ويبدو أن الشكل المعماري الذي اتخذته قلعة مدينة باجِل (دار الحكومة) ظل كما هو في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، حيث وصفها الألماني هانز هوليفر (Hans Holiver) عام (1348هـ/ 1930م)، قائلاً: "وجلت في بلدة باجِل الصغيرة جولة طويلة، وفي البلدة قلعة خشنة تضم عدداً من أبراج المراقبة الضخمة، ويحيط بها سور عال من الآجر وتعتبر هذه القلعة المكتظة بالجنود آخر ما للإمام من مراكز في تهامة"[2].

إن جميع الأوصاف السابقة عن قلعتي باجِل ذكرها لنا غربيون زاروا المدينة، أما العرب فهناك الرحالان العربيان نزيه العظم وأحمد وصفي زكريا، اللذين ذكرا قلعتي باجِل، لكنهما لم يقدما عنهما أية معلومات جديدة، حين دخل الأول مدينة باجِل عام (1345هـ/ 1927م)، والثاني في عام (1354هـ / 1936م)[3].

1 – الصورة مأخوذة من فيلم وثائقي قامت بتصويره البعثة السينمائية الروسية عام (1347هـ/ 1929م)، وتم عرضه في حلقة وثائقية في قناة روسيا اليوم.

2 – هانز هولفر تيز: اليمن من الباب الخلفي، تعريب: خيري حماد، المكتبة اليمنية للنشر، ط 2، صنعاء 1985، ص 182.

3 – نزيه مؤيد العظم: رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء، منشورات المدينة، ط 2، بيروت 1986، ص 54. وأيضا: أحمد زكريا: رحلتي إلى اليمن، ص 84.

وفي عام (1367هـ/ 1948م) دخلت إلى مدينة باجِل الفرنسية لوسيل فيفرييه (Lucille Vivrier) برفقة عائلتها، حيث لم يختلف وصفها للمدينة وقلعتها (دار الحكومة) عن سابقيها، فقد ذكرت أن باجِل آخر مدن تهامة قبل الصعود نحو الهضاب العالية، وقصر العامل فيها هو أيضا عبارة عن قلعة تطل على المدينة[1].

ونستخلص من وصف الأجانب لقلعتي مدينة باجِل الآتي:

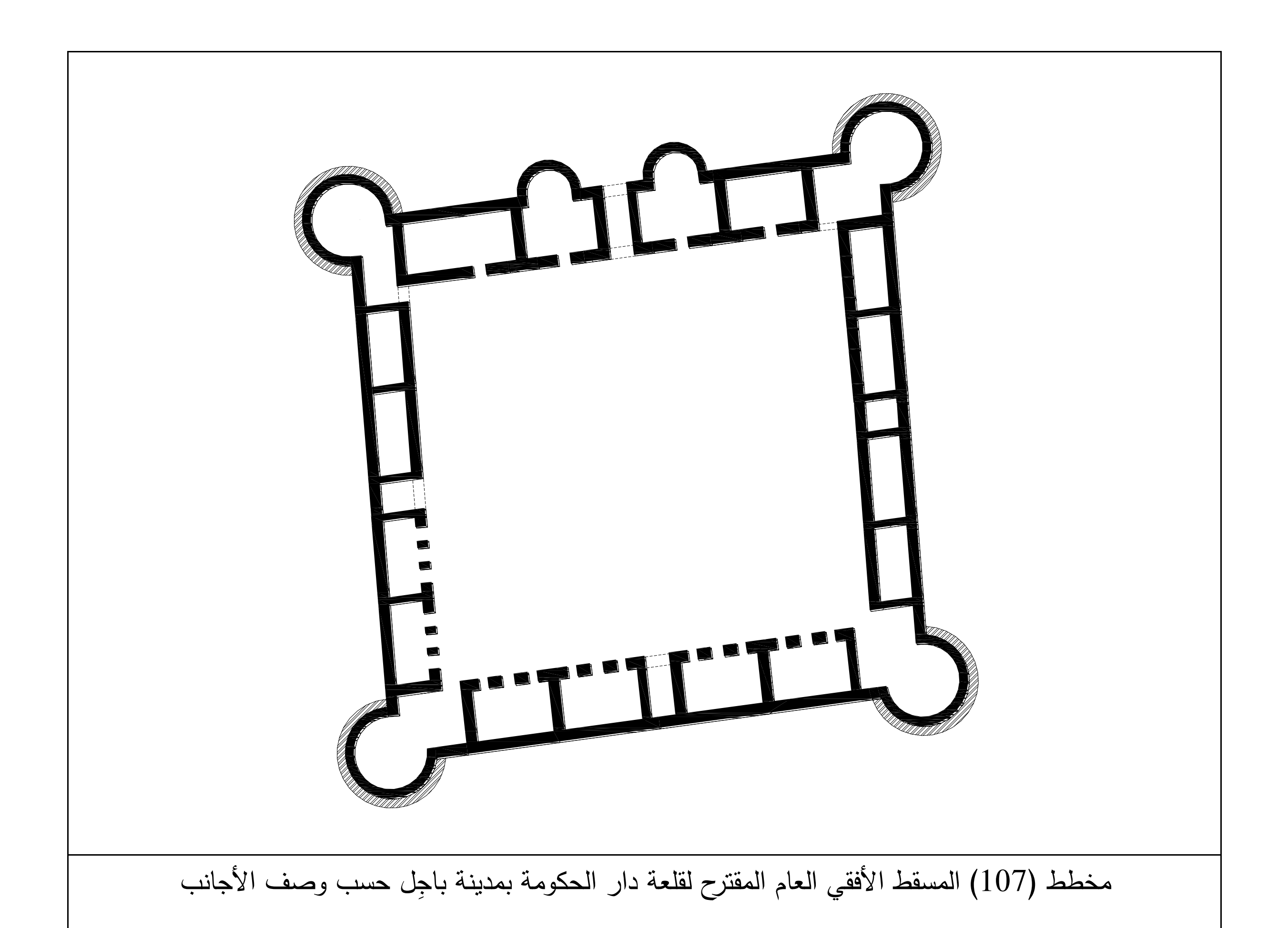
– غلب على أوصاف الأجانب لقلعتي باجِل طابع العمومية، ولكنها في الوقت نفسه مهمةً جداً، حيث بيَّنت لنا أن القلعتين تعتبران أبرز منشئتين في مدينة باجِل.

– كانت القلعة التي تقع بداخل المدينة تمثل مقراً حكومياً – إدارياً وعسكرياً – لمدينة باجِل والقرى المحيطة بها، وفي الوقت نفسه سكناً لحاكم منطقة باجِل.

– إن الشكل المعماري العام لقلعة دار الحكومة خلال الفترة الممتدة بين عامي (1295هـ/ 1879م) و(1367هـ/ 1948م)، استمر كما هو، إذ تتألف من مساحة مربعة ذات واجهات مرتفعة، ودعمت في أركانها بأبراج دفاعية مستديرة الشكل بارزة إلى خارج القلعة. ويتوسط القلعة فناء بداخله بئر، والدخول إليها يتم بعد ولوج بوابة يكتنفها برجان دفاعيان، وقد استخدمت في بناء القلعة مادتا الحجارة وقوالب الآجر (م:107).

– يتم الصعود إلى القلعة الرابضة على سفح جبل باجِل بواسطة طريق حلزوني، ولم يذكر أي من الأجانب المذكورين سابقاً شكلها أو مكوناتها المعمارية، ومن الواضح أن وظيفتها كانت دفاعية بحته، بسبب موقعها المرتفع.

1 – لوسيل فيفرييه: أحداث عشتها في اليمن، ترجمة خالد طه الخالد، دائرة التوجيه المعنوي للقوات المسلحة اليمنية، ط 1، صنعاء، 2005، ص 47.



مخطط (107) المسقط الأفقي العام المقترح لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل حسب وصف الأجانب

الوضع المعماري الراهن لقلعة جبل باجِل: (ل:256 – 257)

ترابط فوق جبل باجِل في الوقت الراهن حامية عسكرية، مما شكل عائقاً كبيراً لنا أثناء القيام بالدراسة الميدانية للقلعة، إذ لم يسمح لنا بإجراء أية أعمال فيها. ورغم ذلك حاولنا الاستفادة من الصورة الجوية للقلعة، وبعض الصور الفوتوغرافية التي تم التقاطها لواجهاتها الخارجية، وذلك من أجل إبراز المعالم المعمارية العامة لها.

كان لطبوغرافية سطح جبل باجل الذي يتميز بكثرة تعرجاته وعدم استوائه دوراً رئيسياً في عدم انتظام المخطط الأفقي للقلعة، حيث اتخذ تصميمها شكلاً مستطيلاً متعدد الأضلاع، ويبلغ أقصى طول لها حوالي (90م)، وأقصى عرض حوالي (37م). وتضم القلعة سوراً دفاعياً أنشئ بالحجارة السوداء (البازلت) المتوافرة في الجبل نفسه، وقد سقط منه جزء كبير. وما تزال بعض الأبراج الدفاعية التي تتخلل السور باقية إلى الوقت الراهن، وهي ذات شكل اسطواني ومسقطها الأفقي يتخذ الشكل الدائري، وجدار

كل واحد منها متسع من الأسفل، ثم يميل نحو الداخل كلما ارتفع البناء. وتضم القلعة عدداً من الوحدات المعمارية، يلاحظ على البعض منها وجود جدران حديثة البناء أنشئت فوق أساسات سابقة. وتقع أكبر هذه الوحدات في الجهة الشمالية، حيث تتألف من طابقين، وتطل بجدارها الشمالي إلى خارج القلعة بواسطة فتحات ضيقة في الجزء السفلي، ونوافذ كبيرة في الجزء العلوي (ل:257).



لوحة (256) صورة جوية لقلعة جبل باجِل – باستخدام برنامج (wikimapia)



لوحة (257) قلعة جبل باجِل

الدراسة الوصفية والتحليلية لقلعة دار الحكومة

المخطط المعماري العام: (ل:258 – 259، م:108)

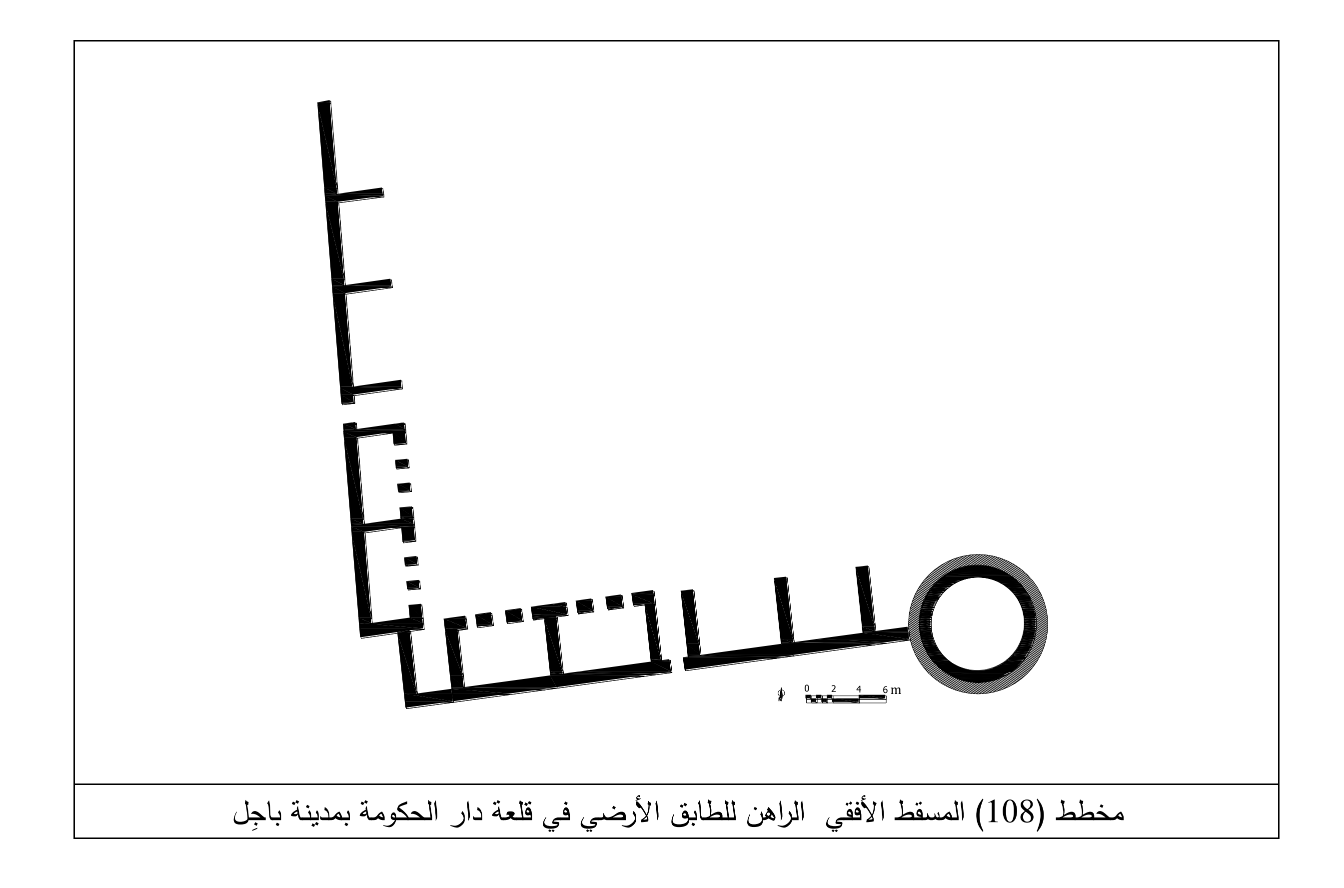
تعرضت أغلب الوحدات المعمارية لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل للتهدم، حيث لم يتبق منها سوى بعض الجدران في الجهتين الغربية والجنوبية، ولذا فمخططها الهندسي الراهن في الوقت الراهن لم يعد مكتملاً (م:108). ومن خلال الصورة الجوية التي تم التقاطها للقلعة قبل تهدم بقية وحداتها بشكل نهائي، تمت معرفة الشكل الأفقي لها. وبالاعتماد عليها وعلى الدراسة الميدانية لبقايا القلعة؛ فإن المسقط الأفقي للقلعة كان يتخذ الشكل المستطيل، الذي يتوسطه فناء مكشوف تحيط به من الاتجاهات الأربعة حجرات يتكون أغلبها من طابق أرضي. وللقلعة برج ذو شكل دائري يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية منها، ويتم الدخول إليها عبر مدخلين أحدهما في الجهة الجنوبية والآخر في الجهة الغربية (م:109). ويبدو أن المناخ الحار والجاف في مدينة باجِل، إضافة إلى استواء الموقع، قد لعب دوراً رئيسياً في التصميم المعماري العام للقلعة، الذي يضم فناءً أوسطاً مكشوفاً، تحيط به من الجهات الأربع وحدات القلعة.



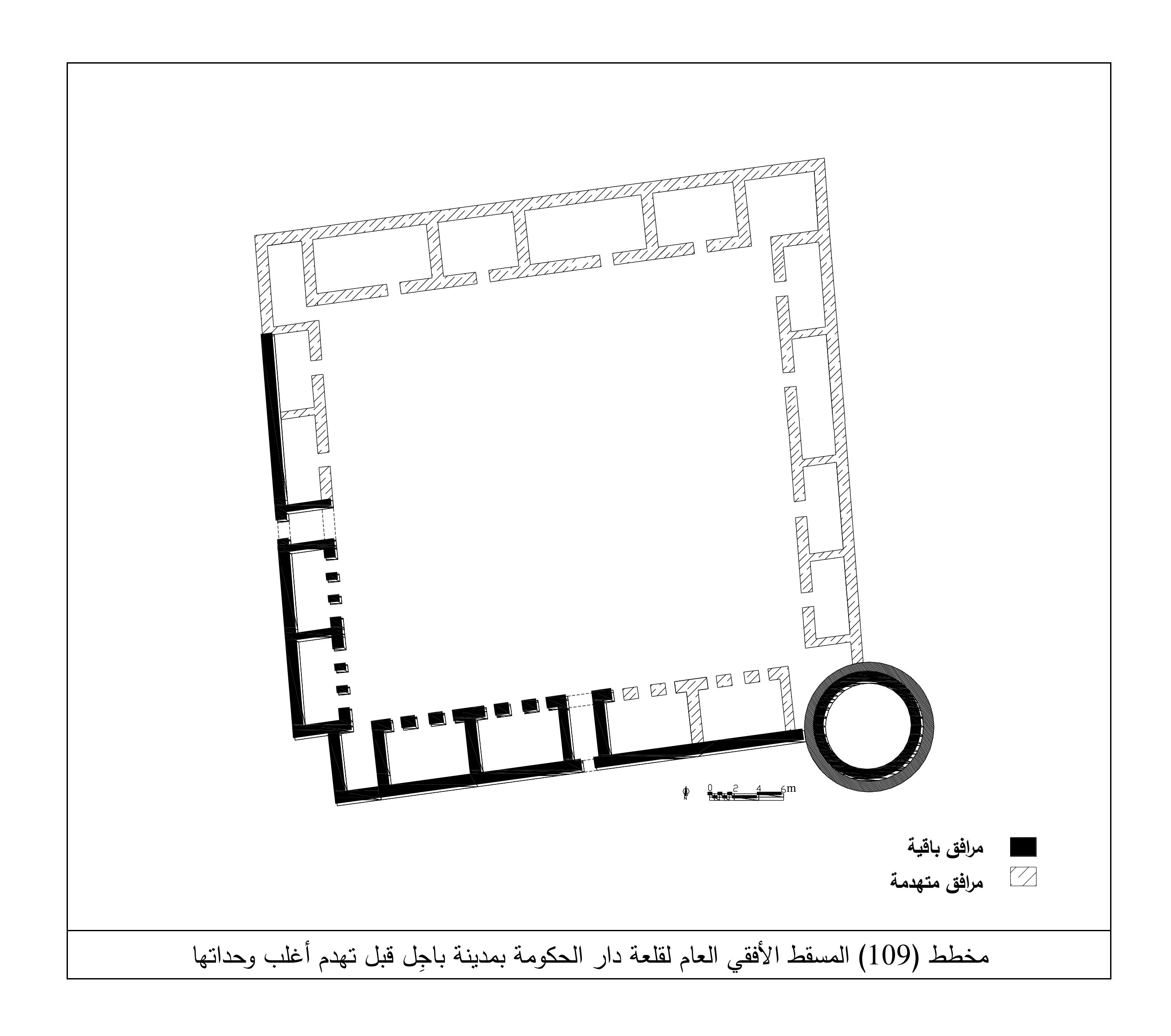
لوحة (258) صورة جوية لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل، التقطت عام 2010م،
باستخدام برنامج google earth



لوحة (259) صورة جوية لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل، التقطت عام 2013م،
باستخدام برنامج google earth



مخطط (108) المسقط الأفقي الراهن للطابق الأرضي في قلعة دار الحكومة بمدينة باجِل



مخطط (109) المسقط الأفقي العام لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل قبل تهدم أغلب وحداتها

واجهات القلعة: (ل:260)

ما تزال أجزاء كبيرة من الواجهتين الغربية والجنوبية ماثلة حتى وقت إعداد هذه الدراسة، فالأولى الغربية تبقى من امتدادها نحو (30م)، وارتفاعها حوالي (7م)، أما الواجهة الثانية الجنوبية فتبقى من امتدادها (36م). وقد كسي جدارا هاتين الواجهتين بطبقة من الملاط (النورة الكدري)، وهما خاليتان من الفتحات في الأسفل عدا وجود فتحتين لمدخلين، أحدهما يقع في الواجهة الغربية والثاني في الواجهة الجنوبية. وتعتبر قلة وجود الفتحات أو عدمها في الطوابق السفلى من المباني سمة معمارية عامة في اليمن، لاسيما في أغلب المباني الدفاعية والمدنية المتمثلة بالمنازل البرجية[1]. أما الجزء العلوي من الواجهة الغربية فتتخلله فتحات ضيقة للرماية بالبنادق (مزاغل)، ويزينه شريط زخرفي يتألف من قطع

[1] – غازي رجب: *"مظاهر حربية في العمارة العربية اليمنية"*، ص 589.

الآجر يمتد بامتداد الواجهة، وهو عبارة عن خطين يسيران بشكل متواز يحصران بداخلهما صفاً من أشكال المعينات التي تحدد نهاية الطابق الأرضي.



لوحة (260) الواجهة الغربية لقلعة دار الحكومة

وتلتصق الواجهة الجنوبية في الوقت الراهن بجدران المنازل، ويظهر في منتصفها تقريبا جدار يرتفع عن مستوى جدار الواجهة، يبلغ امتداده نحو (8م)، وارتفاعه نحو (3م)، وقد فتحت فيه نافذتان معقودتان، تبلغ اتساع كل منهما نحو (1م)، وارتفاعها (1.40م). ويزين هذا الجدار من أعلاه شريط زخرفي يشبه الشريط الذي يزين جدار الواجهة الغربية (ل:261).



لوحة (261) المنطقة الوسطى من الواجهة الجنوبية لقلعة دار الحكومة بباجِل

البرج الدفاعي: (ل:262)

لم تَعد توجد في قلعة دار الحكومة بمدينة باجِل أية أبراج دفاعية عدا قاعدة برج واحد، والتي تقع عند زاوية التقاء الجهتين الشرقية والجنوبية. وقاعدة هذا البرج ذات شكل دائري، يبلغ قطرها من الداخل نحو (10.25م)، وسمك جدارها (1م)، ويدعمها جدار ساند من مادة الآجر يبلغ سمكه نحو (1.25م). ومن المرجح أن بقايا هذا البرج تعود إلى مرحلة ما قبل البناء الراهن في القلعة، وذلك من خلال المعاينة الميدانية له، واستناداً إلى المعلومات والاستنتاجات السابقة عن مخطط القلعة ومكوناتها المعمارية.



لوحة (262) بقايا البرج الدفاعي بقلعة دار الحكومة

القلعة من الداخل: (ل:263)

تتألف القلعة من الداخل من فناء مكشوف تطل عليه حجرات أغلبها تتألف من طابق أرضي، وهي على هيئة صف واحد في الجهة الغربية ويماثله آخر في الجهة الجنوبية، غير أن الأخيرة تضم في وسطها تقريباً حجرة علوية سقط جدارها الداخلي، وقد تعرضت أغلب وحدات القلعة للتهدم وصارت في الوقت الراهن عبارة عن أكوام من مخلفات البناء.



لوحة (263) قلعة دار الحكومة من الداخل

الحجرات الغربية: (ل:264)

يؤدي المدخل الغربي السابق ذكره في الواجهة الغربية إلى دركاة مستطيلة، تبلغ أبعادها نحو (3.65م x 2.60م) وتنتهي بفتحة مدخل آخر ذات عقد مدبب تؤدي إلى الفناء، حيث يبلغ اتساعها (2.60م)، وارتفاعها (3م)، (ل:265). وكانت تكتنف هذه البوابة من الجهتين خمس حجرات، لم تتبق منها سوى حجرتين تقعان في الجهة الجنوبية منها. وتتخذ هاتان الحجرتان الشكل المستطيل وهما متساويتان في قياساتهما الداخلية، حيث بلغ أبعاد كل منهما نحو (7.55م x 3.20م)، وسمك جدرانهما (95سم)، وتضم كل من الحجرتين على مدخل ذي عقد مفصص يطل على فناء القلعة، وتكتنفه من الجهتين نافذتان ذات عقدين مفصصين أيضاً، يبلغ ارتفاع كل منهما نحو (1.40م)، واتساعها (90سم).

ويزين واجهة الحجرات المطلة على الفناء شريط هندسي يمتد بامتداد واجهة الحجرات، وهو يشبه الشريطين السابق ذكرهما في الواجهتين الخارجيتين الجنوبية والغربية في القلعة نفسها. ويعلو حجرات هذه الجهة أيضاً من القلعة جدار ساتر يحتمي خلفه المدافعون عن القلعة، يبلغ ارتفاعه نحو (3م)، وتتخلله العديد من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل المفردة) التي تميل نحو الجهة اليمنى واليسرى.


لوحة (264) واجهة حجرات الجهة الغربية المطلة على الفناء


لوحة (265) المدخل الغربي لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل

الحجرات الجنوبية: (ل:263)

تضم الجهة الجنوبية من القلعة أربع حجرات واسعة تطل على الفناء، وتتوسطها دركاة تبلغ أبعادها نحو (5م x 2م)، فتحت في واجهتها الجنوبية المطلة على خارج القلعة فتحة مدخل معقود، تبلغ اتساعها (1.12م)، أما الجهة الشمالية المطلة على الفناء فهي في الوقت الراهن مفتوحة بكاملها.

كانت واجهات الحجرات الأربع المذكورة تطل على الفناء بجدران لم يتبق منها سوى جدار الحجرة الملاصقة للدركاة من الجهة الغربية (ل:266) الذي تتخلله ثلاث فتحات، الوسطى منها تمثل مدخلاً للحجرة، يبلغ اتساعها نحو (1.24م)، يعلوها عقد مدبب تليه أشكال معقودة متعددة المستويات، وتتوسطها ثلاث فتحات صغيرة. أما الفتحتان الباقيتان فتمثلان نافذتين عن يمين المدخل ويساره، وهما متشابهتان في جميع تفاصيلهما المعمارية والزخرفية. حيث تتألف كل منهما من فتحة تبلغ اتساعها نحو (90سم) وارتفاعها (1.50م)، تعلوها منطقة معقودة تشبه تلك التي تعلو فتحة مدخل الحجرة نفسها، وتتخللها ثلاث فتحات لم تعد واضحة في الوقت الراهن بسبب تهدمها.

وبجانبي المنطقة المعقودة في كل من النافذتين المذكورتين شكل زخرفي لعلامة الجمع (+)، والتي نتجت من وضع قطع الآجر مع بعضها، يعلوه شريط زخرفي هندسي نفذ بقوالب الآجر، يتألف من خمسة معينات مترابطة مع بعضها، وهو يعرف محلياً باسم (السلسلة)[1]، كما يطلق عليه أيضا بـ (الزنجير)[2] (ش:54). وقد وجد هذا النوع من الزخرفة في واجهة جدار القبلة بجامع[3] مدينة باجِل القديمة (ل:267). وربما أن تاريخ عمل هذا الشريط يعود إلى عام (1336هـ/ 1917م)، وهو عام بناء منارة الجامع نفسه، كما هو مدون على قاعدتها. وبسبب التشابه بين الشريطين المذكورين، فمن المحتمل أن الشريط المنفذ على واجهة حجرة القلعة، بل وجميع مكوناتها تعود إلى المرحلة البنائية التي تمت فيها عمارة المبنى الراهن لجامع باجِل، أو بعدها بسنوات قليلة.

وتجدر الإشارة إلى أنه وجدت نماذج مشابهة لهذا النوع من الزخارف تعود في تاريخها إلى فترة أقدم من الفترة التي نقوم بدراستها، ففي مدينة زبيد التهامية توجد العديد من الأمثلة، التي تزين واجهات المساجد والمدارس الدينية، ومن أبرزها الشريط الذي يزين واجهة المدخل الخامس الشرقي للجامع الكبير

1 – صالح الفقيه: مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي (دراسة أثرية معمارية مقارنة)، – ص 110. وانظر أيضا: ملحق المصطلحات والألفاظ المحلية.

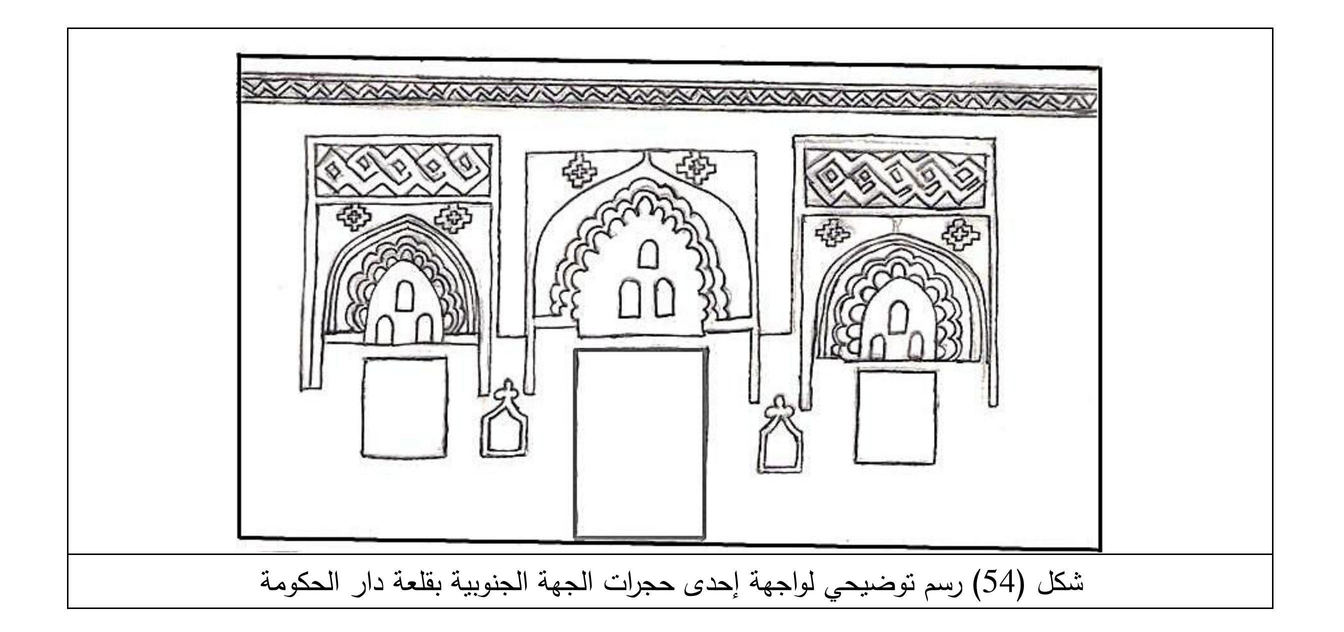
2 – أحمد الحزمي: القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة زبيد التاريخية، ص 89. وعن مصطلحي السلسلة والزنجير انظر أيضا: ملحق المصطلحات المحلية.

3 – يقع الجامع الكبير (القديم) بمدينة باجل بجوار قلعة دار الحكومة، ولا يفصل بينهما سوى أحد الشوارع الفرعية.

(ل:268)، والذي يرجع تاريخ تجديد عمارته إلى فترة الدولة الطاهرية عام (897هـ/ 1492م) [1]. وقد استمر تجسيد العنصر الزخرفي المذكور على مختلف واجهات المنشآت في مدن سهل تهامة، سواء المدنية ممثلة بواجهات المنازل التراثية[2] (ل:269)، أو الدينية والدفاعية، وهذا يدل على أن المعمار التهامي ظل متمسكا بالعناصر المكونة لفن العمارة التقليدية المحلية.



لوحة (266) واجهة إحدى حجرات الجهة الجنوبية بقلعة دار الحكومة



شكل (54) رسم توضيحي لواجهة إحدى حجرات الجهة الجنوبية بقلعة دار الحكومة

1 - صالح الفقيه: مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي، ص 110.

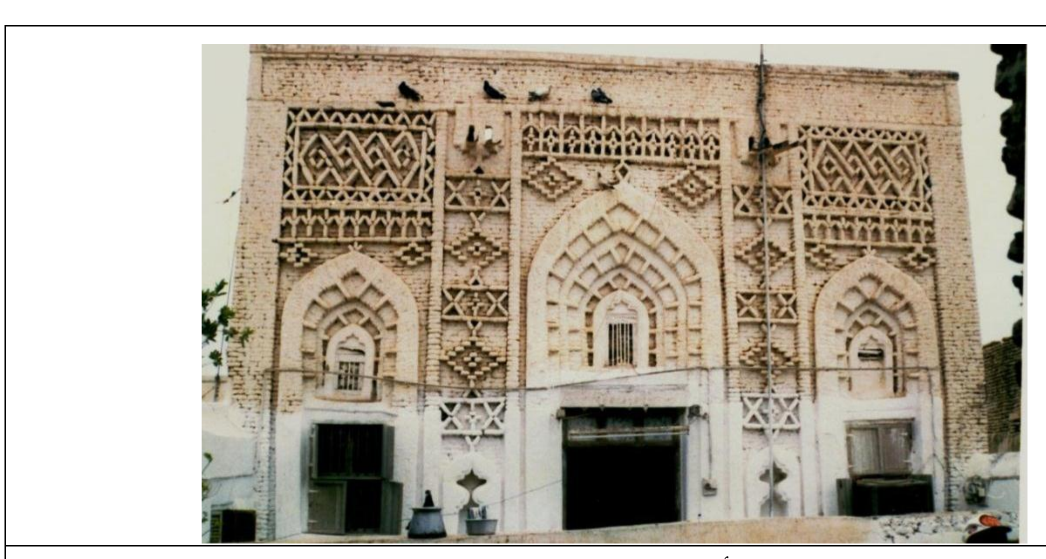
2 - يعد الشريط الزخرفي المسمى بالسلسلة أحد أهم العناصر الرئيسية المنفذة على أغلب واجهات منازل مدينة زبيد. للمزيد انظر: أحمد الحزمي: القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة زبيد التاريخية، ص 89.



لوحة (267) الواجهة الشمالية للجامع الكبير بمدينة باجِل القديمة



لوحة (268) واجهة المدخل الخامس الشرقي بالجامع الكبير في مدينة زبيد – عن (صالح الفقيه)



لوحة (269) واجهة أحد المنازل بمدينة زبيد – عن (أحمد الحزمي)

ويكلل واجهة جدار الحجرة الملاصقة للدركاة – السابق ذكرها – من الجهة الغربية شريط مستطيل أفقي يحصر بداخله أشكالاً مثلثة، وهي عبارة عن قطع من الآجر وضعت قاعدتها بداخل الجدار ورأسها إلى خارجه. ويستخدم هذا النوع من الأشرطة لتحديد نهاية الطوابق، وقد سبق وأن شاهدناه في قلعة المُعترض، وهو يعد من الأشرطة التي استخدمت بكثرة في تزيين جميع المنشآت الدينية والمدنية والدفاعية اليمنية سواء في سهل تهامة أو خارجه.

ويلاحظ على الجدران الداخلية لجميع الحجرات المتبقية في قلعة دار الحكومة عدم وجود فتحات إلى خارج القلعة، وبالمقابل تضم صفوفاً من الدخلات المعقودة المرتدة إلى داخل الجدران، والتي كانت تستخدم لحفظ الأمتعة (ل:270).



لوحة (270) صفوف من دخلات حفظ الأمتعة في إحدى حجرات قلعة دار الحكومة

الفصل الخامس: قــــلاع مدينــــة مِيدي

- الأحداث الحربية المتعلقة بميدي

- الدراسة الوصفية والتحليلية للقلاع

أولاً: قلعة الدولة (القشلة)

ثانياً: قلعة القُماحية

ثالثاً: قلعة الإدريسي

رابعاً: قلعة المنصورة

الأحداث الحربية المتعلقة بمدينة مِيدي

تعتبر مدينة مِيدي إحدى مديريات محافظة حَجة، وهي حالياً آخر نقطة حدودية من جهة البحر بين اليمن وجارتها السعودية. وقد ذكر المؤرخ الحجري أن المدينة لم تشتهر تاريخياً إلا منذ بداية القرن العشرين، وذلك عندما قام بعض أهلها من بني زَيلع بغزو بعض الجزر في الساحل الأفريقي المجاور لمِيدي، وتعقبهم الإيطاليون وأخرجوهم منها[1]. وفي عام (1321هـ/ 1903م) تعرض تاجر إيطالي للسرقة في مدينة مِيدي، فقام الأسطول البحري الإيطالي بقصف المدينة مما أدى إلى تهدم مساكنها، ولم يتوقف عن ذلك إلا بعد ما التزم ممثلو الحكومة العثمانية بإرجاع الأموال التي سرقت[2]. وهذا الأمر يبين لنا مدى الضعف الكبير الذي أصاب الحاميات العثمانية المرابطة في الساحل اليمني المحاذي للبحر الأحمر.

وأثناء الحرب الإيطالية العثمانية، قام الأسطول الإيطالي المرابط في ساحل البحر الأحمر عام (1330هـ/ 1911م) بضرب المواقع العثمانية في مدينة مِيدي، وكان أبرزها قلعة الدولة (القشلة)[3]؛ مما جعل القوات العثمانية تنسحب من المدينة وتتراجع إلى منطقة الجبال، فدخلها الطليان ثم خرجوا منها، وبعد ذلك دخلها جيش السيد محمد بن علي الإدريسي من جهة البر[4]. وقد استقر الإدريسي بمدينة مِيدي فترة طويلة، ومنها كان يشن غاراته على الحاميات العسكرية العثمانية المتمركزة في مدن تهامة، وإليها كانت تفد القبائل لتعلن ولاءها له[5]. ومن تلك القبائل جماعة من زعماء حاشد وبكيل، حيث وفدوا إليه في شهر ذي الحجة عام (1330هـ/ 1911م)، عندما وقع خلاف بينهم وبين إمام صنعاء يحيى بن محمد حميد الدين، فزودهم الإدريسي بالمال والسلاح ليكونوا ضلعاً له في المناطق التي يسيطر عليها إمام صنعاء[6].

1 – محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج 2، ج 4، ص 726.

2 – إسماعيل الوشلي: ذيل نشر الثناء، ص 67.

3 – هي الثكنة العسكرية المخصصة لإقامة الجند فيها، للمزيد انظر ملحق المصطلحات والألقاب العثمانية.

4 – أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص 290.

5 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 107.

6 – نفسه.

ومن مدينة مِيدي أيضا قام السيد محمد بن علي الإدريسي عام (1333هـ/ 1914م) بإرسال جيوشه لقتال عسكر الدولة العثمانية الذين يرابطون في مدينة اللُّحية والواعظات[1].

وخلال فترة الحرب العالمية الأولى كانت مدينة مِيدي تحت حكم السيد محمد الإدريسي، وأثناء ذلك لم تتعرض المدينة لأي هجوم عسكري من قبل الإنجليز، بسبب تحالف الإدريسي معهم. وقد كانت قلعة الدولة في مِيدي معتقلاً لأعيان القبائل الرافضة لحكم السيد محمد الإدريسي، ومثال على ذلك عندما أقدم أعيان من قبائل صليل بقتل السيد قاسم بن محمد الأهدل، تم اعتقالهم في مِيدي[2]. وبعد ستة أعوام من انتهاء الحرب العالمية الأولى دخل جيش إمام صنعاء يحيى بن محمد حميد الدين في شهر جمادي الآخرة عام (1344هـ / 1925م) هذه المدينة ليلاً بجيش كبير بلغ عدده ألف وخمسمائة جندي؛ فأدخلهم الساكنة إلى منازلهم، وكانت ترابط في قلاع المدينة آنذاك قبائل آل زَيلع تحت قيادة أعيانها الذين يدينون بالولاء للسيد الإدريسي[3]. ونشبت الحرب بين الطرفين، قبائل آل زَيلع ترمي بقذائفها من القلاع، وجيش إمام صنعاء يرمي من منازل المدينة، وعندما أدرك الطرف الأول بمحاصرته وانقطاع الإمداد عليه خرج من القلاع والمدينة أيضاً[4].

كانت تلك أهم الأحداث التاريخية التي جرت في مدينة مِيدي خلال فترة الدراسة وما تبعها حتى عام (1344هـ/ 1925م). ومن خلال ما ذكر يستنتج أن هذه المدينة كانت تضم عدداً من المواقع العسكرية العثمانية، أبرزها قلعة الدولة (القشلة) التي استمرت في أداء وظيفتها كمركز لإدارة شؤون الحكم في عهد السيد محمد الإدريسي عندما شن غاراته على مدن تهامة. أما بقية قلاع هذه المدينة فلم تذكر إلا في عام (1344هـ / 1925م)، حينما كانت قبائل آل زَيلع الموالية للسيد محمد بن علي الإدريسي ترابط فيها. وبناءً على ذلك فمن المرجح أن بقية القلاع الموجودة في مدينة مِيدي كانت ضمن التحصينات التي أنشأها

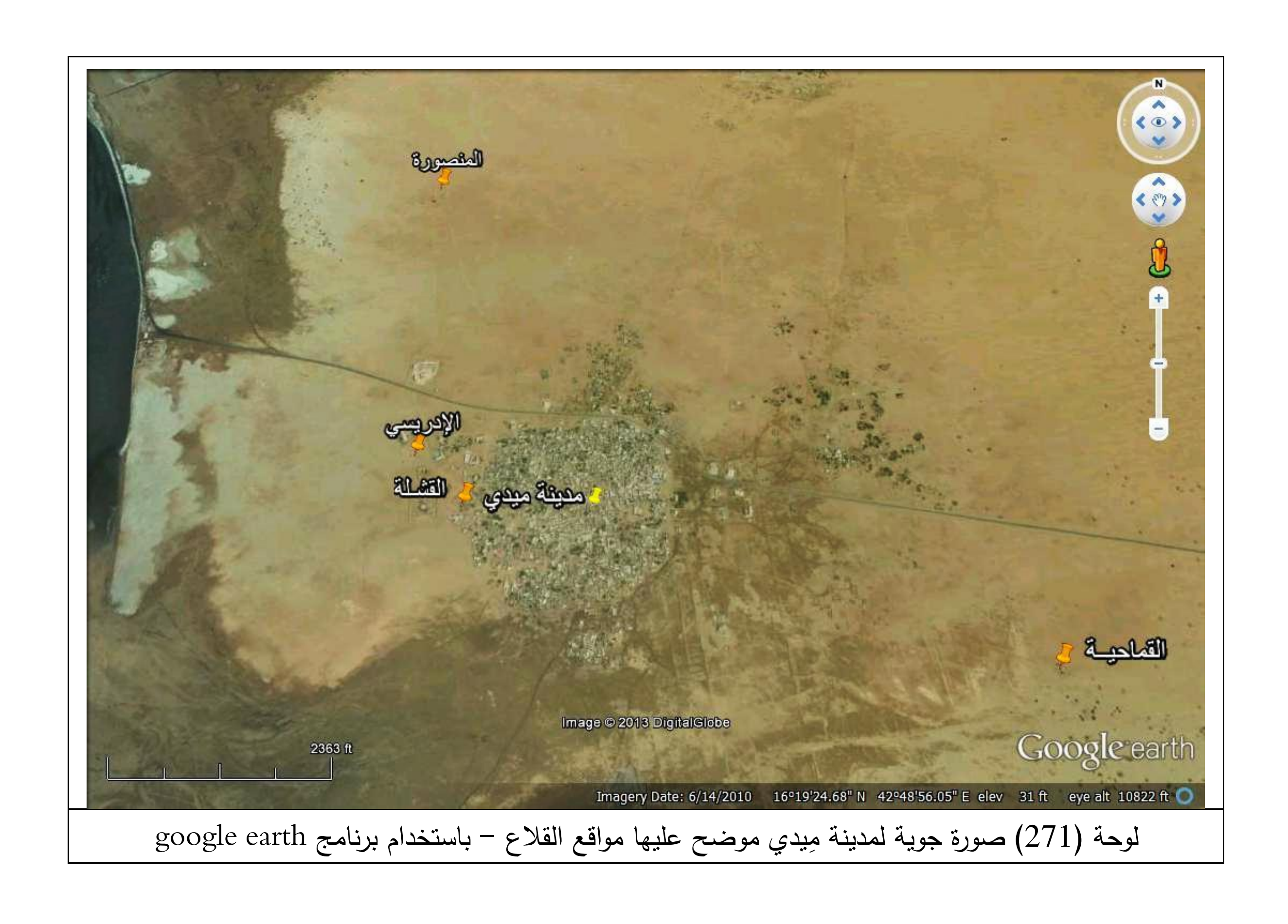
1 – إسماعيل الوشلي: نشر الثناء الحسن، مج 2، ج 2، ص 139.

2 – عبد الله أبو داهش: الأدارسة في تهامة، ص 59.

3 – نفسه، ص 93.

4 – نفسه.

السيد محمد الإدريسي في السواحل والثغور التي كانت تحت سيطرته[1]. وأثناء المعاينة الميدانية لتلك القلاع تم العثور على أربع متهدمة، ستتم دراستها في الفقرات التالية (ل:271).



لوحة (271) صورة جوية لمدينة مِيدي موضح عليها مواقع القلاع – باستخدام برنامج google earth

1 – انظر: حسين عبد الله العمري: المنار واليمن (1315– 1354 هـ/ 1898– 1935م) دراسة ونصوص، دار الفكر، ط 1، دمشق 1987، ص 346 – 347.

الدراسة الوصفية والتحليلية للقلاع

قلعة الدولة (القشلة): (ل:272، خ:10)

تقع قلعة الدولة في الجانب الغربي من مدينة مِيدي، عند الإحداثيات (E42.80913) شرقاً، و(N16.32127) شمالاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ (22 قدم). وكانت القلعة في الفترة الأخيرة من حكم العثمانيين الثاني لليمن أحد المواقع العسكرية القريبة من ساحل البحر الأحمر، وظلت مركزاً إدارياً وعسكرياً لمدينة مِيدي والقرى التابعة لها، إلى أن تم إنشاء مبنى حكومي حديث، فتم الاستغناء عنها، وحينها تعرضت للتهدم.



لوحة (272) موقع قلعتي الدولة (القشلة) والإدريسي في مدينة مِيدي – باستخدام برنامج google earth

الوضع المعماري الراهن لبقايا القلعة: (ل:273- 274، م:110)

هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى تهدم قلعة الدولة (القشلة) بمِيدي، ومن أبرزها التخريب المتعمد من قبل الساكنة، وكذلك العوامل الطبيعية، وأهمها زحف الرمال بشكل متسارع، مما أدى إلى

اختفاء الكثير من معالم القلعة تحت أكوام الرمال، وخاصة في الجهة الغربية؛ ولذا لم نستطع وضع مخطط نهائي لهذه القلعة.

يقع مدخل القلعة في الجهة الشمالية وإلى جانبه توجد بقايا برج ذي شكل دائري، وما تزال بعض الفتحات الضيقة (المزاغل) – التي كانت تستخدم للرماية بالبنادق – ظاهرة على جداره (ل:275). وتضم القلعة في الوقت الراهن العديد من الجدران، وهي لوحدات معمارية تتوزع حول فناءين واسعين مكشوفين، حيث تطل الطوابق السفلية عليهما بواسطة فتحات واسعة ذات عقود دائرية ومدببة (ل:276).

يلاحظ على هيكل البناء المتبقي من القلعة الارتباك المعماري في بناء الجدران، حيث نجد أن كثيراً منها استخدمت في أسلوب بنائها صفوفاً من الحجارة الجيرية تليها صفوف من الآجر ثم من الحجارة مرة أخرى (ل:277). وهذا الأمر لم يعهد في أساليب البناء المعروفة، ويدل على تعرض القلعة للعديد من التعديلات والإضافات، ولذا جاء مخطط القلعة أكثر تعقيداً وغير واضح. كما تلاحظ على البقايا المعمارية في هذه القلعة غلبة طابع العمارة المدنية، وهذا يبين لنا أن المرحلة الأخيرة من استخدام القلعة كان لأغراض مدنية أكثر منها عسكرية.



لوحة (273) بقايا جدران قلعة الدولة (القشلة)



لوحة (274) صورة جوية لبقايا قلعة الدولة (القشلة) – باستخدام برنامج google earth

A

B

C

A	برج دفاعي
B	الفناء الشمالي
C	الفناء الجنوبي

مخطط (110) المسقط الأفقي العام الأولي لبقايا قلعة الدولة (القشلة) بمدينة مِيدي


لوحة (275) بقايا برج المدخل


لوحة (276) الفناء الشمالي للقلعة


لوحة (277) الارتباك المعماري في بناء جدران قلعة الدولة (القشلة)

قلعة القُماحيـــــة

- الموقع والتسمية
- مـــواد البنـــاء
- المخطط الهندسي العام والوضع المعماري الراهن
- القلعة من الخارج (الواجهات)
- مدخل القلعة
- حجرتا الجند
- البرجان الدفاعيان

الموقع والتسمية: (ل:278، خ:10)

تقع قلعة القُماحية في الجهة الشرقية من مدينة مِيدي في منطقة رملية منبسطة، حيث تبعد عن مركز المدينة بحوالي (2كم) تقريباً. كما تقع إحداثيات هذه القلعة عند (N16.31600) شمالاً، و(E42.82860) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بـ (15 قدم). وتكمن أهمية تمركز القلعة في هذا الموقع، كونها كانت تشكل مركزاً دفاعياً أولياً لمراقبة وحماية مدينة مِيدي من جهة الشرق، إذا ما تعرضت لهجوم محتمل قادم من المنطقة الداخلية في سهل تهامة.



لوحة (278) صورة جوية لقلعة القُماحية بمِيدي – باستخدام برنامج google earth

مواد البناء:

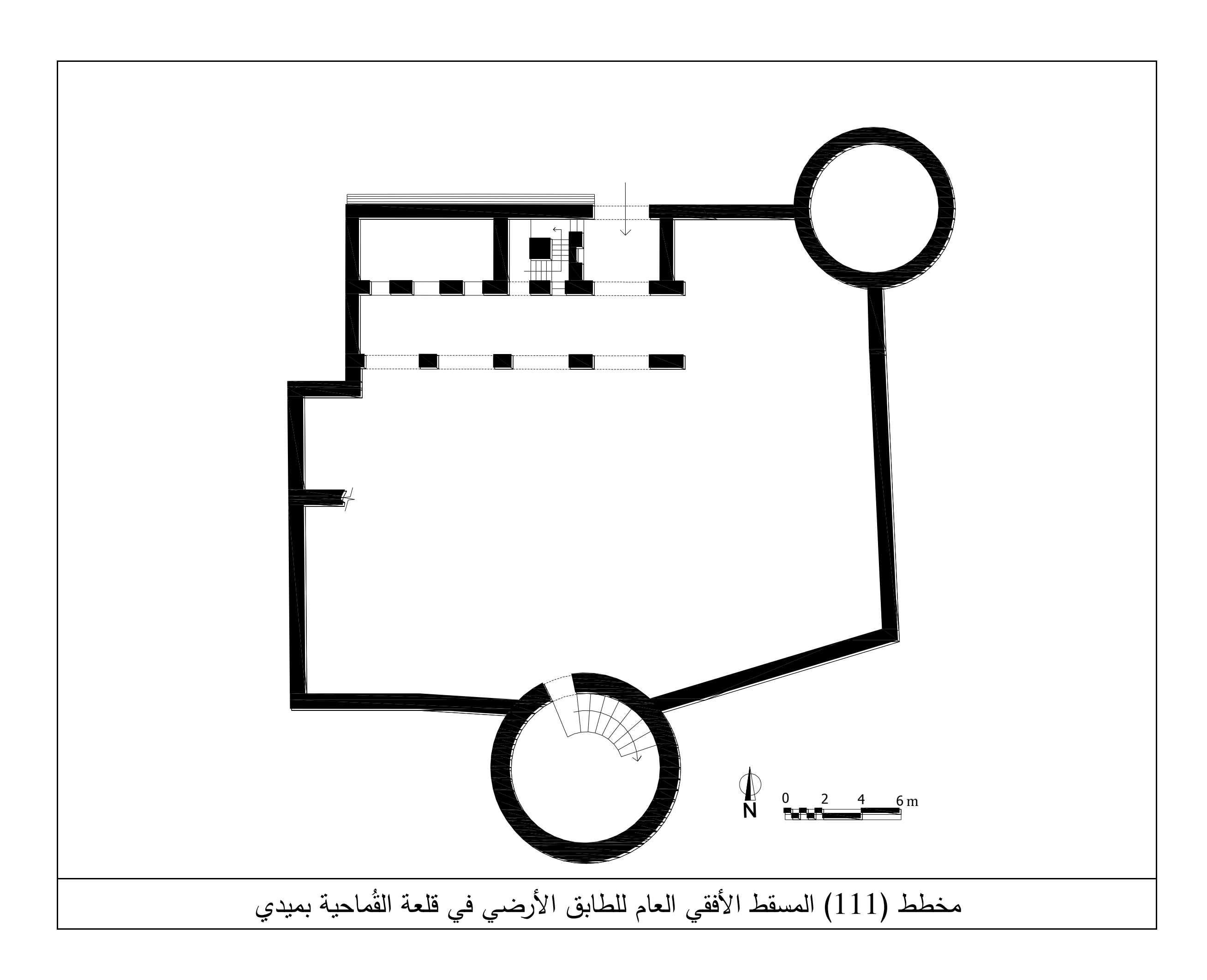
تمتاز منطقة مِيدي بوجود طبقات رسوبية متوازية مكونة من الغرين والطين تتعاقب مع الطبقات الرملية وطبقات الجبس والطين الجبسي[1]. وقد ساعدت هذه المواد الطبيعية في بناء قلعة القُماحية، حيث استخدمت الحجارة الرملية على نطاق ضيق وخاصة في الأجزاء السفلية من حجرات الجند. أما قوالب الآجر – التي تم تحضيرها من عجينة الطين – فكانت المادة الأكثر استخداماً في عملية البناء. كما استخدم الطين أيضا كمادة لاصقة بين صفوف البناء وتغطية الجدران، في حين استخدمت الأخشاب

1 – جابر السنباني: *"دراسة جيولوجية للمكون الثاني لإنشاء محمية بحرية في منطقة اللحية ميدي"*، ص 14.

لعملية التسقيف وكذا بين صفوف البناء في بعض المناطق من الجدران، بينما استخدمت مادة الجص لكساء الجدران.

المخطط الهندسي العام والوضع المعماري الراهن: (م:111)

تتخذ قلعة القُماحية شكلاً مستطيلاً متعدد الأضلاع، يبلغ أقصى امتداد لها من الشمال إلى الجنوب نحو (37.40م). ومن الشرق إلى الغرب نحو (34.55م)، والمخطط المعماري العام للقلعة يتألف من فناء أوسط مكشوف تطل عليه من الجهتين الشمالية والجنوبية وحدات القلعة، أما الجهتين الشرقية والغربية فيمثلهما سور دفاعي، ويقع مدخل القلعة الوحيد في مكان يتوسط الواجهة الشمالية. وعن الوضع المعماري الراهن لوحدات القلعة يلاحظ أن أغلب الأجزاء العليا فيها تهدمت، وكذلك السقوف التي تغطي وحداتها، ولم يتبق بحالة سليمة منها سوى بعض الأجزاء من السور الدفاعي.



مخطط (111) المسقط الأفقي العام للطابق الأرضي في قلعة القُماحية بميدي

القلعة من الخارج (الواجهات): (ل:279، 280، 281، 282)

يمكننا القول أن الواجهة الشمالية في القلعة هي الرئيسية؛ لأنها تضم أغلب وحدات القلعة، وهي: المدخل وحجرتا الجند اللتان كانتا تطلان بنوافذهما العلوية على الجهة الشمالية، بالإضافة إلى البرج الدفاعي الشمالي الشرقي. وتضم الواجهة الشرقية سوراً دفاعياً يبلغ ارتفاعه نحو (3م)، شطف في قمته من الجهتين، ويتخلل ما تبقى منه نوعان من فتحات ضيقة لإطلاق رصاص البنادق (مزاغل)؛ الأول فتحاته فردية مائلة، والثاني فتحاته مزدوجة مائلة نحو اليمين واليسار. وتتألف الواجهة الجنوبية من سور دفاعي شبيه بالشرقي، يتوسطها برج ضخم يطل على خارج القلعة بالعديد من العناصر الدفاعية، بينما تتكون الواجهة الغربية من سور دفاعي يشبه الشرقي والجنوبي، ويمثل طرفها الشمالي جدار غربي لحجرتي الجند.



لوحة (279) الواجهة الشمالية (الرئيسية)



لوحة (280) الواجهة الشرقية



لوحة (281) الواجهة الجنوبية



لوحة (282) الواجهة الغربية

مدخل القلعة: (ل:283)

إن مدخل القلعة في الوقت الراهن متهدم، ولكننا استطعنا معرفة شكله من خلال صورة فوتوغرافية قديمة التقطت للقلعة، وكذلك من خلال البقايا المعمارية لأساساته. وكان المدخل من النوع المباشر، عبارة عن فتحة باب واسعة ذات عقد دائري، تؤدي إلى دركاة مستطيلة مسقوفة تبلغ أبعادها من الداخل نحو (4م x 3.20م)، وتنتهي في جهتها الجنوبية بفتحة مدخل آخر تؤدي إلى فناء القلعة.



لوحة (283) قلعة القُماحية بمدينة مِيدي – عن (الهيئة العامة للآثار اليمنية)[1]

حجرتا الجند: (ل:284)

تحتل حجرتا الجند مساحة كبيرة من الجهة الشمالية للقلعة، وقد أنشئت جدرانهما من الأسفل بقطع الحجارة الرملية ذات اللون المائل إلى الأبيض، ومن الأعلى بقوالب الطوب الآجر. وتتألف الحجرتان من طابقين، الأرضي ويتكون من جزأين: الأول عبارة عن رواق مسقوف يطل على الفناء بأربعة عقود نصف دائرية تختلف في اتساعها من واحدة إلى أخرى. أما الجزء الثاني فيتألف من حجرة ذات مساحة مستطيلة، تبلغ أبعادها من الداخل نحو (6.95م x 3.22م)، وسمك جدارها (73سم)، ويضم جدارها الجنوبي ثلاثة مداخل، اتساع كل واحد منها نحو (1م)، وارتفاعه (2.50م).

ويلتصق بحجرة الطابق الأرضي من الجهة الشرقية سلم صاعد يؤدي إلى حجرة الطابق العلوي (ل:285)، وهو في الوقت الراهن متهدم، ولكن من خلال مشاهدة بقاياه المعمارية تبين أن الطريقة المتبعة في تسقيفه هي الأقباء التي استخدمت في بنائها قطع الآجر. وقد سبق أن وجدنا هذه الطريقة في سلالم قلعة المُعترض، وفي قلعة الزَيلعي باللُحية[2]. وتلاحظ على القلاع موضوع الدراسة قلة استخدام طريقة التسقيف بالقبو، ويحتمل أن سبب ذلك يرجع إلى أن هذه الطريقة تحتاج إلى بنَّائين ذوي خبرة عالية ووقت كاف لتنفيذها.

1- محمد عبد عثمان: *"محافظة حَجة من خلال أعمال المسح الأثري"*، حولية الآثار اليمنية، ع 1، الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية، صنعاء 2008، ص 158.

2 - يراجع ص 284 – 285.

وحجرة الطابق العلوي في الوقت الراهن متهدمة، ومن خلال مشاهدتها نستطيع القول إنها تشبه حجرة الطابق الأرضي، حيث تضم ثلاثة مداخل في الجدار الجنوبي، وتتخلل جدرانها فتحات نوافذ تطل على خارج القلعة، منها ثلاث في الجدار الشمالي، واثنتان في الجدار الغربي.



لوحة (284) الواجهة الجنوبية للرواق الذي يتقدم حجرتي الجند



لوحة (285) الواجهة الشرقية لبقايا المدخل والرواق الذي يتقدم حجرتي الجند

برجا القلعة

أولاً: البرج الشمالي الشرقي: (ل:286)

يقع هذا البرج عند زاوية التقاء جداري القلعة الشرقي والشمالي، ويتخذ في قطاعه الرأسي الشكل الأسطواني، وفي مسقطه الأفقي شكلاً دائرياً؛ وثلاثة أرباع من مساحته الكلية تبرز نحو الخارج، ويبلغ قطره من الداخل نحو (6.70م). ويتألف البرج من طابق واحد بني بقطع الآجر ويلاحظ على جداره

الخارجي وجود فراغات أفقية كانت مشغولة بقطع خشبية تتخلل صفوف البناء، وكان الهدف الرئيسي من وضعها بهذه الطريقة هو تفادي حدوث تشققات أو ميلان في جدار البرج، خاصة وأن البرج استخدم لإطلاق قذائف المدفعية.

وبالرغم من تهدم جزء كبير من البرج في الوقت الراهن، تمكنا من معرفة شكله السابق من خلال الصورة الفوتوغرافية السابقة (ل:287)، حيث تظهر لنا فتحات كبيرة ضيقة من الداخل وواسعة من الخارج، ووجدنا بقاياها أثناء المعاينة الميدانية للبرج. وبمقارنتها مع فتحات أبراج المدافع في قلاع الزَيدية وبيت الفَقيه والزُهرة وغيرها، يمكننا القول بكل ثقة أن فتحات البرج الشمالي الشرقي في قلعة القُماحية كانت تستخدم لإطلاق قذائف المدافع. ويؤكد ذلك أيضا ردم المنطقة الداخلية من البرج بالتراب لكي تتحمل الثقل الناتج عن المدافع، والاهتزاز الذي تحدثه أثناء استخدامها، بالإضافة إلى عدم وجود فتحات للرماية (مزاغل) في جدار البرج.



لوحة (286) الوضع الراهن للبرج الشمالي الشرقي من الخارج



لوحة (287) البرج الشمالي الشرقي من الخارج، قبل تهدم فتحات إطلاق المدافع بشكل نهائي، عن (هيئة الآثار اليمنية)



لوحة (288) البرج الشمالي الشرقي من الداخل

ثانياً: البرج الجنوبي

هذا البرج كغيره من أبراج قلاع تهامة ذو شكل دائري في مسقطه الأفقي، واسطواني في قطاعه الرأسي، لكنه ينفرد عن غيره من الأبراج التي تضمنتها الدراسة بمساحته، حيث بلغ محيطه من الخارج نحو (21.30م)، وقطره من الداخل عند الطابق الأول (7.70م). وفي الفقرات التالية ستتم عملية الوصف والتحليل لهذا البرج من الخارج ثم من الداخل.

البرج من الخارج: (ل:289)

كان البرج الشمالي الشرقي من خارجه تغطيه طبقة من الطين والجبس، إلا أن جزءً كبيراً منها سقط – بسبب الرياح القادمة من البحر – لاسيما في الجهة الجنوبية. ويتألف البرج من ثلاثة مستويات:

الأول وهو السفلي الذي يرتفع عن مستوى سطح أرضية القلعة بحوالي (2.50م)، ما تزال تغطيه طبقة من الطين في أجزاء كبيرة منه، ويتخلله صفان من فتحات الرماية بالبنادق (مزاغل) وهي من النوع الأمامي. أما المستوى الثاني فيرتد قليلاً نحو الداخل وقد فتح فيه العديد من الفتحات الطولية المعقودة، تبلغ اتساع كل واحدة منها نحو (45سم) وارتفاعها (1.25م)، وتتخلل الجدار ما بين الفتحات المذكورة فتحات ضيقة للرماية. والمستوى الثالث من البرج يشبه الثاني من حيث ارتداده نحو الداخل لكنه يختلف عن سابقيه في شكل المزاغل التي تنتمي إلى النوع المائل نحو الأسفل. كما وجدت به بعض الفتحات الكبيرة، فمنها التي تتخذ الشكل المربع وأخرى تنتهي من أعلاها بعقد دائري، ويظهر على الجزء العلوي من هذا المستوى الكثير من التعديلات المعمارية وكذلك تهدم أجزاء منه.



لوحة (289) البرج الجنوبي من جهة الفناء

البرج من الداخل: (ل:290 – 291، م:112)

يتم الدخول إلى البرج من فناء القلعة عبر مدخل يبلغ اتساع فتحته نحو (1.35م)، وقد تهدم الجزء العلوي منه بسبب نزع القطع الخشبية التي كانت تعلوه. وينقسم البرج من الداخل إلى ثلاثة طوابق، وكان الصعود إلى الطابق الأول والثاني منه يتم بواسطة درج يقع على يسار مدخل البرج ويستند على جداره، ولكنه تهدم.

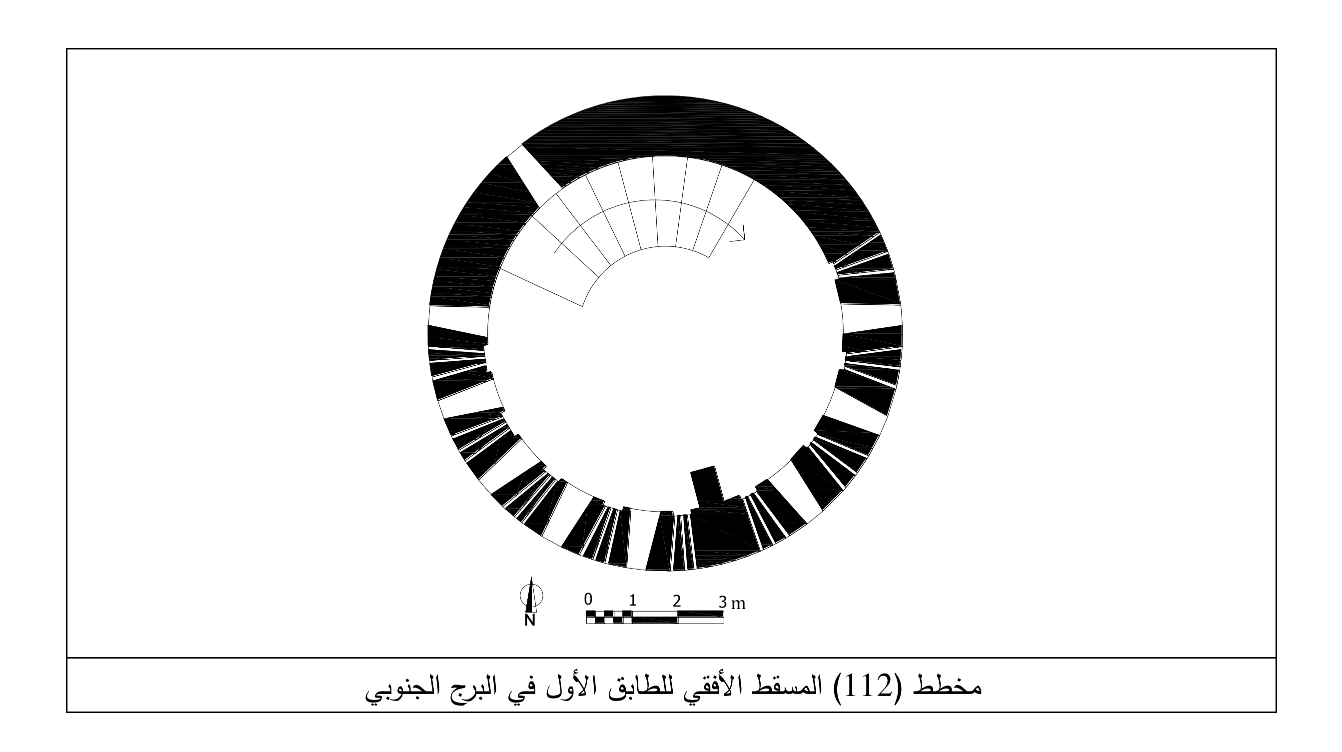
والطابق الأرضي في البرج تغطيه في الوقت الراهن أكوام التراب والأخشاب التي تساقطت من الجدار الداخلي للبرج وسقفي الطابقان الأرضي والأول، ويبلغ قطره نحو (7.70سم)، وسمك جداره (1.43م). أما الطابق الأول فتتوزع في جداره ثمان فتحات – سبق الحديث عنها – يبلغ اتساع كل واحدة منها من داخل البرج نحو (66سم)، يمكن أن تستخدم لإطلاق قذائف المدافع الصغيرة. ويضم الجدار بين كل فتحة وأخرى دخلة مرتدة إلى داخل الجدار بمقدار (10سم)، فتحت فيها ثلاث فتحات ضيقة للرماية بالبنادق (مزاغل)، (ل:290-291). أما الطابق الثاني فيضم في جداره الساتر العديد من الفتحات الواسعة والضيقة، البعض منها سدت بجدران حديثة، وهذا الطابق غير مسقوف كغيرة من الأبراج الدفاعية التي غالباً ما كان الطابق الأخير فيها مكشوفاً ليسمح للجند المكلفين بالحراسة بحرية الحركة والمراقبة.



لوحة (290) العناصر الدفاعية في جدار الطابق الأول والثاني من البرج الجنوبي



لوحة (291) آثار الدرج الصاعد إلى الطابق الأول والثاني في البرج الجنوبي



مخطط (112) المسقط الأفقي للطابق الأول في البرج الجنوبي

التحليل الأثري للبرج الجنوبي:

يُعد البرج الجنوبي في قلعة القُماحية بتصميمه العام وعناصره المعمارية والدفاعية من الأبراج الكبيرة الضخمة التي لم نجد لها مثيلاً في القلاع التي تضمنتها الدراسة؛ ولكن وجد هذا النوع في منطقة تهامة نفسها وغيرها من المواقع في اليمن كبناء مستقل بذاته. وأغلب هذه الأبراج التي تم العثور عليها في منطقة تهامة يطلق على الواحد منها قلعة بسبب ضخامة البناء. وينسب إنشاء بعضها إلى فترة حكم الإمام يحيى بن محمد حميد الدين لليمن (1336- 1367هـ/ 1918- 1948م)، ومنها على سبيل المثال لا الحصر في مدينة المخا برج (نوبة) ضريبة الإمام[1] (ل:292)، والبرج المسمى بالحالي الذي يقع بداخل مبنى المواصلات. ويختلف برج قلعة القُماحية عن الأبراج المذكورة في مادة بنائه وهي الآجر؛ إلا أن هذا الأمر يتحكم فيه توافر المادة الخام في الموقع نفسه والمنطقة المجاورة له.

وبتشابه البرج الجنوبي في قلعة القُماحية مع الأبراج السالفة الذكر سواءً من حيث التصميم العام والمساحة الكبيرة، أو في العناصر المعمارية والدفاعية، يمكننا الترجيح بأن برج قلعة القُماحية المذكور

1 – انظر: تقرير الفريق الوطني للمسح الأثري: *"نتائج أعمال المسح الأثري لمحافظة تعز (الموسم الأول مديرية المخا)"*، الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية، صنعاء 2005، ص 20.

يرجع إلى عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، أي أنه أنشئ في مرحلة لاحقة من البناء الأصلي للقلعة، وتدعم ذلك الملاحظات الأثرية الآتية:

- عدم انتظام الشكل العام لجدران السور الجنوبي في القلعة بسبب موقع البرج الذي يتوسطها، حيث يظهر بأنه تمت إعادة بناء السور ليتوافق مع المخطط الجديد.

- عدم استخدام الحجارة في بناء هذا البرج أو على الأقل في قاعدته، بينما وجدت هذه المادة في القلعة نفسها سواءً في أساسات الحجرتين أو في الرواق الذي يتقدمهما، حيث تظهر عليها عوامل التلف، وهذا يدل على قدمها.

- لم يتم العثور في قلاع منطقة سهل تهامة التي تضمنتها فترة الدراسة على هذا النوع من الأبراج، وهذا يوحي بأنها ظهرت بعد خروج العثمانيين من اليمن عام (1336هـ/ 1918م).



لوحة (292) برج العمودي في مدينة المخا

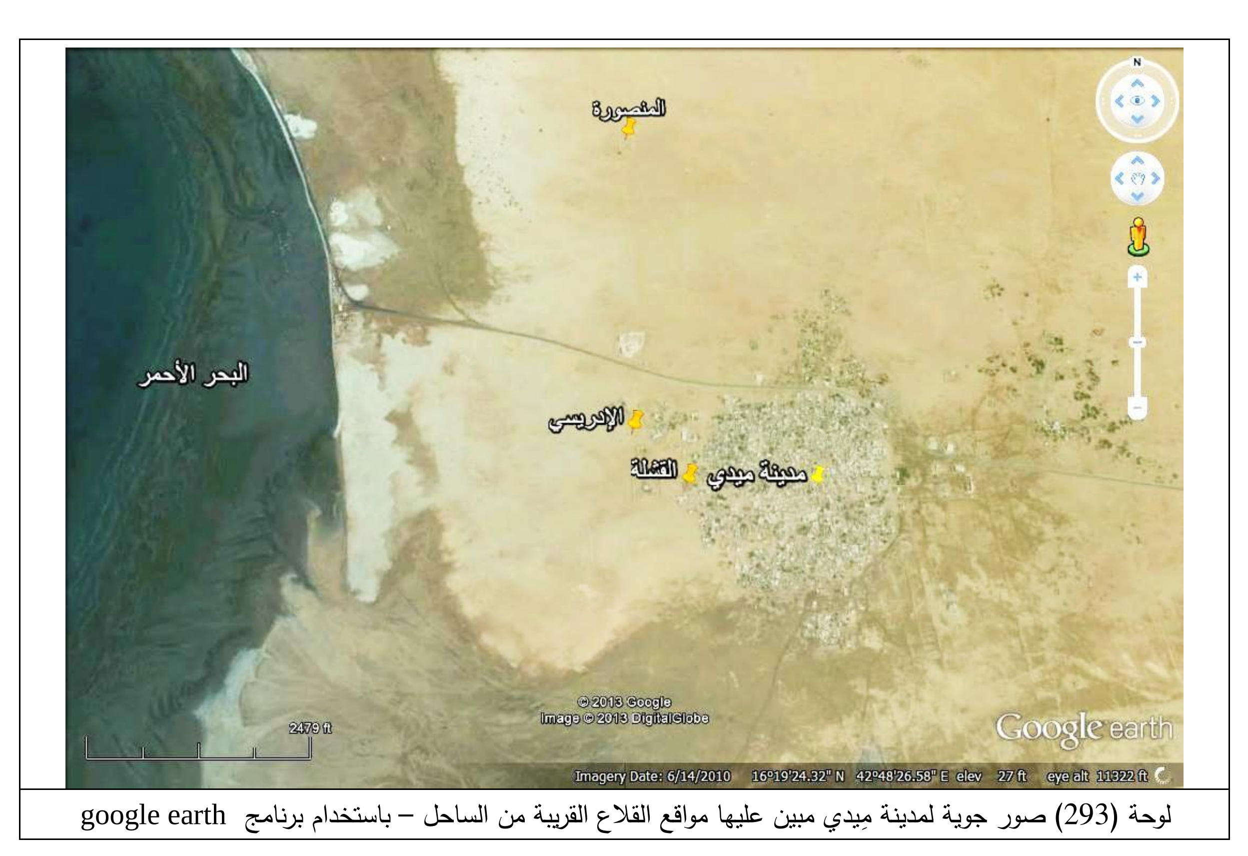
قلعـــة الإدريســـي

- ❖ الموقع والتسمية
- ❖ الوضع المعماري الراهن
- ❖ المخطط العام والوحدات الدفاعية الباقية
- ❖ محاولة لإعادة التصميم المعماري العام

الموقع والتسمية: (ل:293، خ:10)

تقع قلعة الإدريسي في الجهة الغربية من مدينة مِيدي بجوار المركز الحكومي الجديد لمديرية مِيدي التي تتبع إدارياً محافظة حَجة، حيث تبعد عن مياه البحر من جهة الشرق بمسافة (1كم) تقريباً. وتقع إحداثيات القلعة بين دائرتي عرض (N16.32292) شمالاً، وخطي طول (E42.80760) شرقاً، وتنخفض عن مستوى سطح البحر بـ (8 أقدام). ومن خلال موقع القلعة المذكور تظهر لنا أهميتها الاستراتيجية، سواءً في مراقبة الساحل المطل على مدينة مِيدي من جهة الغرب، أو الدفاع عن المدينة من أي هجوم قد تتعرض له من جهة البحر.

ويبدو أن هذه القلعة أخذت تسميتها (الإدريسي) نسبة إلى محمد بن علي الإدريسي، المؤسس الفعلي لحكم الأدارسة في تهامة، والذي يعد أبرز شخصية سياسية مرت على مدينة مِيدي، إذ جعل منها مركزاً عسكرياً يشن منها غاراته على بقية مدن سهل تهامة.



لوحة (293) صور جوية لمدينة مِيدي مبين عليها مواقع القلاع القريبة من الساحل – باستخدام برنامج google earth

الوضع المعماري الراهن: (ل:294)

كان لزحف الرمال دور كبير في إخفاء المعالم الرئيسية للقلعة، وخاصة في الجهة الغربية بسبب الرياح القادمة من جهة البحر، ولم يعد ظاهراً منها في الوقت الراهن إلا الأجزاء السفلية لثلاثة أبراج: اثنان منهما يمثلان أبراجاً ركنية. وكان لإنشاء المركز الحكومي الإداري (الحديث) لمديرية مِيدي دور رئيسي في إزالة الجدران الملتصقة به، وخاصة الشمالي الذي تعرض للإزالة المتعمدة باستخدام آلات الجرف.



لوحة (294) صورة جوية لبقايا قلعة الإدريسي – باستخدام برنامج google earth

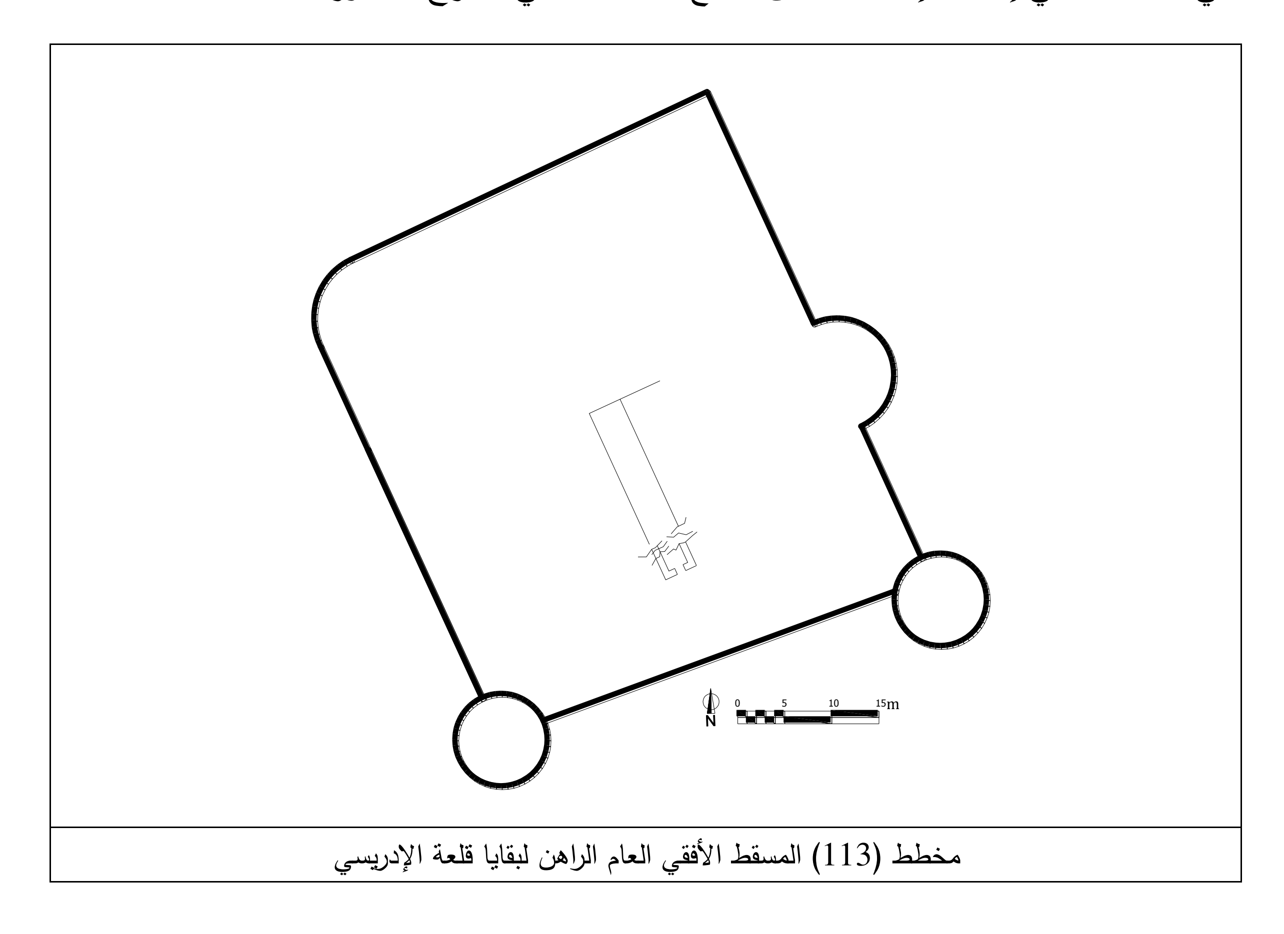
المخطط العام والوحدات الدفاعية الباقية: (م:113)

أنشئت قلعة الإدريسي في موقع رملي منبسط، واستخدمت في بنائها قطع الآجر وعجينة الرمل ومادة الجص. ويتخذ مخططها الأفقي شكلاً مستطيلاً، يبلغ أقصى امتداد له من الشمال إلى الجنوب نحو (64.15م)، ومن الشرق إلى الغرب بنحو (59م)؛ وهو يضم سوراً دفاعياً تبقى من سمك جداره الشرقي نحو (65سم). ويدعم السور ثلاثة أبراج: الأول يقع في الركن الجنوبي الشرقي (ل:295)، والثاني في الركن الجنوبي الغربي (ل:296). أما البرج الثالث فيقع في مكان متوسط تقريبا من الجهة الشرقية للقلعة، وهو ذو شكل مستدير تبقى من ارتفاعه نحو (2.42م).

ويبدو أن هذا الأخير كان يمثل أحد أبراج بوابة القلعة، لأن موقعه يتوسط الواجهة الشرقية للقلعة، حيث أن القلاع موضوع الدراسة التي تضمنت بوابات يكتنفها برجان دفاعيان تتجه نحو مدنها، ومنها على سبيل المثال قلعة الضِحي بمدينة الضِحي وقلعة دار الحكومة بمدينة باجل.

ولأن الواجهة الغربية هي المقابلة لشاطئ البحر، فمن المؤكد أن بوابة القلعة لم تكن تتجه نحوها، وذلك من أجل تحقيق الجانب الأمني، كما أن وجود دعامة مركزية تتوسط هذا البرج، تم بناءها بواسطة قطع الحجارة، يدعونا إلى القول بأن السلم الصاعد كان يلتف حولها. وعلى الرغم من عدم وجود بقايا برج ثان للبوابة المفترضة، يمكن تفسير ذلك بعملية التجريف التي تعرضت لها جدران القلعة بواسطة آلات البناء، إضافة إلى زحف الرمال المتسارع الذي عمل على إخفاء أساسات الجانب الشمالي من الواجهة الشرقية في القلعة.

وفي مكان متوسط من القلعة يقع بناء متهدم يظهر أنه حديث البناء من خلال معاينة قطع الآجر التي استخدمت في إنشائه، إذ تختلف عن القطع المستخدمة في الأبراج المذكورة سابقاً.



مخطط (113) المسقط الأفقي العام الراهن لبقايا قلعة الإدريسي



لوحة (295) بقايا البرج الجنوبي الشرقي والجدار الخارجي المتصل به

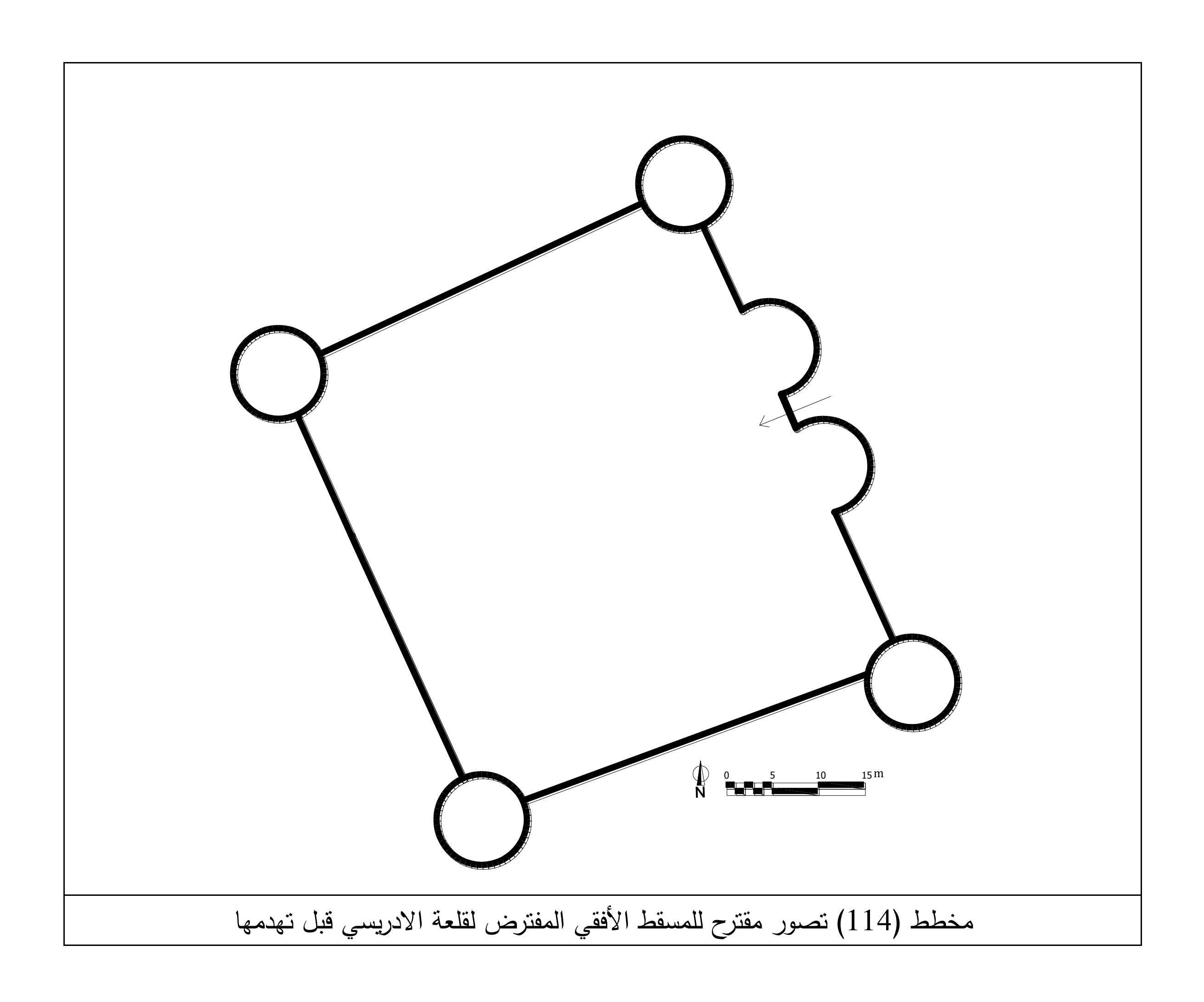


لوحة (296) بقايا البرج الجنوبي الغربي

محاولة لإعادة التصميم المعماري العام: (م:114)

يصعب علينا وضع تصميم نهائي لقلعة الإدريسي بسبب الوضع المعماري الراهن للموقع، والذي تعرض بعض جوانبه للتجريف بمعدات البناء، إضافة إلى أنه غطي بالرمل، رغم ذلك سوف نقوم بوضع تصور عام لمخطط القلعة قبل تهدمها مستندين في ذلك على الدراسة الميدانية التي أجريت للموقع. ومن خلال الرفع الهندسي للبقايا المعمارية في القلعة ومقارنتها بالطراز السائد في مخططات الكثير من قلاع تهامة، يمكن القول أن تصميم قلعة الإدريسي كان يتخذ الشكل المستطيل، ويتألف من الداخل من فناء أوسط مكشوف تحيط به الوحدات المعمارية. ويضم في جهاته الأربع سوراً دفاعياً يشتمل في أركانه على

أربعة أبراج، بالإضافة إلى برجين مستديرين يقعان في الواجهة الشرقية، واللذان كانا يمثلان برجين يكتنفان بوابة القلعة.



مخطط (114) تصور مقترح للمسقط الأفقي المفترض لقلعة الادريسي قبل تهدمها

قلعة المنصورة

- الموقــع

- الوضع المعماري الراهن والمخطط الهندسي العام

الموقع: (ل:297، خ:10)

تقع قلعة المنصورة في الجهة الشمالية من مدينة مِيدي على بعد (1 كم) تقريباً، كما تبعد عن مياه البحر من الجهة الشرقية بنفس المسافة. وتقع إحداثيات القلعة بين دائرتي عرض (N16.33353) شمالاً، وخطي طول (E42.80747) شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو (12 قدم). والقلعة بموقعها المذكور كانت تمثل مركزاً دفاعياً متقدماً لمدينة مِيدي من الجهة الشمالية، ونقطة مراقبة مهمة قريبة من ساحل البحر الأحمر.



لوحة (297) صورة جوية لقلعة المنصورة – باستخدام برنامج google earth

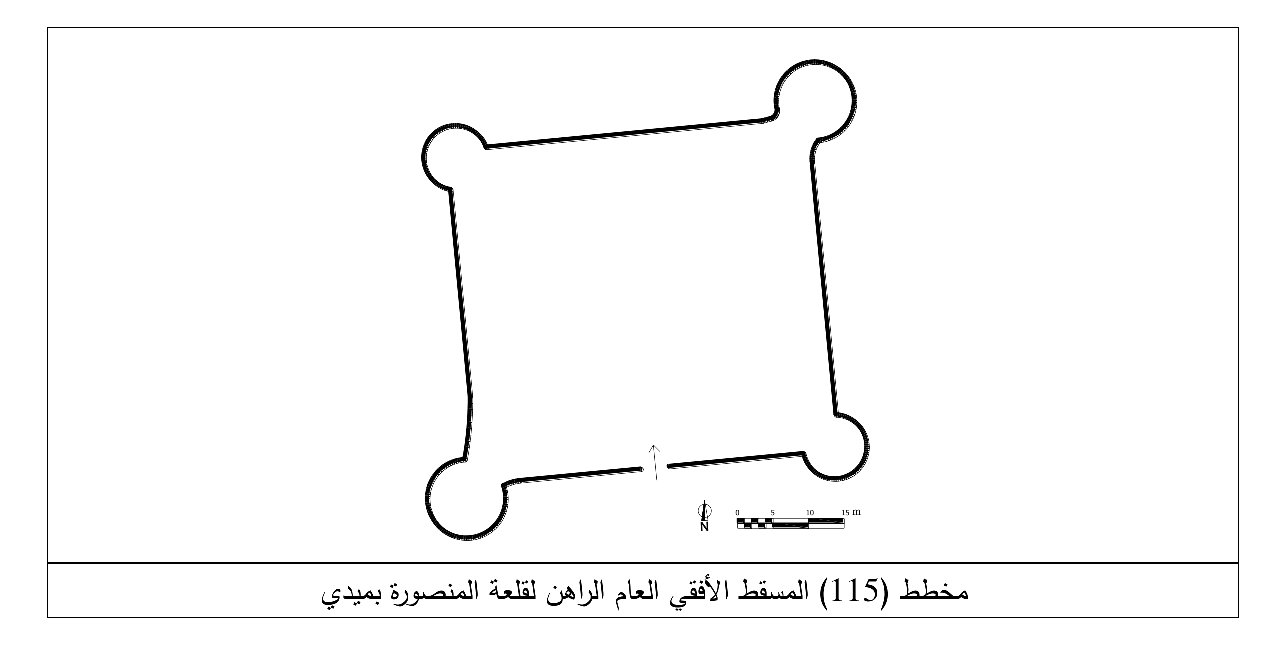
الوضع المعماري الراهن والمخطط الهندسي العام: (ل:298، م:115)

أنشئت قلعة المنصورة فوق مكان رملي منبسط، ومن خلال ما تبق من أساسات الجدران الخارجية للقلعة نجد أن مادة الطوب الآجر – المتناثر على السطح – وقوالب الطين هما الباقيتان من مواد البناء التي استخدمت في بناء القلعة.

وقد اتخذت إحدى الحاميات العسكرية من موقع قلعة المنصورة سكناً لها، وقامت ببناء حجرتين الأولى تقع فوق موقع البرج الشمالي الغربي، والثانية فوق موقع البرج الجنوبي الغربي. كما تم إنشاء مبنى

آخر حديث في مكان متوسط من الفناء، بالإضافة إلى حجرتين في الجانب الجنوبي من القلعة. وكان لعملية بناء الحجرات المذكورة وكذا زحف الرمال الدور الرئيسي في إخفاء الوحدات المعمارية للقلعة. وبالرغم من أن أغلب موقع القلعة مغطى بالرمال، إلا أننا استطعنا تمييز التصميم المعماري العام الذي كانت تتخذه القلعة؛ فهي تتألف من مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها من الداخل نحو (49م X 45م)، يتوسطها فناء تحيط به أربعة جدران تمثل سوراً للقلعة. وتضم القلعة أربعة أبراج دفاعية يتمركز كل واحد منها عند زاوية التقاء جداري السور (ل:299 – 300). ويلاحظ على البرجين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي بروزهما إلى خارج القلعة وكذا اتساع محيطهما، حيث بلغ قطر الأول (8م)، وسمك جداره (1.50م)؛ ولذا فمن المحتمل أنهما استخدما لضرب قذائف المدفعية. وبالمقابل وجد أن البرجين الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي متساويان في أبعادهما، حيث بلغ قطر كل واحد منهما نحو (6م)، وسمك جداره نحو (90سم) تقريباً. ومن المرجح أن بوابة قلعة الإدريسي كانت تتجه نحو الجنوب، وذلك لأن أغلب القلاع الخاضعة للدراسة التي تقع في إحدى جوانب مدنها، تتجه بواباتها نحوها.

ويستخلص مما سبق أن تصميم قلعة المنصورة جاء مشابهاً للطراز التقليدي الشائع في بناء القلاع – التي أنشئت في مواقع رملية منبسطة – بسهل تهامة اليمن، والمعتمد على الشكل التربيعي الذي يتوسطه فناء مكشوف، ويحيط به سور دفاعي تكتنفه في زواياه أربعة أبراج.



مخطط (115) المسقط الأفقي العام الراهن لقلعة المنصورة بميدي



لوحة (298) موقع قلعة المنصورة



لوحة (299) بقايا البرج الشمالي الشرقي



لوحة (300) موقع البرج الجنوبي الغربي

الخاتمة

أظهرتْ دراسة القلاع التراثيةِ في سهلِ تهامة اليمن أنَّ هذا النوع من الاستحكامات الحربية كان وجودُه ضرورةً دفاعيةً وسياسيةً واجتماعيةً، واستجابةً للأوضاع السياسية التي مرَّتْ بها اليمن بشكل عام وسهل تهامة بشكل خاص، خلال الفترة التاريخية الخاضعة للدراسة (945 - 1336هـ/ 1538 – 1918م).

وكان للدراسة الأثرية (الوصفية والتحليلية المقارنة) التي خضعت لها القلاع الباقية والمتهدمة – موضوع الدراسة – دوراً كبيراً في الكشف عن خصائص معمار القلاع في سهل تهامة اليمني، ومدى تميزها عن القلاع الأثرية الموجودة داخل اليمن وخارجها. وقد استطعنا الخروجَ بالعديدِ من الاستنتاجات، منها التي تتعلق بالجانب التاريخي (السياسي، والاقتصادي، والحربي)، وأخرى تتعلق بالجانبين البيئي والأمني، بالإضافة إلى الجوانب: الوظيفية والمعمارية والدفاعية والفنية والعسكرية، وهي كالآتي:

الجانب التاريخي

كشفت الدراسة التاريخية لمجال تهامة اليمن عدم ظهور الكثير من الأحداث الحربية التي تتعلق بالقلاع خلال فترة القرن السادس عشر، وهي فترة التواجد العثماني الأول في هذه المنطقة، وذلك لأنَّ المقاومة اليمنية تركَّزَت بشكل كبير في المناطق الجبلية. بينما تهامة لم تشهد ثورات فعلية ضد العثمانيين إلا في السنوات الأخيرة من حكمهم الأول، ويدل على ذلك أن قلعة مدينة بيت الفقيه – عاصمة قبائل الزرانيق الثائرة – أنشئت قبل تسع سنوات من خروجهم الأول عام (1636م).

وقد ظهرت القلاع على مسرح الأحداث أثناء فترة حكم آل القاسم لليمن (1046 – 1265هـ/ 1636 – 1849م)، التي تميزت بكثرة الاضطرابات والصراعات السياسية، سواءً بين أمراء آل القاسم أنفسهم أو بينهم وبين آل خيرات نوابهم على الجزء الشمالي من تهامة، وآل سعود وحركتهم الوهابية. ونتيجة لذلك شهدت منطقة تهامة عمليات تشييد وعمارة للكثير من القلاع – الدفاعية والإدارية – في المجال الداخلي، وخاصة

من قبل آل خيرات الذي كان أبرزهم الشريف حمود. أما المجال الساحلي فكانت تبرز أهميته عندما تتعارض مصالح الدول الكبرى، وقد بدا ذلك جلياً حينما تطلَّع محمد علي باشا إلى السيطرة على البحر الأحمر ومحاولته إخضاع منطقة تهامة تحت نفوذه، مما جعل بريطانيا تستغل خلافه مع الدولة العثمانية، والضغط عليه بسحب قواته من الجزيرة العربية.

وفي منتصفِ القرن التاسع عشر حينما عاد العثمانيون مرةً أخرى إلى اليمن واستقروا في تهامة، كانت مدينة الحُديدة مركزاً لولايتهم، وتوزع قادتهم (عمال المدن) مع حامياتهم العسكرية في جميع المدن؛ حيث جعلوا من القلاع الرئيسية أماكن لتواجدهم. وهنا لعبت هذه القلاع دوراً حربياً بارزاً، إذ كانت تخرج منها الحملات العسكرية لإخضاع وتأديب القبائل اليمنية الثائرة، كما لعبت أيضاً دوراً إدارياً مهماً، لأنها كانت تعتبرُ مراكزَ تضم جميع الإدارات الحكومية التي تشبه ما يسمى اليوم بالمجمعات الحكومية.

استمرت الأهمية الدفاعية لقلاع تهامة وخاصة الساحلية منها، لاسيما مع بداية القرن العشرين عندما شنَّت إيطاليا عملياتها الحربية البحرية خلال عامي (1328- 1329هـ/ 1911- 1912م)، وكذا الإنجليز خلال فترة الحرب العالمية الأولى (1914–1918م). وقد تبيَّن أنَّ تلك العمليات كان هدفها الرئيسي هو إخضاع ساحل البحر الأحمر وموانئه تحت سيطرتهم، من أجل التحكم في خط الطريق التجاري البحري فقط، وعدم حاجتهم إلى التوغل في المناطق الداخلية من سهل تهامة اليمن.

الجانب البيئي والأمني والإنشائي

لعب العامل الطوبوغرافي دوراً رئيسياً في تموضع قلاع تهامة، حيث تمَّ اختيار أماكن بنائها بعناية تامة، فالقلاع الحكومية التي تقع في المدن الكبرى غالباً ما كانت تشغل أحد أطرافها، أو تحتل أحد المرتفعات أو التلال القريبة منها، وذلك من أجل تحقيق الجانب الدفاعي والأمني، سواء لحاكم المدينة نفسها أو للإدارات الحكومية الموجودة فيها. وكانت أغلب تلك القلاع داخلية، ومنها: قلاع بيت الفَقيه، والزَيدية، والزُهرة،

والضِحي، وحَيس. أما القلاع الحربية ذات الصبغة الدفاعية، سواءً المحيطة بالمدن أو الساحلية أو الاثنتين معاً، فقد أنشئت في أماكن استراتيجية، فالمدن التي توجد بها هضاب مرتفعة تمَّ استغلالها في بناء قلاع تشرف عليها، وهي تمثل خطَّاً دفاعياً أولياً تقوم بعملية المراقبة والحماية، ومن أبرزها قلعة الزيلعي بمدينة اللحية، وقلاع مدينة ميدي والمخا والحُديدة.

وقد وُجِدَ أن هناك تنوُّع في مواد البناءِ المستخدمة في إنشاء القلاع كلاً حسب توافرها في البيئة المحيطة بها، حيث ظهرت مادة الآجر بكثرة، تليها مادة الأحجار الرملية والبازلتية، ثم الطوب الطيني (الغير محروق)، إضافة إلى مواد أخرى: كالجبس، والطين الجبسي، والقَضاض، والنُورة الكِدري، والأخشاب. وتبين أن مادة الآجر هي الأكثر استخداماً في قلاع المجال الداخلي، لأنها أكثر ملائمةً لعملية العزل الحراري.

وتمَّ الكشف عن ثلاثة أساليب إنشائيه أتبعت في بناء القلاع: الأسلوب الأول يطلق عليه المثنى والقفل (زوج على فرد). أما الثاني فيسمى بالظهارة والبطانة الذي يتألف من صفين متقابلين من الحجارة، يتوسطهما قطع صغيرة من الحجارة أيضاً وعجينة الطِين أو النُورة الكِدري أو الجِبس الطِيني. والأسلوب الثالث يعرف محلياً باسم المريوش، أي البناء بقوالب الآجر المفردة، بحيث يوضع كل قالب فوق نصفي القالبين اللذين من تحته سواء كانت من الطين أو الآجر.

جانب تاريخي معماري

كان لعملية التحليل والمقارنة المعمارية دورٌ في إثبات وترجيح تواريخ بعض القلاع ووحداتها المعمارية والدفاعية، وهي على النحو الآتي:

– إن التصميم الراهن في قلعة الزيلعي باللُحية يرجع إلى الفترة الثانية من وجود العثمانيين في تهامة اليمن (1265- 1337هـ / 1849- 1918م).

– رجَّحَتْ الدراسة أنَّ إنشاء قلعتي جبل الملح (الغربية والجنوبية الشرقية) تمَّ على أيدي العثمانيين في أواخر عام (1332هـ/ 1914م)، عندما استعدوا لدخول الحرب العالمية الأولى، والتأكيد على أنَّ البناء الراهن في القلعتين يعود إلى مرحلة الإنشاء المذكورة. وقد تأثرتْ هاتان القلعتان بشكلٍ كبيرٍ في عمارتهما بقلعة الزَيلعي (العثمانية) في مدينة اللُحية.

– أثبتت الدراسة أن أغلب الوحدات المعمارية (الراهنة) في قلعة بيت الفَقيه ترجع إلى عام (1349هـ/ 1930م)، عندما أمر بعمارتها الإمام أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين أثناء ولايته للعهد.

– يرجع البناء الراهن في قلعة الضِحي إلى فترةٍ زمنية ليست ببعيدة جداً عن العمارة الأخيرة التي أجريت لقلعة بيت الفَقيه.

– تبين أن البوابة المورية في قلعة الزَيدية تُعَدُّ إحدى الوحدات المعمارية والدفاعية التي تعود إلى مرحلة التأسيس. ورجحت الدراسة أنَّها بنيت على غرار البوابة الرئيسية في قلعة زَبيد، وتأثرت بها بشكل كبير من حيث الشكل والتخطيط، ولذا فهي تعتبر النموذج الثاني للبوابات المورية في قلاع تهامة اليمن.

– أثبتتْ الدراسة أنَّ برجي المدافع في قلعتي الزُهرة والزَيدية من الوحدات الدفاعية الأصليِّة التي ترجع إلى البناء الأول في القلعتين. بينما البرج الجنوبي في قلعة القماحية بميدي أنشئ في مرحلةٍ لاحقةٍ من تأسيسِ القلعة نفسها، ويرجح أنَّهُ يرجع إلى فترةِ حكم الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وبالأخصِّ بعد سيطرتِهِ على مدينة ميدي عام(1344هـ / 1925م).

جوانب وظيفية ومعمارية

تبين أن القلاع موضوع الدراسة انقسمت إلى ثلاثة أقسام كلٍ حسب وظيفتها، **فالقسم الأول:** القلاع الحربية التي تُطِل على ساحل البحر الأحمر أو القريبة منه، وهي عبارة عن نقاطٍ عسكريةٍ وظيفتها مراقبة وحماية ساحل تهامة. وكانت الحامية العسكرية المرابطة فيها من الجنود، إذ لا مجال فيها لإقامة المدنيين،

وهذه القلاع هي: الزَيلعي بمدينة اللُحية، والكُورنيش (اليمانية) بالحُديدة، والطيَّار وعبد الرؤوف بمدينة المخا، والإدريسي والمنصورة بميدي. أما **القسم الثاني** فهي قلاع المدن أو القلاع الداخلية، التي تركز وجودها في المدن الكبرى. وهذا النوع انقسم بدوره إلى نوعين: الأول قلاع كبرى تُمثِّلُ مراكزَ إداريةً وعسكريةً، وهي متعددة الوظائفِ لأنَّها تعتبر مواقع لحكم المدن، ومنها: قلعة بيت الفَقيه، والزَيدية، والزُهرة، وبيت الدولة بميدي، والضِحي. أما النوع الثاني فهي قلاع صغرى تقطنها حامية عسكرية، وهي تُمَثِّل خطاً دفاعياً أولياً تقوم بدور حماية المدن الكبرى من أي هجومٍ عسكريٍّ قد تتعرض له، ومنها: قلعة جبل باجل، وقلعتا المنصورة والقماحية بميدي، والصديقيَّة والشاميَّة بالحُديدة، والشاميَّة واليمانيَّة بمدينة حَيس. و**القسم الثالث** من القلاع هي المتعددة الوظائف، منها التي أنشئت لغرض حماية الطرق ومناجم الملح، كقلاع جبل الملح: الغربية والجنوبية الشرقية، وتلك التي أنشئتْ لحماية منابع الماء كقلعة الحالي التي كانت تقع خارج مدينة الحُديدة، وهناك قلاع خاصة بحفظ الغلال وحماية المزروعات والأملاك الخاصة، ومنها قلاع مُور والمُعترض والكامليَّة.

وقد تبين أنَّ التصاميمَ الهندسيةَ للقلاعِ موضوع الدراسة تأثرت بوظائفها؛ فالوظيفةُ الإداريةُ والمدنيةُ للقلاع الكبرى فرضتْ وجود بعض الوحدات المعمارية إلى جانب الوحدات الدفاعية، ومنها دار العامل، ومسجد للصلاة، وحجرات الاستقبال والضيافة، وسجن، وحجرات الإدارات الحكومية. بينما القلاع التي اقتصرتْ وظيفتها على الجانب الدفاعي اشتملتْ أغلب منشآتها على وحدات دفاعية وسكنية لمبيت الجند المرابطين فيها، وهذا يُظهر لنا أنَّ هناك علاقةً وطيدةً بين وظائف القلاع ومخططاتها الهندسية. ولعلَّ أبرز مثال يُبَيِّن لنا علاقة التصميم الهندسي بالوظيفة الدفاعية هو مخطط قلعة الزيلعي بمدينة اللحية، والذي يشيرُ إلى المستوى المتقدم الذي وصل إليه العثمانيون في مجال فن هندسة العمارة الحربية.

وخلُصَتْ الدراسة إلى أنَّ هناك تنوُّعاً في التصميم الهندسي العام للقلاع، فقد وجدت مخططات ذات شكل تربيعي تدعمه أبراج مستديرة في أربعة من أركانه، كقلاع: الزَيدية، وحَيس، والإدريسي، والضِحي،

والكُورنيش بالحُديدة. وهناك مخططات متعددة الأضلاع، ومنها قلعة بيت الفَقيه، وقلعتا القَشلة والقُماحية بميدي، وقلعتا جبل الملح، أما مخطط قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية فقد اختلفَ عن تصاميم جميع القلاع موضوع الدراسة، حيث جاء مشابها لشكل السلاح الناري (البندقية). وجميع القلاع من حيث مخططاتها الهندسية اعتمدت على عنصر الفناء المكشوف كنواة رئيسية لها، وغالباً ما كان يقع في مكان متوسط منها، إذ تحيط به بقية المرافق والوحدات المعمارية؛ وهذه الوحدة التصميمية تحكَّمَتْ فيها ثلاثة عوامل رئيسية: بيئية وأمنية ووظيفية.

وأثبتت الدراسة أنَّ هناك تشابهاً بين القلاع الداخلية في تهامة وبين نظيراتها التي تقع خارج اليمن في الجزيرة العربية، التي أنشئت في الفترة التاريخية نفسها. وهذا التشابُه ليس من حيث التصميم الهندسي العام وحسب، بل وفي الوحدات الدفاعية وخاصة الأشكال البنائية للأبراج وما تشتمل عليه من عناصر دفاعية ومعمارية.

جوانب معمارية دفاعية (تفصيلية) وفنية

تميزتْ القلاع الكبرى في المدن الداخلية عن جميع القلاع موضوع الدراسة بوجود برج دفاعي، وظيفته الأساسية هي إطلاق قذائف المدفعية وحماية المدينة من أي هجوم عسكري تتعرض له، خاصةً وأنَّ مواقع هذه الأبراج تتجه نحو أحياء المدينة كما في قلاع: بيت الفَقيه، والزُهرة، والزَيدية. أما القلاع التي تقع فوق هضاب جبلية، سواءً الساحلية كالزَيلعي بمدينة اللُحية أو القريبة من الساحل كقلعتي جبل الملح، فقد تضمنتْ ساحات للمدافع يتم من خلالها إطلاق قذائف المدفعية إلى مسافات بعيدة، بحيث تُخْضِع المهاجمين قبل وصولهم إلى هذه القلاع، وتجعل من الصعوبة عليهم اقتحامها بسهولة.

وقد أظهرتْ هذه الدراسة ثلاثة أنواع من العناصر الدفاعية، تركَّز وجودها بشكل كبير في الأبراج الدفاعية، **النوع الأول** هو فتحات الرماية (المزاغل)، التي انقسمتْ بدورها إلى نوعين هي: مزاغل فردية

أمامية أو مائلة، ومزاغل مزدوجة إحدى فتحتيها مائلة والأخرى أمامية، أو الفتحتان مائلتان إحداهما نحو اليمين والأخرى نحو اليسار. أما **النوع الثاني** فهو السَّقاطات، وتنقسم إلى نوعين: سقَّاطات بارزة، وسقَّاطات مغيبة وهي نوعان: رأسية، ومائلة يمكن أنْ تؤدي دور المزاغل. وقد تبينَ أنَّ عنصر السَّقاطة ظهر بشكل لافت في أبراج القلاع التي تقع في المدن الداخلية، بينما القلاع الساحلية وخاصة التي تتربع على سفح الهضاب الجبلية فيقل فيها ظهور هذا العنصر؛ مما يدل على عدم فاعليته من الناحية الدفاعية في هذه القلاع؛ ففي قلعةُ الزَيلعي وجِد فيها نموذج واحد لهذا العنصر، وقلعتا جبلِ الملح تخلون من وجوده. **والنوع الثالث** من العناصر الدفاعية هو فتحات المدافع التي تضيق من الداخل وتتسع من الخارج؛ وهي تنتمي إلى الشكل الثالث الأكثر تطوراً في فتحات المدافع، والذي يتناسب مع تطور سلاحِ المدفعية التي أصبحتْ ثقيلة، وقد وُجِدَ هذا الشكل في جميع القلاع التي اشتملتْ على برج للمدافع أو ساحات للمدافع أيضاً.

كما انفردتْ قلاع تهامة بخاصية دفاعية، وهي عدم وجود الممرات بين الأبراج الدفاعية ووحدات القلعة في الطوابق الأرضية، إذ إنَّ التنقل بينها كان يتم من خلال الفناء الأوسط المكشوف. أما الطوابق العلوية فكانت عملية التنقل تتم من فوق أسطح الوحدات المعمارية، وكانت أغلب أجزاء السور الدفاعي للقلاع تمثل واجهات خارجية للوحدات المعمارية.

وأبانتْ الدراسة عن حرص المعمار التهامي على تزيين واجهات القلاع بالعديد من الحِليات المعمارية والفنية، من خلالِ تجسيد عناصر معمارية وأشكال هندسية ونباتية نفذت باستخدام قطع الآجر واعتمدت على عملية التكرار، وجميعها تعبر عن استمرارية استخدام عناصر من فنون العمارة التقليدية ذات الجذور التاريخية في سهل تهامة اليمني.

وأخيراً تمَّ إنجاز (6) خرائط إحداها تتضمن مواقع القلاع التراثية الباقية والمتهدمة في سهل تهامة خلال فترة الدراسة، بالإضافة إلى (276) صورة فوتوغرافية، و(106) مخططاً هندسياً، و(53) شكلاً توضيحياً، وجميعها من عملنا.

توصيات واقتراحات

إنَّ هذه الدراسةَ تُعَد اللَّبنة الأولى لدراسات مستقبلية عن قلاع تهامة اليمن، إذ أنَّ كثير منها بحاجة إلى عمل بعض الأسبار الأثرية للتحقق من مراحل بنائها، والتعمق في الجوانب الفنية المعمارية بشكل تفصيلي، ولكن على أيدي متخصصين وخاصة في مجال الترميم الأثري والهندسة المعمارية، والتي من شأنها أنْ تساعد على إعادة تهيئة هذه المنشآت وتوظيفها بشكل علمي في الجانب التنموي والسياحي.

ومن الضرورة استغلال القلاع الباقية بعد إعادة تأهيلها وترميمها ورفدها بكافة الخدمات الضرورية، أنَّ يستفاد منها ثقافياً وسياحياً واقتصادياً. وذلك من خلال تحويلها إلى متاحف لعرض التراث المادي المنقول، أو متاحف شعبية تعنى بعرض الأزياء والملبوسات التراثية والفنون الشعبية. كما يمكن استغلالها في استقبال الفعاليات المحلية الثقافية والأدبية، وكذا إقامة معارض الفنون التشكيلية، ومعارض الصور القديمة التراثية والسياحية، ومعارض بيع الصناعات اليدوية التقليدية.

وفي الأخير نوصي الجهات الحكومية المسئولة، ممثلة بالهيئة العامة للآثار والمتاحف، والهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية، ووحدة التراث بالصندوق الاجتماعي للتنمية، النظر في الاقتراحات المذكورة، وسرعة إنقاذ وتأهيل قلاع منطقة تهامة وغيرها من المآثر في اليمن.

وختاماً أرجو أن أكون قد وفِّقْت في دراسة هذا الموضوع، وإن بدا خلل أو نقص واللذان لا يمكن لأيِّ عمل أنْ يخلو منهما، فحسبي أنَّي لم أدخر جهداً في سبيل تقديم ما يمكن أنْ يضاف إلى حقل الدراسات الأكاديمية في مجالِ الآثار الإسلامية في اليمن، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

ثالثاً: المعاجم والموسوعات

رابعاً: الأبحاث والتقارير

خامساً: الرسائل الجامعية

سادساً: المراجع الأجنبية

سابعاً: المقابلات الشخصية

ثامناً: الويب غرافيا

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

أبو طالب، محسن بن الحسن بن القاسم: تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول من سنة 1056– 1160هـ، ج 1، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطابع المفضل، ط 1، صنعاء 1990.

الإرياني، محمد بن عبد الله: سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين، المسماة (الدُّر المنثور في سيرة الإمام المنصور)، ج1، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحيه، دار البشير، ط 1، عمان، 1996.

الأهدل، الحسين بن عبد الرحمن: تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ج 2، تحقيق عبد الله الحبشي المجمع الثقافي – أبو ظبي 2004.

بن فرج، محمد بن حسن: بغية المغانم في فصول التهايم، تحقيق ودراسة عبد الله خادم العُمري، منتدى العُمري، بيت الفقيه، 2006.

البهكلي، عبد الرحمن بن أحمد: نفح العود في سيرة الشريف حمود، دراسة وتحقيق محمد بن أحمد العقيلي، مطابع جازان، ط 2، 1986.

البهكلي، عبد الرحمن بن أحمد: خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشرير وعدنان درويش، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، 2000.

البهكلي، علي عبد الرحمن: العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد بن أحمد العقيلي، دار البلاد، ط1، جدة، ب. ت.

جحاف، لطف الله: درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين، دراسة وتحقيق عارف محمد الرعوي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.

الجرموزي، مطهر بن محمد: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار (سيرة الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم)، ج1، دراسة وتحقيق: عبد الحكيم عبد الكريم الهجري، نسخة الكترونية، 2001.

الحرازي، محسن بن أحمد: فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء، تحقيق ودراسة حسين عبد الله العمري، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1986.

الحميري، نشوان بن سعيد: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج 7، تحقيق حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر بدمشق، ط 1، 1999.

الحيمي، محمد بن لطف الباري قاضي: الروض البسام فيما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام، تحقيق محمد عبد الله، مكتبة الارشاد، ط 2، صنعاء، 2007.

الخزرجي، علي بن الحسن: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، وزارة الإعلام والثقافة، ط 2، صنعاء، 1980.

الديبع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء و دار العودة ببيروت، 1983.

ـــــــــ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2006.

زبارة، محمد بن محمد: **أئمة اليمن**، مطبعة الناصرية، تعز، 1952.

ـــــــــ نشر العرف لنبلا اليمن بعد الألف، ج 2، دار الآداب، ط 2، بيروت، 1985.

الشرجي، أحمد بن أحمد: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية، ط 1، صنعاء، 1986.

الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1998.

الضمدي، الحسن بن أحمد عاكش: الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني المسمى الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف من الملوك، تحقيق إسماعيل بن محمد البشري، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2003.

ـــــــــــ عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، مخطوط، محفوظ بدار المخطوطات، صنعاء.

العرشي، حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، عنى بنشره الأب أنستاس الكرملي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1939.

العقيلي، محمد بن أحمد: تاريخ المخلاف السليماني، ج 1، دار اليمامة، ط 3، الرياض، 1982.

العمودي، عبد الله بن علي: الأدارسة في تهامة (1341 – 1347هـ)، تحقيق: عبد الله محمد أبو داهش، ط 1، ب. د، 1995.

ـــــــــــ تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع، تحقيق عبد الله أبو داهش، مطابع الجنوب، ط 1، أبها، 2001.

الكبسي، محمد بن إسماعيل: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق خالد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، ط 1، صنعاء، 2005.

مؤلف مجهول: حوليات يمانية (اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي)، تحقيق عبد الله محمد الحبشي دار الحكمة اليمانية، ط 1، صنعاء، 1991.

مطير، أحمد عثمان: الدرة الفريدة في تاريخ مدينة الحُديدة، دار المصباح، الحُديدة، ب. ت. ط.

المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط 2، ليدن، 1906.

الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق عبد الله الحبشي، منشورات المدينة، ط 1، صنعاء، 1987.

النعمي، أحمد بن أحمد: حوليات النعمي التهامية، تحقيق ودراسة حسين عبد الله العمري، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1987.

النهروالي، محمد بن أحمد: البرق اليماني في الفتح العثماني، تحقيق حمد الجاسر، منشورات المدينة، ط 2، بيروت، 1986.

الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990.

الواسعي، عبد الواسع بن يحيى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، المطبعة السلفية، القاهرة، 1927.

الوزير، عبد الإله بن علي: تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي (1045 – 1090هـ/ 1635 – 1680م) المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد جازم، دار المسيرة، ط 1، بيروت، 1985.

الوشلي، إسماعيل بن محمد: ذيل نشر الثناء الحسن المنبئ ببعض حوادث الزمن من الغرائب الواقعة في اليمن (تهامة والمخلاف السليماني)، تحقيق محمد الشعيبي، مطابع اليمن العصرية ط، 1، صنعاء 1982.

ـــــــــــــ نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن، مجلد 1- 2، تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، ط 2، صنعاء، 2008.

اليامي، محمد بن حاتم: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سمث، جامعة كامبردج، 1973.

اليمني، عمارة بن علي: تاريخ اليمن المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأعيانها وأدبائها)، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، ط 2، القاهرة 1976.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

أباظة، فاروق عثمان: الحكم العثماني في اليمن (1872 – 1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.

أبونتي، سلفاتور: مملكة الإمام يحيى – رحلة في بلاد العربية السعيدة، تعريب طه فوزي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1947.

أبى عكر، حسان: المتصرف يوسف بك حسن – الذكرى المئوية لقدومه إلى اليمن 1910 – 1921م، مؤسسة العفيف الثقافية، ط 1، صنعاء، 2009.

أحمد، عبد الله محمد: جغرافية اليمن الطبيعية، المنتدى الجامعي للتوزيع والنشر، ط 1، صنعاء،2001.

أحمد، محمد عبد العال: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1989.

الارشيف العثماني بتركيا والمركز الوطني للوثائق باليمن: اليمن في العهد العثماني، إستنبول، 2008.

الأكوع، إسماعيل بن علي: هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط 1، 1995.

الألوسي، السيد محمود شكري: تاريخ نجد، تحقيق وتعليق محمد بهجة الأثري، ب. د، ط 4، 2005.

أنكارين: مذكرات دبلوماسي في اليمن، ترجمة قائد طربوش وإسماعيل سليمان، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 1993.

الباشا، حسن: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.

بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ب. ط، تونس، 1985.

البشري، إسماعيل بن محمد: الحملة العثمانية على أبي عريش والسواحل اليمنية (1265هـ/ 1849م)، مكتبة العبيكان، ط 2، الرياض، 2002.

بلايفير، إف إل: تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان وعلي محمد باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط 1، عدن، 1999.

بلفقيه، عيدروس علوي: جغرافية الجمهورية اليمنية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 1997.

بورشارت، هيرمان: هيرمان بورشارت في اليمن (رحلات مصورة في اليمن للأعوام 1900 – 1909م)، سفارة جمهورية ألمانيا الاتحادية ومعهد الآثار الألماني بصنعاء، 2005.

بولدري، جون: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (1914– 1919م)، ترجمة: سيد مصطفى سالم، دار الأمين، سوهاج، ب. ت. ط.

بونفان، جميت وبولس: فن الزخرفة الخشبية في صنعاء، المركز الفرنسي بصنعاء والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، 1996.

تيز، هانز هولفر: اليمن من الباب الخلفي، تعريب: خيري حماد، المكتبة اليمنية للنشر، ط 2، صنعاء، 1985.

جار الله، عبد الرحمن حسن: ثلا إحدى حواضر اليمن في العصر الإسلامي (تاريخها وآثارها)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.

جاكوب، هارولد. ف: ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي – مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء ودار العودة ببيروت، ط 2، 1988.

الجرافي، عبد الله عبد الكريم: المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب، ط 2، بيروت، 1984.

الحاضري، أحمد محمد: فن وهندسة البناء الصنعاني، الهيئة العامة للكتاب، ط 1، صنعاء، 2006.

الحداد، عبد الله عبد السلام: مدينة حيس (تاريخها وآثارها الدينية)، دار الأفاق العربية، ط 1، القاهرة، 1999.

ـــــــ الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية (204– 923هـ / 819– 1517م) دراسة أثرية معمارية، وزارة الثقافة اليمنية، صنعاء، 2004.

الحضرمي، عبد الرحمن عبد الله: "تهامة في التاريخ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق، ط 1، 2005.

حيدر، كامل: العمارة العربية الإسلامية (الخصائص التخطيطية للمقرنصات)، دار الفكر اللبناني، ط 1، بيروت 1994.

خضراوي، محمود رمضان: القلاع والحصون في قطر، ب. د، ط 1، الدوحة، 2010.

دائرة التوجيه المعنوي والمركز العسكري للوثائق: المرشد التاريخي للعرضي (مجمع الدفاع)، دائرة التوجيه المعنوي بوزارة الدفاع اليمنية، صنعاء، ط 1، 2006.

راشد بك، أحمد: تاريخ اليمن وصنعاء، ج 2، ترجمة مديرية التطوير الثقافي، مطبعة البصرة، العراق، 1986.

الرجوي، جميلة هادي: محمد علي واليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط 1، صنعاء، 2006.

رسول، أحمد حبيب: دراسات في الجغرافية الاقتصادية والبشرية لليمن (الشطر الشمالي)، دار الكلمة، ط 1، صنعاء، 1985.

الريحاني، أمين: ملوك العرب، ج 1، دار الجيل، ط 8، بيروت، 1987.

الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين المستشرقين)" ج 7، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت، 1980.

زكريا، أحمد وصفي: رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1986.

سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن (1538– 1635م)، دار الأمين، ط 5، القاهرة، 1999.

سامح، كمال الدين: العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991.

السروري، محمد عبده: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (429هـ/ 1037م) إلى (626هـ / 1228م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.

السقاف، أنيس خضر: المدن والقرى المندثرة في بلاد عك والأشاعر، كتاب مُعد للنشر، الحُديدة، 2003.

الشامي، فؤاد عبد الوهاب: تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات، وزارة الثقافة السياحة، ط 1، صنعاء، 2004.

الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، ب. د، ط 5، 2004.

شرف الدين، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، مطبعة السنة المحمدية، ط 2، القاهرة، 1964.

شنيدروف، فلادمير: اليمن مشاهدات وانطباعات البعثة السينمائية السوفيتية الألمانية 1929، ترجمة: سعيد الدبعي، جامعة عدن، عدن، 2010.

شوفاليه، جوليت أنفو وباتريس: فرنسيون في اليمن (1709– 2009م)، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2009.

شيحة، مصطفي عبد الله: مدخل إلى العمارة والفنون الاسلامية في الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، ط 1، القاهرة، 1987.

الصايدي، أحمد قائد: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت ودمشق، 1990.

عباس، شهاب محسن: جغرافية اليمن الطبيعية، مؤسسة الزهيري التعليمية، صنعاء، 1994.

عبد الله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره (بحوث ومقالات)، دار الفكر، ط 2، بيروت ودمشق، 1990.

عبد الودود، محمد بن سعيد: المستخلص في تاريخ مدينة اللُحية، مؤسسة الرحاب، صنعاء، 2010.

عثمان، محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 128، الكويت، 1988.

عزاوي، عبد الرشيد وآخرون: أطلس الوطن العربي والعالم، دار الفكر، بيروت، ب. ت. ط.

عزب، خالد محمد: أسوار وقلعة صلاح الدين، مكتبة زهراء الشرق،د. ط، القاهرة، 2006.

العزيز، عبد الكريم علي: التشكيلات المركزية العثمانية والإدارة المحلية في اليمن (1850– 1818م)، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط 1، صنعاء، 2003.

العظم، نزيه مؤيد: رحلة في بلاد العربية السعيدة من مصر إلى صنعاء، منشورات المدينة، ط 2، بيروت، 1986.

العَمري، حسين عبد الله: الحضارة الإسلامية في اليمن، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 1993.

ــــــــ المنار واليمن (1315– 1354 هـ/ 1898– 1935م) دراسة ونصوص، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1987.

ــــــــ مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، دار الفكر، ط 1، دمشق، 1984.

ــــــــ تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين (922 – 1336هـ/ 1516 – 1918)، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط 2، دمشق، 2001.

العُمري، عبد الله خادم: اللُحية الأرض والإنسان، نسخة إلكترونية مقدمة للطباعة، منتدى العُمري للآداب وإحياء التراث، بيت الفَقيه، 2010.

ــــــــ قبيلة الزَّرانيق وبيت الفَقيه، نسخة إلكترونية مقدمة للطباعة، منتدى العُمري للآداب وإحياء التراث، بيت الفقيه، 2009.

الفريق الوطني اليمني: نتائج المسح السياحي في الفترة (1996– 1999م)، ج 5، محافظات أبين وعَدن والحُديدة، الهيئة العامة للسياحة، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، ط 1، 1999.

ففرييه، لوسيل: أحداث عشتها في اليمن، ترجمة خالد طه الخالد، دائرة التوجيه المعنوي للقوات المسلحة اليمنية، ط 1، صنعاء، 2005.

القاسمي، سلطان بن محمد: الاحتلال البريطاني لعدن 1839م، مطابع البيان التجارية، ط 1، دبي،1991.

كرزويل، ك: الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة: عبد الهدي عبلة، تعليق: أحمد عنان سبانو، دار قتيبه، ط 1، دمشق، 1984.

كيال، محمد عبده: الفقيه الذي لم ينصفه التاريخ (أحمد بن موسى بن عجيل)، وزارة الثقافة، صنعاء،2004.

لاروك، جان دي: أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة (1708 – 1710 و 1711– 1713م)، ترجمة منير عربش، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.

ماكرو، إيريك: اليمن والغرب منذ عام (1571م)، تعريب وتعليق حسين عبد الله العمري، دار الفكر العربي، دمشق، 1983.

مجموعة من الباحثين الليبيين: معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1،

المحرزي، صلاح الدين: الصمت الحائر وثورة اليمن، ب. د، القاهرة، 1998.

المسعودي، عبد العزيز قائد: معالم تاريخ اليمن المعاصر (القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية) 1905 – 1948م، مكتبة السنحاني، ط 1، صنعاء، 1992.

مقشر، عبد الودود قاسم: الزرانيق والحكم العثماني الثاني في اليمن، مركز ذؤال للتراث والدراسات التاريخية، ط 1، بيت الفقيه، 2008.

مكرد، عبد الواحد عثمان وآخرون: الدليل الزراعي لسهل تهامة، وزارة الزراعة والري، صنعاء، 1998.

ناجي، سلطان عبده: التاريخ العسكري لليمن (1839– 1967م)، دائرة التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة اليمنية، ط 3، صنعاء، 2004.

هانس، توركيل: من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة أحمد الرعدي، الهيئة العامة للكتاب، ط 1، صنعاء، 2001.

الويسي، حسين بن علي: اليمن الكبرى، ج 1، مكتبة الإرشاد، ط 2، صنعاء، 1991.

ثالثاً: المعاجم والموسوعات

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن حقبة: لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة – ب. ت. ط.

الباشا، حسن: الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، د. ط، القاهرة، 1978.

ـــــــ الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج 3، دار النهضة العربية، ب. ط، القاهرة، 1965.

بركات، مصطفى: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، د. ط، القاهرة، 2000.

الحجري، محمد بن احمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج 2، تحقيق وتصحيح إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، ط 2، صنعاء، 1996.

حلاق، حسان وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت، 1999.

الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1996.

دهمان، محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق – ط 1 1990.

الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، طبعة دائرة المعاجم، بيروت، 1986.

رزق، عاصم محمد: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط 1، القاهرة، 2000.

الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 31، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 1، الكويت، 2002.

الشهابي، قتيبة: معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الاسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، وزراه الثقافة، د. ط، دمشق، 1995.

صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (43)، الرياض، 2000.

الفيروزبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ج 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نسخه مصورة عن الطبعة الثالثة، القاهرة، 1980.

المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج 2، دار الكلمة، صنعاء، والمؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 2002.

ـــــــ معجم المدن والقبائل اليمنية، ج 2، دار الكلمة، صنعاء 1985.

المقري، أحمد بن محمد: المصباح المنير، طبعة مكتبة لبنان، بيروت، 1987.

الموسوعة اليمنية، 4 أجزاء، مؤسسة العفيف الثقافية، ط 2، صنعاء، 2002.

نوار، سامي محمد: مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء، ط 1، الاسكندرية، 2003.

رابعاً: الأبحاث والتقارير

الأكوع، إسماعيل بن علي: *"كلمات تركية مستعملة في اليمن"*، **مجلة الإكليل،** وزارة الإعلام والثقافة، السنة الثالثة، ع 1، صنعاء، 1985، ص 40 – 57.

آل كمال، سليمان بن صالح: *"تحصينات الطائف العسكرية خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين،* **مجلة الدارة**، ع 3، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2003، ص 121– 179.

إيدنز، كريستوفر و ويلكسون. ت .ج: *"جنوب شبة العربية في العصر الجيولوجي الحديث (الهولوسين): الاكتشافات الأثرية الأخيرة"* ، **دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات امريكية وكندية)**، ترجمة ياسين الخالصي ونهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، 2001، ص1– 96.

بازي، داود سالم: *"فنون العمارة التقليدية في زبيد"* ، بحث منشور في كتاب: **زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي** – المؤتمر العلمي الأول، كلية الآداب بجامعة الحديدة، 2002، ص 51–74.

بونافات، بول: *"أحياء زبيد: ملاحظات في التاريخ الاجتماعي"* ، **مجلة حوليات يمنية**، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2002، ص51 – 69.

تقرير الفريق الوطني للمسح الأثري: *"نتائج أعمال المسح الأثري لمحافظة تعز (الموسم الأول مديرية المخا)"* ، **الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية**، صنعاء، 2005، ص 1– 60.

تقرير الفريق الوطني لمكتب الآثار بمحافظة ذمار: *"تقرير المسح الأثري للموسم 2005"* ، **الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية**، صنعاء 2005، ملحق الصور.

الثور، أمة الملك إسماعيل: *"أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني (1873–1904م)"* ، بحث ألقي في **مؤتمر عدن الحضارة والتاريخ**، جامعة عدن (3– 5 إبريل 2007)، النسخة الالكترونية، ص 1– 38.

الجفري، جعفر: *"الأشجار المحلية المستوطنة ومساهمتها في توفير سبل العيش في المناطق الريفية في سهل تهامة"* ، ورقة عمل رقمية مقدمة إلى **الهيئة العامة لتطوير تهامة**، الحُديدة، ب. ت. ط.

ص 1- 60.

الجهيني، محمد محمود: *"العمارة الحربية في العصور الاسلامية"*، **مجلة المنهل**، دار المنهل للصحافة والنشر، ع 571، مج 61، (يناير / فبراير) جدة، 2001.

الحداد، عبد الله عبد السلام: *"الاستحكامات الحربية الإسلامية في اليمن"*، **مجلة المنهل**، ع 571، مج 61، جده، 2001.

الدراجي، سعد إبراهيم: *"القلاع العثمانية في برقة (1638 – 1912م)"*، بحث ضمن كتاب: **القلاع والتحصينات العسكرية والتأثيرات الفنية العثمانية**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2003، ص 35- 63.

رجب، غازي محمد: *"مظاهر حربية في العمارة العربية اليمنية*، **مجلة آداب المستنصرية**، ع 11، بغداد 1985، ص 587- 595.

الزَيلعي، أحمد بن عمر: *"بنو الزَيلعي العقيليون (أصحاب اللُحية) وانتشارهم في تهامة اليمن وجنوب غرب المملكة العربية السعودية"*، نسخة إلكترونية مقدمة **لمجلة المؤرخ العربي**، ع 12، مج 1، القاهرة، 2004، ص 1- 24.

السنباني، جابر علي: *"دراسة جيولوجية للمكون الثاني لإنشاء محمية بحرية في منطقة اللُحية ميدي (ساحل البحر الأحمر – الجمهورية اليمنية)"*، نسخة إلكترونية، مقدمة إلى **الهيئة العامة لحماية البيئة**، وزارة المياه والبيئة، صنعاء، 2004، ص 1- 51.

الشامي، فؤاد عبد الوهاب: *"التشكيلات العسكرية في ولاية اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني (1848- 1918م)"*، **مجلة الإكليل**، وزارة الثقافة، ع (35- 36) يناير- يونيو، صنعاء، 2010، ص 158- 169.

الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: *"نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال"* **مجلة الإكليل**، العدد 2، السنة 17، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1989، ص 34– 41.

الشيباني، عبد القادر: *"الحصون والقلاع في محافظة تعز من معاقل دفاعية إلى وظائف سياحية"*، **مؤتمر تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور**، تعز، (25 – 27 يوليو/ 2007)، النسخة الالكترونية، ص 1306– 1331.

العبسي، عبده ثابت: *"مدينة زبيد التاريخية بين الحفاظ والتنمية"*، **مؤتمر زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي**، كلية الآداب بجامعة الحُديدة، (14 – 17 ديسمبر/ 2002)، النسخة الإلكترونية، ص 80 – 100.

عثمان، محمد عبده: *"محافظة حَجة من خلال أعمال المسح الأثري"*، **حولية الآثار اليمنية**، ع 1، الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية، صنعاء، 2008، ص 101– 165.

عجيمي، هشام محمد علي: *"قلعة تبوك"*، **مجلة جامعة أم القرى**، السنة الأولى، ع 2، مكة، 1988، ص 131– 196.

علي، أحمد رجب محمد: *"طراز العمائر الحربية في منطقة الإمارات من القرن 17 – 19م"*، **حوليات مركز البحوث التاريخية**، كلية الآداب بجامعة القاهرة، الحولية 2، الرسالة 5، 2003، ص 7– 47.

لوندين، أ. ج: *"اليمن إبان القرن السادس بعد الميلاد"*، ترجمة محمد علي البحر، **مجلة الإكليل**، ع 2، السنة 7، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1989، ص 22– 33.

محمد، سعاد ماهر: *"الاستحكامات الحربية بسلطنة عمان"*، **مجلة الدارة**، ع 3، دارة الملك عبد العزيز، الرياض،1981، ص179– 225.

المعاضيدي، عبد القادر سلمان: *"تخطيط وخطط زبيد وتطورها العمراني"*، بحث ألقي في **مؤتمر زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي،** كلية الآداب بجامعة الحُديدة (14 – 17 ديسمبر/ 2002)، النسخة إلكترونية، ص 15- 37.

يوسف، شريف: *"القصور الأموية في بادية الشام"*، **مجلة المجمع العلمي العراقي،** مج 27، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1967.

خامساً: الرسائل الجامعية

الأغبري، فهمي علي: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد 1994.

الجبر، أمين محمد علي: نظام الرهائن في اليمن في عهد المملكة المتوكلية اليمانية (1918- 1962)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2005.

الحزمي، أحمد محمد أحمد: القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة زَبيد التاريخية كمنهج لتأصيل العمارة التراثية في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم العمارة بكلية الهندسة، جامعة الأزهر، 2000.

حنشور، أحمد إبراهيم: الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2007.

دويلة، يعقوب حسن: تهامة دراسة سياسية تاريخية (1832- 1872 م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2009.

الشامي، فؤاد عبد الوهاب: العلاقات بين الإدارة العثمانية والإمام يحيى 1322-1337هـ/ 1904-1918م، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2009.

الصفواني، صادق محمد: الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2002.

عجيمي، هشام محمد علي: قلاع الأزنم والوجه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة معمارية حضارية)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، 1986.

ــــــــ قلعة المويلح (دراسة معمارية حضارية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، 1983.

عزوان، علي عبد الله: الصراعات السياسية والتمردات القبلية في اليمن في النصف الأول من القرن الثامن عشر (111- 1163هـ/ 1700- 1750م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2007.

الفقيه، صالح أحمد: مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي (دراسة أثرية معمارية مقارنة)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الآثار بكلية الآداب، جامعة صنعاء،2011.

المداح، أميرة علي: المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، رسالة دكتوراه (غير منورة)، قسم التاريخ الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، 1985.

المصري، أحمد صالح: موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومعارض مع تحقيق مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام للمؤرخ محمد بن يحيى الزبيدي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2006.

المطاع، إبراهيم أحمد: جامع الإمام الهادي إلى الحق بمدينة صعدة، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة جنوب الوادي، مصر، 2000.

المطهر، نجوى عبد اللطيف: صراع القوي حول تهامة اليمن في الفترة (1818 – 1849م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2005.

منصوب، محمد حسن: الجهات الحيسية في العصر الرسولي (دراسة لأحوالها السياسية والاقتصادية الاجتماعية والفكرية) 626 ـ 858هـ/ 1228– 1454م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2008.

مكاوي هيفاء عبد القادر: "التحصينات العسكرية لمدينة عدن في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية– أثرية – معمارية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2007.

سادساً: المقابلات الشخصية

العبيدي، فضل: أحد أبناء مدينة حَيس، تاريخ المقابلة 10– 9– 2011.

قاسم، إبراهيم: إمام جامع الشيخ إسماعيل الحضرمي بمدينة الضِحي، تاريخ المقابلة 27 – 8 – 2012.

القديمي، أحمد عبد العزيز: أحد المسؤولين السابقين في مدينة الزُهرة، تاريخ المقابلة 10 – 7 – 2011.

المداني، محمد غالب: أحد كبار السن بمدينة الزَيدية، تاريخ المقابلة 29– 9– 2011.

سابعاً: المراجع الأجنبية

Bellin, J. N : Le petit atlas maritime, vol. III, Paris, 1764.

Durrani, Nadia: The Tihamah coastal plain of South - west Arabia in its regional context c. 6000 BC – AD 600, Archaeopress BAR S1456, Society for Arabian Studies Monographs No. 4, 2005.

Farah, Caesar: The Ottoman Forts and Castles of Yemen – a photographic and architectural analysis**,** Edwin Mellen press, United Kingdom, 2010.

Gajda, I: Himyar gagné par le monothéisme (IVe - VIe siècle de l'ère chrétienne)**,** Ambitions et ruine, d'un royame de l'Arabie méridionale antique, Vol. I-II, (PhD thesis), Aix – en, Provence, 1997.

Harris, Walter. B: Journey Through The Yemen And Some General – Remarks Upon That

Country (1893) , – W. Blackwood And Sons, Edinburgh And London, 1893.
Jamme, Albert: Sabaean inscriptions from mahram Biliqis (Marib), Publications the American Foundation for the Study of Man, vol. 3, Baltimore: Johns Hopkins Press, 1962.
Playfairs, R. L : History of Arabia Felix or Yemen, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, XLIX, 1859.

ثامناً: الويب غرافيا

الموسوعة العربية الإلكترونية (Arab Encyclopedia)، بواسطة الرابط:

– http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=134&m=1
بتاريخ 5- 8- 2013.

الملحـــــــق

أولاً: (أ) خريطة عامة لمواقع القلاع الباقية والمتهدمة

(ب) نموذج الاستمارة الميدانية المستخدمة في توثيق قلاع تهامة اليمن

ثانياً: جدول كرنولوجي لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة

تهامة اليمن خلال الفترة التاريخية (945- 1336هـ / 1538- 1918م)

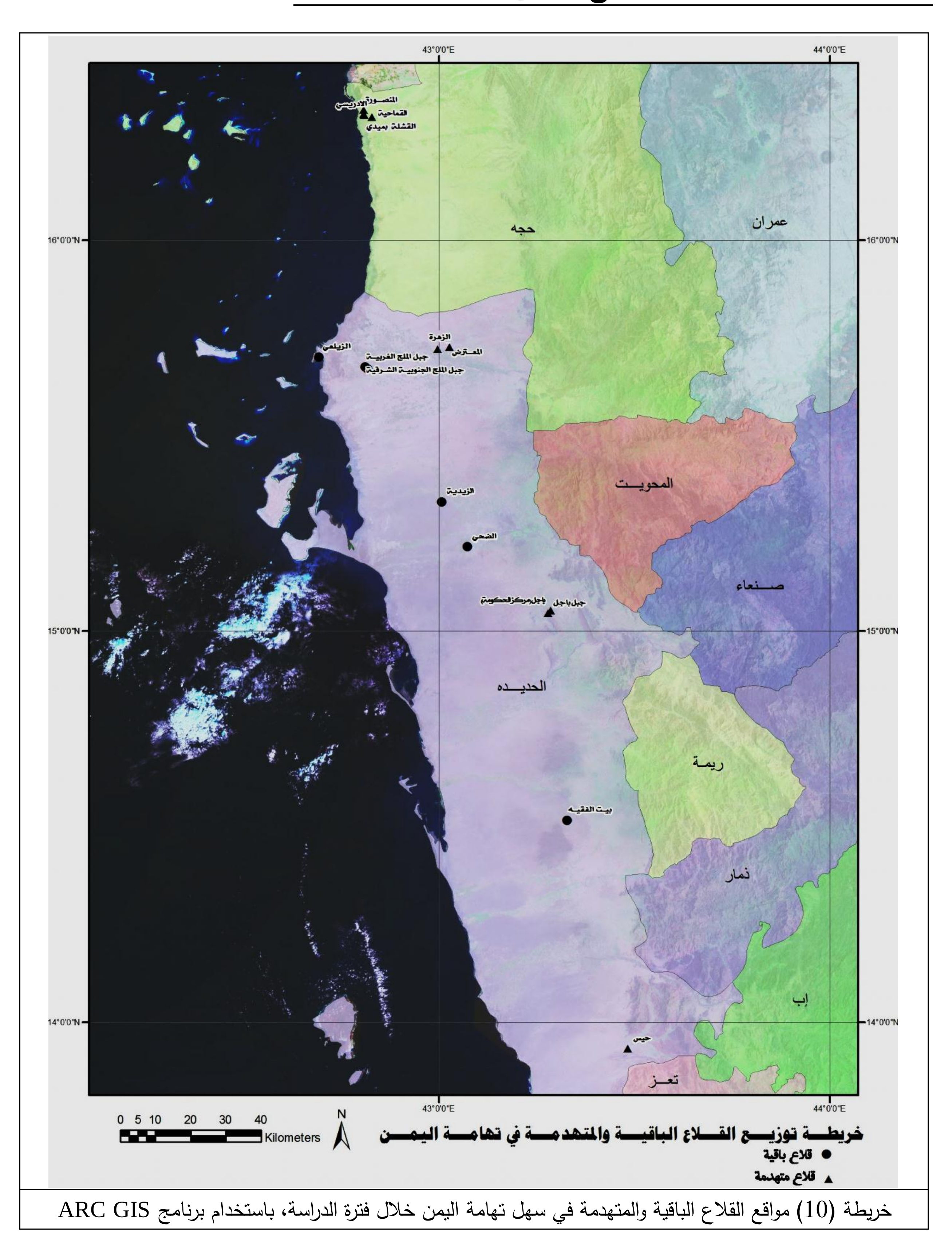
ثالثاً: المصطلحات والألقاب العثمانية

رابعاً: الألفاظ والمصطلحات المحلية

خامساً: فهارس الوثائق والجداول والخرائط والمخططات الهندسية

والأشكال التوضيحية واللوحات

أولاً: (أ) خريطة عامة لمواقع القلاع الباقية والمتهدمة



خريطة (10) مواقع القلاع الباقية والمتهدمة في سهل تهامة اليمن خلال فترة الدراسة، باستخدام برنامج ARC GIS

أولاً: (ب) نموذج الاستمارة الميدانية المستخدمة في توثيق قلاع تهامة اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ / / 20 م

الرقم الميداني:

مشروع أطروحة الدكتوراه في الآثار الاسلامية

استمارة توثيق القلاع الأثرية

المعلومات الإدارية:	المديرية	العزلة	القرية /المحلة

اسم القلعة	تسميات أخرى للقلعة	ملكية القلعة: خاص/عام
أقرب قرية للقلعة	أقرب مدينة للقلعة	أقرب وادي للقلعة

المعلومات الديموغرافية:(سكان/أهالي) في إطار الموقع:

المعلومات الجغرافية: إحداثيات القلعة في GPS ( )	رسم مسار □	رقم الخريطة:

الموقع على الخارطة :	E	N	الارتفاع م

حدود الموقع:	من الشرق	من الغرب	من الشمال	من الجنوب

طريقة الوصول للقلعة	السيارة	مشي	أقرب مسافة لوصول السيارة	

الوصف الطبيعي للموقع: (طبوغرافية الموقع)

أبعاد موقع القلعة تقريباً:

(رسم مبسط في الخلف للموقع وانتشار معالمه)

الغطاء النباتي:	مصدر المياه للقلعة:

المعلومات الأثرية :

التاريخ:		

وصف مبسط للقلعة: (البقية في الخلف)

أخطار تهدد القلعة	- **بشرية:** نبش- تخريب- طمس- طلاء- نقل أحجار- زحف عمراني- استصلاح زراعي -غيره يذكر
	- **طبيعية:** سيول- جرف تربة- زحف رملي- غيره يذكر
ملاحــــظات	

ملحقات توضيحية:	أرقام الصور	مخطط توضيحي	رسوم مرفقة
الملتقطات الأثرية:			

ثانياً: جدول كرنولوجي لأهم الأحداث التي مرت بها منطقة تهامة اليمن
خلال الفترة التاريخية (945- 1336هـ / 1538- 1918م)

الحدث التاريخي	الفترة التاريخية
الدخول العثماني الأول إلى اليمن	(945هـ / 1538م)
سيطرة الوالي أزدمر باشا على صنعاء	(955 - 960هـ / 1549 - 1554م)
وفاة الإمام المطهر بن شرف الدين	(980هـ / 1573م)
قيام الإمام المنصور القاسم بن محمد بدعوته	(1006هـ / 1598م)
خروج العثمانيين الأول من اليمن	(1045هـ / 1636م)
فترة حكم الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد	(1054- 1087هـ/ 1644- 1676م)
وفاة الإمام المتوكل اسماعيل وتولي ابنه الإمام المؤيد محمد مقاليد السلطة	(1092-1097هـ/ 1681- 1686م)
دخول العثمانيين الثاني إلى تهامة اليمن	(1265هـ / 1849م)
تخلي الحسن بن المتوكل عن ولاية تهامة	(1102هـ/1691م)
إعلان إمامة المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد	(1123هـ/ 1712م)
ولاية المنصور الحسين بن المتوكل القاسم	(1139- 1161هـ/ 1727- 1749م)
ضم منطقة تهامة تحت راية إسماعيل بن محمد بن إسحاق واخوته	(1139هـ / 1727م)
فترة حكم الإمام المهدي عباس	(1161- 1189هـ/ 1748- 1775م)
فترة حكم الإمام المنصور علي بن المهدي عباس- ضعف الدولة القاسمية	(1189- 1224هـ/1775- 1809م)
فترة توسع الشريف حمود بن محمد آل خيرات في تهامة	(1217 - 1232هـ / 1802 - 1817م)
هجوم جيش صالح العلفي أمير مدينة الحُديدة على مدينة الزَيدية	(1217هـ /1803م)
هجوم الشريف حمود على مدينة الحُديدة	(1221هـ / 1806م)
معركة الشريف حمود مع الدولة السعودية	(1224هـ / 1809م)

الحدث التاريخي	الفترة التاريخية
وفاة الإمام المنصور علي وقيام ابنه الإمام المتوكل أحمد	(1224هـ/1809م)
صلح ابن سعود مع الشريف حمود الخيراتي	(1226هـ / 1811م)
هجوم الشيخ يحيى علي سعد، على مدينة حَيس	(1227هـ/ 1812م)
عودة حكم الإمام المهدي عبد الله بن المتوكل لتهامة	(1234هـ / 1819م)
قصف القوات البحرية البريطانية لمدينة المخا	(1235هـ /1820م)
توغل علي بن مجثل منطقة تهامة	(1245هـ/ 1830م)
دخول جيش أمير عَسير وتركجة بيلمز مدينة الحديدة	(1248هـ / 1832م)
محمد علي باشا يرسل القائد إبراهيم باشا يكن حاكماً على تهامة	(1251 هـ / 1835م)
اتفاق بريطانيا مع الدولة العثمانية	(1254هـ / 1838م)
احتلال بريطانيا لمدينة عَدن	(1255هـ / 1839م)
انسحاب قوات محمد علي باشا من اليمن، وتسليم تهامة إلى الشريف الحسين بن علي الخيراتي	(1840م/ 1255هـ)
فترة حكم الشريف الحسين بن علي بن حيدر	(1254 - 1264هـ / 1838 - 1848م)
حملة الإمام المتوكل للسيطرة على تهامة	(1263هـ / 1847م)
صراع الشريف حسين الخيراتي مع إمام صنعاء المتوكل محمد بن يحي	(1261- 1263هـ/ 1846- 1848م)
الدخول الثاني للعثمانيين إلى اليمن	(1265هـ/ 1849م)
محاولة أمير عَسير السيطرة على تهامة	(1871- 1872م)
اتفاقية صلح دعان بين العثمانيين والإمام المتوكل يحي بن محمد بن يحي حميد الدين	(1328هـ/1911م)
حرب ايطاليا ضد الدولة العثمانية في البحر الأحمر	(1328هـ / 1911م)
بناء العثمانيون تحصينات دفاعية في المناطق الساحلية من تهامة	(1332 هـ / أكتوبر 1914م)

الحدث التاريخي	الفترة التاريخية
قيام محمد الادريسي بشن غاراته على الحاميات العسكرية العثمانية المتمركزة في تهامة	(1333هـ/1914م)
توقيع معاهدة بين الإدريسي والإنجليز	(1333هـ / 1915م)
العمليات الحربية الإنجليزية على المواقع العثمانية في ساحل البحر الأحمر وتهامة	(1333 - 1335هـ / 1915 - 1917م)
اتفاقية (موندروس) بين بريطانيا والدولة العثمانية	(1336هـ / 1918م)
دخول الأسطول الحربي الإنجليزي مدينة الحُديدة	(13- ديسمبر– 1918م/ 1336هـ)
تجمع القوات العثمانية في ميناء الحُديدة وخروجهم من اليمن	بداية عام (1919م/ 1337هـ)

ثالثاً: المصطلحات والألقاب العثمانية

اشتملت الدراسة على العديد من المصطلحات والألقاب العثمانية، ونظراً لأهميتها قمنا بترتيبها في ملحق خاص بها، على أن يتضمن المصطلح أو اللقب ما يقابله باللغة التركية الحديثة أو النطق العربي لها إن وجد، حسب ما ذكرته معاجم المصطلحات العثمانية، حيث تم إيرادها حسب الترتيب الهجائي للحروف العربية، وهي كالآتي:

آغا (Aga):

مصطلح من أصل فارسي ويعني السيد، استعمله الأتراك لدلالات كثيرة منها أنه كان يطلق على الضباط الأميين ومنها صاحب المنصب الكبير، وفي الفترة الأخيرة من العهد العثماني أصبح يطلق على الانسان الكريم صاحب المكانة العالية[1].

الأناضول (Anadolu):

تسمية أطلقت على شبه الجزيرة المستطيلة التي تتكون من (55.688 كم^2) على امتداد الغرب من قارة آسيا، وهي تشكل (97%) من أراضي تركيا في الوقت الحاضر. ويطلق اسم الأناضول اليوم على الأراضي التركية الواقعة في آسيا وكان يطلق في الماضي على وحدات إدارية صغيرة أحيانا ثم اتسع فاصبح علما على أراض شاسعة وتشمل المنطقة التي تعرف بآسيا الصغرى[2].

أوردو

وتعني الجيش أو ثكنة الجيش، كما تأتي لفظ أوردو مقرونة بـ (جي) وتطلق صاحب المهنة الذي خرج مع الجيش في المعركة. وفي اليمن حرفت كلمة أوردو التركية إلى العرضي وهي تحمل نفس المعنى[3].

1 - سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية – السلسلة الثالثة (43)، الرياض، 2000، 15 – 16.

2 - نفسه، ص 39.

3 - نفسه، ص 43. وأيضا: أمة الملك الثور: *"أهمية دور الحصون والقلاع في اليمن أثناء الحكم العثماني الثاني"*، ص 6.

أيالة (Eyalet)

هي تسمية لأكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى أيالات، والأيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى[1].

بك (Bey)

لفظ تركي قديم بمعنى الكبير وأصله مقصور من بيوك أي كبير، وكان شائع لدى الأتراك قبل إسلامهم، ويطلق على صاحب الأمر في أي موقع كان، فكان بك الإقليم هو حاكمه أو أميره، ويلاحظ أن استعمال (بك) كان يلحق بالاسم[2].

باشا (Pasa)

يقال أن أصلها فارسي ومعناها قدم الملك، وقيل أن أصلها تركي (باش) ومعناها رأس أو طرف أو قمة أو زعيم أو قائد، وقد استخدم كلقب عثماني أطلق على رتب عسكرية ومدنية متعددة. وصار هذا اللقب في عهد محمد علي باشا لقب فخري رسمي تقتضيه مكانة الشخص في المجتمع[3].

سراي (Saray)

تعني في الاستعمال العثماني مجموعة المباني المشيدة في القصر الامبراطوري من بلاط ومنازل لأعضاء الأسرة المالكة وموظفي شؤون القصر[4].

سلطان (Sultan)

لفظ مشتق من بعض مفردات القرآن التي تأتي بمعنى السلاطة والتمكن من القهر، وفي الاصطلاح السلطان لقب عربي وفارسي بمعنى الملك الذي يحكم في ولايته حكم الملوك يكون رئيساً للأمراء، وقد استخدم هذا اللقب في العصر العباسي واستمر حتى العصر العثماني[5].

---

1 – سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص 45.

2 – نفسه، ص 64. وأيضا: حسن الباشا: الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية ، د. ط، القاهرة، 1978، ص 225.

3 – مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، د. ط، القاهرة 2000، ص 82 و304.

4 – سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص 133.

5 – انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1996، ص 256. وأيضا: قتيبة الشهابي: معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الاسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، وزراه الثقافة، د. ط، دمشق 1995، ص 50.

سنجاق أو سنجق (Sancak)

معناها اللغوي: العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيراً عن ثقته بأنه أهل للحكم، ثم تطورت الدلالة فأصبحت تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة، وحلت محلها مؤخراً الكلمة العربية (لواء) للمعنى نفسه، أي قسم إداري[1].

طوبجية

الطوب لفظ تركي أصله توب، ومعناه: مدفع، والطوبجية هم رماة المدفعية[2]. وهذا المصطلح يعد من أحد المصطلحات الحربية التي دخلت إلى اليمن مع العثمانيين كغيرة من المصطلحات الحربية، وظل متداولاً أيضا بعد خروجهم من اليمن[3].

فرمان (Ferman)

هو الأمر السلطاني الرسمي المكتوب الصادر في قضية من القضايا[4].

قائم مقام (Kaimmekam)

هي رتبة عسكرية من رتب الجيش العثماني توازي رتبة العقيد وفق المصطلحات العسكرية المعاصرة، ولم تكن هذه الرتبة حكراً على العسكريين فقط، بل حصل عليها المدنيون أيضا[5].

قشلـة (Kisla)

قشلة وقشلا لفظ تركي محرف أصله التركي (قيش)، بمعنى الشتاء، والجمع قشلات، وهو معسكر شتوي، وقد أطلق في العصر العثماني على قلاع الجنود أو مراكزهم السكنية[6].

---

1 – سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص 136.

2 – مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 309.

3 – إسماعيل بن علي الأكوع: *"كلمات تركية مستعملة في اليمن"*، مجلة الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، السنة الثالثة – ع 1، 1985، ص 53.

4 – سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية" – ص 164.

5 – انظر: مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، ص 389. وأيضا: مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 346.

6 – محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، ط 1، 1990، ص 124.

قضاء

جمع قضاء أقضية أو قضاءات، وهو قسم إداري في الدولة العثمانية، ويأتي في الترتيب الإداري بعد السنجق[1]، ومنذ عودة العثمانيين إلى اليمن عام (1872م) وجد تقسيم القضاء إلى عدد من النَّواحي، التي تتقسم بدورها إلى عُزل، والعُزل إلى العديد من القرى[2].

لواء (Liva)

قسم إداري في الدولة العثمانية بين القضاء والولاية ويطلق عليه سنجق[3].

مشير (Musir)

كان لقباً من ألقاب الصدور العظام قديماً، ثم استخدم بعد عهد التنظيمات العثماني لقباً عسكرياً كما هو مستخدم الآن في العالم العربي وهو أعلى رتبة عسكرية[4].

متصرف (Mutasarif)

لقب أطلق على الموظف الذي يتولى شؤون قسم إداري كبير من أقسام الولاية العثمانية يسمى (متصرفية)، وقد استخدم في عهد التنظيمات العثماني[5].

مندروس (Mondros Atlasmasi)

الاسم الذي اطلق على الهدنة التي عقدت بين الدولة العثمانية وبين دول الائتلاف الغالبة في 30 أكتوبر 1918م، عقب الحرب العالمية الأولى[6].

نظارة (Nezaret)

مصطلح متطور من ناظر: ومعناه وظيفة أو مرتبة، استحدث في العصر الأيوبي، وعد صاحبها من أرباب الوظائف الدينية، والنُّظار وفق هذا المعنى كثيرون منهم ناظر الأحباس وناظر دار الضرب

---

1 – سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص 136.

2 – عبد الكريم العزيز: التشكيلات المركزية العثمانية والإدارة المحلية في اليمن (1850– 1818م)، ص 237.

3 – سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص 136.

4 – نفسه، ص 209.

5 – نفسه، ص 200.

6 – نفسه، ص 218 – 219.

وناظر البيمارستان وغيرها. وفي العصر العثماني تطور هذا المصطلح ليصبح منسوباً إلى نظارة بمعنى وزارة، فكان للدولة وفق التنظيمات العثمانية الجديدة عدة نظارات كنظارة التعليم والحربية وغيرها[1].

والـي

يطلق هذا اللفظ عادة على أمير القطر وحاكمه، والمصدر منه ولاية بمعنى الامارة. وقد عرفت هذه الوظيفة منذ صدر الاسلام ، اذ جرت العادة أن ينيب الخلفاء عنهم في حكم الأقطار الاسلامية أو الولايات التابعة لهم ولاة كانوا يعرفون بالأمراء والعمال[2].

وزير

في اللغة: حبأ الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه، وهو مشتق من الوزر، وهو الثقل، لأن الوزير يحمل أعباء الدولة. وفي الاصطلاح: وظيفة هامة ليست من مستحدثات المسلمين، حيث عرفها الفرس وبنو اسرائيل وغيرهم من الأمم. وبدأ استخدام كلمة وزارة ابتداء من العصر الأموي واستمر هذا اللقب حتى العصر العثماني، فكان لقب الوزير الأعظم من جملة الألقاب التي عرف بها الصدر الأعظم، قبل صدور التنظيمات الجديدة، ومن ثم أصبح ضمن أجهزة الدولة عدة مناصب تحت اسم وزير حينما اتجهت الامبراطورية العثمانية نحو تحديث مؤسساتها عند بداية القرن التاسع عشر الميلادي[3].

اليوزباشي

إحدى الرتب العسكرية التي تأتي في الدرجة الخامسة من سلم الرتب التي كانت مستخدمة لدى الجيش العثماني، ويكون حاملها قائداً لفرقة عسكرية لا تقل عن مئة جندي[4].

1 – مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 49 – 50.

2 – حسن الباشا: الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج 3، دار النهضة العربية، ب. ط، القاهرة، 1965، ص 1309. وأيضا: مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، ص 71.

3 – مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 439 – 441.

4 – حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، ط ، بيروت، 1999، ص 235.

رابعاً: الألفاظ والمصطلحات المحلية

تضمنت الدراسة عدداً من الألفاظ والمصطلحات المحلية، البعض منها سميت بها بعض مواد البناء، والبعض الآخر أطلقت على أسلوب البناء وعناصره المعمارية، بالإضافة إلى تسميات خاصة بالتشكيلات الزخرفية التي زينت بها واجهات المنشآت. والعديد من هذه الألفاظ والمصطلحات اختصت بها منطقة تهامة عن غيرها من المناطق اليمنية، والبعض منها أيضا اشتركت في تسمياتها مع أغلب المناطق اليمنية، ونوردها مرتبة بحسب حروف الهجاء كالآتي:

أسرا:

الواحد منها سرو، وهو لفظ يطلق على نوع من الأخشاب يبلغ طوله ما بين (10 إلى 12) ذراعاً، وكان يستخرج من بعض الأشجار المعروفة باسم الضرح، وهو نوع جيد مقاوم لدودة النمل الأبيض، كان يتم جلبه من منطقة ريمه – الجبلية المحاذية لسهل تهامة – بكميات كثيرة[1].

الأُسطى:

يطلق هذا المصطلح على معلم البناء (المعمار) في كثير من المناطق اليمنية ومنها سهل تهامة[2].

الألأل:

هي مادة تشبه العلف وتتواجد بالقرب من ساحل البحر[3].

بَكَرة:

المقصود بها العجلة التي يلتف حولها الحبل لسحب الدلو الممتلئ بالماء. وقد عرَّفها ابن منظور بقوله: بَكْرَةُ البئر: ما يستقى عليها، وجمعها بَكَرٌ، وينقل عن ابن سيده قوله: البَكْرَةُ والبَكَرَةُ لغتان للتي

1 – داود سالم بازي: *"فنون العمارة التقليدية في زبيد"*، بحث مقدم لمؤتمر: زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي، المؤتمر العلمي الأول، كلية الآداب بجامعة الحديدة ، 2002، النسخة الالكترونية، ص 72. وأيضا: صالح الفقيه: مساجد مدينة زبيد حتى نهاية العصر الأيوبي (دراسة أثرية معمارية مقارنة)، ملحق المصطلحات المحلية (2)، ص 248.

2 – داود بازي: نفسه، ص 60.

3 – محمد الحزمي: القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة زبيد التاريخية ..، ص 59.

يستقى عليها، وهي خشبة مستديرة في وسطها مَحْزٌّ للحبل وفي جوفها مِحْوَرٌ تدور عليه؛ وقيل: هي المَحَالَةُ السَّريعة[1].

سقاية:

السقاية هي الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها[2]، وكل ما يساعد على استخدام الماء للسقي، كما يطلق مسمى السقاية كذلك على أماكن تجمع الماء[3]. وفي المصطلح الأثري يقصد بها أسبلة الماء الصغيرة[4].

السلسلة:

حلية زخرفية بارزة من الآجر، قوامها شريط أفقي مستطيل به أشكال معينات مترابطة مع بعضها على هيئة السلسلة، وتعرف عند المهندسين المعماريين باسم الزنجير[5].

شَرانيف:

هي تسمية محلية للعنصر المعماري الشرافات[6]، ومفردها شرفة، ويطلق عليها أيضا شراريف، وقد استخدمت للدلالة على ما يوضع في أعالي مختلف العمائر الأثرية الاسلامية، وفي العمارة الحربية تعتبر إحدى العناصر المعمارية الدفاعية، والتي كانت تبنى على أبعاد متقاربة في أعلى المباني ليحتمي المدافعون ورائها[7].

ضلوع:

قيل للعُود الذي فيه انحناء، وهي تشبيه لأضلاع صدر الإنسان[8]. والمقصود بالضلوع في المصطلح المعماري المحلي هي الأخشاب الرقيقة التي تستخدم في عملية بناء السقف المسطح، حيث

1 – ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار المعارف، مج 1/ باب الباء، ص 334 – 335.

2 – نفسه، مج 3/ باب السين، ص 2043.

3 – سامي محمد نوار: مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء، ط 1، الاسكندرية، 2003، ص 96.

4 – صالح الفقيه: مساجد مدينة زبيد، ملحق المصطلحات المحلية (2)، ص 249.

5 – نفسه. وأيضا: أحمد الحزمي: القيم الجمالية، ص89.

6– داود بازي: *فنون العمارة التقليدية في زبيد*"، ص73.

7 – سامي نوار: مصطلحات العمارة الاسلامية، ص 104. وعاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، ص 161 – 162.

8 – انظر: ابن منظور: لسان العرب، مج 4/ باب الضاد، ص 2599.

تمتد بشكل عرضي على الأخشاب الممتدة طولياً، إما على شكل مثلثات أو مربعات وفقاً لذوق المعمار[1].

طاقة:

هي عبارة عن دخلة عميقة في جدار الحجرة، وتستخدم لوضع بعض الأدوات والأغراض من أجل حفظها[2]. كما يطلق لفظ طاقة في منطقة تهامة على النافذة التي تخترق الجدار كما في أغلب المناطق اليمنية.

الظهارة والبطانة:

الظهارة والبطانة من الأساليب البنائية التي استخدمت مادة الأحجار في منطقة تهامة على نطاق محدود. ويقصد بالظهارة الوجه الخارجي للجدار، الذي كان المعماريون يحرصون على الاعتناء به في غالب الأحيان لأنه يعتبر الجزء المرئي في البناء، وبحسب مقاومة الحجر لعملية التشذيب، بعكس البطانة التي تمثل الوجه الداخلي للجدار.

عريش:

هي المسكن التقليدي في منطقة تهامة، التي يطلق عليها أيضا بـ (العشة)، وتبنى عادة من عيدان القصب وسعف النخيل، ويتم بناء حائطها بشكل دائري تغلفه أحياناً عجينة الطين، أما سقفها فعلى هيئة قبة قطاعها الرأسي يتخذ شكل القوس أو العقد المدبب. وهناك العديد من الأساليب المتبعة في بناء العريش (العشة)، وكذلك عملية تغطية جدرانها ومواد زخرفتها.

الفرخ

هو باب صغير يفتح في أحد مصراعي الأبواب الخشبية الكبيرة، ويسمى عند النجارين باسم الفرخ أو الأوسط، وهو لا يسمح بدخول أكثر من شخص واحد في الوقت نفسه. ويسمح هذا الباب بضيقه وارتفاعه الذي يساوي قامة إنسان وأحياناً أقل بالتحكم في المدخل مع بقاء الباب الكبير مغلقاً. وهذا

---

1 – داود بازي: *"فنون العمارة التقليدية في زبيد"*، ص73. وأيضا: صالح الفقيه: مساجد مدينة زبيد، ملحق المصطلحات المحلية (2)، ص 250.

2 – داود بازي: نفسه، ص58.

الأخير مثبت بقوة في الجدار بمغالق خشبية قوية لا يفتح إلا وقت الحاجة مثل دخول الجنود وإدخال المعدات الحربية كالمدافع وغيرها[1].

القضاض

هو خليط من مادة الجير (النورة) والماء والرمل (النيس) والحصى، يتم خلطها بطريقة معينة، وتستمر لعدة أيام ثم تكسى بها السقوف أو الأرضيات وأحياناً الجدران، وتطرق لعدة ساعات حتى لا تترك أي فراغات تتخللها، ثم تدلك بأدوات خاصة وتطلى بعدها بطبقة رقيقة من الشحم ومخ الحيوانات لمنع تسرب المياه، ومع استمرار التدليك يصبح السطح ناعماً وأكثر مقاومة للظروف المحيطة به. وقد استخدمت في اليمن على نطاق واسع سواء في فترة ما قبل الإسلام أو الفترة الإسلامية وخاصة في المنشآت المائية[2].

مَرنع

المرنع، مصطلح محلي يطلق على المنحدر الذي يتقدم حافة البئر لمسافة تساوي عمق البئر، وفائدته هي تقليل الجهد المبذول في سحب الحبل المستخدم في نزع دلو الماء من عمق البئر أو عند سحب المادة الطينية والحجرية أثناء حفر البئر أو تنظيفها[3].

المثنى والقفل

يقصد بالمثني وضع قالبين من الآجر بجوار بعضهما في المدماك، يليهما القفل وهو قالب طويل بعرض القالبين السابقين يوضع بعدهما، ثم يليه قالبان مماثلان للقالبين السابقين. وفي المدماك الثاني يتم وضع القالبين فوق القفل وطرفي القوالب المجاورة للقفل، في حين يوضع القفل في هذا المدماك فوق القالبين السفليين "المثني" وهكذا حتى يتم البناء[4].

---

1 – انظر: جميت وبولس بونفان: فن الزخرفة الخشبية في صنعاء، المركز الفرنسي بصنعاء والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، 1996، ص 50.

2 – انظر: مطهر الإرياني: *"مادة القضاض"*، الموسوعة اليمنية، ج 2، ص 770.

3 – انظر: أحمد محمد الحاضري: فن وهندسة البناء الصنعاني، الهيئة العامة للكتاب، ط 1، صنعاء، 2006، ص 57.

4 – عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 366.

النورة الكدري

النورة مادة كيميائية (هايدروكسيد الكالسيوم)، والجذر منها نُور: بمعنى السطوع والبياض[1]. والكدر نقيض الصفاء، والكدرة من الألوان: ما نحا نحو السَّوادِ والغُبرة[2].

وتعد النورة من المواد البنائية المحلية المستخدمة في منطقة تهامة، وهي تتكون من مادة كلسية تشبه الجص تعرف بالخرشاب أو الكلس أو الجير الحي. وهذا النوع من النورة يعرف باسم نورة كدري نسبة إلى الكدر، وهو قليل البياض أو أبيض فيه نوع من العتمة، ويكون في الغالب ظاهراً على سطح الأرض على هيئة عروق، وقد تمتد لعمق كبير ولا تكون على هيئة صخور شديدة الصلابة بل تتميز بعدم تماسكها، حيث يمكن تفتيتها عن طريق الضغط عليها باليد، كما تتميز بقلة بياض لونها. وبعد استخراجها من مواقعها تحرق في الفرن ثم تترك لتبرد، ثم يضاف إليها الماء والنيس (الرمل حالياً) لتستخدم في مونة البناء فيما يستخدم به الاسمنت الحالي، أما إذا طليت بها الجدران فلا يضاف لها النيس[3].

نوبة:

يُعرف البرج في كثير من المناطق اليمنية ومنها في سهل تهامة باسم (النوبة)[4]، ويبدو أن كلمة نوبة مشتقة من الجذر نوب – (ناب) عنهُ يَنوبُ (مَناباً) أي قَام مَقامَهُ[5]. وهي من التناوب على شيء، ونظراً لتناوب الجند على الحراسة في البرج فقد سمي نوبة[6].

1 – انظر: ابن منظور: لسان العرب، مج 5 / ج 2، باب الكاف، ص 3834.

2– محمد الرازي: مختار الصحاح، باب الكاف، ص 335.

3 - انظر: عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، ص 369 – 370.

4 – نفسه، ص 338.

5 – محمد الرازي: مختار الصحاح، باب النون، ص 285.

6 – عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية، ص 338.

خامساً: فهارس الوثائق والجداول والخرائط والمخططات الهندسية والأشكال التوضيحية واللوحات

فهرس الوثائق

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	ترميم قلاع اليمن عام (1566م)، منشورة في كتاب: اليمن في العهد العثماني	86
2	بناء قلعة في منطقة اللُحية عام (1869م)، منشورة في كتاب: اليمن في العهد العثماني	87

فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	خصائص تضاريس منطقة سهل تهامة	18
2	أهم الأودية التي تخترق سهل تهامة	20
3	أبرز الأشجار الموجودة في تهامة	22
4	أسماء بعض مدن تهامة والشخصيات المنسوبة إليها	27
5	أهم مدن تهامة الواقعة في جهة الساحل	29 - 30
6	أهم مدن تهامة الواقعة في جهة الداخل	30- 31
7	أبرز القبائل التهامية وأماكن استيطانها	31 - 32
8	أبرز الأئمة الزَيديين المعاصرين للحكم العثماني الأول	40
9	أسماء الولاة العثمانيين في فترة الحكم العثماني الأول	41
10	أسماء الأئمة والدعاة من بيت القاسم حتى دخول العثمانيين إلى اليمن للمرة الثانية	58
11	أبرز أمراء آل خيرات الذين حكموا منطقة تهامة خلال فترة الدولة القاسمية	58
12	الولاة العثمانيين في منطقة تهامة بولاية اليمن (1264- 1289هـ/ 1848- 1872م) عن فؤاد الشامي	69- 70
13	قائمة بالولاة العثمانيين في اليمن (الفترة الثانية بعد دخول صنعاء)	70
14	يبين تعاقب العهود السياسية في منطقة تهامة خلال فترة الدراسة	71
15، 16، 17، 18	القلاع المُندرسة في سهل تهامة اليمن خلال فترة الدراسة	91 – 94 95 –97

فهرس الخرائط

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	سهل تهامة اليمن وأهم مدنه الرئيسية	17
2	أهم الأودية التي تخترق سهل تهامة	21
3	توزيع القبائل في مدن تهامة اليمن خلال فترة الدراسة	33
4	توسعات محمد علي باشا في تهامة، عن (يعقوب دوبلة)	59
5	مواقع أغلب القلاع والحصون اليمنية الواردة في متن الفصل الثالث من القسم الأول	76
6	مدينة المخا موضح بها القلعتان الشمالية والجنوبية، نشرها (Bellin) عام (1764م).	92
7	مدينة المخا عام (1763م) موضح بها القلعتان الشمالية والجنوبية، رسمها نيبور.	92
8	الجزء الجنوبي من سهل تهامة ومضيق باب المندب، باستخدام برنامج google earth	98
9	جزء من سهل تهامة اليمني يتضمن موقع قريتي الصليف وابن عباس، باستخدام برنامج google earth	98
10	مواقع القلاع الباقية والمتهدمة في منطقة سهل تهامة اليمن خلال فترة الدراسة	489

فهرس المخططات الهندسية (المساقط الأفقية)

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	المسقط الأفقي العام (قلعة بيت الفَقيه)	111
2	الطابق الأرضي (قلعة بيت الفَقيه)	116
3	الطابق الأول (قلعة بيت الفَقيه)	117
4	الطابق الأرضي لكتلة البوابة الرئيسية (قلعة بيت الفقيه)	122
5	الطابق الأول لكتلة البوابة الرئيسية (قلعة بيت الفقيه)	122
6	الطابق الأرضي في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	125
7	الطابق الأول في البرج الجنوبي الغربي (قلعة بيت الفقيه)	126
8	الطابق الثاني البرج الجنوبي الغربي (قلعة بيت الفقيه)	126
9	الطابق الأخير من البرج الجنوبي الغربي (المرقب) (قلعة بيت الفقيه)	127
10	برج الصِديقية في سور مدينة زبيد، عن [عبد الله الحداد]	129
11	البرج الشمالي الغربي (قلعة بيت الفقيه)	130
12	مرقب برج المدفع (قلعة بيت الفقيه)	131
13	الطابق الأرضي من البرج الشمالي الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	133
14	الطابق الأول من البرج الشمالي الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	133
15	الطابق الثاني من البرج الشمالي الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	133
16	الطابق الأرضي من البرج الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	136

17	الطابق الأول من البرج الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	136
18	الطابق الثاني من البرج الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	137
19	الطابق الثالث (المَرقب) في البرج الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	137
20	حجرة المراقبة الجنوبية الغربية (قلعة بيت الفقيه)	138
21	الطابق الأرضي لدار الإمام أحمد (قلعة بيت الفقيه)	143
22	الطابق الأول لدار الإمام أحمد (قلعة بيت الفقيه)	145
23	دار الضيافة بقلعة زَبيد [عن عبد الله الحداد]	146
24	الطابق الثاني من دار الإمام أحمد (قلعة بيت الفقيه)	147
25	مطبخ دار الإمام (قلعة بيت الفقيه)	148
26	الحجرة الشمالية لسكن الجند (قلعة بيت الفقيه)	149
27	الحجرة الغربية لسكن الجند (قلعة بيت الفقيه)	150
28	مسجد قلعة بيت الفقيه (قلعة بيت الفقيه)	152
29	البئر وحوض الماء والسقاية (قلعة بيت الفقيه)	160
30	المسقط الأفقي العام (قلعة الضِحي)	167
31	الطابق الأرضي (قلعة الضِحي)	171
32	الطابق الأول (قلعة الضِحي)	172
33	الطابق الأرضي لكتلة البوابة الرئيسية (قلعة الضِحي)	174
34	الطابق الأرضي في البرج الشمالي الشرقي (قلعة الضِحي)	176
35	الطابق الأول في البرج الشمالي الشرقي (قلعة الضِحي)	176
36	الطابق الأرضي في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضِحي)	179
37	المستوى الأول في الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضِحي)	179
38	المستوى الثاني في الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضِحي)	179
39	الطابق الثاني في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضحي)	180
40	الطابق الأخير (المرقب) في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضحي)	181
41	الطابق الأرضي لحجرتي الجند (مكتب الواجبات الزَّكوية حالياً)	186
42	التوزيع العام للوحدات المعمارية (قلعة الزَيدية)	198
43	الطابق الأرضي (قلعة الزَيدية)	199
44	الطابق الأول (قلعة الزَيدية)	200
45	قلعة مدينة زَبيد [عن عبد الله الحداد نقلا عن البعثة الكندية]	203
46	حصن الحويلة المندثر بقَطر [عن محمود خضراوي نقلا عن وزارة الإعلام والسياحة القَطرية والبعثة الفرنسية للآثار في قَطر]	204
47	قلعة ضبا السعودية – عن [هشام عجيمي]	204
48	قلعة القيقب الليبية عن [سعد الدراجي]	204

49	قلعة الجاهلي الإماراتية عن [أحمد رجب]	204
50	الطابق الأرضي لكتلة البوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)	209
51	الطابق الأول لكتلة البوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)	209
52	كتلة البوابة الرئيسية في قلعة زَبيد عن [عبد الله الحداد]	213
53	البرج الشمالي الشرقي (برج المدافع) (قلعة الزَيدية)	216
54	الطابق الأرضي في البرج الشمالي (قلعة الزَيدية)	219
55	الطابق الأول في البرج الشمالي (قلعة الزَيدية)	219
56	الطابق الثاني في البرج الشمالي (قلعة الزَيدية)	219
57	الطابق الأرضي للبرج الشمالي الغربي (قلعة الزَيدية)	221
58	الطابق الأول في البرج الشمالي الغربي (قلعة الزَيدية)	221
59	الطابق الأول في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الزَيدية)	224
60	الطابق الأرضي لدار العامل، والبرج الشمالي، والبرج الأول في البوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)	227
61	الطابق الأول لدار العامل، والبرج الشمالي، والبرج الأول في لبوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)	228
62	الطابق الثاني لدار العامل، والبرج الشمالي، والبرج الأول للبوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)	228
63	الطابق الأرضي للسجن (قلعة الزَيدية)	232
64	الطابق الأول لحجرات الشُرطة والواجبات الزَّكوية (قلعة الزَيدية)	232
65	الطابق الأرضي للمرافق الجنوبية (قلعة الزَيدية)	232
66	الطابق الأول للمرافق الجنوبية (قلعة الزَيدية)	233
67	التوزيع العام لمرافق القلعة (قلعة الزَيلعي)	256
68	الطابق الأرضي (قلعة الزَيلعي)	260
69	الطابق الأول (قلعة الزَيلعي)	261
70	الطابق الأرضي في البرج الغربي (قلعة الزَيلعي)	264
71	الطابق العلوي في البرج الغربي (قلعة الزَيلعي)	265
72	البرج الشرقي (قلعة الزَيلعي)	266
73	البرج الجنوبي (قلعة الزَيلعي)	268
74	المرقب الشرقي (قلعة الزَيلعي)	269
75	ساحة المدافع الشمالية (قلعة الزَيلعي)	271
76	ساحة المدافع الجنوبية (قلعة الزَيلعي)	275
77	المرقب الجنوبي بساحة المدافع الجنوبية (قلعة الزَيلعي)	276
78	المدخل الرئيسي للقلعة (قلعة الزَيلعي)	278
79	الطابق الأرضي للقسم الشمالي (قلعة الزَيلعي)	281
80	الطابق الأول لحجرات القسم الشمالي (قلعة الزَيلعي)	281

81	الطابق الأرضي لحجرات القسم الثاني (قلعة الزَيلعي)	290
82	الطابق الأول للحجرتين (Q – O) (قلعة الزَيلعي)	295
83	المسقط الأفقي العام (القلعة الغربية بجبل الملح)	306
84	كتلة البوابة (القلعة الغربية بجبل الملح)	311
85	الطابق الأرضي للحجرتين والسلم الصاعد (القلعة الغربية بجبل الملح)	313
86	الطابق الأرضي للحجرة الصغرى والسلم (القلعة الغربية بجبل الملح)	315
87	الطابق الأول من الحجرة الصغرى والسلم الملتصق بها (القلعة الغربية بجبل الملح)	315
88	ساحة المدافع (القلعة الغربية بجبل الملح)	316
89	المرقب الجنوبي الشرقي (القلعة الغربية بجبل الملح)	319
90	المسقط الأفقي العام (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	324
91	البوابة والطابق الأرضي لبرج المراقبة (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	331
92	الطابق الأول من برج المراقبة (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	332
93	الطابق الثالث من برج المراقبة (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	332
94	الطابق الأرضي من حجرة الجند الجنوبية (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	334
95	الطابق الأرضي من الحجرة الشمالية (حجرة التخزين) (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	335
96	الطابق الأول من الحجرة الشمالية (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	336
97	ساحة المدافع (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	338
98	المرقب الشمالي الشرقي (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	339
99	المسقط الأفقي العام الراهن (قلعة حَيس)	350
100	المسقط الأفقي العام المقترح للقلعة قبل تهدم مرافقها (قلعة حيس)	359
101	المسقط الأفقي العام الراهن (قلعة الزُهرة)	367
102	المسقط الأفقي العام للقلعة قبل تهدم وحداتها (قلعة الزُهرة)	368
103	المسقط الأفقي الراهن لحجرات الطابق الأرضي (قلعة الزُهرة)	372
104	برج المدافع (قلعة الزُهرة)	378
105	المسقط الأفقي للطابق الأرضي (قلعة المُعترض)	386
106	المسقط الأفقي العام (قلعة القُفل بحرض) عن [Caesar E. Farah]	386
107	المسقط الأفقي العام المقترح لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل حسب وصف الأجانب	415
108	المسقط الأفقي الراهن للطابق الأرضي (قلعة دار الحكومة بمدينة باجِل)	418
109	المسقط الأفقي العام لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل قبل تهدم أغلب وحداتها	419
110	المسقط الأفقي العام الأولي لبقايا قلعة الدولة (القشلة) بمدينة مِيدي	434
111	المسقط الأفقي العام للطابق الأرضي (قلعة القُماحية بميدي)	438
112	المسقط الأفقي للطابق الأول في البرج الجنوبي (قلعة القُماحية بميدي)	447

113	المسقط الأفقي العام الراهن لبقايا قلعة الادريسي بميدي	452
114	تصور مقترح للمسقط الأفقي المفترض لقلعة الادريسي قبل تهدمها	454
115	المسقط الأفقي العام الراهن (قلعة المنصورة بميدي)	457

فهرس الأشكال التوضيحية

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	رسم بياني يبين التصنيف الكرنولوجي للقلاع المُندرسة في منطقة سهل تهامة حسب ذكرها في المصادر والمراجع التاريخية خلال فترة الدراسة	99
2	رسم بياني يوضح توزيع القلاع المُندرسة في منطقة سهل تهامة خلال فترة الدراسة من خلال المصادر والمراجع التاريخية	99
3	الواجهة الرئيسية لكتلة المدخل الرئيسي من الخارج (قلعة بيت الفقيه)	120
4	تفريغ لذروة الجدار الساتر لكتلة المدخل (قلعة بيت الفقيه)	121
5	الواجهة الخارجية لعنصر السَّقاطة (قلعة بيت الفقيه)	126
6	الواجهة الغربية لبرج المدفع (قلعة بيت الفقيه)	129
7	تفريغ للعناصر الدفاعية في الطابق الأول من البرج الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	136
8	تفريغ للعناصر الدفاعية التي تتخلل الجدار الساتر في الطابق الثاني من البرج الشرقي (قلعة بيت الفقيه)	137
9	تفريغ لزخارف كوشة محراب الفناء الجنوبي بالمسجد (قلعة بيت الفقيه)	154
10	تفريغ للأشكال الدفاعية والزخرفية في الجدار الساتر لبيت الصلاة في المسجد (قلعة بيت الفقيه)	154
11	تفريغ لمحراب بيت الصلاة في المسجد (قلعة بيت الفقيه)	155
12	تفريغ للعناصر الزخرفية في واجهة المدخل الشرقي للفناء الجنوبي بالمسجد (قلعة بيت الفقيه)	157
13	تفريغ لنص كتابي يؤرخ عمارة بركة المسجد (قلعة بيت الفقيه)	157
14	تفريغ للشريط الهندسي الأول في الواجهة الشمالية (قلعة الضحي)	169
15	تفريغ للشريط الهندسي العلوي في الواجهة الشمالية (قلعة الضحي)	169
16	رسم توضيحي للعناصر الدفاعية في الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي لقلعة الضحي	180
17	رسم توضيحي للعناصر الدفاعية في جدار البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضحي)	180
18	مقطع جانبي للعنصر الدفاعي السَّقاطة (قلعة الضحي)	180
19	الواجهة الشمالية لبرج المدافع (قلعة الزَيدية)	215
20	رسم توضيحي للعنصر الدفاعي (السقاطة) من الخارج (برج المدافع – قلعة الزيدية)	215
21	مقطع رأسي توضيحي للعنصر الدفاعي (السقاطة) (برج المدافع – قلعة الزيدية)	215
22	الجدار الساتر لبرج المدافع وعناصره الدفاعية (قلعة الزَيدية)	217
23	رسم توضيحي لواجهة البرج الشمالي الغربي (قلعة الزَيدية)	220
24	الواجهة الجنوبية للبرج الجنوبي الشرقي (قلعة الزَيدية)	224

25	مقطع رأسي للبرج الجنوبي الشرقي (قلعة الزَيدية)	224
26	تفريغ للتكوينات الزخرفية في الواجهة الشمالية لحجرات الضيافة وحجرات سكن الجند (قلعة الزَيدية)	235
27	رسم تفصيلي للواجهة الشمالية من حجرات سكن الجند (قلعة الزَيدية)	238
28	رسم توضيحي لطريقة بناء الواجهات الخارجية للجدران (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	253
29	رسم توضيحي للجزء الداخلي من الجدران (مقطع رأسي – قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	253
30	رسم توضيحي للواجهة الغربية (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	258
31	رسم توضيحي للواجهة الشرقية (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	259
32	واجهة البرج الغربي (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	263
33	مقطع رأسي للبرج الغربي (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	263
34	الواجهة الجنوبية للبرج الجنوبي المطل على ساحة المدافع الجنوبية (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	267
35	رسم توضيحي للمرقب الشرقي (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	269
36	فتحات المدافع والبنادق في الجدار الشمالي لساحة المدافع الشمالية (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	272
37	رسم توضيحي لفتحات إطلاق قذائف المدافع (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	275
38	جزء من الواجهة الداخلية لجدار الفناء الشمالي (قلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية)	279
39	تفريغ لزخارف أحد الأعتاب الخشبية في الطابق العلوي في القسم الشمالي (قلعة الزَيلعي باللُحية)	282
40	رسم توضيحي للعناصر الدفاعية في ساحة المدافع (قلعة جبل الملح الغربية)	317
41	رسم توضيحي للواجهة الخارجية لبوابة القلعة والبرج المطل عليها (قلعة جبل الملح الجنوبية الشرقية)	331
42	الواجهة الغربية للمرقب الشمالي الشرقي (قلعة جبل الملح الجنوبية الشرقية)	339
43	أسلوب البناء (قلعة حَيس)	349
44	الواجهة الشمالية (قلعة حَيس)	352
45	الواجهة الشمالية الغربية لبرج المدافع (قلعة الزُهرة)	378
46	التكوينات الزخرفية، الشريط المكون من علامة الجمع (+) في الواجهة الجنوبية (قلعة المعترض)	389
47	الشريط الثاني في الواجهة الجنوبية أشكال المثلثات والمربعات (قلعة المعترض)	389
48	الأشكال الثمانية في واجهة البوابة (قلعة المعترض)	390
49	الأشكال الثمانية في واجهة الجامع الكبير بمدينة زَبيد عن (صالح الفقيه)	390
50	الشريط الزخرفي السفلي في الطابق الأول من الواجهة الشرقية (قلعة المعترض)	392
51	الشرط الزخرفي العلوي في الطابق الأول من الواجهة الشرقية (قلعة المعترض)	393
52	الشريط الزخرفي السفلي في الواجهة الجنوبية للحجرة العلوية في الجهة الجنوبية (قلعة المعترض)	399
53	الشريط الزخرفي العلوي في الواجهة الجنوبية للحجرة العلوية في الجهة الجنوبية (قلعة المعترض)	399
54	رسم توضيحي لواجهة إحدى حجرات الجهة الجنوبية (قلعة دار الحكومة بباجل)	425

فهرس اللوحات (الصور واللوحات المرسومة)

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	مجمع الدفاع (العرضي بصنعاء) القَشلة الأولى الغربية بعد الإنشاء عام (1312هـ/ 1894م) عن المُرشد التاريخي للعُرضي	85
2	مجمع الدفاع (العرضي بصنعاء) القَشلة الرابعة أثناء الافتتاح عام (1318هـ/ 1900م) عن المُرشد التاريخي للعُرضي	85
3	معركة حربية في حصن كَوكبان عن (Caesar E. Farah) نقلاً عن مجموعة (Rumuzi) تصاوير عن حصون اليمن في القرن السابع عشر	88
4	موقع قلعة الطَّيار (القلعة الشمالية) في ساحل مدينة المخا	92
5	المبنى الحديث لقلعة الكُورنيش (اليمانية) بمدينة الحُديدة	93
6	صورة جوية لجانب من مدينة الحُديدة، وموضح عليها موقع حي ومقبرة الصِّديقية (المنطقة المقترحة لموقع قلعة الصِّديقية)، باستخدام برنامجي google earth و microsoft powerpoint	93
7	موقع قلعة القناوص	96
8	قلعة الحالي عام (1907م)، عن هيرمان بورشارت	96
9	صورة جوية لموقع قلعة بيت الفَقيه – باستخدام برنامج google earth	102
10	مدينة بيت الفَقيه وعلى الطرف الأيسر منها القلعة (رسم باورينفايند - عام 1763م)	107
11	قلعة بيت الفَقيه عام (1855 - 1856م) عن (بارتولدي)	108
12	الواجهة الغربية (الرئيسية) (قلعة بيت الفقيه)	112
13	الواجهة الشمالية (قلعة بيت الفقيه)	113
14	الواجهة الشرقية (قلعة بيت الفقيه)	114
15	الواجهة الجنوبية للقلعة (قلعة بيت الفقيه)	114
16	كتلة المدخل الرئيسي (قلعة بيت الفَقيه)	119
17	الواجهة الداخلية لباب القرتب بمدينة زَبيد [عن أحمد الحزمي]	119
18	واجهة كتلة البوابة الرئيسية المطلة على الفناء (قلعة بيت الفَقيه)	121
19	حجرة حراسة المدخل الرئيسي (قلعة بيت الفَقيه)	123
20	البرج الجنوبي الغربي (قلعة بيت الفَقيه)	125
21	مدخل الطابق الأرضي في البرج الجنوبي الغربي (قلعة بيت الفَقيه)	126
22	العناصر الدفاعية في الجدار الداخلي للطابق الأول من البرج الجنوبي الغربي (قلعة بيت الفَقيه)	126
23	العناصر الدفاعية في الجدار الساتر للطابق الثاني من البرج الجنوبي الغربي (قلعة بيت الفَقيه)	126
24	مرقب البرج الجنوبي الغربي (قلعة بيت الفَقيه)	127
25	البرج الشمالي الغربي (قلعة بيت الفَقيه)	129
26	برج الصِديقية في سور مدينة زبيد عن (عبد الله الحداد)	129

27	البرج الشمالي الغربي (قلعة بيت الفَقيه)	130
28	مرقب برج المدفع (قلعة بيت الفَقيه)	131
29	البرج الشمالي الشرقي (قلعة بيت الفَقيه)	133
30	الطابق الثاني والمرقب في البرج الشمالي الشرقي (قلعة بيت الفَقيه)	133
31	البرج الشرقي (قلعة بيت الفَقيه)	136
32	الطابق الأرضي في البرج الشرقي (قلعة بيت الفَقيه)	136
33	العناصر الدفاعية في الطابق الأول من البرج الشرقي (قلعة بيت الفَقيه)	136
34	العناصر الدفاعية في الجدار الساتر بالطابق الثاني من البرج الشرقي (قلعة بيت الفَقيه)	137
35	الواجهة الخارجية لحجرة المراقبة الجنوبية الغربية (قلعة بيت الفَقيه)	138
36	حجرة المراقبة الجنوبية الغربية (قلعة بيت الفَقيه)	139
37	دار الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين (قلعة بيت الفَقيه)	141
38	الطابق الأرضي في دار الامام أحمد (قلعة بيت الفَقيه)	143
39	الطابق الأول في دار الامام أحمد (قلعة بيت الفَقيه)	145
40	دار الحكومة بقلعة زَبيد	146
41	جزء من الجدار الساتر في سطح دار الإمام (قلعة بيت الفَقيه)	147
42	حجرة الطابق الثاني من دار الإمام (قلعة بيت الفَقيه)	147
43	الحجرة الشمالية لسكن الجند (قلعة بيت الفَقيه)	150
44	أشكال المزاغل وفتحات التهوية في الجدار الشمالي للحجرة الشمالية لسكن الجند (قلعة بيت الفَقيه)	150
45	الواجهة الجنوبية الخارجية لبيت الصلاة (قلعة بيت الفَقيه)	154
46	محراب الفناء الجنوبي بمسجد القلعة (قلعة بيت الفَقيه)	154
47	الواجهة الشمالية الداخلية لبيت الصلاة (قلعة بيت الفَقيه)	155
48	فتحات الرماية (المزاغل) في الجدار الجنوبي لفناء المسجد (قلعة بيت الفَقيه)	157
49	بركة المسجد (قلعة بيت الفَقيه)	157
50	أماكن الوضوء والبركة (قلعة بيت الفَقيه)	158
51	البئر والسقاية الملحقة بها (قلعة بيت الفَقيه)	160
52	فوهة البئر وجدارها الداخلي (قلعة بيت الفَقيه)	160
53	بئر قلعة زبيد بمدينة زبيد	160
54	مطبخ القلعة (قلعة بيت الفَقيه)	161
55	صورة جوية لمدينة الضِحي مبين عليها موقع القلعة، باستخدام برنامج google earth	163
65	صورة جوية لقلعة الضِحي، باستخدام برنامج google earth	164
57	قلعة الضِحي قبل ترميمها عام (2006م)، عن [إسماعيل الأكوع]	166
58	الواجهة الشمالية (الرئيسية) (قلعة الضِحي)	168

59	الواجهة الشرقية وبطرفيها البرجين الدفاعيين (قلعة الضِحي)	169
60	الواجهة الغربية (قلعة الضِحي)	170
61	البوابة الرئيسية (قلعة الضِحي)	174
62	صورة قديمة لباب مُشْرِف بمدينة الحُديدة	175
63	باب مُشْرِف بمدينة الحُديدة (صورة حديثة)	175
64	جانب من الواجهة الشرقية (قلعة الضِحي)	176
65	الطابق الثاني للبرج الشمالي الشرقي – الجدار الساتر، (قلعة الضِحي)	177
66	البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضِحي)	179
67	الطابق الأرضي في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضِحي)	179
68	العناصر الدفاعية في جدار الطابق الأول من البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضِحي)	180
69	الجدار الساتر في الطابق الثاني من البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الضِحي)	180
70	الجدار الساتر في الطابق الثاني، والطابق الأخير (المرقب) (قلعة الضِحي)	181
71	البرج الجنوبي الغربي (قلعة الضِحي)	182
72	البرج الشمالي الغربي (قلعة الضِحي)	182
73	الواجهة الجنوبية للمرافق الشمالية من جهة الفناء (قلعة الضِحي)	184
74	الطابق الثاني في المرافق الشمالية – الجدار الساتر (قلعة الضِحي)	185
75	حجرتي سكن الجند (مكتب الواجبات الزَّكوية) (قلعة الضِحي)	186
76	الطابق الأول لحجرات الجند – الجدارين الساترين (قلعة الضِحي)	186
77	صورة جوية لقلعة الزَيدية – باستخدام برنامج google earth	188
78	صورة عامة لجميع وحدات القلعة (قلعة الزَيدية)	188
79	الواجهة الخارجية الشرقية (قلعة الزَيدية)	205
80	الواجهة الخارجية الغربية (قلعة الزَيدية)	206
81	برجي البوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)	210
82	النطاق المكشوف في كتلة البوابة (قلعة الزَيدية)	210
83	المدخل الرئيسي للقلعة وحجرة دركاة البوابة الرئيسية (قلعة الزَيدية)	211
84	الباب الخارجي لدركاة البوابة الرئيسية وتعلوه فتحتي السقاطة (قلعة الزَيدية)	211
85	مدخل البوابة الرئيسية المطل على الفناء (قلعة الزَيدية)	211
86	البوابة الرئيسية الشمالية في قلعة زَبيد (محافظة الحديدة)	213
87	البوابة الجنوبية الشرقية في سور مدينة ثُلا (محافظة عمران)	213
88	البوابة الشمالية لقرية عَيشان المحصَّنة (محافظة ذمار)	213
89	البرج الشمالي الشرقي (برج المدافع) – (قلعة الزَيدية)	214
90	الطريق الصاعد إلى برج المدافع (قلعة الزَيدية)	217

91	الساحة الداخلية لبرج المدافع (قلعة الزَيدية)	217
92	البرج الشمالي والواجهة الشمالية للقلعة (قلعة الزَيدية)	218
93	البرج الشمالي (قلعة الزَيدية)	219
94	البرج الشمالي الغربي (قلعة الزَيدية)	220
95	الطابق الأرضي في البرج الشمالي الغربي (قلعة الزَيدية)	221
96	الطابق الأول في البرج الشمالي الغربي (قلعة الزَيدية)	221
97	البرج الجنوبي الشرقي والسور الشرقي (قلعة الزَيدية)	224
98	مدخل البرج الجنوبي الشرقي والدرج الصاعد إليه (قلعة الزَيدية)	224
99	سقف الطابق الأرضي وفتحة الصعود إلى الطابق العلوي الأول في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الزَيدية)	225
100	النص الكتابي المدون في جدار الطابق الأول في البرج الجنوبي الشرقي (قلعة الزَيدية)	225
101	دار العامل (قلعة الزَيدية)	227
102	فناء السجن وحجراته الشمالية، وحجرتي الشُرطة وحجرة الواجبات الزَّكوية (قلعة الزَيدية)	231
103	الواجهة الشمالية لحجرات الضيافة وحجرات سكن الجند (قلعة الزَيدية)	235
104	حجرة الضيافة الواسعة في الطابق العلوي (قلعة الزَيدية)	235
105	الواجهة الخارجية الجنوبية للمرافق الجنوبية (قلعة الزَيدية)	237
106	الكتلة البارزة في الواجهة الخارجية الجنوبية للمرافق الجنوبية (قلعة الزَيدية)	237
107	الواجهة الشمالية لحجرات التخزين وحجرات سكن الجند (قلعة الزَيدية)	238
108	الحجرة الثانية (C) من حجرات سكن الجند في المرافق الجنوبية (قلعة الزَيدية)	239
109	الحجرة الثانية لخزن الحبوب (C) في المرافق الجنوبية (قلعة الزَيدية)	240
110	سطح حجرات مخازن الحبوب والمراحيض المطلة عليها من الجهة الغربية (قلعة الزَيدية)	241
111	ملاقف الهواء في سطح مخازن الحبوب بقلعة زَبيد [عن عبد الله الحداد]	241
112	موقع البرج الجنوبي الغربي (قلعة الزَيدية)	242
113	الجانب الغربي من الواجهة الجنوبية (قلعة الزَيدية)	242
114	المسجد الحديث في قلعة الزَيدية	243
115	موقع مدينة اللُحية وقلعة الزَيلعي – باستخدام برنامج google earth	245
116	صورة عامة لقلعة الزَيلعي بمدينة اللُحية	246
117	الواجهة الغربية (لقلعة الزَيلعي)	258
118	الواجهة الشرقية (قلعة الزَيلعي)	259
119	البرج الغربي المطل على المدخل الرئيسي (قلعة الزَيلعي)	263
120	مدخل الطابق الأرضي من البرج الغربي (قلعة الزَيلعي)	263
121	الطابق الأرضي للبرج الغربي من الداخل (قلعة الزَيلعي)	264
122	مصطبة جلوس الجندي المكلف بالحراسة في الطابق العلوي من البرج الغربي (قلعة الزَيلعي)	265

123	البرج الشرقي من الخارج (قلعة الزَيلعي)	266
124	البرج الشرقي من الداخل (قلعة الزَيلعي)	266
125	العناصر الدفاعية في البرج الشرقي (قلعة الزَيلعي)	266
126	البرج الجنوبي المطل على ساحة المدافع الجنوبية (قلعة الزَيلعي)	267
127	البرج الجنوبي من الداخل (قلعة الزَيلعي)	268
128	المرقب الشرقي (قلعة الزَيلعي)	269
129	المرقب الشرقي من الداخل (قلعة الزَيلعي)	269
130	ساحة المدافع الشمالية (قلعة الزَيلعي)	271
131	ساحة المدافع الجنوبية (قلعة الزَيلعي)	274
132	فتحات إطلاق قذائف المدفعية في ساحة المدافع الجنوبية (قلعة الزَيلعي)	275
133	سطح البرج الجنوبي بقلعة صِيرة في مدينة عدن، ومثبت في أرضيته قاعدة مدفع، عن [هيفاء مكاوي]	276
134	المدخل الرئيسي لقلعة الزَيلعي (قلعة الزَيلعي)	277
135	المدخل الرئيسي من الداخل والجدار الغربي للفناء الشمالي (قلعة الزَيلعي)	278
136	حجرات القسم الشمالي (قلعة الزَيلعي)	282
137	عتب خشبي يعلو أحد مداخل حجرات الطابق العلوي في القسم الشمالي (قلعة الزَيلعي)	282
138	سطح حجرات القسم الشمالي (قلعة الزَيلعي)	282
139	الحجرة (E) المطلة على الفناء (قلعة الزَيلعي)	283
140	الفناء الشمالي والدركاة المطلة عليه والدرج الصاعد المؤدي إلى سطح الحجرة (D) (قلعة الزَيلعي)	283
141	الدرج المؤدي إلى حجرة التخزين (قلعة الزَيلعي)	285
142	حجرة التخزين (قلعة الزَيلعي)	286
143	الحجرة المقباة بحصن اللِّسي بذمار عن [هيئة الآثار والمتاحف اليمنية]	286
144	أسطح بعض الحجرات الأرضية المقباة في قلعة القاهرة بتعز	287
145	الجدار الشرقي للفناء الجنوبي وبه المدخل الثانوي (قلعة الزَيلعي)	288
146	فتحات الرماية (المزاغل) في الجدار الغربي للفناء الجنوبي (قلعة الزَيلعي)	288
147	فوهة بركة الماء والساقيتان المتصلة بها (قلعة الزَيلعي)	289
148	الحجرة (J) (قلعة الزَيلعي)	291
149	الحجرة (k) (قلعة الزَيلعي)	291
150	الحجرة (L) (قلعة الزَيلعي)	292
151	الحجرة (M) (قلعة الزَيلعي)	292
152	الحجرات الجنوبية المطلة على الفناء الجنوبي (قلعة الزَيلعي)	294
153	فتحات الرماية (المزاغل) في الحجرة (O) (قلعة الزَيلعي)	294
154	المرحاض الملحق بالحجرات الجنوبية (قلعة الزَيلعي)	294

155	سقف الطابق الأول في (O) (قلعة الزَيلعي)	296
156	صورة جوية لجبل الملح باستخدام برنامج google earth	299
157	الهضبة الجبلية الشمالية الشرقية بجبل الملح، بأعلاها مبنى المراقبة، وبأسفلها مستودع الملح الجنوبي	299
158	مبنى المراقبة الشمالي الشرقي (القاضية) (جبل الملح)	300
159	مستودع الملح الشمالي (جبل الملح)	300
160	صورة جوية للقلعة الغربية بجبل الملح – باستخدام برنامج google earthe	304
161	برج المراقبة الشمالي (الهضبة الغربية بجبل الملح)	305
162	برج المراقبة الغربي (الهضبة الغربية بجبل الملح)	305
163	الواجهة الشرقية (القلعة الغربية بجبل الملح)	307
164	الواجهة الشمالية (القلعة الغربية بجبل الملح)	308
165	الواجهة الغربية (القلعة الغربية بجبل الملح)	308
166	الواجهتان الجنوبية والشرقية (القلعة الغربية بجبل الملح)	309
167	الوحدات المعمارية الجنوبية الشرقية (القلعة الغربية بجبل الملح)	310
168	الواجهة الخارجية الشرقية لكتلة البوابة (القلعة الغربية بجبل الملح)	311
169	الواجهة الداخلية لكتلة البوابة من جهة الفناء (القلعة الغربية بجبل الملح)	311
170	دركاة البوابة (القلعة الغربية بجبل الملح)	312
171	الحجرة الكبيرة من الداخل (القلعة الغربية بجبل الملح)	313
172	الواجهتان الجنوبية والغربية للحجرة الصغيرة، والواجهة الجنوبية للسلم الصاعد من الخارج (القلعة الغربية بجبل الملح)	314
173	طوابق الحجرة الصغيرة من الداخل (القلعة الغربية بجبل الملح)	314
174	الواجهة الشمالية للحجرة الصغيرة والسلم الصاعد (القلعة الغربية بجبل الملح)	315
175	ساحة المدافع (القلعة الغربية بجبل الملح)	317
176	المدفع المتبقي في القلعة (القلعة الغربية بجبل الملح)	317
177	المرقب الجنوبي الشرقي المطل على البوابة (القلعة الغربية بجبل الملح)	319
178	المرقب الجنوبي الشرقي المطل على بوابة القلعة من الداخل (القلعة الغربية بجبل الملح)	319
179	المرقب الجنوبي (القلعة الغربية بجبل الملح)	320
180	المرقب الشمالي (القلعة الغربية بجبل الملح)	320
181	صهريج حفظ الماء وتخزينه (القلعة الغربية بجبل الملح)	321
182	خزان حفظ وتخزين الماء بحي المطراق في مدينة الحُديدة (القلعة الغربية بجبل الملح)	322
183	صورة جوية للقلعة الجنوبية الشرقية في جبل الملح	323
184	الواجهة الشمالية (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	326
185	الواجهة الجنوبية لحجرة الجند الشمالية وبرج المراقبة (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	327
186	جدران سور القلعة في الواجهة الجنوبية (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	327

187	الوحدات المعمارية في القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح	328
188	فتحات الرماية بالبنادق (المزاغل) في جدار السور (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	329
189	بوابة القلعة والبرج المطل عليها (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	330
190	بوابة القلعة وبرج المراقبة (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	331
191	حجرة الجند الجنوبية (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	333
192	الواجهة الجنوبية لحجرة الجند والتخزين (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	336
193	الواجهة الشرقية لحجرة الجند والتخزين (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	336
194	الطابق الأول في الحجرة الشمالية (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	336
195	ساحة المدافع (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	338
196	الجدار الخارجي للمرقب الشمالي الشرقي (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	340
197	المرقب الشمالي الشرقي من جهة ساحة المدافع (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	340
198	صهريج حفظ وتخزين الماء (القلعة الجنوبية الشرقية بجبل الملح)	340
199	صورة جوية لمدينة حَيس مبين عليها موقع القلعة – باستخدام برنامج google earth	343
200	صورة جوية لموقع قلعة حَيس – باستخدام برنامج google earth	344
201	بعض المواد المستخدمة في البناء (قلعة حَيس)	348
202	أسلوب بناء الجدران (قلعة حَيس)	348
203	أسلوب البناء (قلعة حَيس)	349
204	بقايا الواجهة الشمالية (قلعة حَيس)	351
205	الواجهة الشرقية (قلعة حَيس)	351
206	الواجهة الشرقية لقلعة حَيس تتوسطها البوابة، عن (عبد الله الحداد)	351
207	الجدار المتبقي من الواجهة الغربية (قلعة حَيس)	354
208	الوحدات المعمارية الداخلية المتهدمة (قلعة حَيس)	355
209	بقايا الجزء الشرقي من قلعة حيس، عن (المركز العسكري اليمني للتوثيق)	355
210	البرج الشمالي الغربي وإلى جواره المبنى الحكومي الحديث (قلعة حَيس)	357
211	البرج الجنوبي الغربي (قلعة حَيس)	357
212	المكونات المعمارية للبرج الشمالي الغربي (قلعة حَيس)	358
213	صورة جوية لمدينة الزُهرة مبين عليها موقع قلعة الزُهرة – باستخدام برنامج google earth	361
214	الجهة الجنوبية الشرقية (قلعة الزُهرة)	365
215	الجهة الجنوبية الغربية (قلعة الزُهرة)	365
216	صوره جوية لقلعة الزُهرة، باستخدام برنامج google earth	367
217	موقع المدخل المتهدم (قلعة الزُهرة)	369
218	الواجهة الغربية قبل تهدم بقية جدارها الخارجي، التقطت الصورة عام 2010 (قلعة الزُهرة)	370

219	الواجهة الشمالية ويظهر في طرفها الأيسر الكتلة البارزة (قلعة الزُهرة)	370
220	الواجهة الجنوبية (قلعة الزُهرة)	371
221	مسجد القلعة (حديث البناء) (قلعة الزُهرة)	371
222	الحجرات الشمالية، التقطت الصورة عام 2010 (قلعة الزُهرة)	373
223	الجانب الشرقي من الحجرات الشمالية المتهدمة، التقطت الصورة عام 2012 (قلعة الزُهرة)	374
224	الواجهة الشمالية للحجرات الجنوبية المطلة على فناء القلعة (قلعة الزُهرة)	375
225	الجانب الغربي من الحجرات الجنوبية المطلة على الفناء (قلعة الزُهرة)	375
226	حجرات الجهة الشرقية وجانب من حجرات الجهة الشمالية (قلعة الزُهرة)	376
227	برج المدافع من الخارج، التقطت الصورة عام 2010 (قلعة الزُهرة)	378
228	برج المدافع من الخارج، التقطت الصورة عام 2012 (قلعة الزُهرة)	379
229	برج المدافع من الداخل (قلعة الزُهرة)	379
230	صورة جوية لقرية المُعترض مبين عليها موقع القلعة، باستخدام برنامج google earth	381
231	صورة جوية لموقع قلعة المُعترض، باستخدام برنامج google earth	382
232	قلعة القُفل بفج حرض، عن [المركز العسكري اليمني للتوثيق]	387
233	الواجهة الجنوبية – كتلة المدخل (قلعة المُعترض)	389
234	الواجهة الجنوبية – السلم الصاعد (قلعة المُعترض)	389
235	الشكلان الثمانيان بجانبي أعلى عقد مدخل المدرسة الجبرتية بمدينة زبيد	390
236	الواجهة الشرقية (قلعة المُعترض)	392
237	الأشرطة الزخرفية في الواجهة الشرقية (قلعة المُعترض)	392
238	الواجهة الشمالية (قلعة المُعترض)	393
239	الواجهة الشرقية (قلعة المُعترض)	394
240	السقاطة المغيبة بباطن عقد المدخل (قلعة المُعترض)	396
241	السقاطات المغيبة أعلى عقد مدخل باب سهام في سور مدينة زبيد، عن [عبد الله الحداد]	396
242	المدخل المطل على الفناء والحجرة العلوية لكتلة البوابة (قلعة المُعترض)	396
243	سقف الطابق الأرضي لكتلة البوابة (قلعة المُعترض)	396
244	الواجهة الشمالية للمرافق الجنوبية (قلعة المُعترض)	399
245	الحجرة المجاورة للبوابة (قلعة المُعترض)	399
246	الواجهة الشمالية للحجرة العلوية (قلعة المُعترض)	399
247	الواجهة الغربية للحجرات الشرقية المطلة على الفناء (قلعة المُعترض)	401
248	وحدات القلعة الشرقية والشمالية (قلعة المُعترض)	401
249	الواجهة الجنوبية للحجرات الشمالية المطلة على الفناء (قلعة المُعترض)	403
250	فتحات الحجرات الشمالية المطلة على الفناء (قلعة المُعترض)	404

251	الحجرات الشمالية من الداخل (قلعة المُعترض)	404
252	الحجرة الشمالية الغربية المتهدمة (قلعة المُعترض)	404
253	الجدار الساتر لإحدى الحجرات (قلعة المُعترض)	405
254	صورة جوية لمدينة باجِل موضح عليها موقع القلعتين – باستخدام برنامج googel earth	407
255	بوابة قلعة باجِل (دار الحكومة)، عن (قناة روسيا اليوم)	413
256	صورة جوية لقلعة جبل باجِل، باستخدام برنامج (wikimapia)	416
257	صورة عامة لقلعة جبل باجِل	416
258	صورة جوية لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل، التقطت عام 2010م، باستخدام برنامج google earth	417
259	صورة جوية لقلعة دار الحكومة بمدينة باجِل، التقطت عام 2013م، باستخدام برنامج google earth	418
260	الواجهة الغربية (قلعة دار الحكومة بباجل)	420
261	المنطقة الوسطى من الواجهة الجنوبية (قلعة دار الحكومة بباجِل)	420
262	بقايا البرج الدفاعي (قلعة دار الحكومة بباجِل)	421
263	قلعة دار الحكومة من الداخل (مدينة باجل)	422
264	واجهة حجرات الجهة الغربية المطلة على الفناء (قلعة دار الحكومة بباجِل)	423
265	المدخل الغربي (قلعة دار الحكومة بمدينة باجِل)	423
266	واجهة إحدى حجرات الجهة الجنوبية (قلعة دار الحكومة بمدينة باجِل)	425
267	الواجهة الشمالية للجامع الكبير بمدينة باجِل القديمة	426
268	واجهة المدخل الخامس الشرقي بالجامع الكبير في مدينة زبيد، عن [صالح الفقيه]	426
269	واجهة أحد المنازل بمدينة زبيد، عن [أحمد الحزمي]	426
270	صفوف من دخلات حفظ الأمتعة في إحدى الحجرات (قلعة دار الحكومة بمدينة باجِل)	427
271	صورة جوية لمدينة مِيدي موضح عليها مواقع القلاع، باستخدام برنامج google earth	431
272	موقع قلعتي الدولة (القشلة) والإدريسي في مدينة مِيدي، باستخدام برنامج google earth	432
273	بقايا جدران قلعة الدولة (القشلة) بمدينة ميدي	433
274	صورة جوية لبقايا قلعة الدولة (القشلة)، باستخدام برنامج google earth	434
275	بقايا برج المدخل، قلعة الدولة (القشلة) بميدي	435
276	الفناء الشمالي (قلعة الدولة – القشلة – بميدي)	435
277	الارتباك المعماري في بناء جدران قلعة الدولة (القشلة) بميدي	435
278	صورة جوية لقلعة القُماحية بمِيدي، باستخدام برنامج google earth	437
279	الواجهة الشمالية (الرئيسية)، (قلعة القُماحية بمِيدي)	439
280	الواجهة الشرقية (قلعة القُماحية بمِيدي)	439
281	الواجهة الجنوبية (قلعة القُماحية بمِيدي)	440
282	الواجهة الغربية (قلعة القُماحية بمِيدي)	440

283	قلعة القُماحية بمدينة مِيدي، عن [الهيئة العامة للآثار اليمنية]	441
284	الواجهة الجنوبية للرواق الذي يتقدم حجرتي الجند (قلعة القُماحية بمِيدي)	442
285	الواجهة الشرقية لبقايا المدخل والرواق الذي يتقدم حجرتي الجند (قلعة القُماحية بمِيدي)	442
286	الوضع الراهن للبرج الشمالي الشرقي من الخارج (قلعة القُماحية بمِيدي)	443
287	البرج الشمالي الشرقي من الخارج، قبل تهدم فتحات إطلاق المدافع بشكل نهائي	444
288	البرج الشمالي الشرقي من الداخل (قلعة القُماحية بمِيدي)	444
289	البرج الجنوبي من جهة الفناء (قلعة القُماحية بمِيدي)	445
290	العناصر الدفاعية في جدار الطابق الأول والثاني من البرج الجنوبي (قلعة القُماحية بمِيدي)	446
291	آثار الدرج الصاعد إلى الطابق الأول والثاني في البرج الجنوبي (قلعة القُماحية بمِيدي)	446
292	برج العمودي في مدينة المخا (قلعة القُماحية بمِيدي)	448
293	صور جوية لمدينة مِيدي مبين عليها مواقع القلاع القريبة من الساحل، باستخدام برنامج google earth	450
294	صورة جوية لبقايا قلعة الإدريسي بمدينة ميدي، باستخدام برنامج google earth	451
295	بقايا البرج الجنوبي الشرقي والجدار الخارجي المتصل به (قلعة الإدريسي بميدي)	453
296	بقايا البرج الجنوبي الغربي (قلعة الإدريسي بميدي)	453
297	صورة جوية لقلعة المنصورة بميدي، باستخدام برنامج google earth	456
298	موقع قلعة المنصورة بميدي	458
299	بقايا البرج الشمالي الشرقي (قلعة المنصورة بميدي)	458
300	موقع البرج الجنوبي الغربي (قلعة المنصورة بميدي)	458